الجمهوريّة الجزائريـة الدّيمقراطيّة الشّعبيّـة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية أصول الدين
قسم: الكتاب والسنة

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

الأطروحات المثارة حول عدالة الصحابة في الدراسات المعاصرة

دراسة تحليلية نقدية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (علوم) في الكتاب والسنة

تخصص: السنة في الدراسات الحديثة والمعاصرة

إعداد الطالبة
سميرة قمري

إشراف الأستاذ الدكتور
بوبكر كافي

أعضاء المناقشة	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ د /حسان موهوبي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة	رئيسا
أ د /بوبكر كافي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة	مشرفا ومقررا
د /آسيا عمور	أستاذة محاضرة–أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة	عضوا
د/ محمد رمضاني	أستاذة محاضرة–أ	جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي	عضوا
د نور الدين تومي	أستاذة محاضرة–أ	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة	عضوا
أ د محمد حاج قاسم	أستاذ	جامعة غرداية	عضوا

السّنة الجامعيّة 1443/1442هـ 2021/ 2022م

جامعة الأمير
كلية العلوم الإسلامية

شكر وتقدير:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمدا يليق بجلاله وكرمه ونعمه، منّ عليّ بإتمام البحث، وشرّفني بخدمة السنة النبوية، وأكرمني بالدفاع عن صحابة الرسول ﷺ.

وأثنّي بخالص الشكر والعرفان والتقدير والامتنان لشيخنا الأستاذ الدكتور أبي بكر كافي –حفظه الله ورفع مقامه – لتفضله بالإشراف على هذا البحث ومتابعته وتوجيهه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الأمير عبد القادر بكل هيئاتها وأخص بالذكر أساتذة قسم الكتاب والسنة.

والحمد لله أولا وآخرا والصلاة والسلام على من ربّى جيلا شغل الدنيا حتى زمان الناس هذا ﷺ وأرضاهم وجمعنا بهم في جنات النعيم.

إهداء:

إلى أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلّها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها خلالا،

إلى صحابة رسول الله ﷺ

أهدي هذا البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد تعرضت السنة النبوية، وأعلامها، ومصادرها، وجهود أئمتها منذ القديم لطعون الطاعنين وشبه المغرضين من أعداء هذا الدين ومن اغتر بمقالاتهم ومناهجهم من مختلف طوائف المسلمين.

وفي هذا العصر ازدادت الشبهات والطعون الموجهة للصحابة ﷺ، بغرض زعزعة صرح السنة الشامخ، وتحطيم حصون المسلمين من الداخل، وقد تولى كبر هذه الطعون أعداء الإسلام من المستشرقين خصوصا، ثم من تأثر بدعواتهم وشبهاتهم من الكتاب والباحثين المسلمين، في وقت تعيش فيه الأمة ذلا وضعفا، وتبعية للمدنية الغربية، وانبهارا بها.

وعليه فإن الدفاع عن السنة النبوية أصبح اليوم واجبا على الأمة كلها، وعلى طلبة العلم بصفة خاصة.

و من أجلّ أبواب الدفاع عن السنة: نصرة الصحابة ﷺ لأن السهام توجه نحوهم بصفة خاصة لمكانتهم عند الأمة، ونصرة المحدثين لأن جهودهم العلمية هي التي أوصلت إلينا السنة صحيحة سليمة من كل دخن، وذلك بإنجاز بحوث جادة ترد على الشبهات، وتعرف بمناهج المحدثين، ذلك أن معرفة مناهج المحدثين في الأخذ عن الرواة وفي التصنيف كفيلة بإبطال الكثير من الشبه، وإسقاط مزاعم أصحابها بعدم التزام المحدثين المنهج العلمي الدقيق والموضوعي.

وفي سياق برنامج قسم الكتاب والسنة، شعبة السنة في الدراسات الحديثة والمعاصرة، والذي يُعنى بالدراسات العلمية المعاصرة للسنة النبوية ونقدها، وقع اختياري على موضوع "**الأطروحات المثارة حول عدالة الصحابة في الدراسات المعاصرة _ دراسة تحليلية نقدية** _" ، (وقد كان للمشرف الشيخ الدكتور أبي بكر كافي –حفظه الله– فضل التوجيه والتعديل) علّه يكون لبنة في صرح التعمق في بناء معرفتي الحديثية، والدفاع عن السنة من خلال نصرة نقلتها ومخارج الحديث وحفظته ﷺ وأرضاهم.

ومن خلاله أحاول:

التعريف بالصحابة وبيان مكانتهم، ومعنى عدالة الصحابة التي أخذ بها المحدثون، ثم بيان موقف الفرق القديمة، والمستشرقين، وصولا إلى الباحثين المعاصرين: من الصحابة وعدالتهم، ودراسة ما أثاروه من شبه رامية إلى إسقاط السنة، بضرب رواتها وأعلام الرواية خاصة، الذين هم أركان الرواية فإن سقط أحدهم سقط معه جزء كبير من السنة -رضي الله عنهم أجمعين-، لأجل هذا فإن البحث سيتناول بالدراسة بعض الشبهات التي تتعلق بديانة الصحابة وأمانتهم في النقل.

التعريف بمصطلحات البحث:

أولا: الأطروحات: ما أثير حول الصحابة، وسيرهم، وشخصياتهم، ومروياتهم من أقوال وكتابات مطبوعة، الغرض منها بث الشك والريبة في نفوس أبناء الأمة الإسلامية حول عدالة حملة الوحي ونقلته رضي الله عنهم وأرضاهم.

ثانيا: العدالة:

المقصود بعدالة الصحابة في هذا الموضوع هو بحثها من حيث التقوى التي تمنعهم من الكذب، وعدم جواز الكذب في حقهم في حديث النبي ﷺ، وليس المقصود بها عصمتهم من الخطإ أو السهو أو الوقوع في بعض المعاصي.

ثالثا: الصحابة

من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ذلك ردة، وهو اختيار المحدثين.

ويكون التركيز في هذا البحث بصفة خاصة على الصحابة المكثرين من الرواية لأن الكلام حول عدالتهم يبرز بشكل واضح وخاص في كتابات المعاصرين.

رابعا: الدراسات المعاصرة: وأقصد بها في بحثي الكتب المطبوعة والمقالات المنشورة لباحثين معاصرين خلال السنوات الأخيرة، -بعد نهاية الحرب العالمية الثانية- تكلموا نقدا في عدالة الصحابة عموما، وأثاروا إشكالات حول صحابة بأعيانهم.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية دراسة موضوع عدالة الصحابة وما أثير حولهم من أطروحات من خلال ما يلي:

أولا_ أهمية دراسة طبقة الصحابة منذ القديم، وللعلماء من سلفنا في ذلك جهود طيبة، أثمرت المؤلفات العديدة، في حدهم، ومعرفتهم، وطبقاتهم، وعدالتهم، وما ورد في فضائلهم، والرد على من طعن فيهم، أو في بعضهم، وغيرها من الجوانب المتعلقة بهم_رضي الله عنهم.

ثانيا_ كون موضوع عدالة الصحابة من أهم المواضيع التي تمس مصداقية السنة النبوية، فهذا أمر يجب العناية به، ذلك أن إسقاط الصحابة يعني طرح مروياتهم، ومنه التشكيك في السنة ونبذها.

ثالثا_كون عدالة الصحابة موضوعا يشغل بال الكثير من الناس في واقعنا اليوم، وخصوصا مع بث المشككين فيها لشبهاتهم عبر مختلف وسائل الإعلام والاتصال.

رابعا_ الحاجة إلى دراسات جادة وجهود متواصلة لكشف شبهات المعاصرين حول الصحابة، وإبراز مناهج المحدثين، ورد أباطيل خصومهم.

خامسا_كما تظهر أهمية هذا الموضوع في كونه وسيلة مساعدة لتفنيد خرافات أعداء السنة والإسلام، ورد الأغلوطات التي علقت بذهن بعض الباحثين.

– تساعدنا هذه الدراسة الهادفة من خلال دراسة شبهات المعاصرين وانتقادها إلى الحد من الخطر الاستشراقي ومن يسير على نهجه.

– الوصول إلى دراسة أكاديمية تثري مجال البحث العلمي، بحيث تجمع بين دفتيها أهم الشبهات المثارة حول الصحابة والرد عليها.

إشكالية البحث:

هذا الموضوع محاولة لدراسة ما يُثار حول عدالة الصحابة من إشكالات، وما يطعن في منهج المحدثين عند أخذهم الأحاديث عن الصحابة، والسؤال الرئيس الذي أحاول الإجابة عنه من خلال البحث:

ما أهم الأطروحات التي أثارها المعاصرون حول عدالة الصحابة ؟ وما مدى كفاية منهج المحدثين في ضبط مفهوم العدالة عند الصحابة ونجاعته في التصدي للشبهات المثارة حولها؟

وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي الجواب عن مجموعة من التساؤلات التي تتفرع عنه، منها:

1-ما معنى العدالة عند المحدثين؟

2-كيف تنظر الطوائف الإسلامية القديمة لعدالة الصحابة؟

3-ماهي نظرة المستشرقين لعدالة الصحابة؟

4-ماهي نظرة المعاصرين من عقلانيين وقرآنيين وحداثيين لعدالة الصحابة؟

5-ماهي نقاط التأثر والتأثير في مواقف هذه الطوائف والفرق في نظرتهم لعدالة الصحابة.

أسباب اختيار الموضوع:

- وقع اختياري على هذا الموضوع لعدة أسباب أذكر منها:
- -أهمية هذا الموضوع وخطورة الشبهات المثارة حوله على السنة النبوية.
- الإسهام في الدفاع عن السنة النبوية وحفاظها وأئمتها ومواصلة جهود المحدثين في ذلك.
- كثرة الكلام حول عدالة الصحابة إثارة هذه القضية في كل حين.
- نيل شرف خدمة الدفاع عن نفوس طيبة طاهرة صحبت النبي ﷺ ونقلت إلينا ميراث النبوة.
- الاستجابة لأهداف القسم في تخصص السنة في الدراسات الحديثة والمعاصرة.
- تلبية رغبة أستاذي الأستاذ الدكتور أبوبكر كافي _ حفظه الله _، باقتراحه بحث هذا الموضوع.

أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث إلى:
- رد الشبهات المثارة حول عدالة الصحابة ومروياتهم، وتفنيدها بالأسلوب العلمي الموضوعي.
- بيان قيمة ودقة المنهج العلمي للمحدثين في تحديد مفهوم عدالة الصحابة ﷺ.
- إضافة دراسة جديدة في مجال البحث العلمي وإثراء المكتبة الإسلامية.

- بيان قيمة انتقادات المعاصرين لعدالة الصحابة ﷺ ومدى قربهم أو بعدهم عن المنهج العلمي الصحيح.
- بيان مدى التأثر الحاصل لدى المعاصرين بالدراسات الاستشراقية.

الدراسات السابقة ونقدها:

لقد تعددت وتنوعت المصادر حول جيل الصحابة من الكتب المعرفة بهم، وبفضائلهم، وفقههم، ورواياتهم، وما أثير حولهم من شبهات، وغيرها من الجوانب المتعلقة بهم، كل جانب على حدة، وقد يجمع مصدر بين جانبين أو أكثر.

وفي حدود بحثي لم أقف على دراسة علمية أكاديمية معاصرة سبقت إلى هذا مثل هذا العنوان"**الأطروحات المثارة حول عدالة الصحابة في الدراسات المعاصرة_دراسة تحليلية نقدية_**"، وعالجت الموضوع بكل جزئياته، فجمعت بين منهج المحدثين في إثبات عدالة الصحابة، وموقف المعاصرين من الصحابة، والرد على الإشكالات المثارة حول عدالة الصحابة اتكاء على نصوص من القرآن والسنة، ثم دراسة الأطروحات المثارة حول كل صحابي على حدة، لكني وقفت على بعض الدراسات التي لها صلة مع بحثي، وتخدمه بصورة مباشرة، أذكر منها:

1_ الصحابة والصحبة وشبهات حول عدالة الصحابة وضبطهم عرض ونقد: تأليف الدكتور عبد الله بن عبد الهادي القحطاني، يقع في مجلدين، وأصله رسالة علمية نال بها صاحبها درجة الدكتوراه، وهو كتب قيم جدا استفدت منه كثيرا، قام فيه المؤلف بتفصيل الكلام حول مفهوم الصحبة واختيار المحدثين في تعريفهم للصحابة كما تكلم عن الفرق بين العصمة والعدالة، ثم بدأ بعرض موقف الفرق الإسلامية القديمة من عدالة الصحابة، ثم ذكر موقف المستشرقين، وبعده موقف المدرسة العقلية الحديثة وقصد بها المعاصرين من مختلف التيارات الفكرية من قرآنيين وحداثيين وعقلانيين، ومزج بينهم دون تمييز، ثم بدأ بتفصيل الكلام حول الشبهات ونقدها بإسهاب، والفرق بينه وبين بحثي أني حين تحدثت عن المعاصرين وموقفهم من عدالة الصحابة قسمتهم إلى ثلاث طوائف: طائفة العقلانيين المعاصرين، وطائفة القرآنيين ، وطائفة الحداثيين، كل واحدة على حدة، أذكر تعريفها ونشأتها ومبادئها ثم موقفها من عدالة الصحابة، كما أنّ الباحث أسهب كثيرا في النقول النصية في تفنيده للشبهات وهذا

أمر جيد لكنه قد يعترض عليه بكون خصوم الصحابة لا يعترفون أصلا بالروايات ولا بمنهجية المحدثين في نقلها، والحقيقة أني استفدت منه كثيرا واعتمدت عليه بشكل كبير سواء من حيث المادة العلمية ، أو من حيث الخطة وتقسيم البحث ، بل وساعدني كثيرا في الرجوع إلى مصادر ومراجع تخص البحث، فالله يجزيه عن العلم وطلبته خير الجزاء.

2-عدالة الصحابة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع شبهات للدكتور عماد السيد الشربيني: وهو بحث مختصر عدد صفحته حوالي 140صفحة، يرد فيه الباحث على الطاعنين في الصحابة من المستشرقين ومن يسمون بالقرآنيين، وذلك من خلال الرد على الشبهات التي تمسكوا بها من فهومهم القاصرة لبعض نصوص القرآن والسنة، وكذلك من فهم أعوج لسير الصحابة وتاريخهم المجيد، ثم يخصص الرد على ما أثير حول صحابيين جليلين هما: أبو هريرة ومعاوية رضي الله عنهما، ويختم بحثه ببيان حكم الطعن في الصحابة الكرام.

وصاحب الكتاب لم يستقرئ كل الشبهات المثارة حول الصحابة إنما تكلم عن أبرزها وأصرحها في كتابات أصحابها، بالإضافة إلى كونه تناول بالدراسة الشبهات المثارة حول صحابيين فقط، وفي بحثي محاولة لاستقراء الشبهات المثارة حول الصحابة مما له صلة بالرواية الحديثية، بالإضافة إلى الكلام على صحابة مُتكلم في عدالتهم والرد على الشبهات المثارة حولهم.

3_ الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام لعبد الله بن سليمان الشايع: وهو بحث صغير قام صاحبه بالرد على شبهات الشيعة حول الصحابة، من اتهامهم بالنفاق مستدلا بنصوص القرآن والسنة، وتكلم عن مسألة مهمة وهي عدالة الصحابة عند المحدثين وبين أن المقصود منها قبول روايتهم مطلقا وأنهم غير معصومين من الخطإ والزلل بمقتضى بشريتهم، مع بعدهم عن الكذب في الحديث، وحتى من وقع منهم في معصية وكانت له رواية، عضد روايته موافقة غيره له من الصحابة.

كما دافع عن زوجات النبي ﷺ على وجه الإجمال وباختصار، وأيضا تكلم عن موقف الشيعة من الإمامة وادعائهم أحقية علي رضي الله عنه بها.

ومن ميزات هذا البحث تعرضه لمعنى عدالة الصحابة التي أخذ بها المحدثون، وهي النقطة التي سأتحدث عنها في بحثي، ولكنه يبقى بحثا صغيرا قد ينفع أكثر غير المتخصصين في العلوم الشرعية

وبالذات غير المتخصصين في السنة النبوية.

4-عقيد أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﷺ: للدكتور ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، نشر بمكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى1413هـ-1993م، ويقع في ثلاث مجلدات؛الأول تحدث فيه عن فضائل الصحابة في القرآن والسنة وفضائل آل البيت، والمجلد الثاني تحدث فيه عن موقف أهل السنة من خلافة الصحابة وما شجر بينهم، وفيه تحدث عن عدالة جميع الصحابة من نصوص القرآن والسنة، وهي وإن كانت كافية شافية للتسليم بعدالتهم-لانه بصدد بيان موقف اهل السنة والجماعة- إلا أنها لا تُقنع المخالف الذي قد لا يكون مسلما أصلا، بل لا بدّ له من أدلة من جانب عملي في واقع الرواية، وهي التي اعتمدها المحدثون، وهي نقطة بحثي، كما أن المؤلف اعتمد التعاريف الاصطلاحية التي درج عليها العلماء في تعريف العدالة من أنها ملكة تحمل صاحبها على التزام التقوى والمروءة بشكل عام، والعدالة التي يعنى بها بحثي هي اتصاف الصحابة بالتقوى التي تمنعهم من الكذب في حديث النبي ﷺ. أما المجلد الثالث فقد خصصه لبيان موقف أهل السنة من الفرق المنحرفة في اعتقادها نحو الصحابة من شيعة وخوارج ونواصب، وهي فرق قديمة في نشأتها حديثة في امتداد شبهاتها التي كثيرا ما ينهل منها المعاصرون، وفي بحثي بيان لموقفهم-المعاصرين- من عدالة الصحابة فيكون هذا البحث بلا شك مما استفيد منه.

5_ شبهات المستشرقين حول الصحابة ﷺ من خلال دائرة المعارف الإسلامية _عرض ونقد_:للباحث محمد أحمد محمد فرج عيطة، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، الطبعة الأولى1432هـ_2011م، وهو بحث قيم في بابه ؛ يُقرّر فيه الباحث شبهات المستشرقين حول الصحابة من خلال ما كتبوه عنهم في دائرة المعارف تحديدا ثم يرد على هذه الشبهات بصورة واضحة ومباشرة وهي ميزة كبيرة في نظري لمنهج الباحث بحيث تجعل القارئ مكرزا بدل كثرة التشعبات التي قد تشتت أفكاره ، بل وقد تنمّ عن ضعف الرد، والكتاب بردّه على المستشرقين يتناول فئة مهمة من المعاصرين والتي يستقي كثير من الباحثين المنتسبين للإسلام إشكالاتهم التي أثاروها حول الصحابة منهم، وهي نقطة تخدمني في بحثي، إلا أن تركيزي على الصحابة أركان الرواية، ومما يضيفه بحثي بيان المنهج العلمي المنضبط للمحدثين في الحكم بعدالة الصحابة واعتماد مروياتهم.

6_ موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات: صدرت عن دار مصر للنشر، قام

عليها أكثر من200عالم وباحث في مختلف التخصصات، اعتمدت في الرد على الشبهات منهجا يعنى بالدليل العقلي والنقلي معا، احتوت على عدة أقسام، القسم الثالث منها مخصص للرد على الشبهات المثارة حول السنة النبوية، وفيه الرد على الشبهات المثارة حول عدالة الصحابة، وكان الصحابي؛أبو هريرة أبرزهم، كما تناول العلماء الرد على الشبهات حول مناهج المحدثين، وصدروها بشبهة تساهل المحدثين في توثيق الرواة، فهذه الموسوعة تعتبر مصدرا مهما رصد الشبهات حول عدالة الصحابة أستفيد منه بصورة واضحة في بحثي، كما أن المنهج الذي اعتمَدَته في الجمع بين الدليلين العقلي والنقلي يعتبر ميزة مهمة لأن المعاصرين اليوم منهم من لا يقنعه المنقول ولا يقيم له وزنا تحت تأثير الثقافات السائدة، ومنهم من لا يؤمن به لكونه من غير المسلمين أصلا في حين يسلم للمعقول وينبهر به.وكما أسلفت في حديثي عن باقي الدراسات السابقة أقول أن بحثي أركز فيه على الإشكالات المثارة حول الصحابة المكثرين من الرواية، لما لها من تأثير على مروياتهم، كما أتحدث عن المنهج العلمي الدقيق للمحدثين في تعديل الصحابة واعتماد رواياتهم.

7- عدالة الصحابة عند المسلمين: تأليف الدكتور محمد محمود لطيف الفهداوي، نشرته مكتبة الرشد سنة 2007م، ويقع في 464صفحة، وهو كتاب قيم جدا استفدت منه كثيرا في بحثي ، شأنه شأن كتاب الدكتور القحطاني الذي ذكرته أوّلا ، تناول فيه صاحبه موقف الفرق الإسلامية القديمة من عدالة الصحابة، لكنه لم يذكر الفرق المعاصرة أو الاتجاهات المعاصرة، كما أنه ركّز على الشبهات التي أثيرت حول عدالة الصحابة مما له علاقة بالفتن السياسية في تلك الحقبة ولم يتعرض لذكر شبهات أخرى تتعلق بأخلاق الصحابة أو سيرهم، فهو ركّز على ماله علاقة بأصل المشكلة وهو الفتنة بعد وفاة النبي ﷺ، كما أنه ركّز على تفنيد شبهات الشيعة.

8- الصحابة رضي الله عنهم بين الإباضية وأهل السنة: تأليف أحمد جهاد مصطفى سويدان، وهو بحث أكاديمي حصل نال به الباحث درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بغزة، بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطباعتها وتوزيعها، بيّن فيه الباحث موقف فرقة الإباضية من الصحابة الكرام مع المقارنة بموقف أهل السنة منهم، وبيّن مواضع الاختلاف بين الفرقتين، كما تحدّث فيه عن كون الإباضية فرقة من الخوارج على حسب ما أورده كتّاب الفرق الأوائل، مع اختلاف علمائهم المعاصرين بين مثبت للنسبة ومتبرّئ منها.

09- موقف الإباضية من الصحابة رضي الله عنهم: للباحث مشعل بن حميد الجهني، نال به درجة الماجستير من جامعة المدينة العالمية بماليزيا، وفيه عرّف الباحث بالفرقة وذكر أصولها ومعتقداتها، وقرّر أنها فرقة من فرق الخوارج ، وإن تبرّأ أتباعها من ذلك، وأنها تخالف أهل السنة في موقفها من الصحابة ، وذلك بالطعن في كثير منهم طعنا يوجب تكفيرهم والقول بخروجهم من ملّة الإسلام.

10- دعوى الطعن في الصحابة رضي الله عنهم في الأحاديث الواردة في الصحيحين، دراسة نقدية: تأليف حسن علي دوجان الختاتنة، وهو بحث أكاديمي نال به الباحث درجة الدكتوراه في الحديث الشريف من الجامعة الأردنية، وفيه جمع الباحث الأحاديث الواردة في الصحيحين أو أحدهما ، والتي ادّعى الطاعنون في الصحابة اشتمالها على الطعن فيهم بالكفر ، والرّدة ، والنفاق ، وتحريف القرآن، ومعصية النبي صلى الله عليه وسلم...، كما اشتمل على الطعون الموجهة لأفراد معيّنين من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، و خلص الباحث إلى أنّ الأحاديث التي اتكأ عليها خصوم الصحابة تشمل على نقض افتراءاتهم والرّد عليها ، وأنّ فهمهم لها خاطئ لتعسّفهم واعتمادهم ألفاظا محتملة أو روايات مجملة.

11- موقف الاتجاهات العقلانية المعاصرة من الصحابة رضي الله عنهم – عرض ونقد –: بحث محكّم منشور بمجلة الجامعة للدراسات الإسلامية بغزة، من إعداد الباحثة هناء عصام البرش ،و الدكتور أحمد جابر العمصي، وفيه مناقشة حدّ الصحبة عند الاتجاهات العقلانية المعاصرة وقصرها على من لازم النبي صلى الله عليه وسلم مدة طويلة،وردّهم لتعريف المحدّثين للصحابي،و الردّ على شبهتين حول الصحابة الكرام ؛ الأولى : شبهة سوء العلاقة بين الصحابة رضي الله عنهم، والأخرى شبهة الفتنة التي شجرت بينهم.

منهج البحث:

لكون موضوع عدالة الصحابة، بعيد الغور، بالغ الأثر في واقع الأمة الإسلامية، اقتضت طبيعة الموضوع المناهج الآتية:

- **المنهج الاستقرائي**: وذلك باستقراء الإشكالات المثارة حول عدالة الصحابة.

- **المنهج التحليلي النقدي**: وذلك عند تحليل الإشكالات ودراستها دراسة نقدية.

_**المنهج المقارن:** وذلك عن طريق إجراء عرض ودراسة لأوجه التشابه والاختلاف بين منهج المحدثين ومنهج المعاصرين في التعرض لعدالة الصحابة.

وقد ترجمت للأعلام الذين كانت لهم آراء بارزة سواء من الفرق القديمة، أو من المستشرقين، أو من المعاصرين، كما أنّي أذكر كلّ المعلومات الخاصة بالمصدر أو المرجع عند أول ذكر له ، فإن لم تتوفر لي إحدى معلومات النشر كالطبعة مثلا أشرت بـ (د.ط) ، وإن لم تتوفر لي أكثر من معلومة أشرت بـ (د.ن) ، وأقصد به : دون معلومات نشر، وأكتفي بالإشارة إلى الجزء والصفحة عند تكرّر ذكر المصدر أو المرجع.

وككلّ عمل بشري فقد اعترضتني بعض الصعوبات لعلّ أهمها:

-كثرة الشبهات والطعون الموجهة للصحابة ﷺ، وقد كان لزاما عليّ أن أقرأ جلّ ما أجده غالبا حتى أستخرج ماله علاقة بديانة الصحابة وأمانتهم في النقل.

- كثرة الطاعنين في الصحابة ﷺ من المعاصرين، خاصة مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، فكنت في كل مرة أرى وأسمع عن ظهور شخص يطعن في الصحابة، وهذا كان له شيء من التأثير على نفسيتي.

وقد حرصت قدر المستطاع على جعل فصول البحث متوازنة لكنّ طبيعة البحث فرضت عليّ الاستطراد حينا والاختصار آخر، وهذه طبيعة العلوم الإنسانية.

الخطة العامة للبحث:

قسمت البحث إلى مقدمة تضمنت عناصرها الرئيسة،، وأربعة فصول، وتحت كل فصل مباحث، واندرج تحت كل مبحث عدة مطالب، مراعية في ذلك كله أن تكون الخطة متوازنة، وبيانها:

الفصل تمهيدي: وتضمن **مفهوم عدالة الصحابة والشبهات حولها،**

من خلال مبحثين:أحدهما حول مفهوم الصحابي والشبهات حوله، والآخر حول مفهوم العدالة والشبهات حولها، أما **الفصل الأول فخصصته للطرح التراثي لقضية عدالة الصحابة ﷺ،**

ومباحثه حول : أهل السنة والجماعة ، و الشيعة الإمامية ، و الخوارج ، و النواصب ، و المعتزلة ،

و الأشاعرة، و الماتريدية ، و الزيدية مع بيان موقف كل فرقة من عدالة الصحابة ﷺ.

وتناولت في الفصل الثاني: الطرح الاستشراقي لقضية عدالة الصحابة ﷺ:

وذلك من خلال أربعة مباحث:أولها حول تعريف الاستشراق وتاريخ نشأته ودوافعه وأهدافه

وثانيها : بيان لاتجاهات المستشرقين في نظرتهم للحديث النبوي، و ثالثها حول موقف المستشرقين من عدالة الصحابة ﷺ

أما الرابع فخصّصته لتقييم الطرح الاستشراقي لعدالة الصحابة.

وفي الفصل الثالث تناولت:الطرح المعاصر لقضية عدالة الصحابة ﷺ

من خلال أربعة مباحث تضمنت الاتجاهات المعاصرة وموقفها من عدالة الصحابة وهي

المدرسة العقلية المعاصرة ، و فرقة القرآنيين ، والاتجاه الحداثي ، وختمته ببيان الأثر الاستشراقي على الدراسات المعاصرة في قضية عدالة الصحابة وحكم الطعن فيهم.

و خاتمة: وفيها ذكر لأبرز نتائج البحث، وأخيرا **توصيات** .

و الفهارس الفنية وهي : فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام المترجم لهم، وقائمة المصادر والمراجع المعتمدة، وفهرس الموضوعات.

والبحث في النهاية جهد بشري، لا أدّعي فيه أني أتيت بالجديد ، أو أنّي أعطَيت الصحابة حقّهم في النُّصرة على أكمل وجه، فما كان فيه من صواب فتوفيق من الله وعون منه، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وتقصيري... واللهَ أسال أن يردني إلى الحق ردّا جميلا.

والحمد لله أوّلا وآخرا والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

الفصل التمهيدي:

مفهوم عدالة الصحابة والشبهات حولها.

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الصحابي والشبهات حوله.

المبحث الثاني: مفهوم العدالة والشبهات حولها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

تعدّ عدالة الصحابة من المسائل المهمة التي كثر الطرح حولها منذ القديم وحتى يومنا هذا، وقبل الشروع في عرض الأطروحات حولها يتحتّم ضبط بعض المفاهيم التي يُنطلق من خلالها في الدراسة، إذ لا بدّ من تصوّر لمعنى عدالة الصحابة وحقيقتها، وما يؤكّدها وما ينفيها، وما يوافقها، وما يخالفها... وهذا لا يتأتى إلا بالتعرف على مفردات هذه المسألة، ومتعلّقاتها، حتى تكتمل صورة يمكن من خلالها الولوج إلى الموضوع.

وفي هذا الفصل محاولة لضبط مفهوم الصحبة ومفهوم العدالة عند العلماء، والمراد من عدالة الصحابة عند المحدثين، وما أثير حولها من شبهات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:مفهوم الصحابي

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الصحابي.

المطلب الثاني: شبهة توسع المحدثين في تعريف الصحابي بدافع تضخيم عدد المرويات والرد عليها.

المطلب الثالث:شبهة دخول المنافقين في تعريف الصحابي والرد عليها.

المطلب الأول: تعريف الصحابي.

الفرع الأول: تعريف الصحابي لغة:

الصحابي لغة مشتق من الفعل صحب ، الذي تدور معانيه في اللغة حول:

1.المقارنة والمقاربة والملاءمة: الصاد، والحاء، والباء أصل واحد، يدل على مقارنة شيء، ومقاربته. من ذلك: الصاحب، والجمع الصحب، كما يقال: راكب، وركب. ومن الباب: أصحب فلان، إذا انقاد...وكل شيء لاءم شيئا فقد استصحبه [1]

و في الحديث قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها –في مرض موته–: " مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ"[2]

قال النووي رحمه الله: "أَيْ فِي التَّظَاهُرِ عَلَى مَا تُرِدْنَ وَكَثْرَةِ إِلْحَاحِكُنَّ فِي طَلَبِ مَا تُرِدْنَهُ وَتَمِلْنَ إِلَيْهِ"[3]

---

[1] معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، د.ب،د.ط، 1399هـ_1979م ، (كتاب: الصاد، باب: الصاد والحاء وما يثلثهما)، 335/3.

[2] رواه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة ، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ، وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصلِّي بِالنَّاسِ...، رقم101، ح420، 316/1.

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ، 140/4.

وقد يطلق أي لفظ الصاحب مع وجود الاختلاف والمباينة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف: 34].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف:37].

مع اختلاف دينهما فأحدهما مؤمن والآخر كافر.

وقوله تعالى لمن كان على الإسلام ووالداه كافران: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان:15].

أي عاشرهما بالمعروف وبذل الإحسان.

2.الملازمة بالبدن أو بالعناية والاهتمام: فمعنى صَاحَبَهُ: عَاشَرَهُ[1] والأصحابُ: جماعةُ الصَّحْب، وَيجمع الصاحِبُ أَيْضاً صُحْباناً وصُحْبَةً وصِحَاباً وصَحَابة، وقد أصحب الرجل إذا كان ذا أصحاب... وكل شيء لازم شيئا فقد استصحبه[2]

قال الراغب الأصفهاني: "الصاحب الملازم إنسانا كان أو حيوانا أو مكانا أو زمانا ، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن – وهو الأصل والأكثر– أو بالعناية والهمّة ، وعلى هذا قال:لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي ، ولا يقال في العُرف إلا لمن كثرت ملازمته، ويقال للمالك الشيء: هو صاحبه وكذلك لمن يملك التصرف فيه..." [3]

والصَّحَابة بالفتح الأَصْحاب وهي في الأَصْل مصدر، ولم يُجْمع فاعِلٌ على فَعالة إلا هذا الحَرْف فقط[4]

---

[1] لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ص 519.

[2] تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الازهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ص153_154.

[3] المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ، ص476.

[4] مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1415هـ_1994م، ص353.

وفي الحديث: "ومضيت... أبتغي الصحابة إلى رسول الله ﷺ"[1]

"واصطحب القوم: صحب بعضهم بعضا... "[2]

فهي تدل على المرافقة والملازمة والمعاشرة والملاءمة.

3.مطلق الملازمة سواء طالت أو قصرت: فالصحابي "لا خلاف بين أهل اللغة في أنه مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً ، كما أن القول (مكلِّم ومخاطب وضارب) مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب وجار على كل من وقع منه ذلك قليلاً كان أو كثيراً... يقال: صحبت فلاناً حولاً ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم"[3]

وهذا يعني أنّ إطلاق الصحبة في اللغة لا يشترط فيه الملازمة الطويلة الزمن، ولا دوام المعاشرة، بل يصح ويصدق على كل من صحب غيره مهما كان الزمن يسيرا، والمدة قصيرة.

قال ابن تيمية"والأصحاب جمع صاحب، والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه، وذلك يقع على قليل الصحبة وكثيرها" [4]

وقال السخاوي: "الصحابي لغة: يقع على من صحب أقل ما يطلق عليه اسم صحبة، فضلاً عمّن طالت صحبته وكثرت مجالسته[5].

---

[1] رواه ابن سعد في الطبقات،317/1، والطبراني في الكبير،8/25، ومن طريق المزي في تهذيب الكمال،35/ 275- 280.

[2] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1407 هـ - 1987 م، مادة"صحب"1، /162.

[3] الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ت: أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، د.ط، د.ت، ص51. وينظر فتح المغيث للسخاوي: 78/4.

[4] الصارم المسلول على شاتم الرسول: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت، ص576.

[5] فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الطبعة الأولى، 1424هـ -2003م، 78/4.

وقال يحي العامري: " يطلق اسم الصحبة في اللغة على الشيئين إذا كان بينهما ملابسة وإن قلّت، أو مناسبة أو ملابسة من بعض الوجوه" [1]

ولذلك قيل: " لو حلف حالف أنه لا يصحب فلانا حنث بصحبته لحظة" [2]

الفرع الثاني: تعريف الصحابي اصطلاحا:

اتفق العلماء على صحة الصحبة لمن اتفقت كتب السير والمغازي والتواريخ على ذكره في جملة الصحابة من المهاجرين والأنصار والذين غزوا مع النبي ﷺ الغزوات [3] ، ولا خلاف بين العلماء في اختلاف مراتب الصحابة حسب ملازمتهم النبي ﷺ [4]

وكذلك اتفقوا على أن من صاحب النبي ﷺ ساعة أو رآه ولو مرة مع إيمانه به هو أفضل مرتبة من التابعين، قال أبو الحسن الأشعري: "وأجمعوا على أن الخيار بعد العشرة في أهل بدر من المهاجرين والأنصار على قدر الهجرة والسابقة، وعلى أن كل من صحب النبي ﷺ ولو ساعة، أو رآه ولو مرة مع إيمانه به وبما دعا إليه أفضل من التابعين بذلك" [5].

لكن وقع بين العلماء خلاف في تحديد مفهوم الصحابي على عدة أقوال تعود في مجملها إلى قولين رئيسين هما: الاكتفاء في إثبات الصحبة بمجرد لُقي النبي ﷺ وإن لم يتخلل ذلك طول صحبة، واشتراط طول الصحبة والملازمة وعدم الاعتداد بمجرد اللُقيا.

---

[1] الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة: يحي بن أبي بكر العامري، أشرف تحقيقه: عبد الله بن إبرهيم الأنصاري وعبد التواب هيكل، الشؤون الدينية بوزارة التربية والتعليم ، د.ن، ص12.

[2] تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي، ت: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى، 1410هـ، ص37. وينظر: الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان،د.ط،د.ت، 92/2.

[3] تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، ص57.

[4] ينظر:نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة الثالثة، 1421 هـ - 2000 م، ص112.

[5] رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: علي بن إسماعيل الأشعري، ت: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1413هـ، ص171.

أولا: ذهب المحدثون وكثير من الأصوليين إلى أن مُسمّى الصحابي يصدق على من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ولو للحظة يسيرة، وفيما يأتي عرض لأقوالهم في هذا:

أ- المحدثون:

قال علي بن المديني: "من صحب النبي ﷺ أو رآه، ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي ﷺ"[1].

وقال الإمام أحمد بعد أن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر:" ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم، كل من صحبه سنة، أو شهرا، أو يوما، أو ساعة، أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه"[2].

وعرّف البخاري الصحابي بأنه:" من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه"[3].

وقال ابن الصلاح:" اختلف أهل العلم في أنّ الصحابي من؟ فالمعروف من طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأى رسول الله ﷺ فهو من الصحابة "[4].

وقال ابن كثير:"والصحابي: من رأى رسول الله ﷺ في حال إسلام الراوي وإن لم تطُل صحبته له،، وَإِنْ لَمْ يَرْوِ عَنْهُ شَيْئًا هَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ اَلْعُلَمَاءِ، خَلَفًا وَسَلَفًا.

وَقَدْ نَصَّ عَلَى أَنَّ مُجَرَّدَ اَلرُّؤْيَةِ كَافٍ فِي إِطْلَاقِ اَلصُّحْبَةِ اَلْبُخَارِيُّ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي أَسْمَاءِ اَلصَّحَابَةِ، كَابْنِ عَبْدِ اَلْبَرِّ، وَابْنُ مَنْدَهْ، وَأَبِي مُوسَى اَلْمَدِينِيِّ، وَابْن اَلْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ "أسد اَلْغَابَة فِي مَعْرِفَةِ اَلصَّحَابَةِ"[5].

---

[1] فتح المغيث، 78/4.

[2] الكفاية، 100/4.

[3] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2/5.

[4] معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، ابن الصلاح، ت: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1406هـ - 1986م، ص293.

[5] اختصار علوم الحديث: إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م، ص174.

وقال الإمام النووي: "اختُلف في حد الصحابي، فالمعروف عند المحدثين أنه كل مسلم رأى رسول الله ﷺ [1].

وقال الإمام العراقي في ألفيته:

رائـــي النبـــي مســـلما ذو صـــحبة وقيـــل إن طالـــت ولـــم يثبـــت[2]

قال أبو زكريا الأنصاري في شرحه للبيت: "رَائي النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ حَالَةَ كَوْنِهِ مُسْلِماً مميِّزاً، ولو بلا مُجالسةٍ ومكالَمَةٍ، إنسياً أَوْ جِنِّيّاً ذُو صُحْبَةٍ اكتفاءً بِمُجرَّدِ الرُؤْيَةِ، لشرفِ مَنْزِلةِ النَّبِيِّ ﷺ، فيظهرُ أثر نُورِهِ في قَلْبِ الرَّائِي، وَعَلَى جَوَارِحِهِ... وَقِيْلَ: إنَّمَا يَكُوْنُ من ذُكِرَ صَحَابِياً (إنْ طَالَتْ) عُرْفاً صُحْبَتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَكَثُرَتْ مُجَالَسَتُهُ لَهُ عَلَى طَرِيقِ التَّبَعِ، والأَخْذِ عَنْهُ...هَذَا القولُ لَمْ يُثَبَّتِ – بِضَمِّ التَّحْتِيةِ، وتَشْديدِ الْمُوحَّدَةِ الْمَفتوحَةِ – أي: لَمْ يُقَوَّ عِنْدَ الْمُحَدِّثِيْنَ، والأصوليينَ [3].

وعرّف ابن حجر الصحابي بأنه: من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة في الأصح[4]، وهو رأي الإمام الطيبي [5].

وهذا شامل يدخل فيه الرجال، والنساء، والأحرار، والموالي، ومن صحبه قليلا، أو كثيرا، ومن

---

[1] التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: يحيى بن شرف النووي، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ - 1985 م، ص92.

[2] ألفية العراقي المسماة بـ: التبصرة والتذكرة في علوم الحديث: عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت: العربي الدائز الفرياطي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1428 هـ، ص164.

[3] فتح الباقي بشرح ألفية العراقي: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي، ت: عبد اللطيف هميم وماهر الفحل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م، ص185.

[4] نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: ابن حجر، ص111، والتقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: عبد الرحيم العراقي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية ،المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1389هـ-1969م، ص292.

[5] الخلاصة في أصول الحديث: الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: صبحي السامرائي، رئاسة ديوان الأوقاف، العراق، الطبعة الأولى، 1381هـ، ص124.

رآه، ولم يجالسه، وغير ذلك، حتى من كان ضريرا منهم[1]

قال الحافظ السخاوي: "والعمل عليه عند المحدثين والأصوليين"[2]

وقال الحافظ السيوطى مؤيداً الحافظ ابن حجر- رحمهما الله تعالى-: "وهو المعتبر"[3]

ب- جمع من الأصوليين:

قال ابن حزم:"وقد قال قوم إنه لا يكون صاحبا من رأى النبي ﷺ مرة واحدة لكن من تكررت صحبه وهذا خطأ بيقين لأنه قول بلا برهان..." [4]

و قال الآمدي: "اختلفوا في مسمى الصحابي: فذهب أكثر أصحابنا وأحمد بن حنبل إلى أن الصحابي من رأى النبي ﷺ، وإن لم يختص به اختصاص المصحوب، ولا روى عنه، ولا طالت مدة صحبته.وذهب آخرون إلى أن الصحابي إنما يطلق على من رأى النبي ﷺ، واختص به اختصاص المصحوب، وطالت مدة صحبته، وإن لم يرو عنه...فالأشبه إنما هو الأول" [5]

والحقيقة أن ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي -من الحكم بالصحبة على من كان منه مجرد اللقيا تشهد له دلالة اللغة والعرف والاستقراء:

1-اللغة: لأن الصحبة في اللغة تطلق على من صحب غيره قليلا كانت الصحبة أو كثيرة، فيقال صحبته ساعة، وكذلك الصاحب اسم مشتق من الصحبة وذلك يقع على القليل منها أو الكثير كالضارب مشتق من الضرب والمتكلم مشتق من التّكلم وذلك يقع على القليل والكثير، فكذلك في

---

[1] شرح التعريف، وذكر محترزاته جماعة، منهم: ابن حجر في: الإصابة في تمييز الصحابة:، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ، 9/1، والسخاوي في فتح المغيث 78/4-89.

[2] فتح المغيث، 85/3.

[3] تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، د.ب، د.ت، 675/2.

[4] الإحكام في أصول الأحكام:علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ت: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط،د.ت، 91/5.

[5] المصدر نفسه، 92/2، وسيأتي مزيد بيان لاختيار الأصوليين في المسألة.

الصاحب يقع على كثير الصحبة وقليلها[1]

فالصحبة في اللغة تطلق على من ضمّته مع شخص آخر حالة ما فإنه قد صحبه فيها فلما كان من رأى النبي ﷺ وهو غير منابذ له ولا جاحد لنبوته قد صحبه في ذلك الوقت وجب أن يسمّى صاحبا[2]

و الحديث: وهو ما رواه أَبو سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ "[3]

فدلالة الحديث واضحة وصريحة في أنّ مجرد الرؤية سبب لإثبات فضيلة الصحبة؛ ذلك أنّ السؤال كان أولا عمن رأى رسول الله ﷺ، ثم في الجيل الذي بعده أعيد السؤال عنهم بإثبات الصحبة لهم.

قال ابن تيمية رحمه الله:"وحديث أبي سعيد هذا يدل على شيئين: على أن صاحب النبي ﷺ هو من رآه مؤمنا به وإن قلت صحبته؛ كما قد نص على ذلك الأئمة أحمد وغيره. وقال مالك: من صحب رسول الله ﷺسنة أو شهرا أو يوما أو رآه مؤمنا به فهو من أصحابه له من الصحبة بقدر ذلك. وذلك أن لفظ الصحبة جنس تحته أنواع يقال: صحبه شهرا؛ وساعة. وقد بين في هذا الحديث أن حكم الصحبة يتعلق بمن رآه مؤمنا به؛ فإنه لا بد من هذا"[4]

---

[1] العدة في أصول الفقه: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، ت: أحمد بن علي بن سير المباركي، د.ن، الطبعة الثانية 1410 هـ - 1990 م، 988/3.

وفي هذا ردّ على من زعم أنّ تعريف الصحبة في اصطلاح المحدثين لا علاقة له باللغة والعرف، ينظر: نحو تفعيل قواعد المتن:إسماعيل الكردي، ص303.

[2] الإحكام في أصول الأحكام، 91/5.

[3] رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح3594، 197/4، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، رقم208، ح2532،، 1962/4، واللفظ له.

[4] مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م، 298/20.

2-العرف:

وذلك لأن الحالف ليصحبن فلانا يبرّ بصحبته ساعة[1]، ولو حلف: لا صحبتك ولا صحبتني في سفري، حنث بأيسر متابعة يتبعه فيها [2]

3-الاستقراء:

فقد كان لِشَرَفِ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَلَّمَ الأثر البالغ على النفوس؛ إِذَا رَآهُ مُسْلِمٌ أَوْ رَأَى مُسْلِمًا لَحْظَةً طُبِعَ قَلْبُهُ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ؛ لِأَنَّهُ بِإِسْلَامِهِ مُتَهَيِّئٌ لِلْقَبُولِ، فَإِذَا قَابَلَ ذَلِكَ النُّورَ الْعَظِيمَ أَشْرَفَ عَلَيْهِ، فَظَهَرَ أَثَرُهُ عَلَى قَلْبِهِ وَعَلَى جَوَارِحِهِ[3].

فالِاجْتِمَاعَ بِالْمُصْطَفَى ﷺ يُؤَثِّرُ مِنْ النُّورِ الْقَلْبِيِّ أَضْعَافَ مَا يُؤَثِّرُهُ الِاجْتِمَاعُ الطَّوِيلُ بِالصَّحَابِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ الْأَخْيارِ فَالْأَعْرَابِيُّ الْجِلْفُ بِمُجَرَّدِ مَا يَجْتَمِعُ بِالْمُصْطَفَى ﷺ مُؤْمِنًا يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ بِبَرَكَةِ طَلْعَتِهِ ﷺ[4].

فإن اعتُرض عليه بأنه وُجد من رأى النبي ﷺ وهو مسلم ثم ارتد، أُجيب عنه بأنّ التعريف خاص بمن لقيه مؤمنا ومات على إيمانه، فالعبرة بالإيمان أما كثرة الملازمة فمدعاة لزيادة الإيمان وعلوّ المرتبة، ولا علاقة لها بلزوم الإيمان فكم من المنافقين الذين طالت رؤيتهم له ﷺ، وصلوا معه وشهدوا الغزوات... ولم يكن ذلك سببا في إيمانهم، ولا خلاف بين أهل العلم في تفاضل مراتب الصحابة.

وكذلك من أدلة الاستقراء:" أنّ الصحبة للرسول ﷺ مختلفة؛ فتارة يكون متشاغلا بالجهاد، وتارة يكون مذكّرا بآلاء الله ونعمه، وتارة ببيان الأحكام الشرعية والآداب الحكمية، وتارة يكون متشاغلا بشأن نفسه كخروجه إلى الغائط، وإذا قصرنا صحبته على من جالسه حال إيراد العلم حرمنا من حمل

---

[1] نهاية الوصول إلى علم الأصول: أحمد بن علي بن الساعاتي، أطروحة دكتوراه لسعد بن غرير بن مهدي السلمي، إشراف: محمود عبد الدايم علي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ط، 1405هـ-1985م، 354/1.

[2] الواضح في أصول الفقه: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م، 61/5.

[3] ينظر:فتح المغيث، 78/4.

[4] حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، 198/2.

له إداوة إلى الغائط، أو ناوله أحجار الاستجمار، أو خرج معه للجهاد، ولا وجه لحرمان من صحبه في أحد هذه الأمور اسم الصحبة "[1].

ونُقل عن سعيد بن المسيب أنه قال:" لا يُعدّ الصحابي إلا من أقام مع النبي ﷺ سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين "[2]

وإلى هذا الرأي ذهب عاصم الأحول حيث قال في عبد الله بن سرجس: رأى رسول الله ﷺ ولم يكن له صحبة"، وقد علق ابن عبد البر على قول عاصم قائلا: لا يختلفون في ذكرهم في الصحابة على قاعدتهم في السماع واللقاء، وقال الذهبي: فأما قول عاصم الأحول...؛ فإنه أراد الصحبة التي يذهب إليها سعيد بن المسيب وغيره من طول المصاحبة"[3]

ولكنّ هذه الرواية لا تصح عن سعيد بن المسيب، فقد ذكر الإمام العراقي أن في الإسناد إليه محمد بن عمر الواقدي، وهو ضعيف في الحديث، بل قال عنه الإمام أحمد: كذاب، وقال ابن حجر: متروك مع سعة علمه[4].

كما أن الخطيب البغدادي نقل عن الواقدي خلاف هذا وهو قوله:" رَأَيْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ يَقُولُونَ: كُلُّ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَدْرَكَ الْحُلُمَ فَأَسْلَمَ وَعَقِلَ أَمْرَ الدِّينِ وَرَضِيَهُ، فَهُوَ عِنْدَنَا مِمَّنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ [5].

إضافة إلى أنّ هذا المذهب يستلزم خرق الإجماع؛ لأنه يخرج جرير بن عبد الله البجلي[6] ووائل

---

[1] الواضح في أصول الفقه: ابن عقيل،، 5/61-62.

[2] الطبقات الكبرى: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، ت: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت الطبعة الأولى، 1968 م، الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك، رقم391، 10/742.

[3] سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ -1985 م، 3/426.

[4] ينظر كلام العلماء حوله في: تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، 1326هـ،رقم606، 9/363.

[5] أخرجه ابن سعد في الطبقات،1/818، ومن طريق الخطيب في الكفاية،ص50.

[6] هو جرير بن عبد الله البجلي أسلم قبل وفاة رسول الله ﷺ بأربعين يوما، توفي ﷺ سنة54هـ، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992 م،رقم322، 1/237.

بن حجر[1] وغيرهما ممن وفد على النبي ﷺ في السنة العاشرة وما قربها وقد اتفق الجميع على عدّهم من الصحابة[2].

وهناك من توسع في الرؤيا فعرّف الصحابي بأنه من رأى النبي ﷺ مطلقا حتى لو رآه وهو ميت قبل دفنه، وهو مذهب البلقيني، قال ابن جماعة بعد حكايته لهذا المذهب: " إنه محل بحث وتأمّل"، ودليل من قال به أن حياة النبي ﷺ مستمرة حتى بعد وفاته، لكن اعتُرض عليه بأن هذه الحياة للنبي ﷺ ليست دنيوية وإنما هي أخروية لا تتعلق بها أحكام الدنيا؛ فالشهداء أحياء ومع ذلك فإن الأحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية على سنن غيرهم من الموتى[3]

ثانيا: الأصوليون:

ذهب جمع من أصحاب الأصول إلى تعريف الصحابي بالمعنى العرفي أي بمن طالت صحبته للنبي ﷺ، ولا يعتبرون مجرد الرؤية أو اللقاء اليسير، مع اشتراط بعضهم الأخذ والرواية عنه ﷺ.

قال أبو بكر الباقلاني مفرّقا بين دلالة اللغة والعُرف على معنى الصحبة: " يُقَالُ: صَحِبْتُ فُلَانًا حَوْلًا وَدَهْرًا وَسَنَةً وَشَهْرًا وَيَوْمًا وَسَاعَةً، فَيُوقَعُ اسْمُ الْمُصَاحَبَةِ بِقَلِيلِ مَا يَقَعُ مِنْهَا وَكَثِيرِهِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ فِي حُكْمِ اللُّغَةِ إِجْرَاءَ هَذَا عَلَى مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي اشْتِقَاقِ الِاسْمِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ تَقَرَّرَ لِلْأُمَّةِ عُرْفٌ فِي أَنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ إِلَّا فِيمَنْ كَثُرَتْ صُحْبَتُهُ وَاتَّصَلَ لِقَاؤُهُ، وَلَا يُجْرُونَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ لَقِيَ الْمَرْءَ سَاعَةً، وَمَشَى مَعَهُ خُطًى، وَسَمِعَ مِنْهُ حَدِيثًا، فَوَجَبَ لِذَلِكَ أَنْ لَا يُجْرَى هَذَا الِاسْمُ فِي عُرْفِ الِاسْتِعْمَالِ إِلَّا عَلَى مَنْ هَذِهِ حَالُهُ "[4].

ونقل الزركشي عن ابن فورك قوله: الصحابي هو من أكثر مجالسة النبي ﷺ، واختص به، ولذلك لم

---

[1] هو وائل بن حجر بن ربيعة الحضرمي كان ﷺ سيد قومه وكانت له وفادة وصحبة ورواية، ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر، رقم1562/2796،4.

[2] معرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح، ص294، وتحقيق منيف الرتبة للعلائي، ص34، والتحبير شرح التحرير في أصول الفقه:علي بن سليمان المرداوي، ت: عوض بن محمد القرني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م، 2005/4، وفتح المغيث للسخاوي، 87/4.

[3] ينظر: فتح المغيث، 81/4

[4] الكفاية للخطيب البغدادي: ص51، وفتح المغيث: 78/4-79.

يُعدّ الوافدون من الصحابة، وقد يقال فلان من الصحابة بمعنى: أنه لقيه وروى عنه وإن لم تطل صحبته ولم يختص به إلا أن ذلك بتقييد والأول بإطلاق"[1]

وعرّفه صاحب المعتمد بقوله:" هو من طالت مجالسته له على طريق التتبع له والأخذ عنه، فمن لم تطل مجالسته كالوافدين، أو طالت ولم يقصد الاتباع، لا يكون صحابيا [2]

وقال ابن الأثير: " العرف يخصص الاسم بمن كثرت صحبته"[3].

ونجد الزركشي بعد أن ذكر أنّ اللغة تقتضي إطلاق الصحبة ولو قلّ الزمن، ذكر أنّ العرف: "يَقْتَضِي طُولَ الصُّحْبَةِ وَكَثْرَتَهَا، وَقِيلَ: يُشْتَرَطُ الرِّوَايَةُ، وَطُولُ الصُّحْبَةِ، وَقِيلَ: يُشْتَرَطُ أَحَدُهُمَا"[4]

وعرّف الجرجاني الصحابي عرفا بمن رأى النبي ﷺ وطالت صحبته له"[5].

وإلى هذا ذهب الصنعاني بقوله:" وَلما صَار كَالْعلمِ بالغلبة فَلَا بُد من اعْتِبَار طول المجالسة والملازمة إِذْ الْغَلَبَة إِنَّمَا تكون بِكَثْرَة الِاسْتِعْمَال فِي الشَّيْء حَتَّى إِنَّه يصير مُخْتَصًّا بِهِ من بَين أَفْرَاد مَا يُطلق عَلَيْهِ وَلَا يحْتَاج إِلَى قرينَة عِنْد الْإِطْلَاق فَهُوَ كالإضافة وَلَا عهد إِلَّا لمن طَالَتْ مُجَالَسته لَهُ ﷺ فقولك صَاحب رَسُول الله عَلَيْهِ وَآله وَسلم وصحابي مستويان فِي أَنه يشْتَرط فيهمَا طول الْمُلَازمَة بِحَيْثُ لَا يحْتَاج إِلَى قرينَة عِنْد الْإِطْلَاق فَظهر بِهَذَا صِحَة اشْتِرَاط طول الْمُلَازمَة فِي الصَّحَابِيّ[6].

وقد استدلوا بعدة أدلة هي كما يأتي:

---

[1] البحر المحيط: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي،د.ب، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994م، 191/6.

[2] المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي بن الطيب البصري، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ، 172/2.

[3] جامع الأصول في أحاديث الرسول: المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير، ت: عبد القادر الأرناؤوط، التتمة تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان،د.ب، الطبعة الأولى، 1389 هـ، 1969 م، 134/1.

[4] البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، 190/6.

[5] التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م، ص132.

[6] إجابة السائل شرح بغية الآمل: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني، ت: حسين بن أحمد السياغي وحسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م، ص128.

1-اللغة: قال ابن السمعاني:فهو من حيث اللغة والظاهر يقع على من طالت صحبته مع النبي ﷺ وكثرت مجالسته"[1].

ويُعترض عليه بنقل أبي بكر الباقلاني إجماع أهل اللغة على خلافه، حيث قال:" لا خلاف بين أهل اللغة أن الصحابي مشتق من الصحبة وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيرا يقال صحبت فلانا حولا ودهرا وسنة وشهرا ويوما وساعة، قال: وذلك يوجب في حكم اللغة إجراءها على من صحب النبي ﷺ ساعة من نهار هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم "[2].

2-العرف: قال الصيمري الحنفي:" دليلنا على أن عادة الناس جارية بإطلاق هذا الاسم على من اختص بالنبي ﷺ، والمنع من إطلاقه على من لم يختص به وإن كان قد رآه وسمع منه مثل من ورد عليه من الوفود والرسل.فإذا كان ذلك وجب أن يكون هذا الاسم جاريا على من اختص به ﷺ الاختصاص الذي ذكرنا"[3]، فلفظ الصاحب عرفا يطلق على الملازم كما في قولنا: أصحاب الحديث أي الملازمين للحديث وأصحاب ابن مسعود أي الملازمين له وهذا الإطلاق بهذا المعنى متفق عليه عند الجميع[4]

ويُعترض على هذا الرأي بقول الآمدي:" لا نسلم أن اسم الصاحب لا يطلق إلا على المكاثر الملازم، ولا يلزم من صحة إطلاق اسم الصاحب على الملازم المكاثر كما في الصور المستشهد بها امتناع إطلاقه على غيره، بل يجب أن يقال بصحة إطلاق ذلك على المكاثر وغيره حقيقة، نظرا إلى ما وقع به الاشتراك نفيا..." [5]

---

[1] قواطع الأدلة في الأصول: منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ-1999م، 392/1.

[2] الكفاية للخطيب البغدادي: ص51، وفتح المغيث: 78/4-79.

[3] مسائل الخلاف في أصول الفقه: الحسين بن علي الصيمري، أطروحة دكتوراه في جامعة أكسيروفانس" مرسيليا"، فرنسا، ت: عبد الواحد جهداني، إشراف: كلود جيليوت،د.د،د.ب،د.ط،د.ت، 182/2-183.

[4] ينظر: تيسير التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية، محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن الهمام، مطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده، مصرد.ط، 1351هـ،، ص326، وتيسير التحرير: محمد أمين بن محمود البخاري الحنفي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت،، 67/3.

[5] الإحكام في أصول الأحكام، 93/2.

3-القياس: وذلك" أن العالم إذا كان له أصحاب يصحبونه ويلازمونه كانوا هم أصحابه، وإن كان في البلد من يلقاه ويستفتيه، فلا يكون من أصحابه، كذلك النبي ﷺ أصحابه من صحبه دون من لقيه مرة"[1]

ويُعترض عليه بكونه قياسا مع الفارق ذلك "أن من يرد عليه من الوفود والرسل إن كانوا مؤمنين به انطلق عليهم الاسم، وإن كانوا كفاراً لم ينطلق عليهم الاسم؛ لأنهم غير تابعين له.

وأما من صحب غيره من العلماء على وجه التبع له في العلم ينطلق عليه الاسم وإن قل، ويقال: فلان صاحب فلان، وكذلك من صحب فلاناً يوماً على وجه الخدمة، يقال: هذا صاحب فلان، وأما من مشى معه في الطريق إذا استفتاه، فلا ينطلق عليه الاسم؛ لأنه لم يحصل تابعاً له في صحبته"[2].

وذهب بعض الأصوليين إلى القول بأن اشتراط طول الصحبة هو مذهب جمهور الأصوليين؛ لكن في هذه النسبة لجمهور الأصوليين نظر، فهناك نقولات مختلفة لأهل العلم منها المؤيدة لهذه النسبة، ومنها التي تنفيها وتجعل المعنى الذي ذهب إليه المحدثون في عدم اشتراط طول الصحبة هو مذهب جمهور الأصوليين.

نقل البخاري الحنفي عن جمهور الأصوليين أن الصحابي:" اسم لمن اختص بالنبي ﷺ وطالت صحبته معه على طريق التتبع له والأخذ منه، ولهذا لا يوصف من جالس عالما ساعة بأنه صحابي"[3]

و قال المارديني:"...وقيل من طالت صحبته وهو الراجح عند الأصوليين"[4]، ونسبه إلى الجمهور أيضا ابن الهمام الحنفي[5]

وذكر ابن أمير الحاج أن الصحابي عن جمهور الأصوليين: من طالت صحبته متتبعا له مدة يثبت معها إطلاق صاحب فلان عرفا بلا تحديد في الأصح"[6]

---

[1] العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى، 3 /989.

[2] المصدر نفسه، 3 /989-990.

[3] كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: عبد العزيز بن أحمد البخاري، ت: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1418هـ-1987م، 560/2.

[4] الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه: محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي، ت: عبد الكريم بن علي محمد بن النملة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة، 1999م، ص76.

[5] تيسير التحرير: محمد أمين بن محمود البخاري الحنفي، 66/3.

[6] التقرير والتحرير في علم الأصول:محمد بن محمد بن أمير الحاج، دار الفكر، بيروت، 1417هـ-1996م، 15/1.

كما جاءت هذه النسبة في كتاب مسلم الثبوت حيث قال ابن عبد الشكور:"الصحابي عند جمهور الأصوليين: مسلم طالت صحبته مع النبي ﷺ..." [1]

وكذلك نسب هذا التعريف لجمهور الأصوليين أبو الخطاب الكلوذاني الحنبلي بقوله:" وقال أكثر العلماء: لا يقع هذا الاسم إلا على من أطال المكث معه على وجه التتبع له" [2]

فما مدى صحة ما نسب إليهم ؟

بالوقوف على مصادر الأصوليين يتبين أن هذا القول لا أساس له من الصحة، بل جمهورهم على القول بعدم اشتراطه، وموافقة اختيار المحدثين، بل والتصريح بنسبة مذهب المحدثين لجمهور الأصوليين.

قال الزركشي في تعريفه للصحابي:"... فَمَنْ الصَّحَابِيُّ؟ قُلْنَا: اخْتَلَفُوا فِيهِ فَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إلَى أَنَّهُ مَنْ اجْتَمَعَ – مُؤْمِنًا – بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَصَحِبَهُ وَلَوْ سَاعَةً "[3]

وكذا قال الشوكاني:"... فَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ مَنْ يَسْتَحِقُّ اسْمَ الصُّحْبَةِ، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ.

فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ وَلَوْ سَاعَةً، سَوَاءٌ رَوَى عَنْهُ أَمْ لَا...وَالْحَقّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ..." [4]

و لما قال السمعاني عن الصحابي:" هُوَ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ وَالظَّاهِرُ مَنْ طَالَتْ صُحْبَتُهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَثُرَتْ مُجَالَسَتُهُ لَهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُطِيلَ الْمُكْثَ مَعَهُ عَلَى طَرِيقِ التَّبَعِ لَهُ، وَالْأَخْذِ عَنْهُ، ... ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ طَرِيقَةُ الْأُصُولِيِّينَ[5].

تعقب كلامه السراج البلقيني بقوله:"هذا الذي حكى (يقصد ابن الصلاح) عن السمعاني طريقة

---

[1] فواتح الرحموت للكنوي بشرح مسلم الثبوت: محب الله بن عبد الشكور البهاري، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م، 196/2.

[2] التمهيد في أصول الفقه: محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني، ت: محمد بن علي بن إبراهيم، ومفيد محمد أبو عمشة، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، 1406هـ-1998م، 173/3.

[3] البحر المحيط في أصول الفقه:محمد بن عبد الله الزركشي، 190/6.

[4] إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول:محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ت: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق،، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م، 188/1.

[5] البحر المحيط: الزركشي، 191/6.

بعض الأصوليين، والمشهور عندهم ماهو معروف عند المحدثين"[1].

و كذلك تعقّبه العراقي بقوله:" فيما قاله ابن السمعاني نظر من وجهين أحدهما أن ما حكاه عن أهل اللغة قد نقل القاضي أبو بكر بن الباقلاني إجماع أهل اللغة على خلافه كما نقله عنه الخطيب في الكفاية أنه قال لا خلاف بين أهل اللغة أن الصحابي مشتق من الصحبة وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيرا يقال صحبت فلانا حولا ودهرا وسنة وشهرا ويوما وساعة، قال: وذلك يوجب في حكم اللغة إجراءها على من صحب النبي ﷺ ساعة من نهار هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم، ومع ذلك فقد تقرر للأئمة عرف في أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته واستمر لقاؤه ولا يجرون ذلك على من لقى المرء ساعة ومشى معه خطا وسمع منه حديثا فوجب لذلك أن لا يجرى هذا الاسم في عرف الاستعمال إلا على من هذه حاله.

الوجه الثاني: أن ما حكاه عن الأصوليين هو قول بعض أئمتهم، والذي حكاه الآمدي عن أكثر أصحابنا أن الصحابي من رآه وقال إنه الأشبه واختاره ابن الحاجب نعم الذي اختاره القاضي أبو بكر ونقله عن الأئمة أنه يعتبر في ذلك كثرة الصحبة واستمرار اللقاء عليه [2].

وكذلك السخاوي بقوله:"وما حَكَاهُ عَنِ الْأُصُولِيِّينَ إِنَّمَا هُوَ طَرِيقَةٌ لِبَعْضِهِمْ، وَجُمْهُورُهُمْ عَلَى الْأَوَّلِ"[3].

وقد ذهب إلى القول بعدم اشتراط طول الصحبة صراحة أو حكاية لمذهب الاشتراط مع تضعيفه: المالكية [4]، –عدا ابن رشيق[5]، والمازري[1] حيث اختارا اشتراط طول الصحبة–و الحنابلة[2]، وهو

---

[1]مقدمة ابن الصلاح مع شرحها محاسن الاصطلاح:عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني،، البلقيني، ت: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، د.ب، د.ط، د.ت، ص487.

[2]التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: عبد الرحيم بن الحسين العراقي، 1389هـ-1969م، ص296-297.

[3]فتح المغيث، 86/4، ويقصد بالأول قول العراقي في ألفيته: رائي النبي مسلما ذو صحبة...

[4] ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي الرُّعيني، دار الفكر،د.ب، الطبعة الثالثة، 1412هـ - 1992م، 22/1.

و الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا،، دار الفكر،د.ب، د.ط، 1415هـ - 1995م، 8/1.و الشرح الكبير على مختصر خليل مع حاشية الدسوقي: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، دار الفكر، د.ب،د.ط، د.ت، 116.

[5] ينظر: لباب المحصول في علم الأصول: الحسين بن رشيق المالكي، ت:محمد غزالي عمر جابي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م، 368/1. =

مذهب الآمدي الشافعي ونسبه لأكثر الشافعية، قال رحمه الله:" اختلفوا في مسمى الصحابي: فذهب أكثر أصحابنا، وأحمد بن حنبل إلى أن الصحابي: من رأى النبي ﷺ وإن لم يختص به اختصاص المصحوب، ولا روى عنه، ولا طالت مدة صحبته"[3]

ونسبه السبكي لعلماء الشافعية فقال:"وما ذهب إليه من أن الصحابي من رأى النبي ﷺ وإن لم يرو ولم تطل، هو رأي ذوي الحق من الشافعية وغيرهم"[4]

في حين اشترط الأحناف طول الصحبة والملازمة –عدا ابن الساعاتي حسب ما وقفت عليه[5]–، قال الأسمندي:" أما الصحابي فهو الشخص الذي يجتمع فيه أمران: أحدهما: أن يكون أطال مجالسة النبي ﷺ، لأن من رآه من الوافدين وغيرهم ممن لم يطل المكث معه لا يسمى صحابيا، والثاني: أن يكون أطال المكث معه على سبيل الأخذ منه، والاتباع له"[6]

وبهذا يتبين بطلان نسبة اشتراط طول الصحبة في تعريف الصحابي لجمهور الأصوليين، فالمالكية –عدا ابن رشيق والمازري–، والحنابلة، وأكثر الشافعية مذهبهم الاكتفاء بمجرد اللقاء، أما الأحناف وبعض الشافعية فمذهبهم اشتراط طول مدة الصحبة.

= [1] ينظر: نفائس الأصول في شرح المحصول: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، د.ط، د.ت، 2909/7، صرّح بذلك في شرحه على برهان الجويني.
و البحر المحيط للزركشي، 188/6.والإصابة لابن حجر، 163/1.

[2] ينظر: العدة 997/3، والتحبير شرح التحرير1996/4، وشرح قواعد الأصول ومعاقد الفصول: عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي، كنوز إشبيليا ، الرياض، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م، ص162، وشرح مختصر الروضة: سليمان بن عبد القوي الطوفي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م، 185/2.

[12] الإحكام، 92/2.

[4] رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب:عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، ت: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ1999م، 403/2.

[5] ينظر: نهاية الوصول لابن الساعاتي: 353/1-354.

[6] كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري، 384/2.

الفرع الثالث: أثر الخلاف في تحديد مفهوم الصحابي:

إنّ اختلاف العلماء في شروط إثبات الصحبة من عدمها خلاف له أثره الواضح لاختصاص الصحابة بحكم العدالة، فإثبات الصحبة لشخص ما معناه التوقف عن البحث عن عدالته والتسليم بها وقبول روايته [1]، أما نفيها-أي الصحبة- عن الشخص فمعناه إدخاله في زمرة من يُسأل عن عدالتهم ويُبحث في أحوالهم ومروياتهم، "فَإِنَّ مَنْ لَا يَعُدُّ الرَّائِيَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ يَطْلُبُ تَعْدِيلَهُ بِالتَّنْصِيصِ عَلَى ذَلِكَ كَمَا فِي سَائِرِ الرُّوَاةِ مِنْ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَمَنْ يُثْبِتُ الصُّحْبَةَ بِمُجَرَّدِ اللِّقَاءِ لَا يَحْتَاجُ لِذَلِكَ"[2].

فمن شرط في ثبوت الصحبة شرطا، لا يطلب التعديل مع وجود ذلك الشرط، ويطلبه مع عدمه...؛ ويؤدي هذا الأثر إلى أثر آخر وهو من سب الصحابي —نعوذ بالله- يكون فاسقا"[3].

إضافة إلى آثار أخرى لمفهوم الصحابي كمسألة مذهب الصحابي وحجية قوله واجتهاده، ومسألة دخول الصحابي في مسمى الإجماع[4].

الفرع الرابع: التعريف المختار:

التعريف الذي أختاره وأراه أسلم وأحكم هو تعريف جمهور المحدثين والأصوليين، وبتحديد أدق تعريف الحافظ ابن حجر الذي قال عنه العراقي:"العبارة السالمة من الاعتراض أن يقال: الصحابي من لقي النبي ﷺ مسلما، ثم مات على الإسلام"[5]

ويرجع ترجيح هذا القول إلى:

عدم وجود نص قطعي الدلالة في تعريف الصحابي إنما اجتهادات للعلماء، مع موافقته لمدلول

---

[1] كما أنّ له الأثر في ما يتعلق بالحديث المرسل؛ فمذهب جمهور العلماء —خلافا لأبي إسحاق الإسفرائيني-قبول مرسل الصحابي، وإن لم ينل اسم الصحبة كان كمرسل التابعين-بالنسبة لاعتبار مجرد الرؤية كاف لإثبات الصحبة- ينظر: البحر المحيط، 194/6.

[2] البحر المحيط للزركشي، 194/6.

[3] مخالفة الصحابي للحديث النبوي الشريف دراسة نظرية تطبيقية: عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، 1420هـ-1999م، ص76.

[4] ينظر:البحر المحيط للزركشي، 194/6، وأثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء: مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1418هـ-1998م، ص530.

[5] التقييد والإيضاح، ص292.

اللغة العربية بإجماع أهل العلم بها، إضافة إلى مراعاة شرف منزلة النبي ﷺ فليست رؤيته ولو للحظة كرؤية غيره مما يضعف دلالة العُرف في رأيي، مع عدم تعلّق التعريف بالرواية عنه ﷺ، فلا تلازم بين كون الشخص صحابيا وكونه ناقلا للسنة، خاصة مع عناية العلماء ببيان وضبط: الصحابة الرواة من غيرهم، ومن طالت صحبته ومن قصرت، ومن كان مقيما معه ومن كان من الأعراب، وتواريخ إسلام كل واحد، ومن غزا ومن لم يغزُ...فاهتمام العلماء بتاريخ الصحابة بكل تفاصيله مما يزيد المرء طمأنينة إلى كون هذا الرأي لا يمكن أن يكون سبيلا للطعن في السنة، "كما أنّ ضابط طول الملازمة الذي اشترطه الأصوليون غير منضبط، فإذا قدّرها شخص بشهر ، رأى غيره أنها أربعة أشهر، ورأى ثالث أنها سنة...وهكذا، وهذا مما يضعّف هذا القول"[1].

الفرع الخامس: الحكمة من تعميم الحكم بالصحبة:

إنّ لرؤية النبي ﷺ ومطالعة صفحات وجهه الكريم وجسده الشريف الأثر البالغ على الرائي حتى استحقّ بمجرد الرؤية أن ينال شرف الصحبة، فلنور النبوة بالغ التأثير على الرائي من حيث استقامته وتديّنه بل قد يكون السبب في إسلامه، وهذا مشاهد في حياة الناس ومجرّب مع الصالحين والأتقياء فما بالك بالأنبياء أئمة الهدى وعلى رأسهم سيد الخلق أجمعين ﷺ.

ولهذا جاء تعريف الصحابي بكونه: "كل من رأى النبى ﷺ مسلماً، وقيل: من طالت مجالسته، ... وذلك لشرف الصحبة، وعظم رؤية النبى ﷺ، وذلك أن رؤية الصالحين لها أثر عظيم، فكيف رؤية سيد الصالحين؟! فإذا رآه مسلم ولو لحظة، انطبع قلبه على الاستقامة، لأنه بإسلامه متهيّئ للقبول، فإذا قابل ذلك النور العظيم، أشرق عليه وظهر أثره فى قلبه وعلى جوارحه"[2]

ويردّ الشيخ نور الدين عتر سبب اختيار المحدثين التوسّع في إطلاق الصحبة "إلى شرف النبي ﷺ وعظيم بركته التي تحصل للمؤمن إذا لقيه، فأعطوا كل من رآه ﷺ مؤمنا به حكم الصحبة"[3]

يقول الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة – رحمه الله –: "فالتعميم فى تعريف (الصحابي) نظراً إلى أصل فضل الصحبة، وأما تفاوت من يشملهم هذا اللقب فى الفضل والدين وسائر خصال الخير ... فهذا أمر وراء ذلك"[4].

---

[1] استفدتها من الدكتور نور الدين تومي جزاه الله خيرا.

[2] الإبهاج في شرح المنهاج: علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ط، 1416هـ_1995م، ص15.

[3] منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين عتر، دار الفكر دمشق، الطبعة الثالثة، 1418هـ -1997م، ص117.

[4] لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، سوريا،الطبعة الخامسة، 1429هـ-2008م، ص51.

المطلب الثاني: شبهة توسّع المحدثين في تعريف الصحابي بغرض تضخيم المرويات:

أولا: عرض الشبهة:

يُرجع بعض الباحثين توسّع المحدّثين في تعريف الصحابي إلى رغبتهم في تضخيم المرويات وتكثير عددها وإيجاد مسوّغ لهذا الفعل، وأنّ الكم الهائل من المرويات في دواوين السنة إنما مردّه إلى تضخم عدد الصحابة مع مرور الزمن، ويستدلّ على ذلك بتزايد عدد الصحابة المترجم لهم في كتب تراجم الصحابة بمرور الزمن.

يقول نادر الحمامي[1]:" كان انتصار تعريف المحدّثين للصحبة الجانح إلى التوسيع مقارنة بالأصوليين وليد حاجة تضخيم المرويات عن النبي، فكلّما تأخرنا في الزمن تأخر عدد المرويات...وأحوج هذا التضخّم في عدد المرويات إلى تضخّم في عدد الصحابة ذلك أنه "بالرجوع إلى كتب التراجم... نجد أن ابن سعد لم يترجم في مجلده الضخم سوى لـــ582 صحابيا من الرجال و526 امرأة من الصحابيات...أما في ما يختص ببقية كتب التراجم فقد قدّر ب3500ترجمة بالنسبة إلى ابن عبد البر، و7500 ترجمة عند ابن الأثير، 12000ترجمة عند العسقلاني" [2].

ثانيا: الردّ على الشبهة:

يُجاب عن هذه الشبهة بأنّ مجموع الصحابة الذين رأوا النبي ﷺ، أو سمعوا منه ورووا عنه عدد كبير، قدّره الحافظ أبو زرعة الرازي رحمه الله في قوله:" توفي النبي ﷺ، ومن رآه، وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة وكل قد روى عنه سماعا"، فهذا الكلام من أبي زرعة رحمه الله ليس فيه تحديد لعدد الرواة من الصحابة، بل فيه ذكر من كان لهم سماع منه ﷺ، ومن كانت لهم رؤية فقط [3].

---

[1] نادر الحمامي باحث تونسي يحمل شهادة الدكتوراه في اللغة والآداب العربية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، صدر له عدة دراسات وكتب منها: كتاب " الطبري وخصومه من أهل السنة" وكتاب " إسلام الفقهاء"، ويشرف حاليا على تنسيق الدراسات التي تعتمدها المؤسسة في تونس، وعلى عقد الندوات العلمية وعلى شؤون الاتفاقيات البحثية مع مراكز الدراسات ووحدات البحث في الجامعات التونسية.

ينظر: https//www.mominoun.com

[2] صورة الصحابي في كتب الحديث: نادر الحمامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى،د.ت، ص39-40، وقد عزا نقله الإحصائيات إلى كتاب: أصحاب محمد ودورهم في نشأة الإسلام لحياة عمامو، ص85.

[3] اعتمدت في الردّ على هذه الشبهة على مقاللباحث المغربي عبد اللطيف السملالي بعنوان:" عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث لأبي عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي، ترتيب: عبي بن أحمد بن حزم (ت456)، والحقيقة أنّي وجدت جُلّ مادته في كتاب

فليس كل من ثبتت صحبته قد روى الحديث عن النبي ﷺ، ولا كلّ من روى عنه فهو مكثر، بل هناك من الصحابة المقلّين من الرواية الذين لم يرو الواحد منهم إلا الحديث والحديثين والثلاث ونحوه.

وقد اجتهد الإمام الذهبي في تقدير عدد الصحابة الرواة في مجموع دواوين السنة النبوية، بعد أن ذكر قول الإمام الحاكم الذي نص على أنّ الصحابة الرواة بلغ عددهم أربعة آلاف راو، فعلّق عليه بقوله:" لعلّ الرواية عنه عليه الصلاة والسلام نحو ألف وخمسمائة نفس، لا يبلغون ألفين أبدا" [1].

و يؤكد هذا ما ورد في أحد الكتب المهمة التي حفظت لنا السنة النبوية وبينت رواتها من الصحابة ﷺ وهو "مسند بقي بن مخلد الأندلسي "، لكن المؤسف أنّ الكتاب ليس له أثر في زمننا إلا مابقي من نقولات لبعض نصوصه في كتب أهل العلم الذين اطلعوا عليه، منهم الإمام ابن حزم الذي نوّه بفضل مؤلفه وبين منهجه فيه فقال:"...ومنها في الحديث مصنّفه الكبير(المسند) الذي رتبه على أسماء الصحابة ﷺ، فروى فيه ألف وثلاثمائة صاحب ونيف.ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنَّف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه، فإنه روى عن مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء ، وسائرهم أعلام مشاهير" [2].

ومن الأعمال العلمية المهمة التي تركها بقي بن مخلد ووصلت إلينا كاملة سالمة: جزء " عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث"، والذي يُعتبر مقدمة للمسند حسب الدكتور أكرم ضياء العمري، وقد رتب الصحابة حسب مروياتهم كالآتي [3]:

الدكتور العمري ، لذا رجعت للأخير واستفدت من الأول ترتيب المعلومات ولغة الربط بينها، ينظر موقع الرابطة المحمدية للعلماء، https//www.arrabita.ma

[1] تجريد أسماء الصحابة: دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، 1315هـ، 4/1.

[2] رسائل ابن حزم الأندلسي: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ت: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م، 2178.

[3] عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث لبقي بن مخلد، منشور في كتاب: بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده، ت: أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، د.ط، 1984م-1404هـ.

م	مجاميع الرواة	عدد الأحاديث	عدد الصحابة الرواة
1	أصحاب الألوف	12400	4
2	أصحاب الألف	4370	3
3	أصحاب المائتين	4516	10
4	أصحاب المائة	3100	21
5	أصحاب العشرات	3810	91
6	أصحاب التسعة عشر	38	2
7	أصحاب الثمانية عشر	108	6
8	أصحاب السبعة عشر	51	3
9	أصحاب الستة عشر	48	3
10	أصحاب الخمسة عشر	60	4
11	أصحاب الأربعة عشر	154	11
12	أصحاب الثلاثة عشر	91	7
13	أصحاب الاثني عشر	108	9
14	أصحاب الأحد عشر	99	9
15	أصحاب العشرة	140	14
16	أصحاب التسعة	108	12
17	أصحاب الثمانية	144	18
18	أصحاب السبعة	196	28
19	أصحاب الستة	162	27
20	أصحاب الخمسة	140	28

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

21	أصحاب الأربعة	212	53
22	أصحاب الثلاثة	216	72
23	أصحاب الاثنين	240	120
24	أصحاب الآحاد	458	458
	المجمـــــوع	30969	1013

لقد سجل لنا جزءُ بقي بن مخلد عدد الصحابة الرواة بدقة متناهية حيث بلغ عددهم 1013صحابيا وصحابية، مع الإشارة إلى تخريجه لجماعة ممن اختلف في صحبتهم وعدّوا من طبقة التابعين[1]، يقول: " وهذا الجزء على جلالة قدره ومزية صاحبه في تأليف كتابه الكبير (المسند)، لم يخلُ من أوهام حيث أُدرجت فيه أسماء كثيرة مختلف في صحبتها، وجلّهم معدودون من طبقة التابعين"[2]

والمعروف عند أهل الحديث أنّ الحديث الواحد إذا تعددت مخارجه وكثرت طرقه صار أحاديث عديدة؛ وعلى هذا يتوجه كلام المحدثين في تعدادهم للأحاديث المحفوظة.

قال ابن الصلاح:" وَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ: " أَحْفَظُ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ صَحِيحٍ، وَمِائَتَيْ أَلْفِ حَدِيثٍ غَيْرِ صَحِيحٍ "، وَجُمْلَةُ مَا فِي كِتَابِهِ الصَّحِيحِ سَبْعَةُ آلَافٍ وَمِائَتَانِ وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ حَدِيثًا بِالْأَحَادِيثِ الْمُتَكَرِّرَةِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهَا بِإِسْقَاطِ الْمُكَرَّرَةِ أَرْبَعَةُ آلَافِ حَدِيثٍ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ قَدْ يَنْدَرِجُ تَحْتَهَا عِنْدَهُمْ آثَارُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَرُبَّمَا عُدَّ الْحَدِيثُ الْوَاحِدُ الْمَرْوِيُّ بِإِسْنَادَيْنِ حَدِيثَيْنِ"[3].

وقد ألف ابن حزم رسالة في بيان عدد مرويات الصحابة الذين عرفت عنهم رواية الحديث، وهي في الحقيقة ترتيب لجزء الحافظ بقي بن مخلد، سماها" أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد" وبيّن عمله فيها حيث قال:" هذا باب من ذكر من روى عن النبي ﷺ، من الصحابة، رضوان الله

---

[1] ينظر على سبيل المثال ترجمة شعبة بن توأم الضبي في الإصابة لابن حجر، 320/3.

[2] ينظر: تحرير القول فيمن ذكره بقي بن مخلد في مسنده ضمن صحابة الوحدان غلطا وهو تابعي" حرف العين المهملة نموذجا": عمران خلف محمد وأشرف زاهر محمد، مجلة مجمع، جامعة المدينة العالمية، العدد15، 2015م، ص177-214.

[3] معرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح:، ص20-21.

عليهم، حديثا فما فوقه، ممن نقل الحديث عنهم، على مراتبهم في ذلك:

أصحاب الألوف وما زاد منهم، ثم أصحاب الألفين وما زاد، ثم أصحاب المئين وشيء، ثم أصحاب المائة وشيء، ثم أصحاب العشرين، ثم أصحاب التسعة عشر، ثم أصحاب الثمانية عشر، ثم أصحاب السبعة عشر، ثم كذلك نقص واحد واحد، إلى أصحاب الأفراد"[1]

وإذا جمعنا عدد الصحابة الذين خرّج لهم الإمام أحمد في مسنده وعددهم(904) مع عدد الصحابة الذين أضافهم بقي بن مخلد في مسنده ممن لم يخرّج لهم الإمام أحمد وعددهم(568) ثم الذين أضافهم أبو بكر البرقي إلى قائمة بقي بن مخلد ممن لم يخرّج لهم بقي ولا الإمام أحمد وعددهم(87) ثم الذين أضافهم ابن الجوزي من شتى المصادر الأخرى وعددهم(6) فإن عدد الصحابة الرواة يبلغ (1565) صحابيا وفيهم عدد ممن اختلف في صحبتهم وخاصة في مسند بقي بن مخلد[2].

وزبدة القول أنّ عدد الصحابة الرواة محصور ، وأنّ المكثرين منهم من الرواية وهُم من زاد حديث أحدهم على الألف كما قال الإمام أحمد [3]، معروفون محدودو العدد اهتم علماء الحديث ببيانهم وضبط أحاديثهم، إضافة إلى اهتمامهم بالصحابة الذين لم يرو الواحد منهم إلا حديثا واحدا، ووضعوا مصنفات خاصة في بيانهم، أو تكلموا عنهم ضمنا في مؤلفاتهم.

وأول من ألّف في هذا النوع على سبيل الاستقلال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري(ت256هـ) رحمه الله في كتابه " الوُحدان"، وهو: فيمن ليس له إلا حديث واحد من الصحابة [4].

وممن ألف في هذا النوع أيضا وسمى كتابه" الوُحدان ":

---

[1] أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد: علي بن أحمد بن عبد الله بن حزم، ت: مسعد عبد الحميد السعدي، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ن، ص 31-95.

[2] عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث لبقي بن مخلد، ص19.

[3] ينظر: فتح المغيث، 102/4.

[4] ينظر: هدي الساري: مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري:علي أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، د.ت، 485/2، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة ، مكتبة المثنى، بغداد،د.ط، 1941م، 1469/2.

-الإمام يونس بن حبيب العجلي مولاهم الأصبهاني (ت267هـ) [1].

-الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي(ت277هـ) [2].

-الإمام أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار (ت292هـ) [3]

-الإمام أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، المعروف بمطيّن (ت297هـ) [4].

- الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناجية البربري(ت301هـ) [5]

-الإمام الحسن بن سفيان بن عامر الخرساني (ت303هـ) [6]

قال السيوطي رحمه الله:"(النَّوْعُ الْحَادِي وَالتِّسْعُونَ): مَعْرِفَةُ مَنْ لَمْ يَرْوِ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا: هَذَا النَّوْعُ زِدْتُهُ أَنَا، وَهُوَ نَظِيرُ مَا ذَكَرُوهُ فِيمَنْ لَمْ يُرْوَ عَنْهُ إِلَّا وَاحِدٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ لِلْبُخَارِيِّ فِيهِ تَصْنِيفًا خَاصًا بِالصَّحَابَةِ.

وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُحْدَانِ فَرْقٌ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ رَوَى عَنْهُ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا حَدِيثٌ وَاحِدٌ، وَقَدْ يَكُونُ رَوَى عَنْهُ غَيْرَ حَدِيثٍ، وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا رَاوٍ وَاحِدٌ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ مَعْرُوفٌ.

وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ فِي الصَّحَابَةِ: أُبَيُّ بْنُ عِمَارَةَ الْمَدَنِيُّ..." [7]

---

[1] ينظر: الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 1271 هـ-1952 م، 273/5.

[2] ينظر: المراسيل: عبد الرحمن بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، ت: شكر الله نعمة الله قوجاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1397 هـ، ص 24، 70، 98، 149. والإصابة، 3/3.

[3] ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، 214/5.

[4] ينظر:الإصابة، 207/2، و218/5. 292/568.6/462.5/5.

[5] ينظر: المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد شكور المياديني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م، ص149.وصلة الخلف بموصول السلف: محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر الرُّوداني السوسي المكيّ المالكي، ت: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ، 1988م، ص365.

[6] ينظر: معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بالأصبهاني، ت:عادل بن يوسف العزازي، ترجمة:عبد الله بن ناسح الحضرمي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م، 1794/4.

وأسد الغابة: علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ابن الأثير، ترجمة:دليم، دار الفكر، بيروت،د.ط، 1409هـ - 1989م، 10/2.

[7] تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، 932/2.

وقال في ألفيته:

وَلِلْبُخَـــــارِيِّ كِتَـــــابٌ يَحْـــــوِي مَـــنْ غَيْـــرَ فَـــرْدٍ مُسْـــنَدٍ لَمْ يَـــرْوِي

وَهْـــوَ شَـــبِيهُ مَـــا مَضَـــى وَيَفْـــتَرِقْ كُـــلٌّ بِـــأَمْرٍ فَدِرَايَـــةٌ تُحِـــقّ

مِثْـــلُ أُبَيِّ بْـــنِ عِمَـــارَةٍ رَوَى فِي الْخُـــفِّ لا غَيْـــرُ، فَكُـــنْ مِمَّـــنْ حَـــوَى[1]

أما عن إحصائيات كتب التراجم المختلفة لعدد الصحابة فالإشكال يزول بمعرفة منهج المصنف في تراجمه، والمعايير التي اعتمدها في اختيار التراجم، فبعض المصنّفين توسع بإدخال حتى الصغار الذين وُلدوا في عهده ﷺ فنظر إليهم أو دعا لهم، وما هذا إلا لاستكمال القرن الذي بيّن النبي ﷺ خيريته، أما من حيث اعتماد مروياتهم فقد اعتبروها من المراسيل،

أما عن منهج ابن سعد في طبقاته فيقول محقق الكتاب الدكتور علي محمد عمر:" جعل ابن سعد كتابه قسمين: قسم للرجال، وقسم للنساء، ثم جعل الصحابة الذين يمثلون الجيل الأول من الرجال في خمس طبقات، وبنى تقسيمه هذا على السابقة في الإسلام والفضل، وفي داخل كل طبقة راعى عنصر النسب والشرف"[2].

فبدأ الطبقة الأولى وهم أهل بدر برسول الله ﷺ، ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله ﷺ في النسب.

وكذلك فعل مع الطبقة الثانية من الصحابة من الذين لم يشهدوا بدرا ولهم إسلام قديم، وهاجر عامتهم إلى الحبشة وشهدوا أحدا وما بعدها.

ثم عرض أسماء الصحابة من الطبقة الثالثة وهم الذين شهدوا غزوة الخندق وما بعدها.

وجعل الطبقة الرابعة لمن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك.

وخص الطبقة الخامسة بذكر من قبض رسول الله ﷺ وقد حفظ عامتهم ما حدّثوا به عنه

---

[1] ألفية السيوطي في علم الحديث: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، صححه وشرحه: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، د.ن، ص125.

[2] الطبقات الكبير: محمد بن سعد بن منيع، ت:علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م، 1/10-11.

ومنهم من أدركه ورآه ولم يحدث عنه شيئا[1]، هذا إضافة لذكره جملة ممن ليسوا من الصحابة.

أما ابن عبد البر فيُبيّن منهجه في اختيار معايير الترجمة للصحابي في كتابه الاستيعاب فيقول:"ولم أقتصر في هذا الكتاب على ذكر من صحّت صُحبته ومجالسته حتى ذكرنا من لَقي النبي ولو لُقيا واحدة مؤمنا به أو رآه رؤية أو سمع منه لفظة فأداها عنه واتصل ذلك بنا على حسب روايتنا وكذلك ذكرنا من وُلد على عهده من أبوين مسلمين فدعا له أو نظر إليه وبارك عليه ونحو هذا ومن كان مؤمنا به وقد أدى الصدقة إليه ولم يرد عليه وبهذا كله يستكمل القرن الذي أشار عليه رسول الله ﷺ..." [2]

ولهذا قال العلائي:" فقد صرح ابن عبد البر بأنه إنما أدخل مثل الأحنف بن قيس، والصنابحي، وأولاد الصحابة الذين وُلدوا في حياته ﷺ، ولا يثبت لأحد منهم رؤية لموته ﷺ وهم صغار جداً. ليستكمل بذكرهم القرن الذي أشار إليه النبي ﷺ بأنه خير القرون. يعني لا لأنهم من الصحابة. فقد حكم على روايتهم عن النبي ﷺ بالإرسال في غير موضع من كتبه، فعُرف مقصده بذكرهم في كتاب الصحابة"[3].

وكذلك الأمر بالنسبة لابن الأثير في أسد الغابة فقد كان عمله محاولة لاستقصاء جميع الصحابة، حيث عزم على استيعاب أربعة أعمال أساسية من كتب الصحابة التي أُلّفت قبله والجمع بينها، وهي أعمال كل من الحافظ أبي عبد الله بن منده، والحافظ أبي نعيم الأصفهاني، والحافظ أبي عمر بن عبد البر، والحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني [4].

أما عن اختياره من يدخل في طبقة الصحابة، فهو يستعرض أقوال أهل العلم في تعريف الصحابي واعتباراتهم في ذلك ثم يبيّن اختياره بقوله:"وَأَصْحَابُ رَسُول اللَّهِ ﷺ على ما شرطوه كثيرون فان رسول الله شهد حنينا ومعه اثنا عشر ألفا سوى الأتباع والنساء، وجاء إليه هوازن مسلمين فاستنقذوا حريمهم وأولادهم، وترك مكة مملوءة ناسا، وكذلك المدينة أيضا، وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين، فهؤلاء كلهم لهم صحبة، وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيهم ديوان، وكذلك

---

[1] الطبقات الكبير: من الجزء الثالث حتى نهاية الجزء الخامس.

[2] الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد البر، 24/1.

[3] تحقيق منيف الرتبة، ص35.

[4] أسد الغابة:علي بن الأثير، المقدمة، ص10.

حجة الوداع، وكلهم له صحبة، ولم يذكروا إلا هذا القدر، مع أن كثيرا منهم ليست له صحبة، وقد ذكر الشخص الواحد في عدة تراجم، ولكنهم معذورون، فإن من لم يرو ولا يأتى ذكره في رواية كيف السبيل إلى معرفته!" [1].

أما عن ابن حجر فمنهجه في إيراد الصحابة ضمن كتابه يرجع أولا لتعريفه للصحابي حيث قال: "وأصحّ ما وقفت عليه من ذلك أنّ الصحابيّ: من لقي النبيّ ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى"[2]، فهو لا يشترط الرواية لدخول الرجل في زمرة الصحابة، كما أنه ذكر عددا ممن لم تثبت صحبتهم إنما ذكرهم لبيان ذلك.

إذن فتوسُّع المحدثين في مسمّى الصحابي لا يُشترط له الرواية عن النبي ﷺ والتحديث عنه؛ يتضح ذلك من خلال تعاريفهم للصحابي في كتبهم حيث لم يشترطوا طول الصحبة والملازمة والرواية عنه ﷺ واكتفوا بالرؤية، مما يدل على أنه لا تلازم بين كون الرجل صحابيا ضمن كتب التراجم وروايته للحديث عن النبي ﷺ عندهم، فكم من مُترجَم له ممن عُدّ من الصحابة ولم تنسب له ولا رواية واحدة.

المطلب الثالث:شبهة دخول المنافقين وكلّ من كان في المدينة قبل وفاة النبي ﷺ في تعريف الصحابي[3]:

أولا: عرض الشبهة:

ذهب أصحاب هذه الشبهة إلى أنّ توسع المحدثين في تعريف الصحابي يجعله يشمل ضرورة المنافقين وأقواما ليسوا من الصحابة، واستدلوا بما روي عن النبي ﷺ لما قال عن عبد الله بن أبيّ بن سلول –رأس المنافقين–:" فلعمري لنحسنن صحبته ما دام بين أظهرنا" [4]

---

[1] أسد الغابة، ص19.

[2] الإصابة، 158/1.

[3] ممن ذكر هذه الشبهة: حسن فرحان المالكي في كتاب" الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي"، وأحمد حسين يعقوب في كتاب" نظرية عدالة الصحابة"، وبسام الجمل في كتاب" الإسلام السني"، حيث عابوا على المحدثين التوسع في تعريف الصحابي ورموهم بالتناقض لأن تعريفهم يقتضي دخول المنافقين فيه.

[4] رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى،رقم1662، 65/2.

ثانيا:الرد على الشبهة:

إن رد هذه الشبهة يسير لا يحتاج إلى عناء بحث ولا عميق استدلال، فالتعريف المختار –وهو:" من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة في الأصح" شاهد على عدم دخول المنافقين فيه، لأنه:

1- ذُكر فيه قيد الإيمان بالنبي ﷺ مع اللقي، فلم يُكتف فيه باللقي فقط، ولو كان كذلك لدخل فيه كل من رآه أو لقيه ﷺ حتى كفار قريش واليهود والنصارى.

2- ذُكر فيه قيد الموت على الإسلام فلا مجال لدخول غير المسلمين من المرتدين والكفار والمنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، قال العراقي:" الصحابي من لقي النبي ﷺ مسلما، ثم مات على الإسلام، ليخرج بذلك من ارتد، ومات كافرا..." [1]

وقال ابن حجر:"...ويرد على التعريف من صحبه، أو رآه مؤمنا به، ثم ارتد بعد ذلك، ولم يعد إلى الإسلام، فإنه ليس صحابيا اتفاقا" [2]

وقال أيضا:" وقولي:(ومات على الإسلام) فصل ثالث يخرج من ارتد بعد أن لقيه مؤمنا به، ومات على الردة، كعبيد الله بن جحش، وابن خطل"[3]

وابن خطل أمر النبي ﷺ بقتله، ولو وُجد متعلقا بأستار الكعبة[4].

3- من رجع إلى الإسلام بعد أن ارتد، يعود صحابيا –طبعا في حياة النبي ﷺ- يجُبُّ إسلامُه ما كان منه حين تلبّسه بالنفاق.

4- قرّر أهل الحديث والعلم بالرجال أنه لا ذكر لأحد من المنافقين في كتب الصحابة، ولا

---

[1] التقييد والإيضاح، ص292.

[2] فتح الباري، 4/7.

[3] نزهة النظر، ص112.

[4] رواه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام، ح1846، 11/3، وفي كتاب الجهاد والسير، باب قتل الأسير، وقتل الصبر، ح3044، 67/4، وفي كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الرايةيوم الفتح؟، ح4286، 146/5، ومسلم في كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام، رقم1357، 998/2.

وجود لرواة منافقين فيما رُوي عن النبي ﷺ، قال الإمام المزي:" إنَّهُ لَمْ تُوجَدْ رِوَايَةٌ عَمَّنْ يُلْمَزُ بِالنِّفَاقِ مِنْ الصَّحَابَةِ"[1]

أما عن قوله ﷺ عن ابن سلول:" لنحسنن صحبته" فالمعنى الصحبة اللغوية لا الشرعية، بدليل إجماع الصحابة على كونه رأسا للمنافقين ولم يشهد له النبي ﷺ أبدا بالإيمان، فكيف يكون صحابيا على المعنى الشرعي؟[2]

والحقيقة أنّ اتهام الصحابة بالنفاق شبهة يُرَوّج لها كثيرا من قبل بعض المعاصرين[3] وهي في حقيقتها: انتقاص كبير لعظمة الله جلّ وعلا، ونسبة العجز إليه بإيجاد فئة خالصة الصلاح لنبيه خاتم الأنبياء ﷺ.

وانتقاص لشرف النبي ﷺ؛ فكيف وهو الموحى إليه من ربه يصاحب أناسا فيهم المنافقين، ثم كيف لا يطلعه الوحي عليهم.

وقد بين الله في كتابه العزيز صفات المنافقين التي يعرفون بها، وهي عكس ما كان يتصف به الصحابة بنص القرآن الذي فرّق بينهما.قال تعالى﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:140-141]وغيرها من الآيات الفاضحة للمنافقين المعرّفة بهم.

---

[1] البحر المحيط للزركشي، 188/6.

[2] ممن ردد هذه الشبهة من الشيعة الإمامية: محمد سند في كتابه: عدالة الصحابة، ص52، والدوخي في كتابه: عدالة الصحابة بين القداسة والواقع، ص90، ومن طائفة القرآنيين: أحمد صبحي منصور الذي لا يكاد يذكر الصحابة إلا ويرميهم بالنفاق ولا حجة له سوى كلام القرآن عن وجود منافقين في المدينة مردوا على النفاق ! ينظر:.https//www.ahl-alquran.com

[3] هذه الشبهة قديمة أثارها ابن أبي القاسم شيخ الزيدية في عصره فتصدى له ابن الوزير اليماني وفنّدها، ينظر: الروض الباسم:محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الوزير، عناية: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، 177/2.

كما جاء في القرآن بيان مآل المنافقين وما ينتظرهم من عذاب، قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة:101] وهو مخالف تماما لما سيؤول إليه الصحابة ﷺ من نعيم مقيم، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:100]

فالتفريق بين حالي الفئتين ومآليهما فيه الدليل على تمايز كلّ منهما عن الأخرى واختلافها عنها.

وقد كان النبي ﷺ يعرف المنافقين بخبر الوحي، وقبل اعتذارهم في غزوة تبوك، لما علمه من نفاقهم، قال القاضي عياض: " وأما المنافقون فقد كان النبي ﷺ مُعرضاً عنهم عالما بطويّاتهم، كما أنه لم يقرضهم فى التخلف، ولا عاقبهم معاقبة كعب وصاحبيه من المؤمنين"[1].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا" قال الليث: كانا رجلين من المنافقين"[2].

وكذلك كان الصحابة ﷺ على معرفة بالمنافقين يدل عليه حديث كعب بن مالك ﷺ في تخلفه عن غزوة تبوك قال: "..فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺفطُفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء"[3]

قال المعلمي: "وفي هذا بيان أن المنافقين قد كانوا معروفين في الجملة قبل تبوك، ثم تأكد ذلك بتخلفه لغير عذر وعدم ثبوبتهم، ثم نزلت سورة براءة فقشقشتهم وبهذا يتضح أنهم قد كانوا مشارا إليهم

---

[1] إكمال المعلم بفوائد مسلم: عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، ت: يحي إسماعيل، المنصورة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 1419هـ، 348/2.

[2] رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يكون من الظن، ح6067، 19/8.

[3] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ ﴾، ح4658، 65/6.

بأعيانهم قبل وفاة النبي ﷺ"[1]

ويدل عليه أيضا قول حذيفة بن اليمان ﷺ وهو صاحب سرّ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِۙ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ ﴾ مابقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة.فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد ﷺ تخبرونا فلا ندري ما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة.أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البرد لما وجد برده"[2]

وقد يُعترض بحديث النبي ﷺ لما وُصف ابن سلول بالنفاق وقال عمر ﷺ: "دعني أضرب عنق هذا المنافق، فرد عليه ﷺ بقوله: " دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه" [3] فالجواب أنّ هذا مما يؤكد معرفته ﷺ وصحابته للمنافقين، وأنه ﷺ كان يحسن إليهم رجاء تغير حالهم وهداية قلوبهم، قال النووي رحمه الله: " وكان ﷺ يتألف الناس ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوى شوكة المسلمين وتتم دعوة الإسلام ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة ويرغبهم في الإسلام ، وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك ، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى ولإظهارهم الإسلام ، وقد أمر بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، ولأنهم كانوا معدودين في أصحابه ﷺ، ويجاهدون معه إما حميّة، وإما لطلب دنيا أو عصبية لمن معه من عشائرهم"[4]

أما قوله ﷺ: " «فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا، فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ وَأَرْبَعَةٌ» لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ"[5]

---

[1] الأنوار الكاشفة الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني، المطبعة السلفية ومكتبتها، عالم الكتب، بيروت، 1406 هـ - 1986 م، ص 267.

[2] رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يكون من الظن، ح6067، 19/8.

[3] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾، ح4905، 154/6، ومسلم في كتاب البر والصلة، رقم 63، ح2584، 1998/4.

[4] شرح النووي على مسلم، 139/16.

[5] رواه مسلم في كتاب التوبة، باب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم9، ح2779، 2143/4.

فجوابه: المقصود بالصحبة هنا المعنى اللغوي الواسع لا الاصطلاحي الذي يشرف به المرء، قال النووي رحمه الله "أما قوله ﷺ في أصحابي فمعناه الذين ينسبون إلى صحبتي كما قال في الرواية الثانية في أمتي"[1]

وهذه الرواية هي قوله ﷺ: "فِي أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا، حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ، سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ، حَتَّى يَنْجُمَ مِنْ صُدُورِهِمْ"[2]

[1] شرح مسلم، 127/9.

[2] رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم 10، ح2779، 2143/4.

المبحث الثاني: مفهوم عدالة الصحابة والشبه حولها:

ويتضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم العدالة

المطلب الثاني:أثر عدالة الراوي على حديثه.

المطلب الثالث:مسقطات العدالة.

المطلب الرابع حقيقة العصمة.

المطلب الخامس:معنى عدالة الصحابة.

المطلب الأول: مفهوم العدالة:

الفرع الأول:العدالة لغة:

العدالة مصدر من الفعل عدُل، يقال عدُل فلان عدالة فهو عدل؛

والعدل: مَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنه مُسْتقيم[1]، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: 143]، بمعنى عدولا[2].

و العَدْلُ: خلاف الجور. يقال: عَدَلَ عليه في القضيّة فهو عادِلٌ[3] والحكم بالاستواء[4]، والتوسط بين الإفراط والتفريط[5]

وكُلُّ ما أَقَمْتَهُ فقد عَدَلْتَهُ وعَدَّلْتَهُ، وعَدَّلَ الحُكْمَ تَعديلاً: أقامَهُ، وفلاناً: زَكَّاهُ[6].

---

[1] لسان العرب: ابن منظور، 430/11.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 145/3.

[3] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، 1760/5.

[4] معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، 246/4.

[5] تاج العروس، 443/29.

[6] القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، 130/1

والعَدْل من النَّاس: المرضيّ المستوِي الطّريقة. يقال: هذا عَدْلٌ، قال تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الطلاق: 2]. قال الطبري: "يعني من العدول المرتضى دينهم وصلاحهم[1].

و قال زهير:

متى يَشْتجرْ قومٌ تَقُلْ سَرَوَاتُهُمْ هُم بيننا فهمْ رِضاً وهُمُ عدلُ[2].

والعدالة المساواة، قال الراغب:" العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة"[3]

وعليه يمكن القول بأن العدالة في اللغة تعني التوسط والاستقامة في الأمور، وتطلق على الشخص المستقيم في سيرته وطريقته، الذي لم تظهر منه ريبة، فيقبل الناس فعله وقوله، ويرضون شهادته.

الفرع الثاني: العدالة اصطلاحا:

لقد كان للمحدثين والأصوليين عناية بارزة بمبحث العدالة من حيث الكلام عن صفات العدل الذي تقبل روايته، وبيان مفهوم العدالة وحقيقتها وماتثبت به وما ينقضها، وما يترتب عليها، فاختلفت عباراتهم في تحديد مفهومها وذكر شروطها، فكان من أقوالهم في تعريف العدل والعدالة:

ما بينه الشافعي رحمه الله من أن مدار العدالة على اجتناب الكبائر، وغلبة المحاسن على المساوئ، قال: "لو كان العدل من لا ذنب له لم نجد عدلاً، ولو كان كلّ مذنب عدلاً لم نجد مجروحاً، ولكنّ العدل من اجتنب الكبائر، وكانت محاسنه أكثر من مساويه"[4].

ولما سُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنِ الْعَدْلِ قَالَ: "مَنْ كَانَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ: يَشْهَدُ الْجَمَاعَةَ، وَلَا يَشْرَبُ هَذَا الشَّرَابَ، وَلَا تَكُونُ فِي دِينِهِ خَرِبَةٌ، وَلَا يَكْذِبُ، وَلَا يَكُونُ فِي عَقْلِهِ شَيْءٌ"[5].

---

[1] جامع البيان، 86/5.

[2] ديوان زهير بن أبي سُلمى: اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1426هـ-2005م، ص49.

[3] مفردات ألفاظ القرآن:الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، د.ن، 72/2.

[4] الرَّوضُ البَاسم لابن الوزير، 55/1.

[5] الكفاية، ص79.

من خلال كلام الشافعي وابن المبارك يمكن القول أن العدل من كان عاقلا واجتنب كبائر الذنوب، مع التزامه بأحكام الشرع في الظاهر وسلامته من الكذب، وهذه القيود ممكن تحقّقها في الراوي، والمقصود القول أنها أمور سهلة التحقق في حدود بشرية الإنسان، فممكن جدا اتصاف إنسان بها.

و قال الإمام الحاكم: "وأصل عدالة المحدث أن يكون مسلما لا يدعو إلى بدعة، ولا يعلن من أنواع المعاصي ما تسقط به عدالته"[1]

وقال الخطيب البغدادي –ناقلا عن القاضي أبي بكر محمد بن الطيب–: " والعدالة المطلوبة في صفة الشاهد والمخبر: هي العدالة الراجعة إلى استقامة دينه، وسلامة مذهبه، وسلامته من الفسق وما يجري مجراه، مما اتفق على أنه مبطل للعدالة من أفعال الجوارح والقلوب المنهي عنها"[2].

و يفسّر مقتضى العدالة التي يستحق به الإنسان وصف العدل بالتفصيل والتمثيل، بأنه "أَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَلُزُومِ مَا أُمِرَ بِهِ، وَتَوَقِّي مَا نُهِيَ عَنْهُ، وَتَجَنُّبِ الْفَوَاحِشِ الْمُسْقِطَةِ، وَتَحَرِّي الْحَقِّ وَالْوَاجِبِ فِي أَفْعَالِهِ وَمُعَامَلَتِهِ، وَالتَّوَقِّي فِي لَفْظِهِ مَا يَثْلِمُ الدِّينَ وَالْمُرُوءَةَ، فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ فَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِأَنَّهُ عَدْلٌ فِي دِينِهِ، وَمَعْرُوفٌ بِالصِّدْقِ فِي حَدِيثِهِ، وَلَيْسَ يَكْفِيهِ فِي ذَلِكَ اجْتِنَابُ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ الَّتِي يُسَمَّى فَاعِلُهَا فَاسِقًا، حَتَّى يَكُونَ مَعَ ذَلِكَ مُتَوَقِّيًا لِمَا يَقُولُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ كَبِيرٌ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَغِيرًا، نَحْوَ الْكَذِبِ الَّذِي لَا يُقْطَعُ عَلَى أَنَّهُ كَبِيرٌ، وَنَحْوَ التَّطْفِيفِ بِحَبَّةٍ وَسِرْقَةِ بَاذِنْجَانَةٍ وَغِشِّ الْمُسْلِمِينَ بِمَا لَا يُقْطَعُ عِنْدَهُمْ عَلَى أَنَّهُ كَبِيرٌ مِنَ الذُّنُوبِ"[3].

ويوافق الخطيبَ في تعداد مقتضيات العدالة الإمامُ الحازمي إذ يقول: " وصفة العدالة هي اتباع أوامر الله تعالى والانتهاء عن ارتكاب مانهى عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحري الحق، والتوقي في اللفظ مما يثلم الدين والمروءة، وليس يكفي في ذلك اجتناب الكبائر حتى يجتنب الإصرار على الصغائر، فمتى وجدت هذه الصفات كان المتحلي بها عدلا مقبول الشهادة والرواية"[4].

---

[1] معرفة علوم الحديث:محمد بن عبد الله الحاكم، ت: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1397هـ – 1977م، ص53.

[2] الكفاية، ص80.

[3] المصدر نفسه، ص80.

[4] شروط الأئمة الخمسة: محمد بن موسى الحازمي، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، 1405هـ–1984م، ص55.

وعرّفها ابن الأثير بأنها: "عبارة عن استقامة السيرة والدِّين، ويرجع حاصلها: إلى هيئة راسخة في النفس، تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، ولا يكفي اجتناب الكبائر، بل من الصغائر ما تُرَدُّ به الشهادة والرواية.

وبالجملة: فكلُّ ما يدل على ميل دينه إلي حدٍّ يستجيز على الله الكذب بالأغراض الدنيوية، كيف وقد شُرِط في العدالة التوقي عن بعض المباحات القادحة في المروءة، نحو الأكل والشرب في السوق، والبول في الشوارع، ونحو ذلك"[1].

و عرّفها ابن حجر بأنها: " ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى اجتناب الأعمال السيئة من شرك، أو فسق، أو بدعة"[2].

وعرّفها السيوطي بأنها" ملكة-أي هيئة راسخة في النفس- تمنع من اقتراف كبيرة، أو صغيرة دالة

---

[1] جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير، 74/1-75، اعترض ابن الصلاح في مقدمته(ص106-107) على إدراج هذا الشرط –السلامة من خوارم المروءة-بين شرائط العدل المتفق عليها، وذكر الخطيب في الكفاية(ص111) أنه لم يشترطها سوى الشافعي وأصحابه، وهذا مردود لأن العدالة لا تتم عند كل من شرطها وأكثر العلماء لم يشترطوها، وذكر أيضا –أي الخطيب- ما يشعر بخلاف ذلك فقال:" وقد قال كثير من الناس: يجب أن يكون المحد والشاهد مجتنبين لكثير من المباحات نحو التبذل، والجلوس للتنزه في الطرقات، والأكل في الأسواق، وصحبة العامة الأراذل، والبول على قوارع الطرقات، والبول قائما، والانبساط إلى الخلق في المداعبة والمزاح، وكل ما قد اتفق على أنه ناقص القدر والمروءة، ورأَوْا أَنَّ فِعْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ يُسْقِطُ الْعَدَالَةَ , وَيُوجِبُ رَدَّ الشَّهَادَةِ"، ثم بين اختياره في المسألة فقال:" وَالَّذِي عِنْدَنَا فِي هَذَا الْبَابِ رَدُّ خَبَرِ فاعِلِي الْمُبَاحَاتِ إِلَى الْعَالِمِ، وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ بِمَا يَقْوَى فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ مِنْ أَفْعَالِ مُرْتَكِبِ الْمُبَاحِ الْمُسْقِطِ لِلْمُرُوءَةِ أَنَّهُ مَطْبُوعٌ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ، وَالتَّسَاهُلِ بِهِ مَعَ كَوْنِهِ مِمَّنْ لَا يَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى الْكَذِبِ فِي خَبَرِهِ وَشَهَادَتِهِ، بَلْ يَرَى إِعْظَامَ ذَلِكَ وَتَحْرِيمَهُ وَالتَّنَزُّهَ عَنْهُ، قُبِلَ خَبَرُهُ، وَإِنْ ضَعُفَتْ هَذِهِ الْحَالُ فِي نَفْسِ الْعَالِمِ وَاتَّهَمَهُ عِنْدَهَا، وَجَبَ عَلَيْهِ تَرْكُ الْعَمَلِ بِخَبَرِهِ وَرَدُّ شَهَادَتِهِ".

وتجدر الإشارة إلى أن ردّ ما قام به بعض المحدثين من ردّ لروايات من قاموا بأفعال خارمة للمروءة إنما هي أحكام فردية قاصرة عليهم في الغالب لا حكما مقبولا لدى جمهور النقاد، واستقراء أحوال الرواة المردودة رواياتهم بأفعال خارمة للمروءة يجد أكثرهم وُثقوا وقُبلت مروياتهم، ومن ضُعّف منهم نجد سبب تضعيفه يرجع لمطاعن أخرى، ولهذا ردّ الخطيب حال هذا النوع من الرواة إلى ما يقوى في ظن العالم، فعلى سبيل المثال: حجاج بن أرطأة ردّ حديثه النقاد بسبب تدليسه وخطئه لا بسبب كونه صلفا فيه تيه وخضب بالسواد، ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م، 458/1-459.

[2] نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقا بكتاب سبل السلام): أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت: عصام الصبابطي وعماد السيد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1418 هـ - 1997 م، 722/4.

على الخسّة، أو مباح يخل بالمروءة"[1]

وقال الصنعاني: "فالعدل من اطمأن القلب إلى خبره وسكنت النفس إلى ما رواه"[2]

وهذا الكلام من الإمام الصنعاني لايفهم منه أن الأمر على إطلاقه فصاحب القلب الذي يطمئن والنفس التي تسكن لا بد أن يكون على قدر من العلم بحال الراوي – من التزامه بالشرع واجتنابه الكذب والمعاصي- وحال المروي، حتى يحصل الاطمئنان والسكينة.

كما أنه –أي الصنعاني- اعترض على من عرّفها بأنها "ملكة"، لأن الملكة هيئة راسخة في النفس تجعلها تتجه نحو الخير والطاعة بسجية ويُسر، وهذا صعب تحققه في كل البشر، قال رحمه الله: "والحاصل أن تفسيرهم العدالة بالملكة ليس هو معناها لغة ولا أتى عن الشارع في ذلك حرف واحد وتفسيرها بالملكة تشديد لا يتم وجوده إلا في المعصومين وأفراد من خلص المؤمنين... ولا يخفى أن حصول هذه الملكة لكل راو من رواة الحديث معلوم أنه لا يكاد يقع ومن طالع تراجم الرواة علم ذلك يقينا فالتحقيق أن العدل هو من قارب وسدد وغلب خيره على شره "[3]

من خلال هذه التعريفات يتبين أن العدالة التي يعتبرها المحدثون لقبول الرواية مدارها على الإسلام والسلامة من البدع، مع اتصاف المخبر برقابة ذاتية تنأى به عن ما يخدش دينه من اقتراف الكبائر وحتى بعض الصغائر المخلة بالمروءة والمسقطة لمكانة المرء في أعين الناس، فضبطوا معنى العدالة ببيان شروطها، في حين ذهب الأصوليون لبيان معناها في ذاتها

فتباينت تعريفاتهم بين من يراها هيئة أو ملكة تحمل المرء على الطاعة وتجنب المعاصي، ومن يراها استقامة للمرء في دينه وسيرته وطريقته؛

حيث قال الزركشي معرفا بها: "ملكة في النفس تمنع عن ارتكاب الكبائر وصغائر الخسّة كسرقة لقمة والرذائل المباحة كالبول في الطريق"[4]

---

[1] الأشباه والنظائر:عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م، ص384.

[2] ثمرات النظر في علم الأثر: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني، ت: رائد بن صبري بن أبي علفة، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م، ص56.

[3] ثمرات النظر في علم الأثر، 180/2، بتصرف.

[4] البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، 149/6.

وتكلم الجويني عن العدالة بصفة عامة وعن الشروط التي ينبغي توفرها في الراوي حتى يكون عدلا فقال: "وقد ذكر القاضي ﷺعبارَة جَامِعَة فِي الْعَدَالَة فَقَالَ: الْعَدَالَة اتِّبَاع أَمر الله على الْجُمْلَة، وَمُخَالفَة أَمر الله تَعَالَى تضَاد الْعَدَالَة، ثمَّ تثبت الْعَدَالَة فِي شَيْء بِاتِّبَاع أَمر الله فِيهِ، وَلَا يمْنَع من تحَققه ثُبُوت الْمُخَالفَة فِي غَيره.

فَإِن قيل: فَهَذَا ذكر على الْجُمْلَة فَمَا عَدَالَة الرَّاوِي؟

قُلْنَا: لَا نشترط تحقق الْعَدَالَة فِيهِ من كل وَجه لما قدمْنَاهُ. وَلَكِن إِجْمَاع القَوْل فِيهِ أَن يُقَال: الْعدْل المشتهر بأَدَاء الْفَرَائِض وامتثال الْأَوَامِر وتوقي المزاجر وَاجْتنَاب مَا مرض الْقُلُوب وَيُورث التهم فِيمَا جلّ وَقل فَيخرج لنا من مَضْمُون ذَلِك عبارَة وحيدة وَهِي أَنا نشترط أَن لَا يقدم الرَّاوِي على مَا إِذا أقدم عَلَيْهِ أورث ذَلِك تُهْمَة ظَاهِرَة فِي رِوَايَته، وَلَا فرق بَين أَن يكون من الصَّغَائِر أَو من الْكَبَائِر"[1].

وردّ ابن حزم العدالة إلى الالتزام بالفرائض وتوقي المحرمات، دون أن يشترط السلامة من خوارم المروءة، فقال:" العدالة إنما هي التزام العدل والعدل هو القيام بالفرائض واجتناب المحارم"[2]

وتكلم السرخسي عن العدالة ومن تنطبق عليه فقال: " وأما العدالة فهي الاستقامة، يقال: فلان عادل إذا كان مستقيم السيرة في الإنصاف والحكم بالحق"[3]

و عرفها الغزالي بأنها: " عبارة عن استقامة السيرة والدين ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس، تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا، حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه"[4].

وقال البيضاوي: " العدالة وهي ملكة في النفس تمنعها من اقتراف الكبائر والرذائل المباحة"[5]

---

[1] كتاب التلخيص في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله الجويني، أبو المعالي، الحرمين، ت: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، د.ن، 353/2.

[2] الإحكام، 144/1.

[3] أصول السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ- 1993 م، 350/1.

[4] المستصفى: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م، ص125.

[5] منهاج الأصول: عبد الله بن عمر البيضاوي، عناية: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 2006م، ص77.

وشرح الأسنوي كلامه فقال: "ملكة في النفس أي: هيئة راسخة فيها تمنعها من ارتكاب الكبائر والرذائل المباحة. فأما تمييز الكبائر من الصغائر ففيه كلام منتشر، ومحله كتب الفروع. وأما الرذائل فأشار بها إلى المحافظة على المروءة، وهي أن يسير سيرة أمثاله في زمانه ومكانه، فلو لبس الفقيه القباء أو الجندي الجبة والطيلسان ردت روايته وشهادته"[1].

فمن خلال هذه التعريفات يتبين أن العدالة عند الأصوليين حاصلها الالتزام بالشرع واجتناب الوقوع في الكبائر والصغائر الدالة على الخسة، حيث اعتبروها ملكة راسخة في النفس تبعثها على فعل الخير وتجنب الشر.

ويمكن القول بأن تعريفات المحدثين والأصوليين متوافقة في بيان العدالة ومن يصدق عليه وصفها، ترجع شروطها إلى الإسلام البلوغ والعقل مع الاستقامة في الدين وتجنب أسباب الفسق، إضافة إلى الترفع عما يخرم مروءته –عند بعض العلماء–، وكل هذا مما يجعل النفس تطمئن لخبر العدل وشهادته، حيث تحقق فيه ما يمنعه من الكذب في خبره أو شهادته.

المطلب الثاني: أثر عدالة الراوي على حديثه[2]:

إنّ اتصاف الراوي بالعدالة شرط أساس لقبول روايته عند المحدثين، وأي خلل يطرأ عليها يضعف روايته ويوهنها، وقد دلّ على اعتبار العدالة" القرآن والسنة وأقوال العلماء وتطبيقاتهم على الرواة.

الفرع الأول: من القرآن الكريم:

قول الله عز وجل: ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [البقرة: 282]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ﴾ [الطلاق:2] [3].

---

[1] نهاية السول شرح منهاج الوصول: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ،، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ- 1999م، ص268.

[2] ينظر: الصحابة والصحبة وشبهات حول عدالة الصحابة وضبطهم: عبد الله بن عبد الهادي القحطاني، 155/1.

[3] اعتبار العدالة والصدق مما يتفق عليه بالنسبة للراوي والشاهد، لكن هناك فروق بين الشهادة والرواية، منها: أن الشهادة لابد فيها من اثنين، والخبر يُكتفى فيه بواحد.

و الشهادة يشترطون فيها شروطًا، فمثلا لا تُقبل عندهم شهادة العبد، والرواية لا تشترط فيها الحرية.

وشهادة المرأة بنصف شهادة الرجل، أما بالنسبة للخبر فالأمر سيان، فيُقبل خبر الواحد سواءً كان عبدًا أو امرأة أو رجلا أو غير ذلك.ينظر لمزيد من التفصيل:الكفاية للخطيب، ص96.

ووجه الدلالة في ذلك على وجوب العدالة لقبول الأخبار، هو أن إيجاب العدالة في الشاهد من أجل ما يحتاج إليه من صدقه لإثبات الحقوق في الأموال وغيرها، وحق الله أعظم من حقوق العباد، وحفظ الدين من حفظ حق الله، وهو الضرورة العظمى التي دونها سائر الضرورات، كضرورة المال والنفس والعرض، فإذا أمر الله بفرض العدالة فيمن يشهد على درهم، ففرضها في حق من يقول: (قال رسول الله ﷺ) آكد وأعظم، من جهة اتصال ذلك بحفظ ضرورة الدين[1].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات:6]

فالأمر بالتبين والتثبت من خبر الفاسق دليل على أنّ انتفاء العدالة عنه سبب التوقف في خبره،

"فبيّن سبحانه أن خبر الفاسق مناف لخبر العدل فمن حق خبر العادل أن يُصدق، ومن حق خبر الفاسق أن يبحث عنه حتى يتبين أمره"[2].

فلو كان العدل إذا جاء بنبأ يُتثبت في خبره ولم ينفذ لاستوى الفاسق والعدل وهذا خلاف القرآن قال الله عز وجل: ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾ [ص:28] [3].

الفرع الثاني: من السنة النبوية:

حديث أبي موسى الأشعري أنه جاء إلى عمر بن الخطاب، فقال: السلام عليكم، هذا عبد الله بن قيس، فلم يأذن له، فقال: السلام عليكم، هذا أبو موسى، السلام عليكم، هذا الأشعري، ثم انصرف، فقال: ردوا علي، ردوا علي، فجاء، فقال: يا أبا موسى، ما ردك؟ كنا في شغل، قال: سمعت

---

[1] تحرير علوم الحديث: عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م، 1/238-239.

[2] الأنوار الكاشفة، ص65.

[3] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: سعيد أحمد أعراب، د.د، الرباط، 1401هـ-1981م، 9/434.

رسول الله ﷺ يقول: "الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك، وإلا فارجع"، قال: لتأتيني على هذا ببينة، وإلا فعلت، وفعلت، فذهب أبو موسى. قال عمر إن وجد بينة تجدوه عند المنبر عشية، وإن لم يجد بينة، فلم تجدوه، فلما أن جاء بالعشيّ، وجدوه، قال: يا أبا موسى، ما تقول؟ أقد وجدت؟ قال: نعم، أبيّ بن كعب، قال: عَدْلٌ، قال: يا أبا الطفيل، ما يقول هذا؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك يا ابن الخطاب، فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ، قال: سبحان الله! إنما سمعت شيئاً، فأحببت أن أتثبت [1].

والشاهد من الحديث أنّ أبا موسى الأشعري ﷺ حين تطلّب من يشهد معه على سماع الحديث عن رسول الله ﷺ بحث عمن يرضى قوله وتقوم به الحجة، ولهذا بما سأله عمر ﷺ: أقد وجدت؟ وكان جوابه: نعم، أبي بن كعب، قال عمر: عدل.أي نقبل خبره.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: شَهِدَ عِنْدِي رِجَالٌ مَرْضِيُّونَ وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِي عُمَرُ، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَشْرُقَ الشَّمْسُ، وَبَعْدَ العَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ»[2].

قال ابن حجر:"قَوْلُهُ مَرْضِيُّونَ أَيْ لَا شَكَّ فِي صِدْقِهِمْ وَدِينِهِمْ"[3].

الفرع الثالث: من أقوال العلماء:

قول الإمام الشافعي: "لا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يَجْمَعَ أُموراً:منها: أن يكون مَنْ حدَّثَ به ثِقَةً في دينه، معروفاً بالصِّدق في حديثه..." [4].

وقال الإمام ابن حبان:" ومنهم-أي المجروحين- المعلن بالفسق والسفه وإن كان صدوقا في روايته؛ لأن الفاسق لا يكون عدلا، والعدل لا يكون مجروحا، ومن خرج عن حد العدالة لا يعتمد على صدقه، وإن صدق في شيء بعينه في حالة من الأحوال إلا أن يظهر منه ضد الجرح، حتى يكون أحواله طاعة

---

[1] رواه مسلم في كتاب الآداب، باب الاستئذان، رقم37، ح2154، 1696/3.

[2] رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس، ح581، 120/1.

[3] فتح الباري، 58/2.

[4] الرسالة: محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، ت: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، 1358هـ-1940م، ص369.

الله عز وجل فحينئذ يحتج بخبره، فأما قبل ظهور ذلك عنه فلا" [1].

وقال ابن الصلاح:"أَجْمَعَ جَمَاهِيرُ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ عَلَى: أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيمَنْ يُحْتَجُّ بِرِوَايَتِهِ أَنْ يَكُونَ عَدْلًا، ضَابِطًا لِمَا يَرْوِيهِ" [2].

الفرع الرابع:من تطبيقات العلماء:

إن كتب علم الجرح والتعديل وكتب التراجم تمثل التطبيق العملي لمنهج المحدثين في البحث والتنقيب عن عدالة الرواة، ومدى اعتبارهم لها في الحكم على المرويات، فتنوعت عباراتهم بين الحكم بالعدالة، أو نفيها، أو بالتوقف في أخبار بعضهم حتى تتبين عدالتهم، ومن أمثلة ذلك:

قال ابن حبان في ترجمة عبد الله بن المؤمل المخزومي:"لَا يجوز الِاحْتِجَاج بِخَبَرِهِ إِذا انْفَرد لِأَنَّهُ لم يتَبَيَّن عندنَا عَدَالَته" [3].

وقال في ترجمة قرثع الضبي:" لم تظهر عَدَالَته فيسلك بِهِ مَسْلَك الْعُدُول حَتَّى يحْتَج بِمَا انْفَرد" [4].

ونقل الذهبي في ترجمة عباد بن أبي علي قول ابن القطان: لم تثبت عدالته [5].

وقال في ترجمة:محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب: أحد الاعلام الثقات، متفق على عدالته [6].

وقال في ترجمة: محمد بن عبيدون الأندلسي:طعن ابن عفيف في عدالته[7].

وقال ابن حجر في ترجمة: أحمد بن عُبَيد الله بن أبي طيبة:

---

[1] المجروحين من المحدثين: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، د.ب، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م، 1/76-77.

[2] معرفة أنواع علوم الحديث ، ص104.

[3] المصدر نفسه،رقم559، 2/28.

[4] المصدر نفسه،رقم875، 2/211.

[5] ميزان الاعتدال،4130، 2/370.

[6] المصدر نفسه، رقم 7837، 3/620.

[7] المصدر نفسه، رقم 7924، 3/640.

شيخ مجهول الحال لم تثبت عدالته وادعى التعمير ولقي الصحابة بلا مستند [1].

و الأمثلة كثيرة جدا، وإنما القصد إعطاء نماذج تبين التطبيق العملي للمحدثين لاشتراطهم العدالة في الرواة، ويرجع الحكم بانتفاء العدالة وإسقاطها عن الراوي إلى أمور ضبطها المحدثون أيضا، وهي محل البحث في المطلب الآتي:

المطلب الثالث: مسقطات العدالة:

من خلال تعريفات علماء الحديث للعدالة، يتبين أنهم اشترطوا لثبوتها شروطا واحترزوا مما يخالفها ويسقطها، فالكافر مردود الرواية سواء عُلم من دينه الاحتراز عن الكذب أو لم يُعلم، كما أن رواية الصبي غير المميز لا تُقبل إلا إذا أدى ما تحمله في حال كماله وهو البلوغ، وتُردّ رواية المجنون لأن العقل شرط التكليف، وأما الفاسق فلا تقبل روايته إلا إذا تاب من فسقه سواء كان فسقه بسبب ارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة، وقد ذكر المحدثون أن العدالة تنخرم بأحد أمور خمسة، هي[2]:

1-الكذب.

2-التهمة بالكذب.

3-الفسق.

4-البدعة.

5-الجهالة.

الفرع الأول:الكذب:

والمقصود به الْكَذِب بوضع الحديث على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فيما لم يقله ولم يفعله ولم يقرّه متعمدا لذلك، وقد ذهب الإمام أحمد، والحميدي، والسمعاني، وأبو بكر الصيرفي إلى عدم قبول روايته وإن حسنت توبته.

قال الخطيب:"... ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ يُوجِبُ رَدَّ الْحَدِيثِ أَبَدًا، وَإِنْ تَابَ فَاعِلُهُ....

---

[1] لسان الميزان: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، 2002 م، رقم 622، 531/1.

[2] مقدمة ابن الصلاح، ص104.

وسئل الإمام أَحْمَد بْنَ حَنْبَلٍ عَنْ مُحَدِّثٍ كَذَبَ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ ثُمَّ تَابَ وَرَجَعَ، قَالَ: «تَوْبَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُكْتَبُ حَدِيثُهُ أَبَدًا»، وهو رأي ابن المبارك وابن معين، ثم قال-أي الخطيب-: ": هَذَا هُوَ الْحُكْمُ فِيهِ إِذَا تَعَمَّدَ الْكَذِبَ وَأَقَرَّ بِهِ"[1]

وقال ابن الصلاح:" التَّائِبُ مِنَ الْكَذِبِ فِي حَدِيثِ النَّاسِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْفِسْقِ تُقْبَلُ رِوَايَتُهُ، إِلَّا التَّائِبَ مِنَ الْكَذِبِ مُتَعَمِّدًا فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ لَا تُقْبَلُ رِوَايَتُهُ أَبَدًا، وَإِنْ حَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، عَلَى مَا ذُكِرَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَأَبُو بَكْرٍ الْحُمَيْدِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ.

وَأَطْلَقَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الصَّيْرَفِيُّ الشَّافِعِيُّ فِيمَا وَجَدْتُ لَهُ فِي شَرْحِهِ لِرِسَالَةِ الشَّافِعِيِّ، فَقَالَ: "كُلُّ مَنْ أَسْقَطْنَا خَبَرَهُ مِنْ أَهْلِ النَّقْلِ بِكَذِبٍ وَجَدْنَاهُ عَلَيْهِ لَمْ نَعُدْ لِقَبُولِهِ بِتَوْبَةٍ تَظْهَرُ "[2].

واختار الإمام النووي قبوله –أي رواية الكاذب-إن صحت توبته"[3]، ولكن لا أظنه المختار لمخافة جمهور العلماء له، وهذا صيانة لحديث النبي ﷺ وحماية لجنابه وعقوبة لمن تجرأ على دين الله عز وجل.

الفرع الثاني:التهمة بالكذب:

من الأمور التي تخل بالعدالة وتنفيها التهمة بالكذب ولها صورتان:

الأولى: أن يتفرّد برواية يخالف فيها أصول الدين وقواعده العامة، ولم يكن في الإسناد متهم غيره، كقول الذهبي، وابن حجر في أحمد بن محمد بن يحيى:" لا أعرفه لكن روى عنه شيخ الإسلام الهروي خبرا موضوعا ورواته سواه ثقات فهو المتهم به"[4].

الثانية: أن يعرف عنه الكذب في كلامه، وإن لم يظهر منه وقوع ذلك في حديث النبي ﷺ[5]، قال الإمام مالك:" ولا تأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس إذا جرب عليه ذلك، وإن كان لا يتهم أن يكذب على رسول الله ﷺ"[6].

---

(1) الكفاية، ص 117-118.

(2) مقدمة ابن الصلاح، ص116.

(3) شرح النووي على مسلم، 26/1.

(4) ميزان الاعتدال، 129/1، و لسان الميزان، 585/1.

(5) نزهة النظر، ص88.

(6) الكفاية، ص116.

وفي شرح الكوكب المنير:" ويردّ كاذب، ولو تدين، أي تحرز عن الكذب في الحديث عند أكثر العلماء، منهم الإمامان مالك وأحمد وغيرهما لأنه لا يؤمن أن يكذب فيه"[1]؛ حيث إنه مستهتر بمقام ربه، ولأن النصوص قد نهت عن قبول خبره، بمجرد الفسق، إلا إذا أقلع عن ذنبه وتاب توبة نصوحا تبدل ما كان من حاله إلى حال التقى، فإنه يقبل خبره وتعود عدالته[2].

وذكر غير واحد من أهل العلم أنه يوجب رد الحديث أبدا وإن تاب فاعله[3]

قال ابن الصلاح:"التَّائِبُ مِنَ الْكَذِبِ فِي حَدِيثِ النَّاسِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْفِسْقِ تُقْبَلُ رِوَايَتُهُ"[4].

قال البلقيني:" ما نَقَل عن الصيرفي يقرب منه ما قال ابنُ حزم: من أسقطنا حديثه لم نعد لقبوله أبدًا، ومن احتججنا به لم نُسقِط روايته أبدا، وكذا قاله ابن حبان في آخرين[5].

وذكر الإمام أبو المظفر السمعاني أن: من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه"[6] قال ابن الصلاح:" وهذا أيضا يضاهي من حيث المعنى ما ذكره الصيرفي[7]

أما النووي فقد وجه كلام الصيرفي بقوله:" ويجوز أن يوجه بأن ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب عليه ﷺ لعظم مفسدته، فإنه يصير شرعا مستمرا إلى يوم القيامة، بخلاف الكذب على غيره والشهادة، فإن مفسدتهما قاصرة ليست عامة"[8]

وانتقد –أي النووي– ما ذهب إليه أحمد والحميدي والصيرفي ومن وافقهم وبين اختياره، فقال:" ولم أر للقول بعدم قبوله دليلا هؤلاء...وهذا الذي ذكره الأئمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية والمختار القطع بصحة توبته في هذا أي في الكذب عليه ﷺ وقبول رواياته بعدها إذا صحت توبته بشروطها المعروفة"[9].

---

[1] شرح الكوكب المنير:محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي، ت:محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 م، 393/2.

[2] ينظر: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا: محمد لقمان السلفي، دار الداعي، الهند، الطبعة الثانية، 1420هـ، ص205.

[3] الكفاية، ص116.

[4] مقدمة ابن الصلاح، ص116.

[5] محاسن الاصطلاح بحاشية مقدمة ابن الصلاح، ص302.

[6] مقدمة ابن الصلاح، ص116.

[7] المصدر نفسه ، ص116.

[8] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحيى بن شرف النووي، 70/1.

[9] توضيح الأفكار للصنعاني، 148/2.

الفرع الثالث:البدعة:

لقد كانت رواية المبتدعة وأهل الأهواء محل اهتمام علماء الحديث، فاختلفوا في حكمها إن كانت بدعة مكفرة على قولين:

الأول: ردّ روايتهم مطلقا ولم يحك فيه الحافظ ابن الصلاح خلافا[1] وصرح النووي بالاتفاق عليه فقال:" من كفر ببدعته لم يحتج به بالاتفاق"[2].

والثاني: تقبل روايتهم إذا كانوا يعتقدون حرمة الكذب، قال العراقي:" قال صاحب المحصول: الحقّ أنه إن اعتقَدَ حُرمة الكذب، قبلنا روايتَه؛ لِأَنَّ اعْتِقَادَهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِلَّا فَلَا"[3].

وقد فصل الحافظ ابن حجر في المسألة فقال:" والتحقيق: أنه لا يُرَدُّ كُلُّ مُكفَّرٍ ببدعَتِه؛ لأَنَّ كلَّ طائفةٍ تدَّعي أَنَّ مخالِفيها مبتَدِعةٌ، وقد تُبالِغُ فتُكفِّرُ مخالِفها، فلو أُخِذَ ذلك على الإطلاقِ؛ لاسْتَلْزَمَ تكفيرَ جميعِ الطَّوائفِ، فالمعْتَمَدُ أَنَّ الَّذي تُرَدُّ روايتُهُ مَنْ أَنْكَرَ أَمراً مُتواتِراً مِن الشَّرعِ، معلوماً مِن الدِّينِ بالضَّرورةِ، وكذا مَن اعتقدَ عكسَهُ.فأَمَّا مَن لم يَكُنْ بهذهِ الصِّفَةِ، وانْضَمَّ إلى ذلك ضَبْطُهُ لِما يَرويهِ مَعَ وَرَعِهِ وتَقْواهُ؛ فلا مانِعَ مِن قَبولِهِ "[4]

قال الشيخ أحمد شاكر: "وهذا الذي قاله الحافظ هو الحق الجدير بالاعتبار ويؤيده النظر الصحيح"[5]

أما البدعة المفسقة:

والفاسق ببدعته هو من لم ينكر أمرا متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة، مثل بدع الخوارج، والروافض غير الغلاة، وغيرهم من الطوائف، فهم مخالفون لأهل السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند إلى تأويل سائغ[6]

---

[1] مقدمة ابن الصلاح، ص114، وفتح المغيث 64/2.

[2] تدريب الراوي، 383/1، شرح صحيح مسلم، المقدمة، 60/1.

[3] فتح المغيث، 72/2.

[4] نزهة النظر، ص103.

[5] الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1399هـ، ص76.

[6] هدي الساري، 263/2.

وأقوال العلماء في قبول روايات المبتدعة ثلاث هي:

القول الأول: قبول روايتهم إذا لم يعرف منهم استحلال الكذب لنصرة مذهبهم، سواء كانوا دعاة إلى بدعتهم أم لم يكونوا، قال الإمام الشافعي:" أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم"[1]، وقال الإمام علي بن المديني:" لو تركت أهل البصرة للقدر، وتركت أهل الكوفة للتشيع لخربت الكتب"[2]، وحكي أيضا أن هذا مذهب ابن أبي ليلى وسفيان الثوري، وروي مثله عن أبي يوسف[3]، وحكاه الإمام الحاكم في المدخل عن أكثر أئمة الحديث [4]

وقد اعترض الشيخ أحمد شاكر على من قيّد في المبتدع أن لا يكون ممن يستحل الكذب، فقال:" وهذا القيد لا أرى داعيا له، لأنه قيد معروف بالضرورة في كل راو، فإنا لا نقبل رواية الراوي الذي يعرف عنه الكذب مرة واحدة فأولى أن ترد رواية من يستحل الكذب أو شهادة الزور"[5]

وهذا القول ضعيف لعدة أسباب:

1-أنه مخالف لقول جمهور العلماء والكثرة الكاثرة من المحدثين.

2-أن فيه إجمالا، فمقتضاه قبول رواية الداعية وغيره، إن كانوا لا يستحلون الكذب، وفي هذا ضرر عظيم من حيث قبول رواية الدعاة الذين لديهم باعث على رواية ما يشيد بدعتهم.

3-لأن رؤوس البدعة وزعماء الزيغ والفتنة هم الدعاة إلى بدعهم، فعلى إطلاق قبول رواية المبتدعة تقبل رواية مثل هؤلاء وهذا لم يقل به أحد[6].

القول الثاني: ردّ رواية المبتدع مطلقا، ونسب هذا القول إلى الإمام مالك رحمه الله لقوله: "لا يؤخذ العلم من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه"، وحكي عن ابن عيينة، والحميدي، ويونس بن أبي

---

[1] الكفاية، ص120، ومقدمة ابن الصلاح، ص114.

[2] شرح علل الترمذي: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: همام سعيد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، 1421هـ، 2001م، 362/1.

[3] الكفاية، ص120.

[4] المدخل إلى كتاب الإكليل: محمد بن عبد الله الحاكم، ت: فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة، الإسكندرية، 1983م، ص49.

[5] الباعث الحثيث، ص84.

[6] البدعة وأثرها في الدراية والرواية: عائض بن عبد الله القرني، جمع وترتيب: خالد محمد الأنصاري، دار الطرفين، الطائف، د.ن، ص107-108.

إسحاق وعلي بن حرب وغيرهم[1].

وهذا القول أيضا ضعيف لعدة أسباب:

1-أن الشيخين البخاري ومسلما احتجا برواية المبتدعة الذين ليسوا بدعاة، وتوفرت فيهم شروط النقل من حفظ وضبط وعدالة.

2-في قبول هذا الرأي ضرر على السنة، حيث تهمل طائفة كبيرة من الأحاديث التي لم تأت إلا من طريق هؤلاء المبتدعة، وفي هذا تعطيل للسنة.

3-هذا القول عارضه أهل العلم وقالوا بخلافه، بل الجمهور يرون خلافه ويقبلون أخبار المبتدعة غير الدعاة[2].

القول الثالث: تقبل أخبار غير الدعاة من أهل الأهواء، فأما الدعاة فلا يحتج بأخبارهم، وممن ذهب إلى هذا القول: الإمام أحمد، ونسبه الخطيب إلى أكثر العلماء[3]، وحكى ابن حبان الاتفاق على الاحتجاج بغير الداعية، فقال:" ليس بين أهل الحديث من أئمتنا خلاف أن الصدوق المتقن إذا كان فيه بدعة ولم يكن يدعو إليها أن الاحتجاج بأخباره جائز، فإذا دعا إلى بدعته سقط الاحتجاج بأخباره"[4]

وقد رجح ابن الصلاح هذا المذهب فقال:" وَهَذَا الْمَذْهَبُ الثَّالِثُ أَعْدَلُهَا وَأَوْلَاهَا" [5]

والقول بقبول رواية غير الدعاة أعدل الأقوال وأرجحها عند أكثر العلماء، وذلك لأن الدعوة إلى المذهب قد تدعو الشخص إلى التعصب والتحامل على المخالف، ولِأَنَّ تَزْيِينَ بِدْعَتِهِ قَدْ تَحْمِلُهُ عَلَى تَحْرِيفِ الرِّوَايَاتِ وَتَسْوِيَتِهَا عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ مَذْهَبُهُ [6].

وردّ الخطيب ترك العلماء الحديث عن الدعاة إلى أنهم " إنما منعوا أن يكتب عن الدعاة خوفا من أن تحملهم الدعوة إلى البدعة والترغيب فيها على وضع ما يحسنها".

---

[1] الكفاية، ص128.

[2] البدعة وأثرها في الدراية والرواية، ص107-108.

[3] شرح علل الترمذي، 362/1.

[4] الثقات: محمد بن حبان بن أحمد البستي، ت: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1395هـ – 1975م، ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي، 140/6.

[5] مقدمة ابن الصلاح، ص115.

[6] تدريب الراوي، 385/1.

وهذا ما حصل بالفعل باعتراف بعض من تاب من بدعته، وقد أخرج ابن حبان عن ابن يزيد المقرئ عن رجل تاب من بدعته أنه كان يقول:" انظروا هذا الحديث ممن تأخذون، فإنا كنا إذا رأينا رأيا جعلنا له حديثا"[1].

وهذا المذهب وسط بين القبول والرد، لأن فيه تحفظ من رواية من كفّر ببدعته، وحفظ لكثير من السنن الثابتة الواردة من طريق المبتدعة غير الدعاة مع كون هذا المبتدع صادقا مؤتمنا ضابطا، لا يروي مايزيّن بدعته، قال ابن حجر:" إن اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد بدعته ويزينها، ويحسنها ظاهرا فلا تقبل، وإن لم تشتمل فتقبل" [2].

و بعد عرض وبيان مذاهب العلماء في رواية المبتدع، وتفريقهم بين البدعة المكفرة والبدعة المفسقة، يمكننا القول أن المسألة ليست على تفصيل كالآتي:

من كانت بدعته مكفرة وكان التكفير متفقا عليه عند الأئمة، وذلك بأن ينكر المبتدع أمرا متواترا من الشرع معلوما من الدين بالضرورة، فهذا مردود الرواية بالإجماع.

ومن كانت بدعته مفسقة فهذا حكمه يختلف بحسب الشخص فينظر إلى إمامته، وحفظه، وضبطه، ولا ينبغي إطلاق القول برد روايته.

وتظهر ثمرة الخلاف في قبول رواية المبتدع غير الداعية في كون من يردّها مطلق يهدر بذلك جملة كبيرة من السنة النبوية، ويجرّح طائفة كبيرة من أئمة الحديث، إضافة إلى عدم الثقة في دواوين السنة التي لا يخلو كتاب منها من رواية هذا النوع من الرواة، فالرد مطلقا له ضرره الكبير، والعبرة بصدق الراوي وضبطه مع عدم دعوته لبدعته.

الفرع الرابع: الجهالة:

أولا: حقيقة الجهالة:

إنّ انتفاء الجهالة عن الراوي شرط في قبول روايته، وتحققها خلل يؤدي لردها، "والمجهول عند

---

[1] المجروحين، 82/1.

[2] مقدمة فتح الباري، 263/2.

أصحاب الحديث هو كل من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه ولا عرفه العلماء به، ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راو واحد" [1].

و"المجهول أقسام: مجهول العدالة ظاهرا وباطنا، ومجهولها باطنا مع وجودها ظاهرا وهو المستور، ومجهول العين"[2]

الأول: مجهول العين هو: "فإن سُمِّيَ الرَّاوي وانْفَرَدَ راوٍ واحِدٌ بالرِّوايةِ عَنْهُ؛ فهو مَجْهولُ العَيْنِ"[3].

والثاني مجهول الحال وهو:"من جهلت حاله الظاهرة والباطنة مع كونه معروف العين برواية عدلين عنه"[4].

والثالث المستور وهو: "من جهلت عدالته الباطنة وهو عدل في الظاهر"[5]

والفرق بينه وبين القسم الثاني أن المستور معروف العدالة ظاهرا.وقد جعل ابن حجر مجهول الحال والمستور قسما واحدا؛ فقال:" إن روى عنه اثنان فصاعدا –ولم يوثق– فهو مجهول الحال، وهو المستور[6]

والغالب إرادة جهالة العين من إطلاق لفظ " مجهول" على أحد الرواة دون تقييد، يقول اللكنوي:

" وَهُوَ غَالب اصْطِلَاح أهل الشَّأْن فِي هَذَا الإطلاق" [7]

وبعض الأئمة ليست له طريقة مطّردة في هذا الإطلاق، فمثلا الإمام أبو حاتم الرازي تارة يطلقها على مجهول العين وتارة على مجهول الحال، بل وأبعد من ذلك يأتي على من ثبتت صحبته فيقول فيهم: مجهول !!مريدا أنه من الأعراب الذين لم تشتهر روايتهم[8].

---

[1] الكفاية، ص 88.

[2] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 28/1.

[3] نزهة النظر، ص101.

[4] فتح المغيث، 52/2، وتدريب الراوي، 371/1.

[5] مقدمة ابن الصلاح، ص111، وفتح المغيث، 58/2.

[6] نزهة النظر، ص126.

[7] الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: محمد عبد الحي بن محمد اللكنوي الهندي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ص252.

[8] قال ابن حجر في ترجمة مدلاج بن عمرو السلمي: قال أبو حاتم: مجهول...لكنه عده من جملة الصحابة...

وكذا يصنع أبو حاتم في جماعة من الصحابة يطلق عليهم اسم الجهالة لا يريد بها جهالة العدالة وإنما يريد أنه من الأعراب الذين لم يرو عنهم أئمة التابعين"، ينظر لسان الميزان، 23/8، وكلام أبي حاتم في الجرح والتعديل، 428/8.

ثانيا:حكم رواية المجهول:

وقد اختلف العلماء في قبول رواية المجهول بحسب نوع جهالته:

ففي قبول رواية مجهول العين نحو خمسة أقوال: قيل:لا تقبل روايته مطلقا، وقيل: تقبل روايته مطلقا-وهو قول من اكتفى في التعديل بواحد-، وقيل: تقبل روايته إن كان المنفرد عنه لا يروي إلا عن عدل وإلا فلا، وقيل: تقبل إن كان المنفرد عنه بالرواية مشهورا في غير العلم-كازهد والورع- وإلا فلا، وقيل: إن وثقه متأهل للتوثيق-سواء كان المنفرد بالرواية عنه أو غيره- قُبل وإلا فلا، واختار الرأي الأخير ابن القطان وصححه الحافظ ابن حجر[1].

وفي مجهول الحال خلاف أيضا، الراجح فيه قول الجمهور، وهو رد روايته مطلقا، قال ابن الصلاح:"المجهول العدالة من حيث الظاهر والباطن جميعا روايته غير مقبولة عند الجماهير"[2]

وفي مجهول العدالة الباطنة-المستور- قال بعض العلماء تقبل روايته[3]، وقال آخرون: تُردّ روايته[4]، وقال فريق ثالث: تقبل رواية المستور في القرون الثلاثة الأولى فحسب[5]، وعند التحقيق وجد أن الحكم بقبول رواية المستور ليس أولى من الحكم بردّها، ولا الحكم بردها أولى من الحكم بقبولها، والأفضل التوسط فلا نعتبر رواية المستور حجة بمنزلة رواية الثقة، ولانرد رواية المستور كما لو كانت رواية متروك[6].

وتزول الجهالة عن الراوي إذا وثقه أو ضعّفه أحد أئمة الجرح والتعديل المعتمدين، أو كان في الرواة عنه من لا يروي إلا عن ثقة، أو خرّج له من اشترط الصحة في كتابه أو حكم أحد الأئمة المعتبرين على حديث فيه هذا الراوي بالقبول، وكذا إن احتج بحديثه إمام في مسألة ما[7].

---

[1] ينظر: مقدمة ابن الصلاح، ص111-112، وفتح المغيث56/2، والتقييد والإيضاح،ص144-146.

[2] مقدمة ابن الصلاح، ص111، وفتح المغيث، 56/2.

[3] ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 28/1.

[4] فتح المغيث، 56/2.

[5] قفو الأثر في صفوة علوم الأثر: محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، 1408هـ، ص86.

[6] نزهة النظر، ص102.

[7] ينظر فتح المغيث، 48-50.

الفرع الخامس:انخرام المروءة:

إن السلامة والتنزه عن خوارم المروءة من الأمور التي اعتبرها العلماء في الراوي العدل، ومن بين القضايا التي لها صلة بهذا الأمر قضية **أخذ الأجرة على التحديث**، وقد اختلف فيها العلماء على رأيين:

الرأي الأول: ذهب أصحاب هذا القول إلى أنه لا يجوز للمحدث أن يأخذ أجرا على تحديثه، قالوا: لأنه إن أخذ الأجرة خيف أن يتزيد في الحديث ليطول به ويكثر الأجر.

وممن ذهب إلى هذا الرأي: حماد بن سلمة، وإسحاق بن راهويه، وسليمان بن حرب، وأحمد بن حنبل، وأبوحاتم الرازي، وشعبة، وقد عللوا هذا الخطر بأن الذي يأخذ الأجر يقضي به الأمر إلى محبة استمرار ذلك فيكذب[1].

وقد حكم إسحاق بن راهويه وأبو حاتم الرازي وأحمد بن حنبل في المحدث الذي يحدث بالأجر أنه لا يكتب عنه[2]، وقال سليمان سليمان بن حرب:" لم يبق أمر من أمر السماء إلا الحديث والقضاء، وقد فسدا جميعا: القضاة يرشون حتى يولوا، والمحدثون يأخذون على حديث رسول الله ﷺ الدراهم"[3]

الرأي الثاني: وذهب أصحابه إلى جواز أخذ الأجرة على التحديث رخصة للفقر والحاجة،، وممن قال به الحافظ أبو نعيم الفضل بن دكين وعلي بن عبد العزيز البغوي وغيرهما، روي عن أبي نعيم أنه كان يقول:" يلومونني على الأخذ وفي بيتي ثلاث عشرة نفسا وما فيه رغيف" [4]

قال السخاوي:" وَسَبَقَ إِلَى الْإِفْتَاءِ بِالْجَوَازِ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فقال:جَائِزٌ، عَافَاكَ اللَّهُ، حَلَالٌ أَنْ لَا أَقْرَأَ لَكَ وَرَقَةً إِلَّا بِدِرْهَمٍ، وَمَنْ أَخَذَنِي أَنْ أَقْعُدَ مَعَكَ طُولَ النَّهَارِ، وَأَدَعَ مَا يَلْزَمُنِي مِنْ أَسْبَابِي وَنَفَقَةِ عِيالِي[5].

قال الحافظ الذهبي:" هذا الذي قاله ابن عبد الحكم متوجه في حق متسبب يفوته الكسب والاحتراف لتعوقه بالرواية"[6].

---

[1] توضيح الأفكار، 154/2.

[2] الكفاية، ص 153، وفتح المغيث، 101/2.

[3] الكفاية، ص154.، وفتح المغيث، 91/2.

[4] سير أعلام النبلاء، 152/10، وتهذيب التهذيب، 275/8.

[5]فتح المغيث، 101/2.

[6]سير أعلام النبلاء، 322/12.

من خلال النظر في كلام الفريقين أرى أنّ لكل منهما دوافعه القوية، فالقول بمنع أخذ الأجرة على التحديث قول وجيه في نظرته للرواية الحديثية وللعلم الشرعي واعتبار ذلك من الواجبات الشرعية، وامتدادا للدعوة إلى دين الله، وتعبدا لله بتعليم الناس الخير، وهذا ما جعل التعليم المجاني من خصائص الإسلام في القرون الأولى، وربما استمر الحال هكذا حتى وقتنا الحاضر.

أما من قالوا بجواز أخذ الأجرة ففيه تحقيق مصلحة الكفاف خاصة لمن تخصص في نشر العلم وتعليم الناس سنة نبيهم ﷺ، واستمرار نقلها عن طريق الرواية.

وحاصل القول أن الراوي إن تلبس بأحد هذه الأمور السالفة الذكر سقطت عدالته وردت روايته- حسب التفصيل السابق-، وفي هذا دليل على دقة منهج المحدثين وصرامته، والتزامهم أعلى معايير الدقة في حكمهم على الرواة بالعدالة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل تحقق العدالة في الراوي تجعله لا يخطئ ولا يذنب ولا يلابس المعصية مطلقا؟ وبمعنى أدق هل الراوي العدل معصوم ؟ أم أن العصمة أمر آخر غير العدالة ؟ وإذا كانت العدالة محل بحث في كل شخص تصدّر للرواية أو الشهادة فهل العصمة أمر يمكن تحققه في أي شخص ؟ أم أنها خاصة بأناس معيّنين؟ الجواب عن هذه الأسئلة يقودنا للتعرف على حقيقة العصمة وهي موضوع بحث المطلب الآتي.

المطلب الرابع: حقيقة العصمة:

الفرع الأول: العصمة لغة:

قال ابن فارس:" عصم أصل واحد صحيح، يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك:

العِصْمة: أن يعصم اللهُ تعالى عَبْدَه من سوءٍ يقع فيه، واعتصم العبدُ بالله تعالى: إذا امتنع.

واستَعْصَم: التجأ، وتقول العربُ: أعْصَمتُ فلاناً، أي هيّأتُ له شيئاً يعتصم بما نالته يدُه أي يلتجئ ويتمسَّك به"[1].

[1] معجم مقاييس اللغة، 331/4.

وقد استعملت لفظة (العصمة) في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، ومعناها واحد وهو الإمساك والمنع.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:103]، أي تعلقوا بأسباب الله جميعا، وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله[1].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [يوسف:32]، عن ابن عباس، قوله: (فاستعصم): فامتنع[2].

وتطلق العصمة ويراد بها منع الله تعالى عباده وحفظهم وحمايتهم من الخطإ والعصيان، وتطلق ويراد بها الشيء الذي يمتلك خاصية الحماية والوقاية من الوقوع في المكروه، ولهذا أطلق هذا المصطلح على قمم الجبال[3]، ومن ذلك قوله تعالى –حكاية عن ابن النبي نوح عليه السلام:﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: 43]

وبهذا يتبين أن المقصود من لفظ العصمة لغة هو: الحفظ، والوقاية، والمنع، والحماية، والإمساك[4].

الفرع الثاني: العصمة اصطلاحا:

العصمة اصطلاحا: لطف من الله يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء [5].

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن، 70/7.

[2] المصدر نفسه، 86/16.

[3] ينظر: المعجم الوسيط، 605/2، والمصباح المنير، 414/2.

[4] ينظر: لسان العرب، 403/12، ومختار الصحاح، 429/1، والمصباح المنير، 414/2، والصحاح، 1986/5.

[5] ينظر: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض:أحمد شهاب الدين الخفاجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ن، 39/4، والتعريفات:علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ -1983م، 150/1، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن:الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، د.ن، 99/2، والمعجم الوسيط، 117/2.

أو هي حفظ الله تعالى لظواهر الأنبياء وبواطنهم من كل عمل منهي عنه في الصغر والكبر، قبل النبوة وبعدها، فلا يصدر عنهم ذنب ولا يرتكبون معصية[1].

الفرع الثالث:عصمة الأنبياء والرسل:

إنّ الأنبياء والرسل مع بشريتهم لهم خاصية الاتصال بالوحي، وهذه المهمة تقتضي صفات يصنعها الله على عينه فيمن يصطفيهم، كي تكون هناك مناسبة بين هذه الصفات وهذه المكانة والمهام الخاصة الموكولة إليهم، لذلك كانت عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله ضرورة من ضرورات صدقهم والثقة في هذا البلاغ الإلهي الذي اختيروا له ليقوموا به بين الناس، وبداهة العقل فضلا عن النقل تحكم بأن مرسل الرسالة إذا لم يتخير الرسول الذي يضفي على رسالته الصدق كان عابثا، وهو ما يستحيل على الله الذي يصطفي من الناس رسلا تؤهلهم العصمة لإضفاء الصدق على البلاغ الإلهي، والحجة على الناس بصدق هذا الذي يبلغونه[2].

قال ابن تيمية رحمه الله:" فإنّ أهل السنة متفقون على أنّ الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرسالة"[3]

قَالَ السُّبْكِيّ فِي تَفْسِيره:" أَجمعت الْأمة على عصمَة الْأَنْبِيَاء فِيمَا يتَعَلَّق بالتبليغ وَفِي غير ذَلِك من الْكَبَائِر وَمن الصَّغَائِر الرذيلة الَّتِي تحط مرتبتهم وَمن المداومة على الصَّغَائِر هَذِه الْأَرْبَعَة مجمع عَلَيْهَا"[4]

إذن فالعصمة من مستلزمات النبوة وتبليغ رسالات الله ولا علاقة لها بمفهوم العدالة، والعدالة لا تعني العصمة بل تخالفها، ولهذا قال ابن الوزير:" والعصمة مرتفعة عن العدول" [5]، كما أن شروط تحقق

---

[1] شرح جوهرة التوحيد: إبراهيم بن محمد البجوري، إبراهيم اللقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م، ص121.

[2] ينظر: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين: مجموعة من المؤلفين، إشراف: محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مطابع الأهرام، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1427هـ-2006م، ص315-316.

[3] منهاج السنة النبوية، 470/1.

[4] محتوى المطلب يتضمن الرد على شبهتين حول مفهوم عدالة الصحابة:

الأولى: دعوى أن القول بعدالة الصحابة يقصد به القول بعصمتهم.

والأخرى: دعوى أن انتفاء العصمة عن الصحابة يسقط العدالة عنهم.

[5] الروض الباسم، 162/1.

العدالة في الراوي –الإسلام، والبلوغ، والعقل، والسلامة من أسباب الفسق، وخوارم المروءة ليس من بينها العصمة، فلا يشترط أن يكون العدل معصوما، ولا تعني عدالة الراوي أنه معصوم.

المطلب الخامس: معنى عدالة الصحابة ﷺعند العلماء[1]:

لقد وضع المحدثون لقبول الحديث شروطا دقيقة تتعلق بالراوي والمروي، وما يهمني هنا التطرق لأحد الشروط التي ينبغي توفرها في الراوي وهي العدالة، والعدالة كما تقدم من كلامهم هي تجنب كبائر الذنوب وتوقي المعاصي التي من أخطرها الكذب، ولكن البحث عن عدالة الراوي مسّ جميع طبقات الرواة عدا طبقة الصحابة التي أجمع المحدثون على أنه لا يُبحث فيها ولا يُسأل عنها، ووافقهم في ذلك الفقهاء والأصوليون من أهل السنة، ذلك أن عدالتهم مقطوع بها بنص القرآن الكريم والسنة الصحيحة، قال الخطيب:"...كُلُّ حَدِيثٍ اتَّصَلَ إِسْنَادُهُ بَيْنَ مَنْ رَوَاهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ، لَمْ يَلْزَمِ الْعَمَلُ بِهِ إِلَّا بَعْدَ ثُبُوتِ عَدَالَةِ رِجَالِهِ، وَيَجِبُ النَّظَرُ فِي أَحْوَالِهِمْ، سِوَى الصَّحَابِيِّ الَّذِي رَفَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّ عَدَالَةَ الصَّحَابَةِ ثَابِتَةٌ مَعْلُومَةٌ بِتَعْدِيلِ اللَّهِ لَهُمْ وَإِخْبَارِهِ عَنْ طَهَارَتِهِمْ، وَاخْتِيَارِهِ لَهُمْ فِي نَصِّ الْقُرْآنِ...

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى تَتَّسِعُ، وَكُلُّهَا مُطَابِقَةٌ لِمَا وَرَدَ فِي نَصِّ الْقُرْآنِ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ يَقْتَضِي طَهَارَةَ الصَّحَابَةِ، وَالْقَطْعَ عَلَى تَعْدِيلِهِمْ وَنَزَاهَتِهِمْ، فَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ تَعْدِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمُ الْمُطَّلِعِ عَلَى بَوَاطِنِهِمْ إِلَى تَعْدِيلِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ لَهُمْ، عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا أَنْ يَثْبُتَ عَلَى أَحَدِهِمْ ارْتِكَابُ مَا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا قَصْدَ الْمَعْصِيَةِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ بَابِ التَّأْوِيلِ، فَيُحْكَمُ بِسُقُوطِ عَدَالَتِهِ، وَقَدْ بَرَّأَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، وَرَفَعَ أَقْدَارَهُمْ عَنْهُ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرِدْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ فِيهِمْ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ لَأَوْجَبَتِ الْحَالُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، مِنَ الْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ، وَالنُّصْرَةِ، وَبَذْلِ الْمُهَجِ وَالْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْآبَاءِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْمُنَاصَحَةِ فِي الدِّينِ، وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ الْقَطْعَ عَلَى عَدَالَتِهِمْ وَالِاعْتِقَادَ لِنَزَاهَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُعَدَّلِينَ وَالْمُزَكَّيْنَ الَّذِينَ يَجِيؤُنَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدَ الْآبِدِينَ، هَذَا مَذْهَبُ كَافَّةِ الْعُلَمَاءِ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ "[2]

لكن لم يثبت عن أحد من العلماء أنه قال بأنّ عدالة الصحابة تعني عدم صدور أي معصية

---

[1] الخصائص الكبرى: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ن، 449/2.

[2] الكفاية، ص46-48.

منهم وأنهم معصومون من الزلل، وأنّ الخطأ منهم غير وارد –وقد تقدم أن العصمة تعني عدم الوقوع في المعاصي–، فالصحابة بشر يعتريهم ما يعتري النفس البشرية من قوة وضعف ومن صواب وخطأ، ومن سهو وغلط، وواقع حالهم وتاريخهم الذي نقله المحدثون القائلون بعدالتهم شاهد بوقوع بعضهم في زلات وأخطاء تؤكد بشريتهم، وتنفي القول بعصمتهم، لكن أخطاءهم و زلّاتهم كانت في مجالات الحياة المختلفة التي لا تمس بحال من الأحوال تديّنهم وأمانتهم في النقل، وقد صحح المحدثون الروايات المتعلقة بوقوع بعض الصحابة في المعاصي ورووها في مدوّناتهم، ومع ذلك حفظوا لهم مكانتهم وعرفوا لهم قدرهم ومنزلتهم، وصدّقوا القرآن الكريم والنبي ﷺ في تكريمهم، فبعضهم وقع في الذنب متأولا، وبعضهم قارف المعصية في لحظة ضعف للنفس البشرية...لكنّ الواحد منهم إذا قارف زلّة لا يلبث أن يرجع إلى الله نادما ويتوب إليه "[1]

والذي يميّز الصحابة عن غيرهم من الناس هو حفظهم الدين بكل أمانة؛ لما اتصفوا به من قوة الإيمان والتزام التقوى، فلم يثبت أنّ أحدهم كذب على النبي ﷺ في الرواية، وافترى على الله بهتانا وزورا، وهذا هو مقصود المحدثين بحكمهم بعدالة الصحابة؛ فلم يقولوا بأنهم معصومون ولم يشترطوا العصمة لإثبات عدالتهم.

وفيما يلي عرض لأقوال أهل الحديث في بيان مرادهم بعدالة الصحابة وفيه تفنيد لهذه الشبهة – القول بعصمتهم– ودحض لها من خلال بيان منهج المحدثين في تعديل الرواة:

قال ابن الأبياري رحمه الله: " وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم، واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف لبحث عن أسباب العدالة، وطلب التزكية"[2].

وقال العلائي رحمه الله: " وبهذا يتبين أنه ليس المعنى بعدالة كل واحد من الصحابة ﷺ أن العصمة له ثابتة والمعصية عليه مستحيلة. ولكن المعنى بهذا أن روايته مقبولة وقوله مصدق ولا يحتاج إلى تزكية كما يحتاج غيره إليها؛ لأن استصحاب الحال لا يفيد إلا ذلك"[3].

---

[1] تنظر قصة الصحابي ماعز ﷺ في: صحيح مسلم، كتاب الحدود، رقم1695، 1321/3، وقصة عبد الله الملقب بحمار ﷺ في صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة، ح6780، 158/8.

[2] ينظر: فتح المغيث، 101/4، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني، 188/1.

[3] تحقيق منيف الرتبة ، ص86.

وقال المناوي رحمه الله: " فليس المراد بكونهم عدولا ثبوت العصمة لهم، واستحالة المعصية عليهم، بل إنه لا يبحث عن عدالتهم"[1].

ويبين الإمام المعلمي الحكمة من كون الصحابة عدولا ثقات أمناء: بكونهم الجيل الذي به حُفظ الدين من الضياع والتحريف، فقال رحمه الله: "قد ينفر بعض الناس من لفظه «العصمة» وإنما المقصود أن الله عز وجل وفاء بما تكفل به من حفظ دينه وشريعته هيأ من الأسباب ما حفظهم به وبتوفيقه سبحانه من أن يتعمد أحد منهم الكذب على رسول الله ﷺ.

فإن قيل: فلماذا لم يحفظهم الله تعالى من الخطأ؟ قلت الخطأ إذا وقع من أحد منهم فإن الله تعالى يهيئ ما يوقف به عليه، وتبقي الثقة به قائمة في سائر الأحاديث التي حديث بها مما لم يظهر فيه خطأ، فأما تعمد الكذب فإنه إن وقع في حديث واحد لزم إهدار الأحاديث التي عند ذاك الرجل كلها، وقد تكون عنده أحاديث ليست عند غيره"[2].

وقال أيضا: "من الحكمة في اختصاص الله تعالى أصحاب رسوله بالحفظ من الكذب عليه أنه سبحانه كره أن يكونوا هدفاً لطعن من بعدهم لأنه ذريعة إلى الطعن في الإسلام جملة، وليس هناك سبب مقبول للطعن إلا أن يقال: نحن مضطرون إلى بيان أحوالهم ليعرف من لا يحتج بروايته منهم، فاقتضت الحكمة حسم هذا العذر عمّن يحاول الطعن في أحد منهم"[3].

إذن فمقصود المحدثين أن الصحابة في باب تبليغ الدين كانوا أمناء ثقات، ولم تصدر منهم أي خيانة، ولم يكن منهم أي تضييع، أو افتراء، بل كانوا في منتهى الأمانة في تبليغهم لذلك استحقوا وصفهم بالعدول، لكنّ هذا لا ينفي عنهم بشريتهم وما يعتريها من نقائص وهنات..

وهذا هو عين منهج المحدثين في تعديل الرواة من غير الصحابة، منهج بعيد عن التعنّت والتشدد، فالعدالة ليست السلامة من الذنوب مطلقا ؛ لأنه لا يمكن تحققها في نطاق الحدود البشرية.

---

[1] اليواقيت والدرر، ص513.

[2] الأنوار الكاشفة، ص273.

[3] المرجع نفسه، ص 274.

ويؤكد على هذا ابن تيمية رحمه الله فيقول: " فلا يعرف من الصحابة من كان يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ، وإن كان فيهم من له ذنوب، لكن هذا الباب مما عصمهم الله فيه"[1].

وقال أيضا: " وأصحاب النبي ﷺ ولله الحمد من أصدق الناس حديثا عنه، لا يُعرف فيهم من تعمد عليه كذبا، مع أنه كان يقع من أحدهم الهنات ما يقع، ولهم ذنوب، وليسوا معصومين، ومع هذا فقد جرب أصحاب النقد والامتحان أحاديثهم، واعتبروها بما تعتبر به الأحاديث، فلم يوجد عن أحد منهم تعمد كذبة، بخلاف القرن الثاني، فإنه كان في أهل الكوفة جماعة يتعمدون الكذب.." [2].

وقال ابن القيم رحمه الله:"قد يغلط فِي مُسَمّى الْعَدَالَة فيظن أن المرَاد بِالْعَدْلِ من لَا ذَنْب لَهُ وَلَيْسَ كَذَلِك بل هُوَ عدل مؤتمن على الدّين وَإِن كَانَ مِنْهُ مَا يَتُوب الى الله مِنْهُ فَإِن هَذَا لَا يُنَافِي الْعَدَالَة كَمَا لَا يُنَافِي الإيمان وَالْوَلَايَة"[3].

إذن "الصحابة كلهم عدول عند جمهور العلماء من المحَدِّثِينَ والفقهاء والأصوليين، ومعنى عدالتهم: أنهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله ﷺ لما اتصفوا به من قوة الإيمان والتزام التقوى والمروءة وَسُمُوِّ الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور، وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون من المعاصي أو من السهو أو الغلط فإن ذلك لم يقل به أحد من أهل العلم، ولم يخالف في عدالتهم إلاَّ شذاذ من المبتدعة وأهل الأهواء، لا يعتد بأقوالهم وآرائهم لعدم استنادها إلى برهان "[4].

قال الذهبي رحمه الله: " ثم ما كل أحد فيه بدعة أو له هفوة أو ذنوب يقدح فيه بما يوهن حديثه، ولا من شرط الثقة أن يكون معصوما من الخطايا والخطأ"[5].

---

[1] الرد على الأخنائي قاضي المالكية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ت: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ، ص117.

[2] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م، 457/2.

[3] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ن، 163/1.

[4] دفاع عن السُنَّة ورد شبه المسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1985 م، ص107.

[5] ميزان الاعتدال، 141/3.

وقال ابن الوزير رحمه الله: "ومتى سُلّم له أنّ العدالة هي: ترك جميع الذّنوب؟ فالسؤال واقع، ولكن هذا ممنوع بدليل القرآن والأثر والنّظر والنّقل.... وأما النّظر: فلأنّا إذا تركنا شهادة من هذه صفته من المسلمين، وطرحنا روايتهم وفتواهم ومصنّفاتهم، واعتبرنا في الشهادة قول بعض المتعنّتين في العدالة: إنّها الخروج من كلّ شبهة، ومحاسبة النّفس في كلّ لحظة، ونحو ذلك من التّشديدات تعطّلت المصالح والأحكام، وتضرّر جميع أهل الإسلام، واختلفت الأحوال، وضاعت الحقوق والأموال، ولم يجد المقلّد من يروي له مذهب إمامه، ولا العامّي من يفتيه، ولا الحاكم من يقيم له الشّهادة، ولا وجد صاحب الولاية من يصلح للقضاء، ولا وجد أهل عقد النّكاح من يشهد بينهم"[1].

وهذا بخلاف ماذهب إليه بعض المعاصرين الذين سخروا من المحدثين وخطّأوا منهجهم واتهموهم برفع الصحابة إلى مصاف الأنبياء وفسّروا القول بعدالتهم على أنه حكم بقداستهم وعصمتهم من الخطأ...، "[2]، ومن ذهب إلى القول بأن العصمة شرط للقول بعدالة الصحابة، وحيث أنهم غير معصومين فهذا دليل على عدم عدالتهم[3].

---

[1] الروض الباسم، ص52-53-54.

[2] ممن ذهب هذا المذهب: محمود أبو رية في " أضواء على السنة المحمدية" ص353، وعبد الجواد ياسين في " السلطة في الإسلام" ص 271، وحمادي ذويب في" جدل الأصول والواقع" ص721، ومحمد سند في " عدالة الصحابة " ص121، ومحمد عبد العظيم في " الشيعة والسنة بين التاريخ والسياسة" ص72، والباحث المغربي محمد الكوخي في مقال له على الشبكة، +www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=136978

[3] ممن ذهب هذا المذهب: محمد حمزة في كتابه: الحديث النبوي ومنزلته في الفكر الإسلامي، ص111.

خلاصة الفصل:

بعد هذا العرض التفصيلي لمفهوم عدالة الصحابة عند المحدثين، يمكن القول أن مفهوم الصحابي اختُلف فيه بين من قصره على من لقي النبي ﷺ مؤمنا به وطالت المدة، وهو رأي جملة من العلماء، ومن يرى أنه –أي الصحابي– من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ولو للحظة وهو رأي المحدثين وجمهور الأصوليين، وهذا الرأي الأخير تعرض للنقد من بعض المعاصرين بحجة كونه سببا لتضخيم عدد المرويات وكونه يشمل حتى المنافقين الذين كانوا على عهده ﷺ، وقد حاولت أن أجيب على الشبهتين بما يدفعهما.

كما بينت أن مفهوم عدالة الصحابة التي قال بها أهل السنة معناه عدم صدور الكذب منهم والخيانة في الرواية الحديثية، وليس معناه عصمتهم، فالعصمة مما خص الله به أنبياءه ورسله وهي من مقتضيات حمل أمانة الوحي، لكنّ بعض المعاصرين ادّعوا أن مقصود المحدثين وأهل السنة بالحكم بعدالة الصحابة إنما هو حكم بعصمتهم، وهذا راجع للخلط بين المفهومين، في حين ذهب البعض الآخر من المعاصرين إلى القول بأن عدم عصمة الصحابة يستلزم كونهم غير عدول، وفي بيان مفهوم العدالة والمقصود بها من طرف أئمة الحديث ما يكفي لرد هذه الفرية، والحاصل أن عدالة الصحابة معناها أمانتهم التامة في تبليغ الدين للبشرية جمعاء.

الفصل الأول:

الطرح التراثي لقضية عدالة الصحابة

ويتضمن ثمانية مباحث:

المبحث الأول: أهل السنة والجماعة وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث الثاني: الشيعة الإمامية وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث الثالث: الخوارج وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث الرابع: النواصب وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث الخامس: المعتزلة وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث السادس:الأشاعرة وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث السابع:الماتريدية وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث الثامن:الزيدية وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

إنّ قضية عدالة الصحابة قديمة حديثة، ضاربة جذورها إلى العهد النبوي حيث برزت مكانتهم في نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والمواقف النبوية، وتأكّدت فضائلهم، وترسّخ اصطفاؤهم لحمل رسالة الإسلام للبشرية جمعاء...

وما إن مات النبي ﷺ وبدأت بوادر الشقاق والانقسام في أركان الدولة الإسلامية حتى أخذت هذه الطبقة- أعني الصحابة ﷺ- حيّزا كبيرا في الفكر الإسلامي سيما بعد ظهور الفرق وتبلور أصولها ومبادئها، حيث كان لكل فرقة موقفها الخاص من الصحابة ﷺ بما يميّزها عن غيرها من الفرق، وفي هذا الفصل عرض لأبرز هذه الفرق وبيان لمواقفها من الصحابة ﷺ بالرجوع إلى المصادر الأصيلة وأقوال رؤساء كل فرقة على حدة، والله الميسّر والهادي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: أهل السنة والجماعة وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف بأهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: موقف أهل السنة والجماعة من عدالة الصحابة ﷺ:

المطلب الأول: تعريف أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة هم الامتداد الطبيعي لدين الحق والمنهج الذي جاء به النبي ﷺ، ولما حدثت الفرقة في جماعة المسلمين وتعددت الطوائف، كلٌّ حسب قوله، عُرّفت كل فرقة بأصولها وأقوالها المخالفة لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ومن هنا جاء تعريف أهل السنة والجماعة بأنهم الطائفة التي بقيت على أصل الإسلام ولم تقل بما قال به المنحرفون عنه.

فعرّف الإمام مالك أهل السنة بقوله:" أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا قدري، ولا رافضي "[1]

يعني أنّ أهل السنة ليس لهم انتساب إلا للسنة، خلافا لمن ينتسبون للمبتدعة كالجهمية والقدرية والروافض.

وعرّفهم سفيان بن عيينة بمن استكمل بعض أصول الانتساب للسنة فقال:" السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة:إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم"[2]

---

[1] الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة ﷺ: يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ن، ص35.

[2] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة، 1423هـ - 2003م، 175/1.

ويُعرَفون بالالتزام بمصادر التلقي المعتمدة عندهم والرجوع إليها في الاعتقاد، قال ابن تيمية:"فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة"[1]

وأهل السنة هم الصحابة ومن اتبع نهجهم بإحسان، قال ابن حزم:" وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم الصحابة ﷺ وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا أو من اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم"[2]

"وإنما سمّوا أهل السنة (بهذا الاسم) لاتباعهم سنته ﷺ"[3]، ولأنه" ليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول ﷺ وأكثر تبعا لسنته من هؤلاء، ولهذا سموا أصحاب الحديث، وسموا بأهل السنة والجماعة"[4]

ولفظ السنة يشمل الاعتقادات والعبادات في كلام السلف ، يقول الألوسي رحمه الله:" السنة في الأصل تقع على ما كان عليه رسول الله ﷺ، وما سَنَّهُ أو أَمَرَ به من أصول الدين وفروعه، حتى الهَدْيَ والسمت، ثم خُصّت في بعض الإطلاقات بما كان عليه أهل السنة من إثبات الأسماء والصفات، خلافاً للجهمية المعطلة النفاة، وخُصّت بإثبات القدر ونفي الجبر خلافاً للقدرية النفاة، وللقدرية الجبرية العصاة، وتطلق أيضاً على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الإمامة والتفضيل، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وهذا من إطلاق الاسم على بعض مسمياته، لأنهم يريدون بمثل هذا الإطلاق التنبيه على أن المسمى ركن أعظم وشرط أكبر، ...أو لأنه الوصف الفارق بينهم وبين غيرهم، ولذلك سمى العلماء كتبهم في هذه الأصول كتب السنة"[5]

---

[1] مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ-/1995م، 346/3.

[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، دت،، 90/2.

[3] المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: محب الدين الخطيب، د.ن ، ص189.

[4] التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد الأسفراييني، ت: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م، ص185.

[5] غاية الأماني في الرد على النبهاني: محمود شكري بن عبد الله الألوسي، ت: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م، 550/1.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ " أهل السنة والجماعة" يطلق ويراد به معنيين:

الأول: عام ويشمل جميع الطوائف والفرق إلا الرافضة.

والثاني: خاص ويراد به أهل السنة الخُلّص الذين لم يتلبّسوا بأي بدعة.

قال ابن تيمية:"لفظ " أَهْلِ السُّنَّةِ " يُرَادُ بِهِ مَنْ أَثْبَتَ خِلَافَةَ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ الطَّوَائِفِ إلَّا الرَّافِضَةَ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ الْمَحْضَةِ، فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ إلَّا مَنْ يُثْبِتُ الصِّفَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى وَيَقُولُ: إنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَيُثْبِتُ الْقَدْرَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُصُولِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ"[1].

وأما تسميتهم بالجماعة [2] فهي إشارة إلى اجتماعهم على دين الحق وعدم الافتراق فيه؛

قال الشاطبي: " الْجَمَاعَة هِيَ الصَّحَابَةُ عَلَى الْخُصُوصِ، فَإِنَّهُمُ الَّذِينَ أَقَامُوا عِمَادَ الدِّينِ وَأَرْسَوْا أَوْتَادَهُ، وَهُمُ الَّذِينَ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ أَصْلًا، وَقَدْ يُمْكِنُ فِيمَنْ سِوَاهُمْ ذَلِكَ"[3]

فالصحابة في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين، الذين أعز الله بهم الإسلام، وآزروا الرسول ﷺ ووقره ونصروه، وهم أول وأفضل جماعة في الإسلام، فإن نصوص الجماعة الواردة في السنة إنما تنصرف إليهم أولا؛ لسبقهم في الزمن والفضل؛ ثم إلى كل جماعة على السنة والحق في الإسلام؛ لأنها امتداد لهم بالحق والاهتداء"[4].

قال ابن أبي العز: "وَالْجَمَاعَة: جَمَاعَة الْمُسْلِمِينَ، وَهُمُ الصَّحَابَة وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ

---

[1] منهاج السنة النبوية، 221/2.

[2] ذكر الشاطبي رحمه الله اختلاف الناس في إطلاق الجماعة في كتابه الاعتصام على خمسة أقوال أُجملها: 1-السواد الأعظم من أهل الإسلام، 2- جماعة أئمة العلماء المجتهدين، 3-الصحابة على الخصوص، 4-جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر فهو واجب، 5- جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، ص770-774، وفي رأيي أن هذه التقسيمات كلها تصلح للاجتماع في جماعة واحدة تكون: جماعة المسلمين من الصحابة وأهل العلم ومن تبعهم على نهجهم إذا اجتمعوا على إمام وعلى مايصلح دينهم ودنياهم، والله أعلم.

[3] الاعتصام: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي بالشاطبي، ت: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م، 772/2.

[4] مفهوم الجماعة في الكتاب والسنة: ناصر بن عبد الكريم العقل، بحث مقدم لمؤتمر الجماعة والإمامة" المملكة العربية السعودية أنموذجا"، http://www.wasateach.com.

الدِّينِ، فَاتِّبَاعُهُمْ هُدًى، وَخِلَافُهُمْ ضَلَالٌ"[1]

وباجتماع الصحابة على الدين الحق وسير من بعدهم علو نهجهم يكونون هم الجماعة.

المطلب الثاني: موقف أهل السنة والجماعة من عدالة الصحابة ﷺ:

لقد تولى أهل السنة والجماعة الصحابة كلهم ﷺ، صغيرهم وكبيرهم، نساءهم ورجالهم، حضريهم وبدويهم، المهاجرين منهم والأنصار...ذلك أنهم يرون فضيلة الصحبة لا تعدلها فضيلة، ولا تبلغها رتبة مهما علت، ولا يضاهيها شرف مهما عظم، فهم الجيل الذي شاهد نبي الله ﷺ، وعاين تنزيل الوحي، وآمن، وآوى، ونصر، وصان الأمانة، وكابد المشاق حتى حُفظ الدين ووصل إلينا كما أنزله رب العالمين.

وتتجسد موالاة أهل السنة للصحابة الكرام فيما يلي:

أولا: اعترافهم بفضلهم على سائر الأجيال بعدهم، وإقرارهم بنيلهم مرتبة لا تُدرك ولا تُدانى ،

قال ابن عمر رضي الله عنهما متحدثا عن فضائل الصحابة: " لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ؛ فلمُقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره"[2].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: " فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال"[3].

وقال الإمام النووي رحمه الله: " فَإِنَّ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ لَا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ..وَذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[4].

ثانيا: سلامة ألسنتهم من الطعن فيهم والتنقص من قيمتهم، وبراءة قلوبهم من بغضهم وازدراء مكانتهم؛

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، ت: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد،د.ب، الطبعةالأولى – 1418 هـ، 374.

[2] رواه ابن ماجه في سننه،في باب فضائل الصحابة، رقم162، 112/1، وإسناده قوي، ورواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، ت: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ– 1983م، 57/1، رقم15، مكرر1736.

[3] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: اللالكائي، 175/1.

[4] المنهاج شرح صحيح مسلم، 139/3.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إِنَّ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّتِي فَارَقُوا بِهَا مَن عَدَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ أَنَّهُمْ لَا يُزْرون بِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَطْعَنُونَ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْمِلُونَ لَهُ حِقْدًا وَلَا بُغْضًا وَلَا احْتِقَارًا، فَقُلُوبُهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بَرَاءٌ، وَلَا يَقُولُونَ فِيهِمْ إِلَّا مَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[الحشر:10] "[1].

ثالثا: اتخاذهم موقفا صريحا فيمن يسب الصحابة ويطعن فيهم؛ ومن هنا جاءت أقوالهم، صريحة فى بيان حكم من ينتقصهم، باتهامهم في دينهم والتحذير منهم:

قال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ لما سئل عن رجل تنقّص معاوية، وعمرو بن العاص أيقال له رافضي؟ فقال: "إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحدٌ أحداً من الصحابة إلا وله داخلة سوء"[2] وفى رواية أخرى قال: "إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام "[3].

ويُسأل الإمام النسائي عن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – فيقول: " إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب – أي نقبه – إنما يريد دخول الدار، قال: فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة "[4].

وقال الإمام الحافظ أبو زُرْعة الرازي– رحمه الله تعالى–: " إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن، والسنن، أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة "[5].

---

[1] شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الثالثة، 1415 هـ، ص237.

[2] السنة: أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي، ت: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م، 447/2.

[3] البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي،د.ب، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م، 148/8.

[4] تهذيب الكمال مع حواشيه: يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1400هـ – 1980م، 339/1-340، عند ترجمة الإمام النسائي.

[5] الكفاية، ص49، والإصابة في تمييز الصحابة، 163/1.

وعن عبد الله بن مصعب قال: قال المهدي: ما تقول فيمن ينتقص الصحابة ؟ فقلت زنادقة، لأنهم ما استطاعوا أن يصرحوا بنقص رسول الله ﷺ فتنقصوا أصحابه، فكأنهم قالوا: كان يصحب صحابة السوء"[1].

وقال الإمام السرخسي: "الشريعة إنما بلغتنا بنقلهم فمن طعن فيهم فهو ملحد، منابذ للإسلام، دواؤه السيف إن لم يتب"[2].

رابعا: اعتبار عدالة الصحابةٌ قضية مهمة وأساسية لدرجة إدراجها ضمن كتب العقائد[3]، "وكأنهم يجعلون منها علامة فارقة بينهم وبين غيرهم"[4]، ووضعوا مؤلفات خاصة بفضائلهم[5]، وخصصوا أبوابا لتعداد مناقبهم ضمن كتب السنة، فلا نكاد نجد كتابا في السنة إلا وبه باب يضم فضائل الصحابة، كل ذلك لإثبات موقفهم الإيجابي من الصحابة، والتأكيد على مخالفتهم لغيرهم من الفرق التي تقف من الصحابة موقفا سلبيا.

قال الإمام أحمد: "ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رَسُول اللَّهِ – ﷺ كلهم أجمعين والكف عَنْ ذكر مساويهم والخلاف الذي شجر بينهم فمن سب أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل اللَّه منه صرفا ولا عدلا بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة.

وخير الأمة بعد النَّبِيّ ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف

---

[1] تاريخ بغداد: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002 م، 415/11، وتعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، ت: إكرام الله إمداد الحق، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت، 235، رقم 583،عند ترجمة عبد الله بن مصعب.

[2] أصول السرخسي، 134/2.

[3] مثل: السنة للإمام أحمد، والسنة لابن أبي عاصم، والشريعة للآجري، وغيرها.

[4] عدالة الصحابة عند المسلمين: محمود لطيف الفهداوي، ص56.

[5] مثل: فضائل الصحابة للإمام أحمد، وفضائل الصحابة للنسائي، وفضائل الصحابة للدارقطني، وفضائل الصحابة لابن منده. رحمهم الله جميعا.

قوم عَلَى عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم ولا يطعن عَلَى أحد منهم بعيب ولا بنقص فمن فعل ذلك فقد وجب عَلَى السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه ؛ بل يُعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلده الحبس حتى يموت أو يراجع"[1].

وقال أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ: " مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ فَقَدِ اسْتَنَارَ بِنُورِ اللَّهِ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَمَنْ قَالَ الْحُسْنَى فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ "[2].

وقال الإمام الطحاوي مبيّنا مذهب أبي حنيفة رحمه الله وأصحابه في الصحابة: " ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[3].

خامسا: الكفّ عن الخوض فيما شجر بين الصحابة، والترضي عن الجميع، والتماس العذر للمخطئ منهم في اجتهاده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يبيّن أصول أهل السنة:

"ويُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ. وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ. وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ. ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ

---

[1] طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، ت: محمد حامد الفقيه، دار المعرفة، بيروت، د.ن، 30/1.

[2] البداية والنهاية، 12/8.

[3] شرح العقيدة الطحاوية، 467.

مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ "[1].

المطلب الثالث: أدلة أهل السنة على عدالة الصحابة:

إنّ موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة الكرام ﷺ بإثبات عدالتهم والدفاع عنها يستند إلى أدلة صريحة وصحيحة من القرآن الكريم والسنة الثابتة والإجماع.

الفرع الأول: من القرآن الكريم:

إنّ كتاب الله عز وجل حافل بالآيات الدالة على عدالة الصحابة والمثبتة لفضائلهم الجمة، ومكانتهم الرفيعة، ولما أعده الله لهم من نعيم مقيم في الجنة، أذكر منها ما يتحقق به المراد دون الإلمام بجميعها، وأذكر أقوال أهل العلم في تفسيرها ووجه دلالتها على عدالة الصحابة ﷺ، مراعية في ذلك ترتيب الآيات في المصحف الشريف.

أولا: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143].

ووجه دلالة الآية الكريمة على عدالة الصحابة أن قوله: وسطا بمعنى عدلا؛ وذلك معنى الخيار، لأن الخيار من الناس عدولهم [2].

ويؤيده ماورد في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: "والوسط العدل" [3].

وَهَذَا اللَّفْظُ وَإِنْ كَانَ عَامًّا فَالْمُرَادُ بِهِ الْخَاصُّ، وَقِيلَ: وَهُوَ وَارِدٌ فِي الصَّحَابَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ [4].

لأنّ القرآن الكريم يخاطب بالدرجة الأولى الأمة التي نزل بين ظهرانيها، ولا شك أنه يتعدى للناس أجمعين.

ولكون الصحابة عدولا خيارا ارتضاهم الله عز وجل ليكونوا شهداء على الناس.

---

[1] شرح العقيدة الواسطية، ص249.

[2] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري ، 143/3.

[3] رواه البخاري في صحيحه:، كتاب التفسير، تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ،ح6،21/4486.

[4] الكفاية، ص46.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: 218]

تتحدث الآية الكريمة عن الذين آمنوا بالله وبرسوله ودخلوا في دين الله، واستجابوا لنداء الهجرة فتركوا جوار المشركين ومساكنتهم وبذلوا في سبيل الله الغالي والنفيس، لا مطمع لهم في ذلك إلا رضوان الله، يشهد الله لهم بصدق سرلئرهم وطيب نواياهم فأولئك حُق لهم أن يطمعوا في فضل رحمة الله وفضله.

"فإن قيل: فكيف قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾ ورحمة الله للمؤمنين مستحقة؟ ففيه جوابان:

أحدهما: أنهم لما لم يعلموا حالهم في المستقبل جاز أن يرجوا الرحمة خوفاً أن يحدث من مستقبل أمورهم مالا يستوجبونها معه.

والجواب الثاني: أنهم إنما رجوا الرحمة لأنهم لم يتيقنوها بتأدية كل ما أوجبه الله تعالى عليهم"[1].

ووجه دلالة الآية على عدالة الصحابة: شهادة الله لهم بالإيمان وبصدق النية في هجرتهم وجهادهم ورجائهم رحمة الله، ومن شهد الله له بهذا الفضل فلا يسع العاقل إلا أن يقر بعدالته، وكفى بالله شهيدا.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران:110]

ووجه دلالة الآية الكريمة على عدالة الصحابة:

أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها وأول من يدخل في هذه الخيرية هم

---

[1] تفسير الماوردي = النكت والعيون: علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الماوردي ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 275/1.

الصحابة الكرام ﷺ [1]؛ ذلك"أَنَّ الْخِطَابَ هُوَ لِمَنْ وَقَعَ الْخِطَابُ لَهُ أَوَّلًا وَهُمْ: أَصْحَابُ رسول الله ﷺ، فَالصَّحَابَةُ هُمْ خَيْرُ هذه الأمة.

قَالَ عِكْرِمَةُ وَمُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وسالم مولى أبي حذيفة، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ بَعْضُ الْيَهُودِ: دِينُنَا خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ، وَنَحْنُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ.وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُهَاجِرِينَ" [2].

قال الزجاج: هذا الخطاب أصله إنَّه خوطب به أصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر أمَّة محمد ﷺ[3]، وكون الصحابة خير الناس يقتضي كونهم أعدلهم.

رابعا: قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ** ﴾ [آل عمران: 172 – 174]

نزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ خلف المشركين بعد غزوة أحد، ذلك أنّ المشركين لما أصابوا ما أصابوا من السلمين كرّوا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا في سيرهم تندّموا لم لا تمّموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريهم أنّ بهم قوة وجلدا، فانتدب المسلمون طاعة لله عزو جر ولرسوله ﷺ، فبلغ بهم إلى «حمراء الأسد» وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحات وشدائد، فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله بذلك [4].

---

[1] ينظر: الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي االشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ- 1997م، 4/447-478.

[2] البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1420 هـ، 3/299.

[3] معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م، 1/456.

[4] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، ت: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ، 1/171.وتفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ - 1999 م، 2/165.

ووجه الدلالة على عدالة الصحابة: مدح الله لهم لاستجابتهم لرسوله ﷺ وصبرهم رغم ما ألمّ بهم من القرح، والمدح يقتضي تعديلهم وتزكيتهم ﷺ جميعا.

خامسا: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: 175]

الآية الكريمة تضمنت ثناء من الله عز وجل على الذين آمنوا بالنبي ﷺ، وعزروه، ونصروه، والصحابة أول من كان منهم ذلك ﷺ، حازوا السبق بالإيمان بالنبي ﷺ، وتعظيم شأنه، ونصرته بكل ما أمكنهم، فبذلوا النفس والنفيس في سبيل الإسلام، متبعين ممتثلين لأوامره ونواهيه، فكان حقهم من الله الفلاح والنجاح.

ووجه دلالة الآية الكريمة على عدالة الصحابة واضح وضوح الشمس؛ فمن كانت سيرته الاستجابة للدين ونصرته والذب عنه وكانت عاقبته الفلاح عند الله أفلا يكون عدلا؟

سادسا: قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 88-89]

في الآية الكريمة ثناء على الصحابة ﷺ لأنهم بذلوا المال والنفس في طلب رضوان الله تعالى والتقرب إليه، وإن تخلف المنافقون عن الغزو فقد توجه إليه من هو خير منهم وأخلص نية واعتقاداً، ولما وصفهم الله تعالى بالمسارعة إلى الجهاد ذكر ما حصل لهم من الفوائد والمنافع وهو أنواع:

أوّلها: ما ذكره تعالى بقوله سبحانه: ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ﴾ أي: منافع الدارين النصرة والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة، وقيل: الخيرات الحور العين لقوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: 70]

ثانيها: ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: الفائزون بالمطالب المتخلصون من العقاب والعتاب.

وثالثها: ما ذكره بقوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ هذا بيان ما لهم من الخيرات الأخروية [1].

ووجه الدلالة من الآية الكريمة على عدالة الصحابة: أن ثناء الله عليهم وحكمه بفلاحهم ووعدهم بالجنة ونعيمها وحسن العاقبة يستلزم كونهم عدولا.

سابعا: قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 62 – 63]

ومعنى الآية:

إن يرد يا محمد –هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء إن خفت منهم خيانة، وبمسالمتهم إن جنحوا للسلم– خداعك والمكر بك، فإن الله كافيكهم وكافيك خداعهم إياك، لأنه متكفل بإظهار دينك على الأديان، ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى، وهو الذي قواك بنصره إياك على أعدائه وبالمؤمنين ، يعني بالأنصار [2].

و التأييد من الله على قسمين: أحدهما: ما يحصل من غير واسطة أسباب معلومة معتادة. والثاني: ما يحصل بواسطة أسباب معلومة معتادة. فالأول: هو المراد من قوله أيدك بنصره، والثاني: هو المراد من قوله: ﴿ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثم إنه تعالى بين أنه كيف أيده بالمؤمنين. فقال: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [3]

---

[1] ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، د.ط، 1285 هـ، 640/1.

[2] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، 44/14.

[3] ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ، 501/15.

ووجه الاستدلال من الآية الكريمة على عدالة الصحابة: تأييد الله عزو جل لنبيه محمد ﷺ، بالتأليف بين الصحابة، وما كان الله ليؤيد نبيه ويؤازره إلا بالعدول المرضيّين.

ثامنا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: 74].

تضمَّنت الآيةُ الثناء على المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأهليهم وفروا بدينهم، والأنصار الذين "آوَوْا رسول الله ﷺ والمهاجرين معه ونصروهم، ونصروا دين الله، أثبت الله لهم الإيمان بالله ورسوله حقًّا ووعدهم بالستر على ذنوبهم، ورزق كريم في الجنة من مطعم ومشرب هنيٌّ كريم" [1]، ووجه دلالة الآية على عدالة الصحابة: أن الثناء عليهم في الدنيا ووعدهم بالجنة ونعيمها في الآخرة دليل صريح على كونهم عدولا.

تاسعا: قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: 18].

لما قيل للنبي ﷺ في غزوة الحديبية – معتمراً عام ست في ذي القعدة، قيل له: إن عثمان بن عفان قُتل – لما أرسله بالهدايا إلى البيت – ثم بايعه أصحابه بيعة الرضوان تحت شجرة الحديبية البيعة المشهورة، وكانوا وقت بيعتهم تحت الشجرة علم الله من قلوبهم الإيمان الكامل، والإخلاص التامّ الذي ينبغي، كما شهد الله لهم به، فَنَوَّه عما في قلوبهم من الإيمان والإخلاص [2].

ووجه دلالة الآية الكريمة على عدالة الصحابة:

أنّ الله تعالى صرّح برضاه عن أصحاب البيعة، ومن رضي الله تعالى لا يمكن موته على الكفر لأن العبرة بالوفاة على الإسلام فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام وأما من علم موته على الكفر والردة فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضي عنه فعلم أنهم خير الأمم وأنهم عدول أخيار

---

[1] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، 88/14.

[2] ينظر: العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ت: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، 1426هـ، 236/3.

وأن الله لا يخزيهم وأنه راض عنهم [1].

قال محمد بن عمر الحضرمي: "وجمهور المخالفين له-يقصد عليا ﷺ بعد توليه خلافة المسلمين- منهم من هو مشهود له بالجنة، وهم من كان من أهل بيعة الرضوان المحكوم لهم بالرضا الذي لا يتبدل من رب العالمين" [2].

كما أنه وصفهم بالإيمان وتحدث عن خبايا قلوبهم وضمائرهم من الصدق والإخلاص ونصرة النبي ﷺ، فكان جزاءه سبحانه وعز لهم بأن أنزل عليهم سكينة تطمئن بها قلوبهم في تلك الظروف ووعدهم فتحا قريبا، وكل هذا لا يعقل ان يكون مع قوم ليسوا عدولا.

عاشرا: قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: 29].

تصف الآية الكريمة أصحاب النبي ﷺ، مبينة ملازمتهم له، مصورة إياهم على أنهم جماعة نضج إدراكها للعقيدة، واطمأنت نفوسها لتكاليف هذا الدين، جمعوا بين الشدة على الكفار في قتالهم وإظهار العداوة لهم، ورحمتهم بالمؤمنين، والجمع بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، ووصفهم بكثرة الركوع والسجود بدليل أثر السجود على وجوههم، مما يبين كثرة عبادتهم، ابتغاء فضل الله ومرضاته، منوّها بذكرهم في التوراة والإنجيل فكان الجزاء من الله

---

[1] ينظر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، ت: عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م، 605/2. والنكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى والشيعة – رسالة تبحث في مخالفات الشيعة للقرآن: إبراهيم بن صبغة الله بن أسعد الحيدري البغدادي، ت: عبد العزيز بن صالح المحمود الشافعي، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م، ص74.

[2] الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول: محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، ت: حسنين محمد مخلوف، مطبعة المدني، مصر،د.ط، 1386 هـ، ص115.

وعدهم بالمغفرة والأجر العظيم [1]، ومن كانت هذه حاله فهو العدل المستقيم.

ولا يفوتني أن أذكر أنّ (من) في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [المائدة: 9] ليست تبعيضية، أي أنّ الجزاء المذكور ليس خاصا ببعض الصحابة دون البعض الآخر، ولكنها عامة مُجَنِّسَةٌ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: 30]، لَا يَقْصِدُ لِلتَّبْعِيضِ لَكِنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى الْجِنْسِ، أَيْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ جِنْسِ الْأَوْثَانِ، إِذْ كَانَ الرِّجْسُ يَقَعُ مِنْ أَجْنَاسٍ شَتَّى، مِنْهَا الزِّنَى وَالرِّبَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْكَذِبِ، فَأَدْخَلَ" مِنْ" يُفِيدُ بِهَا الْجِنْسَ وَكَذَا" مِنْهُمْ"، أَيْ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ، يَعْنِي جِنْسَ الصَّحَابَةِ. وَيُقَالُ: أَنْفِقْ نَفَقَتَكَ مِنَ الدَّرَاهِمِ، أَيِ اجْعَلْ نَفَقَتَكَ هَذَا الْجِنْسَ. وَقَدْ يُخَصَّصُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِوَعْدِ الْمَغْفِرَةِ تَفْضِيلًا لَهُمْ، وَإِنْ وَعَدَ اللَّهُ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَغْفِرَةَ. وَفِي الْآيَةِ جَوَابٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّ" مِنْ" مُؤَكِّدَةٌ لِلْكَلَامِ، وَالْمَعْنَى وَعَدَهُمُ اللَّهُ كُلَّهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا. فَجَرَى مَجْرَى قَوْلِ الْعَرَبِيِّ: قَطَعْتُ مِنَ الثَّوْبِ قَمِيصًا، يُرِيدُ قَطَعْتُ الثَّوْبَ كُلَّهُ قَمِيصًا. وَ" مِنْ" لَمْ يُبَعِّضْ شَيْئًا [2].

هذا وقد تضمنت بعض الآيات عتاب للصحابة أو لبعضهم، وهي شاهدة بعدالتهم حيث غفر الله لهم ما عاتبهم فيه وتاب عليهم قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [الأنفال:67-68] وتأمل ختام العتاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ وهل بعد مغفرة الله عز وجل من شئ؟!. [3].

---

[1] ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرةالطبعة السابعة عشر، 1412 هـ، 3314/6.والتحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984 هـ، 207/26-210.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 295/16.

[3] ينظر: عدالة الصحابة رضى الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع الشبهات: عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى ت: عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، د.د، د.ط، د.ت، ص22.

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: 118]

"ومعنى تاب عليه: أي لم يؤاخذه بالذنوب سواء كان مذنبا أم لم يكنه، كقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ ﴾ [المزمل: 20].

أي فغفر لكم وتجاوز عن تقصيركم وليس هنالك ذنب ولا توبة. فمعنى التوبة على النبيء والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه أن الله لا يؤاخذهم بما قد يحسبون أنه يسبب مؤاخذة" [1].

والحاصل أنّ القرآن الكريم كله شاهد بفضل الصحابة وقاطع بعدالتهم، تنوع تعديله لهم بين ذكر فضائلهم والثناء عليهم جميعا، أو مدح طائفة منهم كالمهاجين والأنصار، أو أفراد منهم، وبين ذكر ما أعد الله لهم من نعيم في جنات الخلد، ومغفرته لهم وتوبته عليهم مما وقع منهم من ذنوب أو تقصير، وأحسب أنّ ما ذكرته من آيات كاف لبيان المقصود.

الفرع الثاني: عدالة الصحابة من السنة النبوية:

برزت مكانة الصحابة ﷺ عند النبي ﷺ من خلال سنته الفعلية والقولية بشكل يجزم بمكانتهم المرموقة، ويقطع بعدالتهم ونزاهتم، من خلال مدحهم والثناء عليهم، وذكر فضائلم، وتبشير بعضهم بالجنة، والدفاع والذب عنهم، وأنا أذكر جملة من الأحاديث الشريفة ودلالتها على عدالة الصحابة، مع الإشارة إلى ورود بعضها بخصوص أفراد من الصحابة، وورود أخرى بخصوص طبقة الصحابة عموما والتي تضم المهاجرين والأنصار والنساء والرجال.

أولا: الأحاديث الدالة على عدالة الصحابة إجمالا:

أذكر منها:

1- حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم

[1] التحرير والتنوير، 49/11.

الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه: قرنين أو ثلاثة؟..." [1].

في الحديث إثبات الخيرية لجيل الصحابة، وفضلهم على من جاء بعدهم من الأجيال، وخيريتهم تعني عدالتهم ونزاهتهم، فمهما عرف التاريخ من قوم عدول لم يبلغوا عدالة الصحابة.

قال الإمام النووي: " اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه" [2].

وقال الحافظ ابن حجر: " خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي أَيْ أَهْلُ قَرْنِي وَالْقَرْنُ أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ اشْتَرَكُوا فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَقْصُودَةِ وَيُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا اجْتَمَعُوا فِي زَمَنِ نَبِيٍّ أَوْ رَئِيسٍ يَجْمَعُهُمْ عَلَى مِلَّةٍ أَوْ مَذْهَبٍ أَوْ عَمَلٍ وَيُطْلَقُ الْقَرْنُ عَلَى مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَاخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهَا... وَالْمُرَادُ بِقَرْنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحَابَةُ... وَاقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثُ أَنْ تَكُونَ الصَّحَابَةُ أَفْضَلَ مِنَ التَّابِعِينَ وَالتَّابِعُونَ أَفْضَلَ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ" [3]

وخيريتهم تقتضي عدالتهم وهم إنما صاروا خير القرون: لأنهم آمنوا حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه ونصروه وآووه وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام" [4].

2-عن أبي بكرة ﷺ أنه: "ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي

---

[1] رواه البخاري: في كتاب الشهادات، باب لايشهد على شهادة جور إذا شهد ح 265، 172/3.وباب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ح3651، 5/2.ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم،رقم214، ح2533، 1963/4.

[2] شرح صحيح مسلم84/16.

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، د.ط،1379هـ، 7/ص5-7.

[4] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: يوسف بن عبد البر، 251/20.

بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ" [1].

قال ابن حبان رحمه الله: "ففي هذا الحديث أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح، ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل، لاستثنى في قوله ﷺوقال: "ألا ليبلغ فلان منكم الغائب" فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ لمن بعدهم، دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفاً " [2].

وحفظ الدين وتبليغه للناس أجمعين يحتم وجود من يقدر على حمل الأمانة، وما كان ﷺ ليوكل أمر بلاغ الدين الذي جاء به لقوم ليسوا عدولا ولسيوا أمناء.

3-وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: " لا تَسُبُّوا أصحابي. فلو أن أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً، ما بلغ مُدَّ أَحَدِهِم، ولا نَصِيفَهُ" [3].

قال ابن تيمية رحمه الله: "...وكذلك قال الإمام أحمد وغيره: كل من صحب النبي ﷺ سنة أو شهرا أو يوما أو رآه مؤمنا به فهو من أصحابه له من الصحبة بقدر ذلك.

فإن قيل: فلمَ نهى خالدا عن أن يُسبَّ أصحابه إذا كان من أصحابه أيضا؟ وقال: "لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه".

قلنا: لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه هم من السابقين الأولين الذين صحبوه في وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا وهو أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل، نهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله ومن لم يصحبه قط

---

[1] رواه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: " رب مبلغ أوعى من سامع"، ح67، 24/1.
ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، رقم221، ح1679، 1305/3.

[2] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م، 162/1.

[3] رواه البخاري، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذا خليلا"، ح3637، 8/7.ومسلم في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم،رقم221، ح2540، 1967/4.

نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد" [1].

وقال ابن القيم رحمه الله: " هذا خطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفرقون دينهم بل يموتون على الإسلام وإنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها، بل يوفقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم لأنه قد تحقق ذلك فيهم وأنهم مغفور لهم، ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقا بالمغفرة، فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد، وهذا محال" [2].

4- عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ" [3].

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رحمه اللَّهُ تعالىُ: يشبِهُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ النُّجُومَ عَلَامَةً لبقاء الْفَنَاءُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهَا وَجَعَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الْمُصْطَفَى أَمَنَةَ أَصْحَابِهِ مِنْ وقُوعِ الْفِتَنِ فَلَمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِلَى جَنَّتِهِ أَتَى أَصْحَابَهُ الْفِتَنُ الَّتِي أُوعِدُوا وَجَعَلَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ أَمَنَةَ أُمَّتِهِ مِنْ ظُهُورِ الْجَوْرِ فِيهَا فَإِذَا مَضَى أَصْحَابُهُ أَتَاهُمْ مَا يُوعَدُونَ مِنَ ظهور غير الحق من الجور والأباطيل" [4].

وقال النووي رحمه الله: " ومعنى الحديث: أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم، وتناثرت في القيامة، وهنت السماء، فانفطرت وانشقت وذهبت ، وقوله ﷺ: "أنا أمَنَة

---

[1] الصارم المسلول على شاتم الرسول: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، ص576.

[2] الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ن، ص25.

[3] رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، رقم207، ح2531، 1961/4.

[4] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، 235/16.

لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي مايوعدون"، أي: من الفتن والحروب وارتداد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً وقد وقع كل ذلك.

وقوله ﷺ: "وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي مايوعدون"، معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك" [1].

فكما أن الرسول ﷺ أمان لصحبه الكرام، هم أيضا أمان لهذه الأمة ما بقوا وما بقي نهجهم، ولولا مكانتهم وعدالتهم ما كانوا ليصيبوا هذه المنزلة الفاضلة.

5-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَ قَالَ: "لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا، أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنْصَارِ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ"، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي، آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ، أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى"[2].

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: " أَرَادَ بِهَذَا الْكَلَامِ تَأَلُّفَ الْأَنْصَارِ وَاسْتِطَابَةَ نُفُوسِهِمْ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ حَتَّى رَضِيَ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْهُمْ"[3].

فلولا معاينته ﷺ لما كان عليه الأنصار من إيمان وجهاد ونصرة للدين ما كان يرضى لنفسه وهو رسول رب العالمين أن يختار المقام بينهم، وما كان ليثني عليهم بهذا الثناء البالغ، ومن كانت حاله هكذا لا بدّ أن يكون عدلا.

ثانيا: الأحاديث الدالة على عدالة بعض الصحابة بأعيانهم:

أذكر منها:

1-عن عَمْرو بْن العَاصِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، قال:فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: " أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: "أَبُوهَا"، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ

---

[1] شرح صحيح مسلم83/16.

[2] رواه البخاري، في مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ: " لولا الهجرة لكنت من الأنصار"، ح3779، 31/5.

[3] فتح الباري لابن حجر، 51/8.

عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ" فَعَدَّ رِجَالًا"[1].

وأي فضيلة وأي منقبة تعادل حبّ النبي ﷺ؟ بل وتفضيله ﷺ على سائر الصحابة، وهذا أبلغ ما يدلّ على عدالته.

2-عن أنس ﷺ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: "اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ"[2]

3-عن أبي موسى ﷺ أنّ النبي ﷺ دخل حائطا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: "ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ"، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ:"ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ"، فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: " ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ"[3]

وليس بعد البشرى بالجنة من شك في العدالة والاستقامة والثبات عليها حتى الممات.

4-عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ ﷺ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ - أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ - غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ "، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ"[4].

والشهادة لعليّ ﷺ بحب الله تعالى له ورسوله ﷺ تدلّ دلالة قاطعة على عدالته ومكانته ﷺ.

فهذه جملة من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في بيان منزلة الصحابة وعدالتهم على وجه العموم، وعلى وجه الخصوص لبعض الأفراد.

---

[1] رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ:لوكنت متخذا خليلا، ح3662، 5/5، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ رقم8، ح 2384، 1856/4.

[2] رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ:لوكنت متخذا خليلا، ح3675، 9/5، وفي باب مناقب عمر بن الخطاب، ح3686، 11/5.

[3] رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان، ح3695، 13/5.

[4] رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في لواء النبي ﷺ، ح 2976، 54/4، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم35، ح 2407، 1870/4.

قال ابن تيمية رحمه الله بعد ذكر طائفة منها: "وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة والثناء عليهم وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون، فالقدح فيهم قدح في القرآن والسنة"[1].

ولهذا نجد أهل السنة والجماعة مجمعون على القول بعدالة الصحابة، وهو موضوع المطلب الموالي:

الفرع الثالث: عدالة الصحابة من الإجماع:

أجمع علماء الأمة الذين يعتدّ بإجماعهم على تعديل الصحابة وتزكيتهم امتثالا وتصديقا وتسليما لما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة، وصرحوا به في كتبهم ومؤلفاتهم على اختلاف العلوم والفنون التي برزوا فيها، وأنا أذكر جملة من أقوالهم في إثبات الإجماع على القطع بعدالة الصحابة الكرام، والحكم بنزاهتهم، وتسفيه من يقول بعكس ذلك ممن لا يعتد بقوله[2].

1-علماء أصول الفقه: وإليهم المنتهى في معرفة الإجماع وعليهم المعول في إثباته، منهم:

-الإمام أبو المعالي الجويني ؛ قال رحمه الله: " فإن الأمة مجمعة على أنه لا يسوغ الامتناع عن تعديل جميع أصحاب رسول الله ﷺ... ولعل السبب الذي أتاح الله الإجماع لأجله أن الصحابة هم نقلة الشريعة ولو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر رسول الله ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار"[3].

بين رحمه الله إجماع الأمة على كون الصحابة عدولا، وردّ سبب وقوع هذا الإجماع لكون الصحابة نقلة الشريعة، وجعل القول بخلافه سببا لانحصار الشريعة في العصر النبوي وهو عكس حقيقة الدين الصالح لكل عصر ومصر.

-الإمام الغزالي؛ قال رحمه الله: "وَالَّذِي عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَجَمَاهِيرُ الْخَلَفِ، أَنَّ عَدَالَتَهُمْ مَعْلُومَةٌ

---

[1] مجموع الفتاوى: ابن تيمية، 430/4.

[2] ينظر قولهم في: البحر المحيط، 186/6، وفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، 192/2، وإرشاد الفحول، 186/1، وتدريب الراوي، 674/2.

[3] البرهان في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ت: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م، 242/1.

بِتَعْدِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهُمْ وَثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ مُعْتَقَدُنَا فِيهِمْ إِلَّا أَنْ يَثْبُتَ بِطَرِيقٍ قَاطِعٍ ارْتِكَابُ وَاحِدٍ لِفِسْقٍ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَثْبُتُ فَلَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى التَّعْدِيلِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: 110] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: 143] وَهُوَ خِطَابٌ مَعَ الْمَوْجُودِينَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: 18] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 100] وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ وَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: ﷺ " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ " [1]؛ وَقَالَ: ﷺ «لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» [2]، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لِي أَصْحَابًا وَأَصْهَارًا وَأَنْصَارًا».

فَأَيُّ تَعْدِيلٍ أَصَحُّ مِنْ تَعْدِيلِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ – سُبْحَانَهُ – وَتَعْدِيلِ رَسُولِهِ ﷺ؟ كَيْفَ وَلَوْ لَمْ يَرِدْ الثَّنَاءُ لَكَانَ فِيمَا اشْتَهَرَ وَتَوَاتَرَ مِنْ حَالِهِمْ فِي الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ وَبَذْلِ الْمُهَجِ وَالْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْآبَاءِ وَالْأَهْلِ فِي مُوَالَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنُصْرَتِهِ كِفَايَةٌ فِي الْقَطْعِ بِعَدَالَتِهِمْ" [3].

فالغزالي رحمه الله أثبت عدالة الصحابة من خلال ما ورد من ثناء الله عليهم في القرآن الكريم، والنبي ﷺ في السنة ن وكذلك من خلال الحال التي كانوا عليها من جهاد ونصرة وتضحية، ويرى هذه الأدلة كافية للقطع بعدالتهم ﷺ.

---

[1] رواه البخاري، في كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد، ح 2652، 171/3وهومكرر رقم3651، و6429. ومسلم في باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم 212،ح2533، 1963/4.

[2] رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ:لو كنت متخذا خليلا، ح 3673، 8/5، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ رقم 222،ح 7،188/2541.

[3] المستصفى، 307/1.

2- علماء الحديث: وهم أهل الاختصاص في الرجال، وأصحاب الرأي والقول الفصل في الجرح والتعديل، وقد أجمعوا على طيّ بساط الصحابة والقول بتعديلهم، أذكر منهم:

-الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى، قال: "ونحن وإن كان الصحابة قد كُفينا البحث عن أحوالهم؛ لإجماع أهل الحق من المسلمين-وهم أهل السنة والجماعة- على أنهم كلهم عدول"[1]

-الخطيب البغدادي: عقد في كتابه الكفاية بابا في(ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة)، وقال رحمه الله تعالى: " لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن...على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه؛ لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، ووقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزهاتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء"[2]

أضاف رحمه الله إلى دلالة القرآن والسنة على عدالة الصحابة قرينة الحال التي كانوا عليها والتي تستوجب تزكيتهم وتعديله.

-وقال ابن كثير رحمه الله: " والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل" [3].

-وقال الإمام النووي رحمه الله: " اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم، وكمال عدالتهم ﷺ أجمعين".

-وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة" [4].

---

[1] الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 19/1.

[2] الكفاية، ص46-48.

[3] الباعث الحثيث، ص 176-177.

[4] الإصابة، 162/1.

3-علماء التفسير: الذين كانت لهم عناية خاصة بكتاب الله عزوجل وبمدلولات آياته، فأثبتوا للصحب الكرام ما أثبته الله لهم من تعديل وتزكية ونقلوا إجماع الامة على ذلك، أذكر منهم:

-الإمام القرطبي ؛ قال رحمه الله: " فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم. ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث. وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعليّ وطلحة والزبير وغيرهم ﷺ ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة...وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك. وذلك غير مُسقط من مرتبتهم وفضلهم، إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب"[1].

-وقال الإمام الشنقيطي -من المعاصرين- رحمه الله: " والذي عليه سلف الأمة وجمهور الخلف أن الصحابة ﷺ معلومة عدالتهم بتعديل الله تعالى وثنائه عليهم"[2].

والملاحظ على علماء السنة أنهم مجمعون وناقلون للإجماع على عدالة الصحابة ومستندهم في ذلك الكتاب والسنة وإعمالهم النظر في أحوال الصحابة وسيرهم، مزاوجين بين التسليم للنص والنظر العقلي ، مما يؤكد على عظم هذه القضية وأهميتها، فحريّ بالمسلم السير على نهجهم واقتفاء سبيلهم[3]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 16 /299.

[2] مذكرة في أصول الفقه: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، 2001 م، 148.

[3] وممن نقل الإجماع على عدالة الصحابة أيضا: الألوسي في الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، مطبعة الحميدية، بغداد، 1301 هـ ،. ص9، وابن الصلاح في علوم الحديث، ص294، وابن تيمية في مجموع الفتاوى35/54.

ومحمد بن خلفة بن عمر الأُبيّ في إكمال إكمال المعلم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ن، 6 /186.

والعلائي: صلاح الدين خليل بن كيكلدي بن عبد الله في تحقيق منيف الرتبة، 1410هـ، ص60.

و محمد بن علي الشوكاني في إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ، دار المنار، الرياض، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م، ص49، وغيرهم.

وكما تقدم في بداية المبحث بأنّ أهل السنة والجماعة هم الامتداد الطبيعي للإسلام النقي، فقد كان موقف المعاصرين منهم من الصحابة موقف المجلّ المعترف بالفضل والمكانة والمعدّل لهم، والكافّ عن الخوض فيما شجر بينهم، وعلى رأس هؤلاء العلماء الإمام الألباني والإمام ابن باز وغيرهما، وكلامهم مبثوث في كتبهم ومحاضراتهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: الشيعة الإمامية وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالشيعة الإمامية.

المطلب الثاني: موقف الشيعة الإمامية من عدالة الصحابة ﷺ.

المطلب الأول: التعريف بالشيعة الإمامية

الفرع الأول: لغة:

قال ابن فارس: الشين والياء والعين أصلان، يدلُّ أحدُهما على معاضدة ومساعفة، والآخر على بَثٍّ وإشادة...والشِّيعة: الأعوان والأنصار[1]

وشيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره، والفرقة على حدة، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وجمعه أشايع وشيع [2]

وفي الصحاح للجوهري: شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، يقال: شايعه كما يقال: والاه من: الولّي[3]

وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم أصل ذلك من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة[4]

ومما يلاحظ على هذه التعاريف أنها جميعا تدور حول معنى الاتباع والموالاة والاجتماع والمعاونة على أمر واتخاذه أصلا يربط جماعة معينة فتوالي وتعادي لأجله.

---

[1] معجم مقاييس اللغة، 235/3.

[2] القاموس المحيط، 46/3.

[3] الصحاح، 1240/3.

[4] تاج العروس من جواهر القاموس، 303/21.

الفرع الثاني: اصطلاحا:

عرفهم الإمام ابن حزم بقوله: "... ومن وافق الشيعة في أنّ عليا ﷺ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأحقّهم بالإمامة وولده من بعده، فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا" [1].

فالشيعة عند ابن حزم من اعتقد بأفضلية عليّ ﷺ وأحقيته في الخلافة من بعد النبي ﷺ، وهذا موافق لتعريف أحد علمائهم وهو شيخهم المفيد إذ يقول: " اتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة، وجعل في الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الافتراء" [2].

أما الإمام الشهرستاني فقد عرفهم بتعريف أكثر تفصيلا مبيّنا فيه بعض أصول معتقدهم فقال: " الشيعة هم الذين شايعوا عليا ﷺ على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولا، وفعلا، وعقدا، إلا في حال التقية"[3]

الفرع الثالث: جذور التشيع

ترجع الجذور الأولى للتشيع إلى الفتنة التي قام بها اليهودي الناقم على الإسلام وأهله عبد الله بن سبأ، حيث حرض على الخليفة الراشد الثالث عثمان ﷺ، وطاف بلاد المسلمين يبث أفكاره اليهودية، ويؤلب ضد خليفة المسلمين بدعوى أنه ظالم مغتصب لحق علي ﷺ، حتى وقعت الفتنة وقتل عثمان ﷺ،

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل، د ط، 90/2.

[2] أوائل المقالات في المذاهب المختارات: محمد بن محمد بن نعمان الملقب بالمفيد، مكتبة الداوري، قم، إيران، د.ن، 39.

[3] الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، د.ب ،د.ط، د.ت، 146/1.

وتفرقت جماعة المسلمين[1]، قال ابن تيمية: "...فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُسَمَّى مِنَ الشِّيعَةِ، وَلَا تُضَافُ الشِّيعَةُ إِلَى أَحَدٍ، لَا عُثْمَانَ وَلَا عَلِيٍّ وَلَا غَيْرِهِمَا، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ تَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ، فَمَالَ قَوْمٌ إِلَى عُثْمَانَ، وَمَالَ قَوْمٌ إِلَى عَلِيٍّ، وَاقْتَتَلَتِ الطَّائِفَتَانِ، وَقَتَلَ حِينَئِذٍ شِيعَةُ عُثْمَانَ شِيعَةَ عَلِيٍّ"[2].

فلم تكن كلمة شيعة وقتها تحمل مدلولا عقائديا إنما تعني الأتباع والأنصار يدل عليه ما ورد في صحيفة التحكيم، حيث جاء فيها" وإن عليا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرا وحاكما، ورضى معاويه وشيعته بعمرو بن العاص ناظرا وحاكما... فإن توفى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فلشيعته وأصحابه أن يختاروا مكانه رجلا من أهل المعدلة والصلاح على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق، وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدد في هذه القضية فلشيعته أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله... "[3].

وهذا يجعلنا نقول بأن مصطلح الشيعة حتى ذلك الوقت لم يكن يعدو معناه اللغوي، إلى أن هاجت الفتن بالمسلمين وقتل علي ﷺ، وحينها برزت الشيعة كفرقة، كما يرى بعض الباحثين "[4].

أو بعد مقتل الحسين ﷺ حين بدأ التجمع الفعلي لمن يدعون للتشيع والأخذ بثأره، وبدأت أصول التشيع تظهر وتتبلور، يقول المسعودي: "وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة في الكوفة"[5]؛

وكانت الشيعة في البداية تعني الميل إلى علي ﷺ ومناصرته ثم انتقل مدلولها نقلة أخرى تميزت بتفضيل علي ﷺ على سائر الصحابة، وحينما علم علي بذلك غضب وتوعد من يفضله على الشيخين بالتعزير، وإقامة حد الفرية عليه [6].

---

[1] ينظر: ابن سبأ حقيقة لا خيال: سعيد الهاشمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة،الطبعة الأولى، 1406هـ، ص6.

[2] منهاج السنة النبوية، 95/2.

[3] الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، ت: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960م، ص194-195.

[4] محاضرات في الميراث عند الجعفرية: ألقاها الأستاذ محمد أبو زهرة على طلبة قسم الدراسات القانونية 1955م، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية،د.ن، ص16.

[5] مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الخامسة، 1393هـ-1973م، 100/3.

[6] مختصر التحفة الاثني عشرية: شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، ت: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1373هـ، 6/1.

ثم بدأ التشيع بعد ذلك يأخذ جانب الغلو أكثر والخروج عن الحق، وأخذت الشيعة مكانها بين الفرق كفرقة لها أصولها وأسسها، وانقسمت إلى عدة طوائف، يرى أبو الحسن الأشعري أنها ثلاثة أصناف هي: الغالية والرافضة والزيدية تندرج تحتها عشرات الفرق [1]، وقسمهم الآلوسي إلى أربع فرق رئيسة هي: الشيعة المخلصون والشيعة التفضيلية والشيعة السبئية والشيعة الغلاة وتندرج تحت هذه الأصناف الفرق الأخرى"[2]

وهي عند عبد القاهر البغدادي أربع فرق: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة، ويلقب الجميع بالرافضة، وكل فرق منها تندرج تحتها فرق[3].

أما الشهرستاني فيرى أن الشيعة فرق كثيرة، ولكنه يرجعهم إلى خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية [4].

الفرع الرابع: الشيعة الاثنا عشرية:

لعله من الأنسب تعريفهم بلسان علمائهم، ومنتحلي مذهبهم،

قال المرتضى في كتاب العيون والمحاسن من كتاب المجالس للمفيد: هم القائلون بوجوب الإمامة والعصمة ووجوب النص"[5]

قال محمد جواد مغنية: "الاثنا عشرية نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشر إماما تعينهم بأسمائهم"[6]

وذهب الدكتور ناصر القفاري في دراسته عن الشيعة الإمامية الاثني عشرية إلى أنّ:

-الشيعة المعاصرة انحصرت في ثلاث فرق هي: الاثنا عشرية والإسماعيلية والزيدية.

---

[1] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، ت: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م، 1/ 5-65.

[2] مختصر التحفة الاثني عشرية، ص 3-9.

[3] الفرق بين الفرق، ص16-15.

[4] الملل والنحل، 147/1..

[5] أعيان الشيعة: محمد الأمين العاملي، مطبعة ابن زيدون، دمشق، د.ن، ص20.

[6] الإثنا عشرية وأهل البيت: محمد جواد مغنية، دار الجواد، دار التيار الجديد، بيروت، الطبعة الرابعة، 1404هـ، ص15.

-طائفة الشيعة الاثنا عشرية هي أكبر هذه الطوائف اليوم.

-لقب الشيعة يطلق على فرق الشيعة كلها، لكنه اليوم إذا أطلق انصرف إلى الاثني عشرية.

-مصادر الشيعة الاثنا عشرية في الحديث والرواية استوعبت معظم آراء الفرق الشيعية[1].

والخلاصة أنهم " جماعة من غلاة الشيعة وإنما لقبوا بهذا اللقب لأنهم يَرَون الإمامة لعلي ﷺ ولأولاده ويعتقدون أنّه لابدّ للناس من الإمام وينتظرون الإمام الذي سيخرج في آخر الزمان يملأ الأرض عدلا كما مُلئت جورا" [2]

وقد غلب على هذه الطائفة اسم الرافضة سمّوا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر [3]

أو لما حدث لمّا خَرَجَ زَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي أَوَائِلِ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَاتَّبَعَهُ الشِّيعَةُ فَسُئِلَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَتَوَلَّاهُمَا وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمَا فَرَفَضَهُ قَوْمٌ فَقَالَ: رَفَضْتُمُونِي رَفَضْتُمُونِي فَسُمُّوا الرَّافِضَةَ [4].

المطلب الثاني: موقف الشيعة الإمامية من عدالة الصحابة ﷺ:

إن تاريخ نشأة التشيع وأسبابه يقدمان لنا صورة عن مكانة الصحابة لدى الشيعة وعن موقف منتحلي هذا المذهب من عدالتهم، وبالنظر في المصادر الأصيلة والمعتمدة لدى الشيعة الإمامية [5] يمكننا القول بأنهم قسّموا الصحابة إلى قسمين:

القسم الأول:

الذين بايعوا الشيخين، ورضوا بإمامتهما، وهم أغلبية الصحابة، "وهم متفاوتون، فيهم البغاة

---

[1] أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية: ناصر بن عبد الله الغفاري، د.ن، الطبعة الثانية، 1415هـ-1994م، 1/96-99.

[2] الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، ت: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1962 م، ص344.

[3] مقالات الإسلاميين، ص16.

[4] ينظر:اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي خطيب، ت: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1/52.

[5] مثل: الكافي للكليني، ورجال الكشي، والاحتجاج للطبرسي، والأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري، وبحار الأنوار للمجلسي، وتفسير القمي، والاختصاص للمفيد، وغيرها كثير.

وفيهم المنافقون وفيهم أهل الجرائم والكبائر، وهؤلاء غير عدول ولا وزن لمروياتهم" [1].

القسم الثاني:

وهم الذين رفضوا مبايعة الشيخين وتولّوا عليّا حتى نال الخلافة بعد مقتل عثمان، " وهم الأخيار الذين قامت الدولة على أكتافهم وتحمّلوا سخرية وأذى الأكثرية، حتى ظهر أمر الله، وتمسّكوا بأمر الله، ووالوا نبيه ﷺ ووالوا من والاه، وانتقلوا إلى جوار ربهم وهم معتصمون بحبل الله، فهؤلاء عدول بالإجماع"[2].

وتقسيمهم هذا مبناه على قولهم بأن الرسول ﷺ عهد بالخلافة لعلي ﷺ لكنّ الصحابة جحدوها واغتصبوها منه، إلا قلّة قليلة ثبتت معه على الحق، يروي الطبرسي عن جعفر الصادق قوله: "كان مع رسول الله سبعون ألفا أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا العجل والسامري، وكذلك أخذ رسول الله ﷺ البيعة لعلي بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامريّ سنّة بسنّة ومثلا بمثل"[3].

وهذا الكلام معناه العهد والوصية من النبي ﷺ لعلي بالخلافة والإمامة من بعده، وانقسام الصحابة في ذلك بين من ثبت على الحق –زعموا– ورفض إمامة الشيخين فهم العدول، ومن بدل وغيّر ونكث ووقف في صفّ غاصب الحق فهؤلاء لا عدالة لهم ولاوزن لمروياهم ولا ثقة في دينهم.

وتوضح روايات شيعية أعداد وأعيان من بقي على عدالته من الصحابة، فعن محمد الباقر قال: " كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت من الثلاثة؟ قال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى، وأبَوا أن يبايعوا أبابكر حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرها فبايع، وذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران:144] [4].

---

[1] الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،د.ن، 591/1.

[2] المصدر نفسه، 592/1.

[3] الاحتجاج: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ط، 1401هـ، 66-68.

[4] اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، محمد بن الحسن الطوسي، ت: محمد حاسم الماجدي، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، د.ب، الطبعة الأولى، 1397هـ.ش2019م-1440هـ، 111/1-112.

وفي رواية أخرى يصل عدد من لم يرتد من الصحابة إلى سبعة، روى المفيد عن عبد الملك بن أعين أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام فلم يزل يسأله حتى قال: " فهلك الناس إذا، فقال: أي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون أهل المشرق والمغرب، قال: أنها فتحت على الضلال، أي والله هلكوا إلا ثلاثة نفر: سلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد، ولحقهم عمار وأبوساسان الأنصاري، وحذيفة، وأبو عمرة، فصاروا سبعة" [1].

فهذه الروايات تبين لنا موقف الإمامية من الصحابة عموما ، فما موقفهم من الخلفاء الراشدين وأفاضل الصحابة الذين كان لهم الأثر البارز والحضور القوي في دعوة الإسلام؟

يتعبد الشيعة الإمامية الله سبحانه وتعالى بلعن الخلفاء الثلاثة وجملة من الصحابة دبر كل صلاة؛ وعقد لذلك الحرّ العاملي بابًا بعنوان: "باب استحباب لعن أعداء الدّين عقيب الصّلاة بأسمائهم"، وذكر فيه ما روى الكليني عن ابن ثوير والسّراج قالا: سمعنا أبا عبد الله ﷺ وهو يلعن في دبر كلّ مكتوبة أربعة من الرّجال وأربعًا من النّساء، فلانًا وفلانًا وفلانًا (الخلفاء الثّلاثة) ويسمّيهم ومعاوية، وفلانة وفلانة (عائشة، وحفصة رضي الله عنهما) وهندًا وأمّ الحكم أخت معاوية [2].

وفي كتابهم الإيضاح للفضل بن شاذان الأزدي وهو خاص بردّ جميع من أخذوا منهم الحديث: "كلهم ملعونون مردود رواياتهم، فأبو هريرة أكذب الأحياء على رسول الله ﷺ، وأبو موسى الأشعري منافق، وعمرو بن العاص وأبو الحكم ملعونون من قبل النبي ﷺ، قال علي بن أبي طالب: معاوية فرعون هذه الأمة وعمرو بن العاص هامانها" [3].

وتحدثوا عن مؤامرة لقتل علي ﷺ بواسطة خالد بن الوليد ﷺ، إلا أن أبا بكر ندم في آخر لحظة

---

[1] الاختصاص: محمد بن محمد بن النعمان المفيد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ط، 1402هـ، ص63.

[2] وسائل الشّيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي، ت: عبد الرحمن الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، 1403هـ، 1037/4.

[3] الإيضاح: الفضل بن شاذان الأزدي، ت: جلال الدين الحسيني، مؤسسة انتشارات وجاب وانشكاه طهران، د.ط، 1363هـ، ص69.

(2) منهاج الكرامة: حسن بن يوسف بن المطهر الحلي، ت: محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، القاهرة، د.ط، 1382هـ-1962م، ص 114 وإحقاق الحق وإزهاق الباطل: نور الله الحسيني المرعشي، تعليق: شهاب الدين النجفي، المطبعة الإسلامية، طهران، د.ن ، ص 266. وعقائد الإمامية الاثني عشرية: الموسوي الزنجاني النجفي، مؤسسة الوقاء، بيروت، د.ن، 61/3.

ونهاه عن إتمام ما أمر به [1].

أما عن الصحابيات فقد كفّر الإمامية أمّهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ، ولم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم.. "[2].

وكان لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الحظ الأكبر والنصيب الأوفر من طعونهم؛ فلقبوها في كتبهم بـ(أم الشرور) [3]، وبـ(الشيطانة) [4].

وزعموا أنها كانت تكذب على رسول الله ﷺ [5]، وأنها أحدثت بعده وتظاهرت بالندم تظاهر الفاشلين في أهدافهم [6].

وهذا الموقف من الإمامية هو عينه موقف المعاصرين؛ يقول إمامهم الخميني ــوهو من متأخريهمــ: " إنّنا ههنا لا شأن لنا بالشيخين، وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حلّلاه وحرّماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي ﷺ، وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين" [7].

فالصحابيان الجليلان أبو بكر وعمر عند الخميني خالفا القرآن وتلاعبا بالحلال والحرام ومارسا الظلم بحق آل البيت ويجهلان أحكام الإسلام !!!

ولهذا خصص لهما فصلين وعنونهما بـ(مخالفة أبي بكر لنصوص القرآن) و(مخالفة عمر لكتاب الله)[8].

---

(1) كتاب سليم بن قيس سليم بن قيس الهلالي الكوفي، ت: محمد باقر الأنصاري، طبعة نكارش، إيران، الطبعة الأولى، 1422هـ، ص165.

(2) ينظر: أصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، 1388هـ، 300/1، و رجال الكشي: محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، العراق، د.ن، ص57-60، و بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي، إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ، 90/53.

(3) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: محمد علي بن يونس العملي النباطي، ت: محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، مطبعة الحيدرية، إيران، د.ن، 161/3.

(4) المصدر نفسه، 135/3.

(5) الخصال للصدوق: ابن بابويه القمي، تصحيح: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، د.ط، 1389هـ، 190/1.

(6) كتاب سليم بن قيس، ص39.

(7) كشف الأسرار: روح الله الخميني، تعليق: محمد الخطيب، دار عمار، عمان، الطبعة الثالثة، 1987م، ص131.

(8) المرجع نفسه، ص126-127، ص131.

وقال في موضع آخر عن عمر ﷺ: " كلمات عمر بن الخطاب نابعة من أعمال الكفر والزندقة، والمخالفة للآيات" [1].

وقد اعتمد الإمامية في إثبات ماذهبوا إليه من طعون في الصحابة وإلصاق أبشع التّهم بهم على تأويلات بعيدة وتفسيرات شاذة لآيات من القرآن الكريم.

أولا: تأويل آيات القرآن وتفسيرهاحسب ما يعتقدونه مما يوافق دعوتهم، وذلك أنهم:

- أوّلوا الآيات التي وردت في مدح الصحابة والثناء عليهم وبيان فضلهم وعدالتهم بأنها إنما وردت في الفئة القليلة التي ثبتت على الدين ولم ترتد ولم تبدل. من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: 2-4].

قالوا إنها نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأبي ذر، وسلمان، والمقداد[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:172].

قالوا: إنها نزلت في أمير المؤمنين علي، وأن رسول الله ﷺ بعثه في عشر ممن استجابوا لله ولرسوله[3].

وبالمقابل عمدوا إلى آيات ونزلوا ما جاء فيها على الصحابة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: 144].

---

[1] المرجع نفسه، ص137- 176.

[2] تفسيرالقمي: علي بن إبراهيم القمي، تصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الثانية، بيروت،د.ط، 1387هـ، 255/1.

[3] تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السلمي، ت: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية، طهران، د.ن، 206/1.

يقول محمد رضا المظفر أن المعنى الذي جاءت به الآية هو ماحصل في السقيفة بعد وفاة النبي ﷺ[1].

-كما أنهم عمدوا إلى الآيات التي نزلت في حقّ الكفار وبيان حالهم في الدنيا ومآلهم في الآخرة، فأسقطوها على جميع الصحابة باستثناء المجموعة القليلة التي استثوها، وكذلك آيات النفاق قالوا أنها نزلت لبيان حال الصحابة الذين يحيطون بالنبي ﷺ مظهرين الإيمان مبطنين النفاق والشقاق.

فعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل: 83]، قال: لما نزلت: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: 55].

اجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجد المدينة، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنا فإن هذا ذل حين يسلط علينا ابن أبي طالب، فقالوا: قد علمنا أن محمدا صادق فيما يقول، ولكنا نتولاه، ولا نطيع عليا فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية:: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، يعرفون: يعني ولاية علي بن أبي طالب، وأكثرهم الكافرون بالولاية[2]

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾ [النساء: 137].

قال أبو عبد الله الصادق: "نزلت في فلان وفلان آمنوا بالنبي ﷺ في اول أمره وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبي ﷺ: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، ثم كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفرا بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء"[3]

---

[1] السقيفة: محمد رضا المظفر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ب، الطبعة الرابعة، 1973م، ص 24.

[2] أصول الكافي، 427/1.

[3] المصدر نفسه، 420/1.

ويكفي لرد هذه الفرية أن صاحبها كتب الآية محرفة كالآتي: "إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم"؟؟؟

ثانيا: وكما أنهم عمدوا إلى الآيات فحرّفوا معانيها لم تسلم منهم سنة النبي ﷺ، إذ وضعوا أحاديث مكذوبة للحط من نقلة سنته ﷺ، وتتّهمهم بأنهم أهل معصية مصيرهم الخلود في جهنم فكيف يؤخذ عنهم الدين وكيف تقبل رواياتهم؟

من ذلك ما نسبوه للرسول ﷺ من حديث يثبت أن العشرة المبشرين بالجنة كلهم في النار سوى علي عليه السلام، يروي الطبرسي أنه: " لما التقى أمير المؤمنين علي بأهل البصرة يوم الجمل، نادى الزبير: يا أبا عبد الله أخرج إلي، فخرج الزبير ومعه طلحة، فقال لهما: والله إنكما لتعلمان وأولو العلم من آل محمد وعائشة بنت أبي بكر: أن كل أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد ﷺ وقد خاب من افترى.

قالا: وكيف نكون ملعونين ونحن أصحاب بدر وأهل الجنة ؟ فقال: لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم، فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول: " عشرة من قريش في الجنة" وذكر أسماءهم.....فقال علي: والله إن بعض من سميته لفي تابوت في شعب جب في أسفل درك من جهنم، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنم رفع تلك الصخرة، سمعت ذلك من رسول الله ﷺ"[1].

ومن الأحاديث الصحيحة التي يرويها أهل السنة والتي جعلها الشيعة مستندا ودليلا للقول بردّة الصحابة ﷺ وكفرهم: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:قام فينا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ: " إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا:﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء: 104]، وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ:﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: 117-118] قَالَ: فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ

[1] الاحتجاج، 237/1.

عَلَى أَعْقَابِهِمْ "[1].

فهذا الحديث من أشهر ما تمسك به الشيعة واستغلوه لاتهام الصحابة بالكفر والردة وتبدّل الحال بعد وفاة النبي ﷺ [2]

وملخّص ما أخذوه من الحديث وما أثاروه من شبهات:

-أنّ النبي ﷺ يخبر أنّ أصحابه سوف يرتدون بعده ويبدلون، وسوف يذادون عن حوضه ويطردون[3].

-أنّ الخطاب موجّه إلى الصحابة الذين سمعوا الحديث بالذات؛ لأنه خاطبهم بكاف الخطاب[4].

-المخاطبون هم خاصة الصحابة، لأنه قال:أعرفهم ويعرفوني[5].

-المرتدون هم الكثرة والأغلبية من الصحابة، وليسوا قلة، لأن التعبير جاء بلفظ أقوام، وأخبر أنه لا يخلص منهم إلا كمثل همل النعم.

قبل الكلام والرد على هذه الشبهة أقول بأن النصوص الصريحة والصحيحة من القرآن والسنة جاءت لتؤكد عدالة الصحابة وتزكيهم وتثبت لهم الخيرية وتشهد لهم بالجنة والرضوان، بل وجد من أعيان الصحابة من شهد له النبي ﷺ بالجنة، والمجتمع النبوي لا شك أنه كان فيه زمرة من المنافقين الشاكين، والتاريخ شهد بارتدادهم بعد وفاة النبي ﷺ، وكان من أبي بكر وبقية الصحابة ﷺ أن قاتلوهم فيما يعرف بحروب الردة، لكن هل كان ممن ارتد صحابة عُرفوا بالصحبة الخاصة للنبي ﷺ وحمل أمانة تبليغ الوحي؟ أم أن المرتدّين لم يخرجوا عن زمرة المنافقين الشاكين، ومن كانت لهم صحبة بمعناها العام؟

أولا: أمّا الزعم بأن المرتدين هم خاصة الصحابة لقوله ﷺ:"أصحابي"، وقوله:"مني"،

---

[1] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب (كما بدأنا أول خلق نعيده)، ح4740، 97/6، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب فناء الدنيا، رقم58،ح2860، 2494/4.

[2] ينظر: الصراط المستقيم للبياضي العاملي، 262/1، وشرح أصول الكافي للمجلسي، 5/2.

[3] عدالة الصحابة بين الواقع والتقديس: يحيى عبد الحسن الدوخي، المجمع العلمي لأهل البيت، طهران، الطبعة الأولى، 1430هـ، ص100.

[4] عدالة الصحابة: محمد سند، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ، ص29.

[5] الصحابة في حجمهم الحقيقي: الهاشمي بن علي، مركز الأبحاث العقائدية، قم، إيران، الطبعة الثانية، 1427هـ، ص39.

وقوله:"أعرفهم ويعرفوني"، فجوابه أنه ﷺ يعرف أمته، حتى وإن لم يرهم ولم يروه [1]، فقد أخبر ﷺ أنه يعرف أمته من آثار الوضوء، فقال:" إنّ أمتي يدعون يوم القيامة غرّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل"[2]

ولأهل العلم كلام في بيان حقيقة المرتدين المبدّلين:

قال محمد بن يوسف الفربري: ذُكر عن أبي عبد الله عن قبيصة قال: " هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر"[3].

وقال ابن حجر: " أي أنه حمل قوله: " من أصحابي" أي باعتبار ما كان قبل الردة لا أنهم ماتوا على ذلك، ولا شك أن من ارتد سُلب اسم الصحبة، لأنها نسبة شريفة فلا يستحقها من ارتدّ بعد أن اتصف بها"[4]، والتعريف الاصطلاحي للصحابي يخرج المرتدّ الذي مات على ردته كما تقدم.

فابن حجر يرى أن الصحابة ماتوا على صحبتهم فليسوا معنيين بهذا الوصف.

وقيل المقصود بهم عصاة المؤمنين الذين ارتدّوا عن الاستقامة، وأصحاب الكبائر والمعاصي الذين الأعمال الصالحة بالسيئة[5].

وقيل المقصود بهم المنافقين، وقيل هم أهل البدع، فكل من أحدث في الدين وابتدع ما لم يشرعه الله فإنه يوم القيامة مطرود عن الحوض، وهذا يشمل الخوارج والروافض وسائر أهل البدع والأهواء[6].

وأما المهاجرون والأنصار فقد ثبتوا على إيمانهم، وقاتلوا المرتدين، ونشروا الإسلام في أصقاع الأرض.

ثانيا: في الحديث أن النبي ﷺ لا يَعلَم من هم الذين بدّلوا بعده إلا حين يَرِدُونَ عليه الحوض ثم يُرَدُّونَ عنه، فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلمهم، فمن الذي حددهم لكم وعيَّنهم

---

[1] بل ضللت: خالد العسقلاني، دار الأمل، القاهرة، الطبعة الثانية، 1420هـ، ص119.

[2] رواه البخاري في كتاب الطهارة، باب الغر المحجلين من آثار الوضوء، ح136، 39/1.

[3] رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب " واذكر في الكتاب مريم" ح3447، 168/4، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها وصفة أهلها، رقم58، ح2860 ، 2194/4.

[4] فتح الباري، 490/6.

[5] فتح الباري، 370/18.

[6] شرح النووي على مسلم، 137/3.

بأسمائهم؟! فهل أنتم تعلمون ما لا يعلمه رسول الله ﷺ؟! وهل أنتم أعلم من رسول الله ﷺ؟![1].

ثالثا: أمّا الزعم بأنهم أكثرية لورود لفظة"أقوام" فقد أجاب ابن قتيبة بقوله:" إِنَّهُمْ لَوْ تَدَبَّرُوا الْحَدِيثَ، وَفَهِمُوا أَلْفَاظَهُ، لَاسْتَدَلُّوا عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْقَلِيلَ.

يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: "لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ أَقْوَامٌ".

وَلَوْ كَانَ أَرَادَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا مَنْ ذُكِرُوا لَقَالَ: "لَتَرِدُنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ، ثُمَّ لَتَخْتَلِجُنَّ دُونِي".

أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ: "أَتَانِي الْيَوْمَ أَقْوَامٌ مَنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَأَقْوَامٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ"، فَإِنَّمَا يُرِيدُ قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ؟ وَلَوْ أَرَادَ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ إِلَّا نَفرا يَسِيرا قَالَ: أَتَانِي بَنُو تَمِيمٍ، وَأَتَانِي أَهْلُ الْكُوفَةِ"، وَلَمْ يَجِزْ أَنْ يَقُولَ "قَوْمٌ"؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ هُمُ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا[2].

ومما يدل على أنّ المقصودين أقلية ورود ألفاظ أخرى كقول النبي ﷺ: "فإذا رهط"[3] ولم يقل: فإذا أكثر أصحابي، والرهط في اللغة من ثلاثة إلى عشرة، فدلّ على أن الذين يمنعون عن الحوض قليل.

فإن قيل: إن هذا الحديث يدل على أن أكثر الصحابة يُرَدّون عن الحوض، كما في قوله ﷺ: "فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إلا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ"[4]

فالجواب ظاهر: وهو أن هؤلاء الذين يخلصون (مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ)، هم من بين تلك الزمر التي عرضت عليه ﷺ، وليسوا يخلصون من بين سائر الصحابة؛ أي: لا أراه يخلص من بين تلك الزمر التي تُردُّ عن الحوض إلا مثل همل النعم.

وتوضيح ذلك: أن الصحابة عددهم كثير جداً، وهؤلاء الصحابة يعرضون على الحوض ويشربون منه، ولكنْ هناك زمرٌ (أي: مجموعات) منها من تُرَدُّ عن الحوض؛ لأنها بدلت وغيرت، فيعفى عن

---

[1] الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام سمات وإشارات، شبهات وردود:عبد الله بن سليمان الشايع، د.ن ، الطبعة الأولى، 1428هـ، ص37.

[2] تأويل مختلف الحديث: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق، الطبعة الثانية، 1419هـ – 1999م، ص340.

[3] رواه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض، ح6585، 120/8.

[4] رواه البخاري في كتاب الرقاق،باب في الحوض، ح6587، 121/8.

مجموعة يسيرة من بين تلك المجموعات، وذلك فضل من الله سبحانه وتعالى. فأين هذا من زعم بعض الشيعة ارتداد الصحابة إلا نفراً قليلاً؟![1]

والقول في شبهة الشيعة هذه أنها لا دليل يثبتها، بل مجرّد تأويلات فاسدة وبعيدة لا تثبت أمام تفسيرات العلماء وشروحاتهم للحديث، مما يبطل فريتهم ويردها.

و مع ذلك فالشيعة يرون أنفسهم على الحق الذي لا تشوبه شائبة؛ يحبون الله ورسوله ﷺ، ويحبون أهل بيته، وأن مثلهم مثل الذهبة الحمراء كلما أوقد عليها صاحبها لم تزد إلا خيرا، أما الفرقة الثانية فهي الباطل ينتقص الحق منها شيئا يبغضون رسول الله ﷺ ويبغضون أهل بيته، مثلهم مثل الحديدة كلما أوقد عليه صاحبها لم تزدد إلا شرا [2]

والخلاصة حول موقف الشيعة الإمامية من الصحابة أنهم يجعلون مدار القبول عندهم والعدالة هو القول بالإمامة وما يتعلق بها فمن قال بها قُبل وثبتت عدالته وثقته الدينية وإلاّ فهو الساقط العدالة المردود الرواية الفاسد الديانة.

---

[1] الصحابة والمنافقون: عبد الله بن سليمان الشايع، ص38.

[2] كتاب الإيضاح، ص69-70.

المبحث الثالث: الخوارج وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول:تعريف بالخوارج وذكر نشأتهم.

المطلب الثاني: موقف الخوارج من الصحابة ﷺ.

المطلب الأول:تعريف بالخوارج وذكر نشاتهم:

الفرع الأول: الخوارج لغة:

أصلها الفعل: خرج خروجا: نقيض دخل دخولا، فهو خارج، وخَرُوج، وخَرَّاج. وقد أخرجه، وخرج به.

والشيء إذا فاق في جنسه قيل له خارجي، والخارجي: الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم [1]

والخوارج قوم من أهل الأهواء لهم مقال على حدة[2]، سُمّوا بذلك لخروجهم عن الدين أو عن الحق أو عن علي ﷺ[3].

الفرع الثاني: الخوارج اصطلاحا:

قال أبو الحسن الأشعري بأن الخوارج هم الطائفة التي خرجت على علي ﷺ، وأن خروجهم عليه كان السبب في تسميته بهذا الاسم فقال: "والسبب الذي له سُمّوا خوارج هو خروجهم على علي بن أبي طالب"[4]

---

[1] ينظر: والمحكم والمحيط الأعظم: علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م، 46/3.

[2] تهذيب اللغة للأزهري، 27/7.

[3] ينظر: لسان العرب لابن منظور، 250/2.

[4] مقالات الإسلاميين، 5/1.

وذهب ابن حزم إلى أنّ كل من نهج منهج الخوارج استحق أن يُنسب إليهم فقال: "ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وإن خالفهم في ما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون وإن خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيا"[1]

وأما الشهرستاني فقد عرف الخوارج بتعريف عام يدخل فيه كل من خرج على الإمام في أي زمن كان، فقال: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، او كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان"[2]

وعرفهم ابن حجر بقوله: "أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين"[3]

إذن فالخوارج هم أولئك الذين خرجوا على علي ﷺ بعد قبوله التحكيم بعد معركة صفين، ويدخل في جملتهم كل من خرج على إمامه في أي عصر أو مصر.

ويبين عبد القاهر البغدادي ما يجمع الخوارج بقوله: " وإنما الصواب فيما يجمع الخوارج كلها ماحكاه شيخنا أبو الحسن الأشعري رحمه الله: من تكفيرهم عليا، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن صوبهما أو صوّب أحدهما، أو رضي بالتحكيم"[4].

ويذكر أبو المظفر الإسفراييني أن الخوارج متفقون على أمرين:

أحدهما: أنهم يزعمون أن عليا وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم.

والثاني: أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنبا من أمة محمد ﷺ فهو كافر، ويكون في النار خالدا

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل، 113/2.

[2] الملل والنحل، 1 /129.

[3] فتح الباري، 283/12.

[4] الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد الأسفراييني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1977، 56/1.

مخلدا إلا النجدات منهم، فإنهم قالوا: إن الفاسق كافر على معنى أنه كفر بنعمة ربه، فيكون إطلاق هذه التسمية عند هؤلاء منهم على معنى الكفران لا على معنى الكفر، ومما يجمع جميعهم أيضا تجويزهم الخروج على الإمام الجائر "[1].

ويذكر هذه المبادئ الإمام الشهرستاني فيقول: " ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلكن ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا"[2]

و تصل المبادئ المشتركة للخوارج عند ابن حزم إلى خمسة وهي: "إنكار التحكيم، وتكفير أصحاب الكبائر، وأنهم مخلدون في النار، والقول بالخروج على أئمة الجور، والقول بجواز الإمامة في غير قريش"[3]

الفرع الثالث: نشأة الخوارج وفرقهم [4]:

لا شك أنّ فتنة مقتل عثمان ﷺ على يد بعض الناقمين عليه من أهل مصر والكوفة والبصرة، بحجة إنكار أحداث أحدثها، بتحريض من عبد الله بن سبأ االيهودي= أحدثت ثلما في وحدة الأمة، ومثلت بداية الانشقاق والفرقة والاختلاف بين صفوف المسلمين، وفي خلافة علي ﷺ، وبعد معركة صفين انشق بعض أتباعه عنه، حيث نقموا عليه قبوله التحكيم، فخالفوه واستقلوا برأيهم، وبايعوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي "[5]، فبعث إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فناظرهم ورد عليهم ما توهموه شبهة، فرجع بعضهم، واستمر بعضهم على رأيه من نكث بيعة علي ﷺ، فكانت هذه النواة الأولى لفرقة تقف مخالفة لعلي وجنده ومعاوية وجنده.

وينبغي في معرض الحديث عن نشأة الخوارج أن لا نغفل الحديث عن سلفهم الأول ذو الخويصرة

---

[1] التبصير في الدين، ص45.

[2] الملل والنحل، 115/1.

[3] الفصل في الملل والأهواء والنحل، 90/2.

[4] ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، 308/7. وتاريخ الطبري، 64/5.

[5] عبد الله بن وهب الراسبي من بني راسب قبيلة معروفة، كان أمير الخوارج بالنهروان لما قاتلهم علي ﷺ وقتل في المعركة، ذكره بعضهم في كتب الضعفاء وهو في كتاب أبي إسحاق الجوزجاني ، ينظر: لسان الميزان، 475/4، و36/5.

التميمي، الذي اعترض على النبي ﷺ وأنكر عليه حكمه وقسمته"[1].

قال عنه ابن الجوزي: أول خارجي خرج في الإسلام"[2].

وللخوارج ألقاب عديدة أقدمها لقب **القرّاء** لكثرة عبادتهم وتلاوتهم للقرآن الكريم، وفي الأثر عن أبي وائل في قصة علي رضي الله عنه معهم: "فجاءته الخوارج-ونحن ندعوهم-يومئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم"[3].

وأشهر ألقابهم **الخوارج** ولعله مأخوذ من اقتران لفظ الخروج بهم في بعض أحاديث النبي ﷺ المبينة لحالهم، كقوله ﷺ: " يخرج في هذه الأمة..." "[4] وفي لفظ: " سيخرج قوم..." [5]، ووقع التصريح باسم الخوارج في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن أبي أوفى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " الخوارج هم كلاب النار" [6]

وقد كان الصحابة يسمونهم الخوارج كما ورد في صحيح مسلم عن زيد بن وهب الجهني: أنه كان مع الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج-وذكر قصتهم-قال: فلما التقينا وعلى

---

[1] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺيَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: " دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْقَالَ: ثَدْيَيْهِ، مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْقَالَ: مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ " قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ} [التوبة: 58].

رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتأليف ولئلا ينفر الناس عنه، ح6933. 17/9.

[2] تلبيس إبليس: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2001م، ص82.

[3] رواه أحمد في مسنده،رقم 15975، 348/25، والنسائي في السنن الكبرى ، 463/6، ح11504.

[4] رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج بعد إقامة الحجة عليهم، ح9،16/6931. ومسلم في كتاب الزكاة رقم 147، ح3،112/1065.

[5] رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج بعد إقامة الحجة عليهم، ح9،16/6930 .

[6] رواه الإمام أحمد في المسند، رقم19130، 474/31.

و ابن ماجه في مقدمة سننه، 61/1، وصححه الألباني .

الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي"[1]

وروى مسلم في صحيحه عن عبيدة السلماني عن عليّ قال: " ذكر الخوارج فقال: فيهم رجل مخدج اليد... "[2].

ولقد رضي الخوارج هذا الاسم وقبلوه وقالوا إن خروجهم هو على أئمة الجور والفسق والضعف، وبالتالي فهذا هو الموقف الذي يرضاه الإسلام، وقالوا: إن الخروج على الدين مروق يسمى أصحابه المارقة، والمارقون.. أما الخروج إلى الدين فإن أصحابه هم الذين يسمون الخوارج والخارجة؛ لأن خروجهم هو إلى الجهاد في سبيل الله، والله سبحانه يقول: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ [التوبة:46] [3].

وقد وردت هذه التسمية في شعر الخوارج، من ذلك قول عيسى بن فاتك[4]:

أألفا مؤمن فيما زعمتم... ولكن الخوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة غير شك... على الفئة الكثيرة ينصرونا[5]

ومن ألقابهم **المحكمة** وسبب تسميتهم بها أنهم رفضوا تحكيم الحكمين بين علي ومعاوية وقالوا: إن الحكم إلا لله.

قال ابن كثير في كلامه عن خروج الخوارج: "وَذَلِكَ أَنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ مَرَّ عَلَى مَلَأٍ مَنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَرَأَ عليهم الكتاب فقام إليه عروة بن أدية – وهي أمه– وهو عروة بن جرير مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ وَهُوَ أَخُو أبي بلال بن مرداس بن حدير فَقَالَ: أَتُحَكِّمُونَ فِي دِينِ اللَّهِ الرِّجَالَ؟.... وَقَدْ أَخَذَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ

---

[1] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم154، ح1066، 748/2.

[2] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحريض على قتل الخوارج، رقم155، ح1066، 747/2.مكرر رقم1068، 750/2.

[3]تيارات الفكر الإسلامي: محمد عمارة، دار الشروق، د.ب، الطبعة الثانية، 1418هـ-1997م، ص14.

[4] عيسى بن فاتك الخطي، أحد بني تميم، كان مع الذين خرجوا مع أبي بلال مرداس بن أدية، وله شعر جيد، ينظر: معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995 م، 378/2.

[5]الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد،، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1417 هـ - 1997 م.

هَذَا الرَّجُلِ طَوَائِفُ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ مِنَ القرّاء وقالوا: لا حكم إِلَّا لِلَّهِ، فَسُمُّوا الْمُحَكِّمِيَّةَ"[1].

ولقبوا ب**الحرورية** لأنه بعد رجوع علي ﷺ من صفين إلى الكوفة انحاز الخوارج إلى حروراء"[2] وسمّوا حرورية لذلك[3]، وقال المبرد أنّ عليا ﷺ هو الذي سماهم بهذه التسمية لما خرجوا إلى حروراء قال ما نسميكم؟ ثم قال: أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء"[4]

وقد كانت هذه التسمية معروفة في زمن الصحابة ﷺ ففي حديث بسر بن سعيد عن عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب قالوا: "لاحكم إلا لله..."[5]

وقال الشاعر الأموي القعقاع بن عطية الباهلي، يتحدث عن قتاله إياهم:

أقـــاتلهم ولـــيس علـــى بعـــث نشـــاطا لـــيس هـــذا بالنشـــاط

أكـــر علـــى الحـــروريين مهـــري لأحملهـــم علـــى وضـــح الصـــراط"[6]

ومن ألقابهم: **أهل النهروان** نسبة إلى المكان الذي أعلنوا فيه الحرب ضد المسلمين"[7]

وفي مسند أحمد عن أَبِي كَثِيرٍ، مَوْلَى الْأَنْصَارِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ سَيِّدِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، حَيْثُ قُتِلَ أَهْلُ النَّهْرَوَانِ..."[8]

ومن ألقابهم: **الشراة**

---

(1) البداية والنهاية، 308/7.

(2) حروراء: قرية بظاهر الكوفة على بعد ميلين منها، ويقال: كان بها أول تحكيم واجتماع للخوارج حين خالفوا عليا ﷺ. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، 245/2.

(3) ينظر: مقالات الإسلاميين، ص128، والفرق بين الفرق، ص57، والتبصير في الدين، ص46.

(4) الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، 135/3.

(5) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم157،ح 1066، 748/2.

(6) أخبار الخوارج من الكامل، 186/3.

(7) ينظر: مجموع الفتاوى481/7.ونهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدّها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ﷺ، مع الخوارج مشهورة، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب فمن كان من مدنها نسب إلى مدينة ومن كان من قراها الصغار نسب إلى الكورة، وهو نهر مبتدؤه قرب تامرّا أو حلوان، وكان من أجمل نواحي بغداد وأكثرها دخلا وأحسنها منظرا وأبهاها مخبرا.ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، 325/5.

(8) مسند الإمام أحمد بن حنبل، 94/2.

سَمَّوْا أَنفسهم شُرَاةً لأَنهم أَرَادُوا أَنَّهُمْ باعُوا أَنفسهم لِلَّهِ، وَقِيلَ: سُموا بِذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ إِنَّا شَرَيْنا أَنفسنا فِي طاعةِ اللَّهِ أَي بِعْنَاهَا بِالْجَنَّةِ حِينَ فارَقْنا الأَئِمَّةَ الجائِرة، وَالْوَاحِدُ شارٍ "[1]

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة: 207].

وقد ورد ذكر هذا اللقب في أشعار الخوارج كثيرا، منها قول قائلهم:

سلام على من بايع الله شاريا ... وليس على الحزب المقيم سلام"[2]

أما خصومهم فلهم تخريج آخر لهذا الاسم يحمل معنى التنقص والذم، ذلك أنّ من معاني الفعل شري التمَادي فِي الغَيِّ والفسادِ، واسْتَشْرَى فُلانٌ فِي الشَّرِّ إِذَا لَجَّ فِيهِ، وفي الأمر وفي العدو: لجّ فيه، سُمُّوا بِذَلِكَ لأَنَّهم غَضِبُوا ولَجُّوا في خصومتهم "[3].

وقد أطلق هذا اللقب بعد ذلك على من خرج عن إمامه من ذلك ماورد أنّ "ابْنِ عُمَرَ: أنه جَمَعَ بَنِيهِ حِينَ أَشْرَى أَهلُ المدينةِ مَعَ ابنِ الزُّبَيْرِ وخَلَعُوا بَيْعَةَ يزيدَ أَي صَارُوا كالشُّراةِ فِي فِعْلِهم، وهُم الخَوارج"[4].

فصار هذا الاسم يطلق على من خرج عن إمامه وخلع طاعته سواء كان من الخوارج أم لا.

و من ألقابهم **المارقة**: لأَنهم مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُق السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"[5]

وقد ورد وصفهم بهذا في حديث النبي ﷺ حيث قال: "يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية"[6]

والجدير بالذكر أن الخوارج يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة ، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة

---

(1) تهذيب اللغة، 277/11.

(2) البيت لمعدان الإيادي، أخبار الخوارج من الكامل، 122/3.

(3) ينظر: لسان العرب، 429/14. وأساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م، 506/1.

(4) ينظر: لسان العرب، 429/14.

(5) ينظر: المصدر نفسه، 378/7.

(6) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ،ح6533، 2540/6.

من الدين كما يمرق السهم من الرمية[1].

وقد انقسم الخوارج إلى عدة فرق بلغ عددها عشرين فرقة"[2]، تجتمع كلها في أصول ترجع إلى أهم فرقها، قال الأشعري" وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة والأباضية والصفرية والنجدية. وكل الأصناف سوى الأزارقة والأباضية والنجدية، فإنما تفرعوا من الصفرية "[3]

" وأول من أحدث الخلاف بينهم نافع بن الأزرق الحنفي[4]، والذي أحدثه البراءة من القعدة، والمحنة لمن قصد عسكره، وإكفار من لم يهاجر إليه "[5]

وهذه الفرق هي:

1-**الأزارقة:** وهم اتباع نافع بن الأزرق ، ذهبوا معه إلى مكة في عهد عبد الله بن الزبير ﷺ ليقاتلوا عبد الملك بن مروان في سنة أربع وستين، ويمنعوا حرم الله، ويدافعوا عنه كما قالوا، ولم يظهر ابن الزبير ﷺ معارضة لهم، ومن ثم قاتلوا معه مسلم بن عقبة ولكن لم يبايعوه، ثم إنهم امتحنوا ابن الزبير بسؤاله عن عثمان بن عفان ﷺ، فلما تبين لهم أنه يخالفهم الرأي ويتولاه ولا يكفر الصحابة ﷺ فارقوه، وذهبوا إلى البصرة، وَلم تكن للخوارج قطّ فرقة أكثر عددا وَلَا أَشد مِنْهُم شَوْكَة، وأباح نافع قتل مخالفيه، وقتل نسائهم وأطفالهم، وكفر مرتكب الكبيرة، بالإضافة إلى اقواله في الصحابة.

وقد كثر خروجهم وحروبهم للدولة الإسلامية حتى أن المهلب بن أبي صفرة بقي في حربه لهم تسع

---

(1) ينظر: مقالات الإسلاميين، ص127.

(2) الفرق بين الفرق، ص17.

(3) مقالات الإسلاميين، ص.101

(4) نافع بن الأزرق الحروري، من رؤوس الخوارج، وإليه نسبة الأزارقة منهم، ذكره الجوزجاني في الضعفاء، خرج في آخر عهد يزيد بن معاوية، وكان يطلب العلم وله أسئلة لابن عباس؛ أخرج الطبراني بعضها في المعجم الكبير، وقد قتل سنة65هـ، ينظر: لسان الميزان، 246/8، والأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002 م، 351/7.

(5) المصدر نفسه، ص86.

عشرة سنة إلى أن فرغ من أمرهم أيام الحجاج"[1].

2-**النجدات**: وهم اتباع نجدة بن عامر الحنفي"[2]، خرج من اليمامة يريد اللحاق بالأزارقة فاستقبله طائفة ممن خالف نافعا، وأخبروه بما غلا فيه، وأنهم خالفوه وتبرأووا منه، وأمروا نجدة بالقعود وبايعوه، ثم إنهم لما كاتب عبد الملك بن مروان وأعطاه الرضا، نقموا عليه واستتابوه فأظهر التوبة فتركوا النقمة عليه، ثم ندم بعضهم فقالوا: أخطأنا وما كان لنا أن نستتيب الإمام، وما كان له أن يتوب باستتابتنا إياه، فتابوا من ذلك، وأظهروا الخطأ، وقالوا له: تب من توبتك وإلا نابذناك، فتاب من توبته، ثم اختلفوا عليه بعد ذلك وانقسموا لأمور نقموها منه"[3]، وكل ذلك مرده لجهلهم وتنطعهم في الدين.

3-الصفرية: وهم أتباع عبد الله بن الصفار"[4]، وهو ثاني الذين خالفوا ابن الزبير، وفارقوه بعد أن قاتلوا معه في مكة بسبب عدم موافقته لهم في البراءة من عثمان بن عفان، وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، لكنهم لا يرون قتال أطفال مخالفيهم ونساءهم، ولم يكفروا القعدة ومرتكبي الكبائر بل ميزوا بين الذنوب التي فيها حد كالزنا والسرقة فقالوا: لا يلحق صاحبها إلا الاسم، أما الذنوب التي ليس فيها حد مقرر فيعتبر صاحبها كافرا، وقالوا: التقية جائزة في القول دون العمل، ونقل عن بعضهم القول بجواز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية"[5].

---

(1) ينظر: الفرق بين الفرق، ص62-65، والملل والنحل، ص120، وتاريخ الطبري، 564/5-565، ودراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين"الخوارج والشيعة": أحمد محمد أحمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثامنة، 1408هـ-1998م، ص67.

(2) نجدة بن عامر الحروري، وهو ابن عمير اليمامي، من رؤوس الخوارج زائغ عن الحق، ذكره في الضعفاء للجوزجاني خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية وقدم مكة وله مقالات معروفة وأتباع انقرضوا، توفي سنة 69 هـ، ينظر: لسان الميزان، 252/8، والأعلام للزركلي، 10/8.

(3) ينظر: مقالات الإسلاميين، ص89 -92، الملل والنحل، 122-125.

(4) عبد الله بن صفار الصريمي التميمي: رئيس الصفرية، من الخوارج، نسبوا إليه، وقيل: اصفروا بِمَا نهكتهم الْعِبَادَة، توفي حوالي سنة60هـ. ينظر: الأعلام93/4، والاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، ت: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ن، 164/1.

(5) ينظر: مقالات الإسلاميين، ص101-102،و الفرق بين الفرق،ص 70-71، والملل والنحل، ص137.

4-الإباضية[1]: وهم أتباع عبد الله بن إباض"[2]، ظهر في أيام معاوية، وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان، وكان في أول أمره مع نافع بن الأزرق لكن اختلف معه وفارقه ورد عليه، ذلك أنّ نافعا كتب إِلَى عَبْد اللَّهِ بن صفار وعبد الله بن إباض ومن قبلهما مِنَ النَّاسِ يدعوهما إلى معتقده، فقرأ عَبْد اللَّهِ بن صفار الكتاب ولم يطلع أصحابه عليه، خشية أن يتفرقوا ويختلفوا، أما عَبْد اللَّهِ بن إباض: فلما قرأه أنكر مافيه، وَقَالَ: قاتله اللَّه!، أي رأي رأى! صدق نافع ابن الأزرق، لو كَانَ القوم مشركين كَانَ أصوب الناس رأيا وحكما فِيمَا يشير بِهِ، وكانت سيرته كسيره النبي ﷺ فِي المشركين، ولكنه قَدْ كذب وكذبنا فِيمَا يقول، إن القوم كفار بالنعم والأحكام، وهم برآء من الشرك، وَلا تحل لنا إلا دماؤهم، وما سوى ذَلِكَ من أموالهم فهو علينا حرام، فقال ابن صفار: برئ اللَّه مِنْكَ، فقد قصرت، وبرئ اللَّه من ابن الأزرق فقد غلا، برئ اللَّه منكما جميعا، وَقَالَ الآخر: فبرئ اللَّه مِنْكَ ومنه"[3].

وجمهور الإباضية يتولى المحكمة كلها إلا من خرج، ويزعمون أن مخالفيهم من أهل الصلاة كفار وليسوا بمشركين حلال مناكحتهم وموارثتهم حلال غنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حرام ما وراء ذلك وحرام قتلهم وسبيهم في السر إلا من دعا إلى الشرك في دار التقية ودان به، وزعموا أن الدار – يعنون دار مخالفيهم – دار توحيد إلا عسكر السلطان فإنه دار كفر يعني عندهم، وحُكي عنهم أنهم أجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم ، وحرموا الاستعراض إذا خرجوا وحرّموا دماء مخالفيهم حتى يدعوهم إلى دينهم، فبرئت الخوارج منهم على ذلك، وقالوا أن كل طاعة إيمان ودين وأن مرتكبي الكبائر موحدون وليسوا بمؤمنين"[4].

ويحاول بعض الإباضية نفي انتسابهم إلى الخوارج، وينكرون ارتباطهم بهم، ويريدون التنصل

---

(1) يقول الدكتور صابر طعيمة في ضبط همزة الإباضية: (هناك اختلاف في التلفظ بالهمزة ففي بعض البلدان مثل عمان على حد ماروى السمائلي يفتحون همزة "أباض"، أما في شمال إفريقيا فيكسرون همزة كلمة " إباض"، وعليه فتصبح النسبة إليها" الإباضية")، الإباضية عقيدة ومذهبا، ص43-44.

(2)عبد الله بن إباض التميمي الإباضي، رأس الإباضية من الخوارج ، وهم فرقة كبيرة وكان هو فيما قيل رجع عن بدعته فتبرأ أصحابه منه واستمرت نسبتهم إليه، توفي سنة 86هـ، ينظر: لسان الميزان، 418/4.

(3) ينظر: تاريخ الطبري568/5، والعقود الفضية في أصول الإباضية: سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، 1438هـ-2017م، ص132-133.

(4) مقالات الإسلاميين، ص 104-105.

منهم"[1]، إلا أن الأدلة تنهض ضدهم، فهذا إمامهم ابن إباض يقول في رسالته لعبد الملك بن مروان: "...وإني أبين لك يا عبد الملك بن مروان الذي أنكر المؤمنون على عثمان وفارقناه عليه فيما استحل من المعاصي....فلو أردنا أن نخبر بكثير من مظالم عثمان لم نحصها إلا ماشاء الله...فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا عن صنيعه، غير أنا قد أدركناه و رأينا عمله وسيرته في الناس، ولا نعلم أحدا أترك للقسمة التي قسم الله ولا لحكم حكمه الله، ولا أسفك لدم حرام منه...وكتبت إليّ تعرّض بالخوارج، وتزعم أنهم يغالون في دينهم، ويفرقون أهل الإسلام، وتزعم أنهم يتبعون غير سبيل المؤمنين، وإني أبين لك سبيلهم؛ أنهم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما أحدث من تغيير السنة وفارقوه حين عصى ربه، وهم أصحاب علي بن أبي طالب حتى حكّم عمرو بن العاص، وترك حكم الله وأنكروه عليه وفارقوه فيه، وأبوا أن يقروا الحكم لبشر دون حكم كتاب الله... أشد عداوة وأشد مفارقة، كانوا يتولون في دينهم وسنتهم رسول الله ﷺ وأبابكر وعمر بن الخطاب، ويدعون إلى سبيلهم ويرضون بسنتهم، على ذلك كانوا يخرجون، وعليه يفارقون"[2].

فهذا فيه اعتراف واضح من شيخهم ابن إباض بأن مذهبهم امتداد لمذهب رافضي التحكيم زمن الفتنة، وواضح موقفهم من الصحابة بالطعن في بعضهم.

-كما أنهم يرون الخروج على الحكام، بل إنهم يبررون الخروج ويفرقون بينه وبين الفتة، فالفتنة منهي عنها أما الخروج لرفع الظلم ورد العدوان فمشروع وواجب"[3].

والحاصل أن الإباضية فرقة من فرق الخوارج الكبرى، يتفقون معهم في أصوله وإن خالفوهم في بعضها"[4].

---

[1] ينظر العقود الفضية، ص144، والإباضية في موكب التاريخ: علي يحي معمر،، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، الطبعة الثالثة، 1429هـ، 2008م، ص24.

[2] أخذت نص الرسالة من كتاب العقود الفضية، ص133 وما بعدها.

[3] ينظر: الإباضية في موكب التاريخ، ص37.

[4] ينظر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م، ص64

المطلب الثاني:موقف الخوارج من الصحابة ﷺ:

لقد كان للخوارج مواقف من الصحابة تدور بين التولي والاعتراف بالفضل، والبراءة والتسخط، وذلك من خلال نظرتهم وتقويمهم لأحداث التاريخ وصراعاته التي جرت في بداية الخلافة الإسلامية، فكان منهم أن اعترفوا بإمامة أبي بكر وعمر وفضلهما، وأنها كانت برضى المؤمنين ورغبتهم، وقالوا بسيرهما على النهج القويم دون تبديل ولا تغيير حتى توفاهما الله على ما يرضيه ويصلح الرعية، واعترفوا بفضل الصحابة على عهدهما من المهاجرين والأنصار، وقالوا بوجوب حبهم وموالاتهم، أما عثمان وعلي فإن للخوارج موقف خاص من إمامتهما يرجع لما تأولوه من اجتهاداتهما في تقويم الصراعات التي جرت على عهديهما، قال الأشعري: "و الخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان رضوان الله عليهم في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الخوارج الحرورية كانوا أول أهل الأهواء خروجاً عن السنة والجماعة؛ مع وجود بقية الخلفاء الراشدين، وبقايا المهاجرين والأنصار، وظهور العلم والإيمان، والعدل في الأمة، وإشراق نور النبوة وسلطان الحجة، وسلطان القدرة؛ حيث أظهر الله دينه على الدين كله بالحجة والقدرة.وكان سبب خروجهم ما فعله أمير المؤمنين عثمان وعلي ومن معهما من الأنواع التي فيها تأويل؛ فلم يحتملوا ذلك، وجعلوا موارد الاجتهاد –بل الحسنات – ذنوباً، وجعلوا الذنوب كفراً، ولهذا لم يخرجوا في زمن أبي بكر وعمر؛ لانتفاء تلك التأويلات وضعفهم"[2].

فالخوارج يعترفون بفضل عثمان واستقامة أمره حتى السنوات الست الأولى من خلافته، ثم يطعنون فيه بعد ذلك ويتهمونه بأمور كثيرة مكذوبة عليه أو محرفة، ويروون الآثار في تكفيره ويستبشرون بيوم قتله "[3]؛ فيعتبرونه أول من سن الضلالة، وأحدث الأحداث، وخالف حكم الكتاب، وآثر القربى، وولى رقاب المؤمنين ولاة جور، فصار كافرا...فلما رأوا معصيته لله بزعمهم فارقوه وتبرّؤوا منه، ورأوا الجهاد في

---

[1] مقالات الإسلاميين، ص125.

[2] مجموع الفتاوى، 489/28.

[3] ينظر: الخوارج: نشأتهم، فرقهم، صفاتهم، الرد على أبرز عقائدهم: سليمان الغصن، ص228.

سبيل الله أولى، وهذا ما أجمع عليه الخوارج الأزارقة والصفرية والإباضية"[1].

وولم يلتفتوا لصحابته لرسول الله ﷺ ولا لمصاهرته له، ولم يقيموا وزنا لما كانت عليه الدولة الإسلامية من خير ورخاء إبان خلافته وتوالي الفتوحات على عهده.

وحتى لا يقعوا في تناقض بين مواقفهم منه ﷺ وبين قول النبي ﷺ عنه لما جهز جيش العسرة "ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم"[2].

قالوا: إن صح ذلك فمعناه: الدعاء له بالخير، لا القطع بأنه من أهل الجنة، لأخبار سوء وردت فيه عن رسول الله ﷺ"[3].

والحقيقة أنهم وقعوا في مأزق آخر بتفسيرهم هذا، فإن سلمنا بأنه خرج مخرج الدعاء هل يعني أنّ الله عزّ وجلّ لم يستجب لدعاء نبيه ﷺ.

والحاصل أنهم عاملوه معاملة الكفار فما زالوا به حتى حاصروه في داره وفجعوا الأمة بقتله ﷺ وأرضاه [4].

أما علي بن أبي طالب فقد تولاه الخوارج ورضوا بخلافته، وقاتلوا معه خصومه ومخالفيه إلى أن رضي بالتحكيم، فتبرؤوا منه وخلعوا يد الطاعة من بيعته وانشقوا عنه، لأنه عندهم بدّل وغيّر، وحكّم الرجال في دين الله، فصار كافرا، ومما يدل على تكفيرهم له ماجاء في رسالة ابن إباض لعبد الملك بن مروا حيث قال فيها: "...فقد كان علي بن أبي طالب أقرب إلى رسول الله وأحب إليه منه، كان ختنه، ومن أهل الإسلام، وأنت تشهد عليه بذلك، وإنا بعد على ذلك، فكيف تكون قرابته من محمد ﷺ نجاة إذا ترك الحق وتعاطى كفرا"[5].

فما كان منهم إلا أن قاتلوه في النهروان فهزمهم ، ومازالوا به حتى قتلوه وباء بها عبد الرحمن بن

---

[1] ينظر:تاريخ الطبري565/5، ورسالة عبد الله بن إباض لعبد الملك بن مروان، العقود الفضية، ص135.

[2] رواه الترمذي في سننه ،ح3701، وقال عنه: حديث حسن غريب من هذا الوجه، 626/5.

[3] ينظر: همیان الزاد إلى دار الميعاد، محمد بن يوسف أطفيش المصعبي، 313/7.

[4] ينظر: البداية والنهاية، 212/7.

[5] العقود الفضية، ص140.

ملجم"[1] "[2]، فمدحه عمران بن حطان الخارجي على فعلته بقوله:

ياضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حينا فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا"[3]

ونقل الشهرستاني عن نافع بن الأزرق أنه أكفر عليا ﷺ، وقال: إن الله أنزل في شأنه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة:204].

وصوّب عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله، وقال: إن الله تعالى أنزل في شأنه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة:207].

يقول الأشعري: " أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أن حكم"[4].

ويقول عنهم الشهرستاني: "...ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون على ذلك كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك"[5].

ويقول أحد مفسريهم من الإباضية في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: 55] وفي أيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ وبعدهم كانت

---

[1] عبد الرحمن بن ملجم المرادي: خارجي مفتر، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العباد، ويقال: هو الذي أرسل صبيغا التميمي إلى عمر، فسأله عما سأله من مستعجم القرآن.

كان أحد من أعان على قتل عثمان، ثم كان ابن ملجم من شيعة علي بالكوفة سار إليه إلى الكوفة، وشهد معه صفين، ثم أدركه الكتاب وفعل ما فعل، قتل بالكوفة سنة 40هـ، وهو عند الخوارج من أفضل الأمة.تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، 287.، ولسان الميزان، 141/5.

[2] ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، 361/7، وتاريخ الطبري، 64/5.

[3] الكامل للمبرد، 897/7.

[4] مقالات الإسلاميين، ص86.

[5] والملل واالنحل، 115/1.

الفتوح العظيمة وتمكين الدين لأهله، لكن لا دليل في ذلك على إصابة عثمان وعلي، فإنهما –وإن كانت خلافتهما برضى الصحابة– لكن ما ماتا إلا وقد بدلا وغيرا فسحقا"[1].

أما عن بقية الصحابة فالخوارج كانوا على القول بعدالتهم وفضلهم قبل وقوع الفتنة، لكن ما إن بدأ الشقاق والخلاف في خلافة عثمان حتى كفّروه، وكفّروا عليا بعده ومن شايعهما، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما بدعوى مخالفة أمر الله "[2]

يقول الأشعري: " والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان–رضوان الله عليهم– في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم، ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم " كفروا علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ومن تولاهما ولعنوهم وسبوهم واستحلوا قتالهم"[4].

ولا أغفل في الأخير أن أذكر عدم وجود مصادر لفرق الخوارج تقتضي الأمانة العلمية والإنصاف الرجوع إليها لنقل ما تضمنه مذهبهم، مما جعلني ارجع لمن كتب عن الفرق والتاريخ عموما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " أقوال الخوارج " إنما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرامية والأشعرية والسالمية وأهل المذاهب الأربعة والظاهرية ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء "[5].

لكنّ الثابت والمشتهر عنهم الشدة مع مخالفيهم، وهذا ماجاء به وصفهم على لسان رسول الله ﷺ إذ قال: " يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان "[6].

---

(1) هميان الزاد، 183/10-184.

(2) ينظر: الفرق بين الفرق، ص99، والملل والنحل، ص116.

(3) مقالات الإسلاميين، ص125.

(4) مجموع الفتاوى لابن تيمية، 70/35.

(5) المصدر نفسه، 49/13.

(6) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم،رقم143، ح1064، 741/2.

وأختم بيان موقفهم من الصحابة بما كان منهم لما ظفروا بعبد الله بن خباب بن الأرت ﷺ، فقالوا له: أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثا يحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثنا به؟ قال: نعم، سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، قال: فإن أدركت ذاك فكن عبد الله المقتول ولاتكن عبد الله القاتل، فقالوا: أأنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فقدموه على ضفة النهر، فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ما ابذعر وبقروا أم ولده عما في بطنها [1].

ويمكن تلخيص رأي الخوارج في الصحابة وموقفهم من عدالتهم بأنهم:

كانوا يقولون بعدالة الصحابة في خلافة أبي بكر وعمر والسنوات الست الأول من خلافة عثمان ثم كفّروا عثمان ومن شايعه، وعليّا ومن تابعه، وأهل الجمل، ومعاوية ومن وافقه، وقاتلوهم وكان لهم دور كبير في أذية الصحابة وإلحاق الضرر بهم، وتمزيق وحدة الأمة.

[1] الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: أحمد عبد الرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت، 284/22.

المبحث الرابع:النواصب وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ:

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف النصب ومراحله.

المطلب الثاني:موقف النواصب من عدالة الصحابة ﷺ:

المطلب الأول: تعريف النصب ومراحله:

الفرع الأول: النصب

أولا:النصب لغة:

النصب لغة إقامة الشيء ورفعه، والنصب العلم المنصوب، ويقال: نصبت الرمح، أنصبه نصبا، والأنصاب، والنُّصب: الحجارة كانت حول الكعبة، تنصب فيُهلُّ عليها، ويذبح لغير الله تعالى، قال تعالى:﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [المائدة:3].

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة:90].

والنَّصب: وهو التعب والعناء، كأن الإنسان لا يزال منتصبا يعيي، والنصيب الحظ، كأنه الشيء الذي أقيم ورُفع للشخص.

والنصاب من المال هو القدر الذي تجب فيه الزكاة، ونصاب كل شيء أصله، والنصب في الإعراب كالفتح في البناء.

وناصبته الحرب والعداوة: أظهرتها له، وأقمتها، وناصبه الشرّ: أظهره له، وتنصّبت لفلان: عاديته، ومنه النواصب، والناصبة، وأهل النصب[1].

---

[1]معجم مقاييس اللغة، 434/5، والمفردات في غريب القرآن، ص807، ولسان العرب، 758/1، والمصباح المنير، 606/2، ومختار الصحاح، وتاج العروس، 271/4.

والنسبة إلى مفرده:ناصبيّ، ويجمع على نواصب، وقد يقال عنهم أيضا: الناصبة، والناصبية، وأهل النصب.

ثانيا: النصب اصطلاحا:

"النصب هو بغض عليّ وعداوته"[1]، قال به الزمخشري.

جاء في هامش تاريخ دمشق: الناصبي نسبة إلى النواصب، وهم الذين يدينون ببغضة علي بن أبي طالب ﷺ، سموا بذلك لأنهم نصبو له العداء والخلاف[2].

وقال ابن حجر في الهدي بأنه:" بغض علي وتقديم غيره عليه" [3]، وقال في الفتح:" هو الانحراف عن علي ﷺ وآل بيته"[4]

و قال أبو البقاء الكفوي: "النصب بالفتح، يقال أيضا لمذهب هو بغض علي بن أبي طالب ﷺ، وهو طرف النقيض من الرفض، ويقال لهم: النواصب...، وهم الغلاة في حب أبي بكر وعمر، وبغض علي بن أبي طالب[5]".

و النواصب والناصبة وأهل النصب: وهم المتدينون ببغضة سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب...لأنهم نصبوا له أي عادوه، وأظهروا له الخلاف، وهم طائفة من الخوارج[6].

وبعد هذا العرض يتبين الارتباط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة النصب التي تعني إعلان البغض لعلي ﷺ ولآل بيته وتقديم غيره عليه، وليس تكفيره كما هو الحال مع الخوارج، فالفرق بينهما

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ، 772/4.

(2) تاريخ دمشق: علي بن الحسن بن هبة بن عساكر، ت: علي شبري، دار الفكر، د.ن، 105/5.

(3) هدي الساري، ص459.

(4) فتح الباري، 420/10.

(5) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص906.

(6) تاج العروس، 277/4، والقاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005م، ص138.

واضح وجعلُهما مذهبا واحدا ليس صحيحا، وإنما تصح تسميتهم بالخوارج من جهة كونهم خرجوا على إمام المسلمين -في زمنه وهو علي ﷺ-وعادوه، وكفّروه ثم قتلوه، وهذا ما جعل بعض العلماء يقصر مفهوم النصب عليهم مثلما فعل العُكبري حين قال بأن النواصب:"هم الخوارج"[1]

والحاصل أنّ النصب هو المعاداة لعليّ ووأهل البيت وغيرهم ممن يواليهم من الصحابة، وهذا يقودنا للحديث عن المراحل التي مرّ بها النصب.

الفرع الثاني:مراحل النصب:

يمكن القول أنّ النصب مرّ بمرحلتين:

المرحلة الأولى: وفيه ارتبط النصب ببغض عليّ ﷺ واختصّ به، وقد مثّل هذه المرحلة:

أولا: الخوارج وقد كانوا في البداية موالين لعلي ﷺ وقاتلوا معه، لكنهم انفصلوا عنه بعد حادثة التحكيم المشهورة فكفروه ودانوا الله ببغضه، إذ لا موالاة لكافر[2]، وعلى هذا يُحمل تعريف من عرّف النواصب بأنهم الخوارج.

ثانيا: كثير من المروانية [3]ومن وافقهم، وكانوا قد ظنّوا بعليّ أنه شارك في دم عثمان، واختلفوا فيما بينهم فمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ عَلِيًّا شَارَكَ فِي دَمِ عُثْمَانَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ.أَمَرَ عَلَانِيَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ: أَمَرَ سِرًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ رَضِيَ بِقَتْلِهِ وَفَرِحَ بِذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَهَذَا كُلُّهُ كَذِبٌ عَلَى عَلِيٍّ ﷺ وَافْتِرَاءٌ عَلَيْهِ[4].

المرحلة الثانية: وفيها اتسع مفهوم النصب كثيرا عما كان عليه من قبل؛ فطال كلَّ من ظهر عليه شيء من دلائل الانحراف عن عليّ كإنكار فضائله الثابتة أو الطعن في عدالته أو الشك في خلافته،

---

[1] ديوان المتنبي: شرح أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، ت: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، 156/1.

[2] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، 469/4.

[3] المروانية: هم الفرع الثاني ممن تولى الخلافة من الأمويين، ابتدأوا بـــ"مروان بن الحكم" واختتموا بـــ"مروان بن محمد"، وقد ظهرت هذه التسمية بعد تولي مروان بن الحكم الخلافة في دمشق.ينظر:الدولة الأموية والمعارضة: فان فلوتن، ترجمة: إبراهيم بيضون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.ب، الطبعة الثانية، 1405هـ-1998م، ص126.

[4] ينظر: منهاج السنة النبوية، 406/4.

ومثل ذلك تقديم غيره عليه ممن هو دونه بالاتفاق كمعاوية حتى لو كان الباعث على ذلك التأويل[1].

كما أنّ اختصاص عليّ بالعداوة تعدّاه إلى بنيه ليدخل تحته من يزعم أنّ الحسين كان خارجيا يجوز قتله[2]، وليصبح الانحراف عن ذريته –ولو بعدوا- وإيذاؤهم بغير حق نوعا من النصب مثل من "يعاديهم على الملك، أو يعرض عن حقوقهم الواجبة، أو يغلو في تعظيم يزيد بن معاوية بغير الحق"[3]

والحاصل أن النواصب هم من عادوا عليا وذريته وانتقصوهم وآذوهم، أمّا الخوارج فهم من كفّروا عليا وقاتلوه[4].

المطلب الثاني:موقف النواصب من عدالة الصحابة ﷺ:

لقد كان خلاف النواصب مع عليّ ﷺ خلافا سياسيا دُنيويا ما جعلهم يبغضونه ويعادونه وينتقصونه، وهذا لم يكن داعيا لتعميم موقفهم منه لغيره من الصحابة ﷺ، بل ظلوا عندهم على مكانتهم وفضلهم، باستثناء بعض المناوشات التي تفرضها الظروف السياسية، كما حصل مع الحجاج وابن الزبير[5] وأنس بن مالك[6] رضي الله عنهما...

يقول الإمام الذهبي متحدثا عن أحوال الناس:" كان النَّاسُ فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ بَعْدَ وَقْعَةِ صِفِّيْنَ عَلَى أَقسَامٍ:

أَهْلُ سُنَّةٍ: وَهُم أُوْلُو العِلْمِ، وَهُم مُحِبُّوْنَ لِلصَّحَابَةِ، كَافُّوْنَ عَنِ الخَوضِ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُم؛ كسَعْدٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بنِ مسلَمَةَ، وَأُمَمٍ.

ثُمَّ شِيْعَةٌ: يَتَوَالَوْنَ، وَيَنَالُوْنَ مِمَّنْ حَارَبُوا عَلِيّاً، وَيَقُوْلُوْنَ: إِنَّهُم مُسْلِمُوْنَ بُغَاةٌ ظَلَمَةٌ.

---

[1] ينظر: مجموع الفتاوى، 438/4.

[2] ينظر: منهاج السنة النبوية، 585/4.

[3] مجموع الفتاوى، 493/28.

[4] مفهوم النصب من المسائل التي تُبحث لدى الشيعة الإمامية، فتارة جعلوه متعلقا بمعاداة الشيعة أنفسهم، وأخرى تقديم "الجبت والطاغوت" على عليّ في الإمامة، ... ينظر بحار الأنوار، 135/69.

[5] ينظر:الكامل في التاريخ: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ- 1997م، 398/3.

[6] ينظر:المصدر نفسه، 431/3.

ثمَّ نوَاصِبُ: وَهُمُ الَّذِيْنَ حَارَبُوا عَلِيّاً يَوْمَ صِفِّيْنَ، وَيُقِرُّوْنَ بِإِسْلاَمِ عَلِيٍّ وَسَابِقِيْه، وَيَقُوْلُوْنَ: خَذَلَ الخَلِيْفَةَ عُثْمَانَ.

فَمَا عَلِمتُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ شِيْعِيّاً كَفَّرَ مُعَاوِيَةَ وَحِزْبَهُ، وَلاَ نَاصِبِيّاً كَفَّرَ عَلِيّاً وَحِزْبَهُ، بَلْ دَخَلُوا فِي سَبٍّ وَبُغْضٍ، ثُمَّ صَارَ اليَوْمَ شِيْعَةُ زَمَانِنَا يُكَفِّرُوْنَ الصَّحَابَةَ، وَيَبْرَؤُوْنَ مِنْهُم جَهلاً وَعُدوَاناً، وَيَتَعَدُّوْنَ إِلَى الصِّدِّيْقِ – قَاتَلَهُمُ اللهُ –.

وَأَمَّا نَوَاصِبُ وَقْتِنَا فَقَلِيْلٌ، وَمَا عَلِمتُ فِيْهِم مَنْ يُكَفِّرُ عَلِيّاً وَلاَ صَحَابِيّاً "[1]

فمن الاتهامات الباطلة التي نسبوها لعلي، **أنّ له علاقة بمقتل الخليفة عثمان**، وهو اتهام تردّد كثيرا على ألسنة الأمويين في حياة علي ﷺ، فقالوا بأنه شارك في دم عثمان أو أعان على ذلك أو خذله بتقاعسه عن نصرته على تفاوت في دعاواهم[2].

وكانت بداية هذه التهمة تحديدا حين عثر الخارجون على عثمان على الكتاب الذي كان فيه الأمر بتعزيرهم وتأديبهم فعادوا إلى المدينة غاضبين عليه، واتهموه بأنه كان وراء هذا الكتاب وقالوا له:" أنت قد صنعت هذا بنا وألّبت الناس علينا !" [3]

ونسبة هذه الفرية إلى عليّ ﷺ لا دليل يقوم عليها غير حب انتقاص عليّ والطعن فيه، وكثير من المؤرخين يرون أنّ المسؤول عن الكتاب هو مروان بن الحكم، قال الذهبي:"كان كاتبَ ابن عمه عثمانَ، وإليه الخاتم فخانه، وأجلبوا بسببه على عثمان"[4]

أما اتهامه بخذلان عثمان والتقاعس عن نصرته فيردّه أنّ عليّا أرسل ولديه الحسن والحسين للدفاع

---

[1] سير أعلام النبلاء، 374/5.

[2] ينظر: منهاج السنة النبوية، 406/4، 7462، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان: أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن بكر الأشعري المالقي الأندلسي، ت: محمود يوسف زايد، دار الثقافة، قطر، الطبعة الأولى، 1405هـ، 182.

[3] ينظر: أخبار المدينة:عمر بن شبة النميري البصري، ت: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية،بيروت،1417هـ-1996م، بيروت، 210/2.

[4] سير أعلام النبلاء، 477/3، وينظر: الكامل في التاريخ، 59/3، ومقتل الشهيد عثمان، ص116، والبداية والنهاية، 186/7، و259/8.

عنه وقال لهما:" اذهبا بنفسيكما حتى تقوما على باب دار عثمان فلا تدعا واحدا يصل إليه وقد أُصيب الحسن من جرّاء ذلك وحُمل من دار عثمان جريحا[1]، ولم يكن عليّا الوحيد الذي يرسل أبناءه من الصحابة، قال ابن كثير:"سار إليه جماعة من أبناء الصحابة عن أمر آبائهم، منهم الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير...وصاروا يحاجّون عنه ويناضلون دونه أن يصل إليه أحدٌ منهم"[2]

ثم إن عثمان رضي الله عنه أقسم على من أراد نصرته من الصحابة وغيرهم ممن جاء للدفاع عنه ألا يشهروا سيوفهم لأجله- وكان يخشى أن يكون أول من خلف النبي ﷺ في أمته بإراقة محجمة دم[3]-، وأمرهم أن يكفوا أيديهم، وأن يعودوا إلى بيوتهم، وقال لغلمانه الذين أرادوا القتال لحمايته:" من كفّ يده فهو حُرّ !"[4]، فعن عبد الله بن الزبير قال:" قلت لعثمان: إنّا معك في الدار عصابة مستبصرة، ينصر الله بأقلّ منهم، فأذَن لنا !

فقال: أُذكّر اللهَ رجلا إهراق فيَّ دمه (أو قال: دما) !" [5]

وجاءه زيد بن ثابت فقال له:" هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين !فقال:لا حاجة لي في ذلك، كُفّوا" [6]

وقال لمن كانوا معه في الدار:"أعزم على كلّ من رأى أنّ عليه سمعا وطاعة إلّا كفّ يده وسلاحه، فإنّ أفضلكم عندي غضناء من كفّ يده وسلاحه" [7]

---

[1] أخبار المدينة، 284/2 و300.

[2] البداية والنهاية، 198/7.

[3] ينظر: الثقات: محمد بن حبان، 260/2، وتاريخ بغداد، 272/14.

[4] البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ط، د.ت، 206/5، وينظر: الكامل في التاريخ، 454/2.

[5] تاريخ خليفة بن خياط: خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، ت: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1397م، ص173، والعواصم من القواصم، ص145.

[6] تاريخ خليفة بن خياط، ص173، والمحن: محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي، ت: د عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1984م، ص82، والعواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ:محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودي، الطبعة الأولى، 1419هـ، ص139.

[7] تاريخ خليفة بن خياط، ص173، والعواصم من القواصم، ص146.

وإنما فعل ذلك" مخافة الفرقة، وحفظا للألفة التي بها حفظ الكلمة، ولو أدى إلى هلاكه !"[1].

وقد التزموا بما طلب ولم يعتقدوا أنّ الأمر سيصل إلى حدّ قتله، " ولم يبق عنده سوى أهله" [2] وقليل ممن اختاروا ألاّ يذهبوا إلاّ أنه لم يكن بمقدورهم دفع صولة أولئك عنه حين هاجوا"[3]،

ولما رأى سعد بن أبي وقاص ﷺ التجمّع عند باب عثمان ﷺ، قال له مروان بن الحكم:" إن كنت تريد أن تذُبَّ عنه فعليك بابن أبي طالب فإنه متَستّر، وإنه لا يُجبَه"[4]

فخرج سعد حَتَّى أَتَى عَلِيًّا وَهُوَ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَسَنٍ، قُمْ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! جِئْتُكَ وَاللَّهِ بِخَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ أَحَدٌ قَطُّ إِلَى أَحَدٍ، تَصِلُ رَحِمَ ابْنِ عَمِّكَ، وَتَأْخُذُ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ، وَتَحْقِنُ دَمَهُ، وَيَرْجِعُ الأَمْرُ عَلَى مَا نُحِبُّ، قَدْ أَعْطَى خليفتُك مِنْ نَفْسِهِ الرِّضَا.

فَقَالَ عَلِيٌّ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ يَا أَبَا إِسْحَاقَ! وَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَذُبُّ عَنْهُ حَتَّى إِنِّي لأَسْتَحِي، وَلَكِنَّ مَرْوَانَ ومعاويةَ وعبد الله بن عامر وسعيد بن الْعَاصِ هُمْ صَنَعُوا بِهِ مَا تَرَى، فَإِذَا نَصَحْتُهُ وَأَمَرْتُهُ أَنْ يُنَحِّيهِمْ استغشّني حَتَّى جَاءَ مَا تَرَى"[5].

فالحاصل أنهم لم يظنوا أنه سيقتل، حتى إذا طاشت الفتنة وعمّت الفوضى وانفلت الوضع الأمني كان" لايخرج أحد ولا يجلس إلاّ وعليه سيفُه يمتنع به من رهق القوم!"[6]

وقد سبق لعليّ أن جاء إلى الخوارج لينكر عليهم منعهم الماء عن عثمان، وحين لم يقبلوا منه تركهم ومضى لأنه لم يكن ثمة تهديد حقيقي على حياة أمير المؤمنين[7]

---

[1] مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، 1984، ص208.

[2] البداية والنهاية، 185/7.

[3] أخبار المدينة،، 287/2، و299/2، وتاريخ الطبري، 671/2.

[4] بمعنى لا يُردَّ عن حاجته ولا يُستَقبل بما يكره، ينظر: لسان العرب، 483/13.

[5] تاريخ الطبري، 377/4.

[6] الفتنة ووقعة الجمل: سيف بن عمر الأسدي التَّمِيمي، ت: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، الطبعة السابعة، 1413هـ-1993م، ص64، وتاريخ الطبري، 354/4.

[7] ينظر: الفتنة ووقعة الجمل، ص66، وتاريخ الطبري، 354/4.

ولما اشتدت الفتنة وعاد إليه لم يعد يملك له شيئا، فعن محمد بن علي –ابن الحنفية –قال: "لما جاء القوم من مصر إلى عثمان ﷺ ليقتلوه أرسل إلى علي ﷺ أن رُدّ هؤلاء عني –وأنا معه غلام– حينئذ، فلما انتهى إلى الدار لم يستطع أن يدخل، والتحم القتال فنزع عمامة له سوداء كانت على رأسه فألقاها في الدار وقال: اللهم اشهد أني لم أقتله ولم أمالئ عليه أهل مصر فقتلوه"[1]

وكان يقول بعدها:" والله ما قتلت ولا أمرت ولكن غُلبت"[2]

وكان ينقم على من وقف في طريقه من أهل بيته لما أراد نصرته، فقد جاء في رواية:"أرسل عثمان ﷺ يستغيث فقام علي ﷺ ليغيثه فتعلق به ابن الحنفية واستعان عليه بالنساء وقال والله لئن دخل الدار ليقتلنه بنو أمية فحبسوه حتى قتل عثمان ﷺ فقيل لعلي فقال تبا لكم سائر اليوم !" [3]

أمّا الصحابة الذين كانوا معه وحاولوا الذب عنه فقد لحقهم ما لحقهم من الأذى من هؤلاء الغوغاء؛ فقد هجموا على سعد بن أبي وقاص حتى خرّ من قيامه[4]، لأنه أنكر عليهم همّهم بقتله، وآذوا أم حبيبة حتى كادت تقتل لأنها حملت إليه ماء[5]

وهناك طائفة من الصحابة آثرت اعتزال الفتنة والابتعاد عنها، فلزم طلحة والزبير رضي الله عنهما بيوتهم[6].

وخرجت عائشة رضي الله عنها للحج، فلما قيل لها:"إِنَّكِ لَوْ أَقَمْتِ كَانَ أَصْلَحَ، لَعَلَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَهَابُونَكِ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَخْشَى أَنْ أُشِيرَ عَلَيْهِمْ بِرَأْيٍ فَيَنَالَنِي مِنْهُمْ مِنَ الْأَذِيَّةِ مَا نَالَ أُمَّ حَبِيبَةَ"[7].

قال ابن كثير: إِنْ قَالَ قَائِلٌ كَيْفَ وَقَعَ قَتْلُ عُثْمَانَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ﷺ؟

---

[1] أخبار المدينة، 250/2، والمحن، ص88.

[2] أخبار المدينة، 274/2، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، ت: عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ – 1998 م، 533/2.

[3] أخبار المدينة، 251/2.

[4] تاريخ مدينة دمشق، 425/39.

[5] تاريخ الطبري، 386/4.

[6] المصدر نفسه، 387/4.

[7] البداية والنهاية، 209/7.

فَجَوَابُهُ:

أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ أَوْ كُلُّهُمْ لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَبْلُغُ الْأَمْرُ إِلَى قَتْلِهِ، فَإِنَّ أُولَئِكَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَكُونُوا يُحَاوِلُونَ قَتْلَهُ عَيْنًا، بَلْ طَلَبُوا مِنْهُ أَحَدَ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ، إِمَّا أَنْ يَعْزِلَ نَفْسَهُ، أَوْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِمْ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، أَوْ يَقْتُلُوهُ، فَكَانُوا يَرْجُونَ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَى النَّاسِ مَرْوَانَ، أَوْ أَنْ يَعْزِلَ نَفْسَهُ وَيَسْتَرِيحَ مِنْ هَذِهِ الضَّائِقَةِ الشَّدِيدَةِ.

و أَنَّ الصَّحَابَةَ مَانَعُوا دُونَهُ أَشَدَّ الْمُمَانَعَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا وَقَعَ التَّضْيِيقُ الشَّدِيدُ، عَزَمَ عُثْمَانُ عَلَى النَّاسِ أَنَّ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ وَيُغْمِدُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَفَعَلُوا، فَتَمَكَّنَ أُولَئِكَ مِمَّا أَرَادُوا، وَمَعَ هَذَا مَا ظَنَّ أَحَدٌ مِنَ النَّاس أَنَّهُ يُقْتَلُ بِالْكُلِّيَّةِ.

وأَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ لَمَّا اغْتَنَمُوا غَيْبَةَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ، وَلَمْ تَقْدِمِ الْجُيُوشُ مِنَ الْآفَاقِ لِلنُّصْرَةِ، بَلْ لَمَّا اقْتَرَبَ مَجِيئُهُمْ، انْتَهَزُوا فُرْصَتَهُمْ، قَبَّحَهُمُ اللَّهُ، وَصَنَعُوا مَا صَنَعُوا مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

و هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجُ كَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفَيْ مُقَاتِلٍ مِنَ الْأَبْطَالِ، وَرُبَّمَا لَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا فِي الثُّغُورِ وَفِي الْأَقَالِيمِ فِي كُلِّ جهة، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعْتَزَلَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ وَلَزِمُوا بُيُوتَهُمْ، وَمَنْ كَانَ يحضر منهم المسجد لا يجئ إِلَّا وَمَعَهُ السَّيْفُ، يَضَعُهُ عَلَى حَبْوَتِهِ إِذَا احْتَبَى، وَالْخَوَارِجُ مُحْدِقُونَ بِدَارِ عُثْمَانَ ﷺ، وَرُبَّمَا لَوْ أَرَادُوا صَرْفَهُمْ عَنِ الدَّارِ لما أمكنهم ذلك، ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عَنْ عُثْمَانَ ﷺ، لِكَيْ تَقْدَمَ الجيوش من الأمصار لنصرته، فما فجئ النَّاس إِلَّا وَقَدْ ظَفِرَ أُولَئِكَ بِالدَّارِ مِنْ خَارِجِهَا، وَأَحْرَقُوا بَابَهَا، وَتَسَوَّرُوا عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ أَسْلَمَهُ وَرَضِيَ بِقَتْلِهِ، فَهَذَا لَا يَصِحُّ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ رَضِيَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ ﷺ، بَلْ كُلُّهُمْ كَرِهَهُ، وَمَقَتَهُ، وَسَبَّ مَنْ فَعَلَهُ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَوَدُّ لَوْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَمْرِ، كَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وعمرو بن الحمق وغيرهم"[1].

وهذه هي حال الفتن تبدأ بشرارة صغيرة فإن لم تُخمد في بدايتها تعاظمت حتى كبُر شرّها وانتشر

[1] ينظر:البداية والنهاية، 221/220/7.

فسادها، فلم يقف الأمر عند النقمة على عثمان ﷺ ولا قتله، بل تعدّى إلى تشتيت جمع الصحابة بين مطالب بدمه وتسليم قتلته وهم معاوية ومن معه، وباحث عن تهدئة للأوضاع وجمع كلمة المسلمين وهم علي ومن معه، وكانت وقعة الجمل...

يتحدث ابن حجر الهيثمي عن الفتنة بين علي ومعاوية:"وَإِنَّمَا هَاجَتْ بِسَبَب أَن مُعَاوِيَة وَمن مَعَه طلبُوا من عَليّ تَسْلِيم قتلة عُثْمَان إِلَيْهِم لكَون مُعَاوِيَة ابْن عَمه، فَامْتنعَ عَليّ ظنا مِنْهُ أَن تسليمهم إِلَيْهِم على الْفَوْر مَعَ كَثْرَة عَشَائِرهمْ واختلاطهم بعسكر عَليّ يُؤَدِّي إِلَى اضْطِرَاب وتزلزل فِي أَمر الْخلَافَة الَّتِي بهَا انتظام كلمة أهل الْإِسْلَام، سِيمَا وَهِي فِي ابتدائها لم يستحكم الْأَمر فِيهَا فَرَأى عَليّ ﷺ أَن تَأْخِير تسليمهم أصوب إِلَى أَن يرسخ قدمه فِي الْخلَافَة، ويتحقق التَّمَكُّن من الْأُمُور فِيهَا على وَجهها، وَيتم لَهُ انتظام شملها، واتفاق كلمة الْمُسلمين، ثمَّ بعد ذَلِك يلتقطهم وَاحِدًا فواحدا ويسلمهم إِلَيْهِم، وَيدلّ لذَلِك أَن بعض قتلته عزم على الْخُرُوج على عَليّ ومقاتلته لما نَادَى يَوْم الْجمل بِأَن يخرج عَنهُ قتلة عُثْمَان، وَأَيْضًا فَالَّذِينَ تمالؤا على قتل عُثْمَان كَانُوا جموعا كَثِيرَة...جمع من أهل مصر...وَجمع من الْكُوفَة وَجمع من الْبَصْرَة وَغَيرهم قدمُوا كلهم الْمَدِينَة وَجرى مِنْهُم مَا جرى بل ورد أَنهم هم وعشائرهم نَحْو من عشرَة آلَاف فَهَذَا هُوَ الْحَامِل لعَلي ﷺ على الْكَفّ عَن تسليمهم لتعذره كَمَا عرفت وَيحْتَمل أَن عليا ﷺ رأى أَن قتلة عُثْمَان بغاة حملهمْ على قَتله تَأْوِيل فَاسد استحلوا بِهِ دَمه ﷺ"[1]

وكان من النواصب أيضا:

إنكار فضائل عليّ ﷺ:

ومن أشهر فضائله فضيلة أهل الكساء في قصة مباهلة النبي ﷺ لنصارى نجران، حيث دعا الله عز وجل نبيه لإحضار أهله في قوله تعالى:﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران:61].

[1] الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ابن حجر الهيتمي، 2/622-623.

قال ابن تيمية:" فهذه الآية تدلّ على كمال اتصالهم برسول الله ﷺ"[1]، وأنّ" هؤلاء أقرب الناس إلى النبي ﷺ نسبا"[2]، وعليّ رضي الله عنه واحد منهم، فكان "له بالمباهلة نوع فضيلة "[3].

و تهمة عليّ رضي الله عنه في عرضه:

زعم بعض النواصب أن عليّا رضي الله عنه حَفيت أظافيره من كثرة ما كان يتسلق على بعض أزواج النبي ﷺ[4]

والملاحظ إيراد هذه الحكاية المكذوبة بلفظ مجمل(بعض أزواج)، مع عدم تعيين أي واحدة من أزواج النبي ﷺ، وأحسب أنّ هذا من باب التستر على المؤمنين وبخاصة الصحابة، ويتعيّن التعتيم أكثر مع البراءة من البهتان.

وممّن عيّن المقصودة في دعوى النواصب هذه ابن حيان، وأبو نعيم الأصبهاني، حيث بيّنا أنها أمّ سلمة رضي الله عنها[5].

والسؤال المتبادر إلى الذهن" لماذا خُصّت أم سلمة رضي الله عنها من بين أزواج النبي ﷺ بهذه الفرية العظيمة؟

يجيبنا الإمام المعلمي جوابا شافيا كافيا بقوله:" كانت أم سلمة رضي الله عنها أتم أمهات المؤمنين ولاء لفاطمة عليها السلام وللحسن والحسين وأبيهما، وكان علي رضي الله عنه يثق بعظم ولائها وبعقلها ورأيها ودينها فكان يستنصحها ويستشيرها، فقد يكون بعض الناس روى أن علياً كان يتردد عليها ذلك فأخذ

---

[1] منهاج السنة النبوية، 28/4.

[2] المصدر نفسه، 45/5.

[3] المصدر نفسه، 126/7.

[4] ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد بن عدي الجرجاني، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وشارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ1997م، 437/5، وتاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام:محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003 م، 305/7، وسير أعلام النبلاء، 229/13، ولسان الميزان، 294/3.

[5] طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، ت: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1412 – 1992، 302/3، وتاريخ أصبهان= أخبار أصبهان:أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410 هـ-1990م، 182/2.

بعض أعداء الله تلك الحكاية وغيرها ذاك التغيير الفاجر، كما غير بعضهم حديث "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" فجعل بدل هارون قارون[1].

و ادعاء ظلم عليّ ﷺ لبني أمية ومحاباته لأقاربه:

اتهم النواصب من بني أمية عليّا ﷺ بظلمهم خصوصا لا بظلم غيرهم، وأنه كان يكرههم لا لسبب غير كونهم أمويين، ولهذا" ادعوا على عليّ تحاملا عليهم، وتركا لإنصافهم، وأنه بادر بعزل معاوية ولم يكن ليستحق العزل.

قالوا: ومعاوية أيضا كان خيرا من كثير ممن استنابه عليّ، فلم يكن يستحق أن يُعزل ويُولّى من هو دونه في السياسة"[2].

و أذيّة الحسنين ابني عليّ ﷺ:

كان خطباء بني أمية لا يتورّعون عن مذمة عليّ وانتقاصه على منابرهم، وقد ذكر ابن حزم أنّ " الناس كَانُوا إذَا صَلُّوا تَرَكُوهُمْ وَلَمْ يَشْهَدُوا الْخُطْبَةَ، وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ كَانُوا يَلْعَنُونَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَكَان الْمُسْلِمُونَ يَفِرُّونَ، وَحُقَّ لَهُمْ، فَكَيْفَ وَلَيْسَ الْجُلُوسُ لِلْخُطْبَةِ وَاجِبًا"[3].

وقد ابتدع مروان بن الحكم تقديم خطبة العيد على الصلاة خلافا للسنة[4]، وذلك أنه كان يسب عليّا ﷺ في خطبته، فأصبح الناس يخرجون بعد الصلاة وقبل سماع الخطبة رغبة عنها.

وكان لا يتورّع عن إغاظة الحسن [5]، مما كان يدعو أخاه الحسين إلى سبه وهو على المنبر[6]، كما أنه لم يستطع إخفاء بغضه للحسنين حينما عتب على أبي هريرة في مودته لهما[7].

---

[1] التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني، تخريج وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، زهير الشاويش، عبد الرزاق حمزة، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1986 م، 2 /522.

[2] منهاج السنة النبوية، 462/4.

[3] المحلى: علي بن أحمد بن حزم، ت: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ن، 86/5.

[4] صحيح مسلم، 605/2.

[5] سير أعلام النبلاء، 266/3، 276.

[6] المصدر نفسه، 406/4.

[7] رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم2656، وقال الهيثمي:" رجاله ثقات".

ومن أبرز مواقف الأذية التي تعرّضا لها:

و منع دفن الحسين ﷺمع النبي ﷺ:

أوصى الحسن أخاه الحسين رضي الله عنهما بدفنه بعد موته بجوار جده ﷺ شريطة ألا تقع فتنة، فأبى ذلك بنو أمية ومواليهم أشد الإباء حتى دُفن بالبقيع[1].

وقد تولى هذا الأمر مروان بن الحكم فاعترض وحال دون وقوعه، وعلّل موقفه بما جرى للأمويين عند محاولتهم دفن عثمان ﷺ فقال:" والله ما كنت لأدع ابن أبي تراب يُدفن مع رسول الله ﷺ وقد دُفن عثمان بالبقيع !" [2]

ومروان بن الحكم لم يكن له الحق في موقفه هذا، من جهة أنّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي صاحبة الغرفة وهي من تملك قرار الإذن من عدمه، وقد استأذنها عمر رضي الله عنه قبلا وهو أمير المؤمنين[3]

ومن جهة أخرى عدم اعتراض أمير المدينة وقتها وهو سعيد بن العاص، كما أشار إليه أبو هريرة[4] والحسين [5]رضي الله عنهما [6].

فهذه جملة من مواقف النواصب تجاه علي وذريته ﷺ، كان الدافع لها سياسيا محضا، نجم عنه البغض والافتراء وهضم حقهم كونهم صحابة من جهة وآل بيت النبي ﷺ من جهة أخرى، فضلا عن

---

[1] ينظر: فتح الباري، 308/13،

[2] المصدر نفسه، 308/3، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، 57/25، وسير أعلام النبلاء، 275/3.

[3]الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، ت: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، 1420 هـ - 1999 م، 1920/4، رقم1398، وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ - 1993م، رقم15،350/6917.

[4] تاريخ مدينة دمشق، 355/27، وسير أعلام النبلاء، 605/2.

[5] سير أعلام النبلاء، 276/3.

[6]استعنت في إنجاز هذا المبحث بكتاب : النصب والنواصب دراسة تاريخية عقدية، لمؤلفه: بدر بن ناصر بن محمد العوّاد، فرجعت من خلاله للمصادر التي تكلمت عن هذه الفرقة وأصولها ، كما استعنت به في ترتيب المادة العلمية وعرضها فجزاه الله خيرا.

كونهم مسلمين.

والذي يظهر أنّ هذه الطائفة لم يعد لها وجود في زماننا لتبدل الظروف السياسية وتغير الحال، إلاّ أن تُطلق هذه التسمية على أعداء الصحابة ومخالفيهم والطاعنين فيهم اليوم، فلاشك أنها قليلة عليهم، لأنّ المبتدعة الأوائل خصوا عليّا وذريته بالبغض-وهذا جرم عظيم-، أما مبتدعة زماننا فلم يسلم منهم لا الصحابة جميعا ولا النبي ﷺ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس: المعتزلة وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المعتزلة ونشأتها.

المطلب الثاني: موقف المعتزلة من عدالة الصحابة ﷺ.

المطلب الأول: تعريف المعتزلة ونشأتها

الفرع الأول: المعتزلة لغة:

لمعرفة معنى هذه الكلمة لا بد من تعريف الاعتزال وهو مأخوذ من الفعل عزل: وعَزَلَ الشَّيْء يَعْزِله عَزْلاً وعَزَّلَهُ، فاعْتَزَل وانْعَزَل وتَعَزَّل: نحاه جانبا فَتنحّى. قال تَعَالَى: (إِنَّهم عنِ السَّمْعِ لمعْزُولُون) مَعْنَاهُ: أَنهم لما رموا بالنجوم، مُنعوا من السَّمْع. وعزله عن الأمر نحاه عنه واعْتَزَل الشيءَ: تنحى عَنهُ. قال تَعَالَى: (وإِنْ لم تؤْمِنوا لي فاعْتَزِلُون) أَرَادَ: إِن لم تؤمنوا لي، فَلَا تَكُونُوا عَليّ وَلَا معي. ومنهَ قَول الْأَحْوَص:

يَا بَيْتَ عاتِكَةَ الَّذي أَتَعَزَّلُ... حَذَر العِدَى وَبِه الفؤادُ مُوَكَّلُ

وتَعازَلَ الْقَوْم: انْعَزَل بَعضهم عَن بعض [1].

فالمعنى يدور حول التنحي والانفصال والانفصام، وعليه فالمعتزلة هم المتنحون والمنفصلون.

الفرع الثاني:المعتزلة اصطلاحا:

تعرّف فرقة المعتزلة في كتب الفرق، بالكلام عليها من حيث مؤسسيها ومبادئهم وأصولهم المعتمدة، وعليه فيمكن القول بأنّ المعتزلة فرقة كلامية فلسفية تتكون من طوائف من أهل الكلام، تميزت بالنزعة العقلية، ظهرت في أواخر االعصر الأموي في البصرة وازدهرت في العصر العباسي [2].

وتقوم مبادئها على أصول خمسة هي:

---

[1] ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، 519/1، معجم مقاييس اللغة لابن فارس 666/1، ومختار الصحاح للرازي، ص208، ولسان العرب لابن منظور، 440/11.

[2] ينظر: مقلات الإسلاميين، ص130، والفرق بين الفرق، ص 95، والملل والنحل، 43/1.

1-التوحيد: ويريدون به نفي صفات الله تعالى.

2-العدل: ويريدون به نفي القدر.

3-المنزلة بين المنزلتين: ومعناه أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر.

4-الوعد والوعيد: ومعناه أن مرتكب الكبيرة لا يغفر له إن مات دون توبة ومصيره الخلود في النار.

5-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويترتب عليه الخروج على ولاة الأمور[1]

ولا يصدق على المنتسب إليها لقب المعتزلي حتى يقول بهذه الأصول الخمسة مجتمعة، يقول أبو الحسن الخياط وهو أحد أئمة المعتزلة: " لسنا ندفع أن يكون بشر كثير يوافقوننا في التوحيد والعدل ويخالفوننا في الوعد والوعيد، والأسماء والأحكام، وليس يستحق أحد منهم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[2]

ويقول الأشعري: "فهذه أصول المعتزلة الخمسة التي يبنون عليها أمرهم قد أخبرنا عن اختلافهم فيها وهي التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وإثبات الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[3]

ويذكر في سبب التسمية بالمعتزلة ارتباطها بقصة مفادها أنه "دخل واحد على الحسن البصري[4] فقال: يا إمام الدين ! لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم

---

[1] ينظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: أحمد عبد الحليم بن تيمية، ت: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد، د.ب، الطبعة الأولى، 1426هـ، 451/2، وللقاضي عبد الجبار المعتزلي كتاب في شرح هذه الأصول اسمه" شرح الأصول الخمسة".

[2] الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد: عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط، ت: نيبرج، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، 1433هـ-1925م، ص123.

[3] مقالات الإسلاميين، ص278.

[4] الحَسَنُ البَصْرِيُّ: الحَسَنُ بنُ أَبِي الحَسَنِ يَسَارٍ، أَبُو سَعِيْدٍ، مَوْلَى زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، كَانَ سَيِّدَ أَهْلِ زَمَانِهِ عِلْماً وَعَمَلاً. رَأَى: عُثْمَانَ، وَطَلْحَةَ، وَالكِبَارَ، وسمع خطبة عثمان، وشهد يوم الدّار، مَاتَ رَجَبٍ، سنة عشر ومائة، قال الذهبي: وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ مَشْهُوْدَةً، صَلَّوْا عَلَيْهِ عَقِيْبَ الجُمُعَةِ بِالبَصْرَةِ، فَشَيَّعَهُ الخَلْقُ، وَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّ صَلاَةَ العَصْرِ لَمْ تُقَمْ فِي الجَامِعِ.تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 563/4-587، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري، ت: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م، 48/2.

مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول: صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن: اعتزل عنا واصل فسمي هو وأصحابه: معتزلة"[1].

وذكر البغدادي أن واصل بن عطاء زعم أَن الْفَاسِق من هَذِه الأمة لَا مُؤمن وَلَا كَافِر، وَجعل الْفسق منزلَة بَين منزلتي الْكفْر والإيمان، فَلَمَّا سمع الْحسن البصري من وَاصل بدعته هَذِه الَّتِي خَالف بهَا أَقْوَال الْفرق قبله ، طرده عَن مَجْلِسه ، فاعتزل عِنْد سَارِيَة من سواري مَسْجِد الْبَصْرَة وانضم إليه قرينه في الضَّلَالَة عَمْرو بن عُبيد فَقَالَ النَّاس يَوْمئِذٍ فيهما أنهما قد اعتزلا قَول الأمة وسمي أتباعهما من يَوْمئِذٍ معتزلة[2]

الفرع الثالث:نشأة المعتزلة

نشأة هذه الفرقة لم تكن وليدة حدث عفوي كما يظهر من موقف خروج واصل بن عطاء عن مجلس الحسن البصري ومخالفته له واعتزاله عند سارية من سواري المسجد يقرر نظريته، بل كان نتيجة التشبع بالآراء الفكرية الأجنبية، والاحتكاك بأشخاص خارجين عن السنة، فقد تتلمذ واصل في المدينة على يد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية[3] الذي كان ينسب للسبئية أول من ألف في الإرجاء[4]، وفي البصرة أخذ عن معبد الجهني أول من تكلم في القدر[5]، وكان العراق وقتها تجمع الشيعة والجهمية والقدرية بصفة عامة[6]، وما إن أظهر واصل آراءه حتى كان له أتباع وتلاميذ، وبالجملة فالمعتزلة وجدوا في بيئتهم روافد ثرية استقوا منها أصولهم وآراءهم وأنشأوا بها مذهبهم[7].

---

(1) الملل والنحل للشهرستاني، 48/1.

(2) الفرق بين الفرق، ص98.

(3) ينظر: الملل والنحل، 201/1.

(4) ينظر: سير أعلام النبلاء، 129/4-130.

(5) ينظر: صحيح مسلم، 26/1.

(6) ينظر: عدالة الصحابة عند المسلمين، ص145-146، والجهمية والمعتزلة، ص132.

(7) ينظر: الحركات السرية في الإسلام: محمود إسماعيل، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1975م، ص94، والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها: عواد عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة، 1421هـ-2001م، ص28.

وقد بين الدكتور ناصر العقل المراحل التي مرّت بها المعتزلة حتى تبلورت واستقرت مبادئها، حيث قسمها إلى:

"المرحلة الأولى: الجانب القدري منها، وهو امتداد للقدرية الأولى التي ظهرت أواخر القرن الأول، ويتزعمها معبد الجهني، ثم قدرية غيلان الدمشقي، حيث ورث المعتزلة هذه التركة وأصبح عليها اسم القدرية نفسها.

المرحلة الثانية: ما أنشأته المعتزلة من مبادئ جديدة مبتدعة حول مرتكب الكبيرة، وهي ما سموه المنزلة بين المنزلتين، وما يتفرع عنها من أحكام، وفي هذه المرحلة اشتهر اسمها بالمعتزلة.

المرحلة الثالثة: الجانب المتعلق بالصفات والسمعيات وهو التعطيل والتأويل، فكان فيه المعتزلة تبعا للجهمية، وقد تتلمذ المعتزلة الأوائل على الجعد بن درهم، وأخذوا عنه إنكار الصفات.

ولما ظهر الجهم بن صفوان أخذ عنه أصحاب عمرو بن عبيد.

ولم تكن الأصول الخمسة-عندهم- واضحة المعالم أول الأمر، لكن مع تطور مقالاتهم تبلورت حتى صارت أصولا يكادون يتفقون عليها في الجملة"[1].

المطلب الثاني:موقف المعتزلة من الصحابة الكرام ﷺ:

إذا نظرنا إلى الكتب التي تتحدث عن الفرق وأصولها وتاريخها ومواقفها نجد أنّ أبرزهم لما تكلموا عن المعتزلة بينوا موقفهم السلبي من الصحابة الكرام -بل ومن السنة عموما – حيث بينوا أنّ رؤوس المعتزلة فسقوا الصحابة وطعنوا فيهم وكالوهم التهم ورموهم بالكذب... [2]، وفي نفس المضمار سار كتاب الفرق في العصر الحديث فلا تكاد تجد من يتحدث عن موقف المعتزلة من الصحابة إلا ويذكرهم بما لا تقرّ به عين مسلم [3].

---

[1] ينظر: الجهمية والمعتزلة: ناصر عبد الكريم العقل، دار الوطن، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م، ص135.

[2] ينظر: الفرق بين الفرق، ص100، والملل والنحل49/1.

[3]ينظر: موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم فيها: أبولبابة حسين، دار اللواء، الطبعة الثانية، 1407هـ، 1987م، المملكة العربية السعودية، ص78.

وإنّ الإنصاف يحتّم على الباحث الرجوع والنظر في كتب المعتزلة الأوائل، دون إغفال كتب من تناولوا مناهجهم وأئمتهم بالدراسة حتى يتبين موقفهم من الصحابة ونظرتهم إليهم.

يمكن القول بأنّ مواقف المعتزلة من الصحابة الكرام كانت متباينة، كما يمكن القول بأن نظرتهم للصحابة مرت بمرحلتين اثنتين هما:

المرحلة الأولى: وفيها يتولى جمهور المعتزلة: الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، بل ويتولون جميع الصحابة في عهديهما، ولذلك كان جدلهم جميعا في موضوع الشيخين وبقية الصحابة ضد الشيعة ردّا لتهم الكفر والردة والنفاق التي وجهت من الشيعة إليهم[1]

ومما يدلّ على ذلك أنّ القاضي عبد الجبار عقد فصولا مطولة في تثبيت إمامة الشيخين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومن بعدهما كإمامة عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وردّ على كثير من الشبه والمطاعن التي أوردها الخصوم حول إمامتهم ومكانتهم، وذكر شيئا من فضائلهم[2].

المرحلة الثانية: وتبدأ بعد وقوع الفتنة في عهد عثمان ﷺ، وفيها تُوقف في عدالته ﷺ، يقول ابن المرتضى:" وأجمعوا على تولي الصحابة، واختلفوا في عثمان بعد الأحداث التي أحدثها، فأكثرهم تولاه وتأوّل له" [3]، وحكاية الإجماع هذه على الإطلاق لا تسلم له، والذي يظهر أن هذا التوقف في عدالة عثمان ﷺ كان عند متقدمي المعتزلة، أما المتأخرين فصاروا يقرون بإمامته قبل الفتنة وبعدها، وظهر هذا الموقف عند أبي علي الجبائي[4]، والقاضي عبد الجبار[5] فعقد فصولا في تثبيت إمامته والرد على المطاعن والشبه، وإن كان الزمخشري وهو من المتأخرين قد لمزه –عثمان ﷺ– في تفسيره لقوله تعالى:

---

(1) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، ص97.

(2) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل:عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، قوم نصه: إبراهيم الأبياري، د.د، د.ب، د.ط، 1380هـ، القسم الأول، 273/20-357، والقسم الثاني، 3/20-78.

(3) المنية والأمل في شرح الملل والنحل:احمد بن يحيى بن المرتضى، دار المعرفة الجامعية، د.ن، 1985م، ص13.

(4) ينظر: فضل الاعتزال: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، الدار التونسية، د.ن، 1393هـ، ص42.

(5) ينظر: المغني، القسم الثاني، 30/20-57.

﴿ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴾ [النجم:34] حيث أورد رواية تنطوي على مغمز واضح له [1]وهي قصة باطلة السند منكرة المتن[2]

وسأحاول أن أبين ما ورد عن أبرز أئمة المعتزلة كل على حدة:

واصل بن عطاء[3]:

توقف في عثمان وقاتليه وخاذليه، وذلك أنه قد صحت عنده لعثمان أحداث في الست الأواخر فأشكل عليه أمره، ذلك أنّ القوم عنده كانوا أبرارا أتقياء مؤمنين قد تقدمت لهم سوابق حسنة مع رسول الله ﷺ وهجرة وجهاد وأعمال جليلة، ثم تحاربوا وتجالدوا بالسيوف، فقال: قدعلمنا أنهم ليسوا بمحقّين جميعا، وجائز أن تكون إحدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلة ولم يتبين لنا من المحق منهم ومن المبطل فوكلنا الأمر إلى عالمه، وتولينا القوم على أصل ماكانوا عليه قبل القتال فإذا اجتمعت الطائفتان قلنا: قد علمنا أنّ إحداكما عاصية لا ندري أيكما هي[4].

ومما قاله: " فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم"[5].

عمرو بن عبيد [6]:

---

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:محمود بن عمرو الزمخشري، 427/4.

[2] ينظر: أسباب النزول:علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ت: ماهر الفحل، د.د،د.ب،د.ط،د.ت، 4/20.

[3] واصل بن عطاء: أبو حذيفة المخزومي، مولاهم، البصري، الغزال، ولد سنة 80هـ بالمدينة، ومات سنة131هـ. تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، 5/464-465، وشذرات الذهب، 196/2.

[4] ينظر: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط، ت: نيبرج، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، 1433هـ-1925م، ص97.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص97-98، والفرق بين الفرق، ص100و306، والملل والنحل، 49/1.

[6] عمرو بن عبيد: كبير المعتزلة وأولهم، يروي عن الحسن قال أيوب ويونس كان يكذب في الحديث وقال أحمد كان يكذب على الحسن قال علي ليس حديثه بشيء ولا نرى الرواية عنه وقال يحيى ليس بشيء لا يكتب حديثه وقال النسائي متروك الحديث وَقَالَ ابْنُ المُبَارَكِ: دَعَا إِلَى القَدَرِ، فَتَرَكُوْهُ.

وَقَالَ مُعَاذُ بنُ مُعَاذٍ: سَمِعْتُ عَمْراً يَقُوْلُ: إِنْ كَانَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} فِي اللَّوحِ المَحْفُوْظِ، فَمَا للهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ حُجَّةٌ.

وَسَمِعْتُهُ ذَكَرَ حَدِيْثَ الصَّادِقِ المَصْدُوْقِ، فَقَالَ: لَوْ سَمِعْتُ الأَعْمَشَ يَقُوْلُه لَكَذَّبْتُهُ، وقال ابن حبان كان عمرو من اهل الورع والعبادة إلى ان أحدث ما أحدث فاعتزل مجلس الحسن... وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث.مات سنة ثلاث وقيل أربع وأربعين ومائة.ينظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي229/2، وسير أعلام النبلاء104/6-105.

موقفه هو ذاته موقف شيخه واصل بن عطاء بالقول بفسق المتحاربين في موقعة الجمل، وزاد عليهم عثمان ﷺ فقال: "لوشهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان على شراك نعل ما أجزت شهادتهم"

النظّام[1]:

لقد ضرب النظّام بسهم وافر في الطعن في الصحابة ﷺ حيث طعن في أبي بكر الصديق واتهمه بالتناقض في أقواله وأفعاله، وطعن في عمر وزعم أنه شك يوم الحديبية في دينه وشك يوم وفاة النبي ﷺ، وأنه كتم الوصية بالخلافة لعلي بن أبي طالب ﷺ، وأنه ضرب فاطمة حتى ألقت جنينها، ودعا إلى إحراق دارها بمن فيها، وما كان فيها غير علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ.

وطعن في عثمان بن عفان وعاب عليه أمورا كثيرة، مثل إيوائه للحكم بن العاص، واستعماله للوليد بن عقبة..ثم طعن في علي ﷺ ورد بعض فتاويه واتهمه بمخالفة الشرع

كما أنه اتهم ابن مسعود أبا هريرة بالكذب في الحديث.

يقول الشهرستاني: ومنه نرى أن المعتزلة مابين شاك بعدالة الصحابة منذ الفتنة كـ"واصل"، وما بين موقن بفسقهم كـ"عمرو بن عبيد، ومابين طاعن في أعلامهم، متهم لهم بالكذب والجهل والنفاق كالنظام، وذلك يوجب ردهم للأحاديث التي جاءت عن طريق هؤلاء الصحابة بناء على رأي واصل وعمرو ومن تبعهما.

الجاحظ[2]:

يرى الجاحظ أنّ الصحابة منذ عهد النبي ﷺ كانوا على طريق الحق، حتى حدثت الفتنة وقُتل عثمان ﷺ، فيقول:"فالطبقة الأولى عصر النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، وست سنين من

---

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام مولى آل حارث بن عباد الضُبعي البصري المتكلم، كان شاعراًديبا بليغا، وله كتب كثيرة في الاعتزال، قال الذهبي عنه: كان يقول: إِنَّ اللهَ لاَ يَقْدِرُ عَلَى الظُّلْمِ وَلاَ الشَّرِّ، وَلَوْ كَانَ قَادِراً، لَكُنَّا لاَ نَأْمَنُ وَقْعَ ذَلِكَ، وَإِنَّ النَّاسَ يَقْدِرُوْنَ عَلَى الظُّلْمِ، وَصَرَّحَ بِأَنَّ اللهَ لاَ يَقْدِرُ عَلَى إِخْرَاجِ أَحَدٍ مِنْ جَهَنَّمَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى أَصْلَحَ مِمَّا خَلَقَ... وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ النَّظَّامُ عَلَى دِيْنِ البَرَاهِمَةِ المُنْكِرِيْنَ لِلنُبُوَّةِ وَالبَعْثِ، وَيُخْفِي ذَلِكَ، قيل عنه: كان يحب الخمر وله فيها شعر، ومات وهوسكران سنة بضع وعشرين ومائتين.ينظر: طبقات الشعراء: عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي، ت: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص271، وسير أعلام النبلاء541/10، ولسان الميزان، رقم173، 67/1.

[2] عمرو بن بحر الجاحظ: قال الذهبي: صاحب التصانيف روى عنه أبو بكر بن أبي داود فيما قيل، قال ثعلب: ليس بثقة ولا مأمون، قلت: وكان من أئمة البدع.ينظر: لسان الميزان: 355/4.و الضعفاء والمتروكين: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ت: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1406هـ، 223/2.

خلافة عثمان كانوا على التوحيد الصحيح والإخلاص المحض، مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة، وليس هناك عمل قبيح، ولا بدعة فاشية، ولا نزع من يد طاعة، ولا حد ولا غل ولا تأول، حتى كان الذي كان من مقتل عثمان ﷺ" [1]

وقد ألّف كتابه **الرسالة العثمانية**، فأثنى على عثمان وذكر فضائله وأثنى كذلك على الخليفتين قبله أبي بكر وعمر ﷺ جميعا [2]، لكنه بالمقابل شكّ في عثمان ﷺ فقال: "وإنما الشك منا فيه، وفي خاذله، ومن أراد عزله والاستبدال به"[3]

و رأى أنّ الأمر في فتنة مقتل عثمان ما كان ينبغي أن يصل لحد القتل؛ قال:" ولقد كان لهم في أخذه، وفي إقامته للناس والاقتصاص منه، وفي بيع ما ظهر من رباعه وحدائقه، وسائر أمواله، وفي حبسه بما بقي عليه، وفي طمره حتى لا يحس بذكره ما يغنيهم عن قتله، إن كان قد ركب كل ما قذفوه به وادعوه عليه، وهذا كله بحضرة أجلة المهاجرين والسلف المقدمين والأنصار والتابعين"[4]

و كفّر معاوية بن أبي سفيان ﷺ واعتبره "أول من غدر في الإسلام بإمامه، وحاول نقض عرى الدين بآثامه"[5]، كما أنه كفّر الصحابة الذين عاصروه ولم يقولوا بكفره، ومنهم الصحابة الذين بايعوه ﷺ، وقال عن خلافته: " فهذه أول كفرة كانت في الأمة، ثم لم تكن إلا فيمن يدعي إمامتها والخلافة عليها، على أنّ كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره"[6] وقال أيضا: "والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه..."[7]

وتمادى في جرأته عليه حتى قال أيضا: " ثم مازالت معاصيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما

---

[1] رسائل الجاحظ: عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت ،ص239.

[2] العثمانية: عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، د.ب، الطبعة الأولى 1411هـ-1991م، الكتاب فيه عدة صفحات تثبت ما ذكرته.

[3] رسائل الجاحظ ، 9/2.

[4] المصدر نفسه، ص240.

[5] المصدر نفسه، 189/2.

[6] المصدر نفسه، 12/2.

[7] المصدر نفسه، 14/2.

رتبنا حتى رد قضية رسول الله ردا مكشوفا، وجحد حكمه جحدا ظاهرا "[1]

وخلاصة القول في موقف المعتزلة أنّ جمهورهم على تعديل الصحابة قبل فتنة مقتل عثمان، والثاء عليهم، أما بعد الفتنة فقد تعدّدت أقوالهم بين الشك في عدالتهم، ورميهم بالفسق، والطعن فيهم ورد رواياتهم...

وتعتبر المدرسة الاعتزالية يستقي منه العقلانيون المعاصرون أفكارهم وسلفا يعتزون به في تقديمهم العقل وما ينجرّ عن ذلك من مواقف، وفي الفصل الأخير بحول الله تعالى بيان شيء من الصلة بين العقلانيين المعاصرين والمعتزلة.

[1] المصدر نفسه، 11/2.

المبحث السادس:الأشاعرة وموقفهم من عدالة الصحابة:

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الأشاعرة وأشهر علمائهم، ومعتقداتهم.

المطلب الثاني:موقف الأشاعرة من عدالة الصحابة.

المطلب الأول: تعريف الأشاعرة ونشأتهم وأشهر علمائهم، ومعتقداتهم

الفرع الأول: تعريف الأشاعرة ونشأتهم:

الأشاعرة فرقة كلامية تنتسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري البصري؛ وهو أحد علماء القرن الثالث(260هـ-324هـ)، تتلمذ على يد أبي خليفة الجمحي، وأبي علي الجُبّائي، وزكريا الساجي، أفنى شوطا كبيرا من عمره في الاعتزال، ولما تعمّق في معرفته؛ نفر منه وتبرأ منه، وأعلن توبته أمام الناس، وأخذ يردّ على المعتزلة ويبطل كلامهم، ويكشف زيفهم[1].

وقد مرّ في مسيرته العلمية والعقدية بأطوار ثلاثة هي:

1-الطور الأول:" الطور الاعتزالي"؛ وذلك أنه كان معتزليا ملازما زوج أمه الجبائي حتى قارب الأربعين من عمره، ثم مرّ بإشكالات لم يجد لها أجوبة مقنعة، وقيل أنه رأى النبي ﷺ في منامه فأمره أن يروي العقائد المروية عنه لأنها الحق، فمنّ الله عليه بالتوبة، واعتمد الأدلة النقلية في تقرير العقائد[2].

2-الطور الثاني: "الطور الكلابي" بعد ما منّ عليه بالتوبة من الاعتزال، ذهب إلى طريقة أبي محمد بن سعيد بن كُلاب، الذي كان ينفي الصفات التي تتعلق بالمشيئة، ومن أشهر الكتب التي ألفها:"

---

[1] الملل والنحل، 212/11.

[2] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ، ص91. وطبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ، 348/3.

اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع"[1].

3-الطور الثالث:" التزام مذهب أهل السنة"؛حيث أعلن الإمام أبو الحسن أنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فقال في مقدمة كتابه الإبانة:" فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافعة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له:

قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولما خالف قوله مخالفون"[2].

وهذا الطور اختلف فيه العلماء بين مثبت له كالذهبي، وابن كثير، وحافظ الحكمي[3]، وناف له قائل بأن أبا الحسن مازال على كُلابيته كابن حزم وابن تيمية وابن القيم، وابن أبي العز[4]

الفرع الثاني:أشهر علماء الأشاعرة:

وهنا أذكر طائفة من العلماء الذين تبنوا مذهب الأشعري وألّفوا فيه ونصروه، مع اختلاف تخصصاتهم العلمية بين أصوليين، ومحدّثين،

---

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1900م، 284/3، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار:أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ، 191/4.

(2) الإبانة عن أصول الديانة: علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري، ت: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1397هـ، ص20.

(3) تذكرة الحفاظ:محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م، 201/2، والبداية والنهاية لابن كثير، 209/2، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1990 م، 197/1.

(4) الفصل في الملل والأهواء والنحل، 105/3-106، ودرء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1411 هـ - 1991 م، 16/2، واجتماع الجيوش الإسلامية: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م، 282/2، شرح والعقيدة الطحاوية، ص83.

وأبدأ **أولا** بمؤسس المذهب وهو **الإمام أبو الحسن الأشعري**: وهو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وكنيته أبو الحسن، والأشعري نسبة إلى أشعر قبيلة مشهورة باليمن من ولد سبأ، ولد أبو الحسن بالبصرة سنة ستين ومئتين من الهجرة260هـ، وسكن بغداد وتوفي بها سنة أربع وعشرين وثلاثمائة من الهجرة324هـ على الأرجح[1].

ثانيا:الباقلاني: هو القَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الطَّيِّب بنِ مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ قَاسِم البَصْرِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، ابْنُ البَاقِلاَّنِيّ، من أهل البصرة وسكن بغداد، وَكَانَ يُضَرَبُ المَثَلُ بِفَهْمِهِ وَذَكَائِه.

صَنَّفَ فِي الرَّدِّ عَلَى الرَّافِضَةِ، وَالمعْتَزِلَةِ، وَالخَوَارِجِ وَالجَهْمِيَّة وَالكَرَّامِيَّة، وَانْتَصَرَ لِطَرِيْقَةِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيّ، ونقلت عنه مناظرات للنصارى، له عدة تصانيف منها تمهيد الأوائل وتخليص الدلائل، ويعد من أهم كتب الأشاعرة، وصنف في إعجاز القرآن، وله الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة،، والباقلاني يعتبر من أبرز الأشاعرة الذين ساهموا في تطوير مذهبهم، توفي سنة403هـ رحمه الله[2].

ثالثا:ابن فورك: هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، درس مذهب الأشعري في العراق، ثم ذهب إلى الري، وبعدها نيسابور حيث أقام فيها يدرس المذهب الأشعري، له مؤلفات عديدة منها: مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري، توفي سنة406هـ رحمه الله[3].

رابعا:البيهقي: هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الحافظ، ولد سنة384هـ، كان كثير الرحلة والرواية، حافظ محدث علامة مشهور، له مؤلفات كثيرة منها: الأسماء والصفات، والاعتقاد، والسنن الكبرى، توفي سنة 458هـ رحمه الله[4].

خامسا:أبو المعالي الجويني: إِمَامُ الحَرَمَيْنِ، أَبُو المَعَالِي عَبْدُ المَلِكِ ابْنُ الإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْد اللهِ بنِ يُوْسُفَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ يُوْسُفَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَيُّوَيْه الجُوَيْنِيُّ، ثُمَّ النَّيْسَابُوْرِيُّ، ضِيَاءُ الدِّيْنِ، الشَّافِعِيُّ،

---

[1] تاريخ بغداد، 260/13.

[2] ينظر:سير أعلام النبلاء، 190/17، وتاريخ بغداد، 3364، وطبقات الشافعية 119/7

[3] ينظر: وفيات الأعيان، 272/4، وسير أعلام النبلاء، 214/17، وطبقات الشافعية 128/4.

[4] ينظر: وفيات الأعيان، 75/1، وسير أعلام النبلاء، 163/18.

صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ.وُلِدَ: فِي أَوّل سَنَة تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِ مائَة. له عدة تصانيف في الفقه، وفي الأصول وغيرهما من الفنون، منها: (نِهَايَة المطلِب فِي المذْهَب)؛ثَمَانِيَة أَسفَار، وَكِتَاب (الإِرشَاد فِي أُصُول الدِّيْنِ)، كِتَاب (الرِّسَالَة النّظَامِيَّة فِي الأَحكَام الإِسلاَمِيَّة)، كِتَاب (الشَّامل فِي أُصُول الدِّينِ)، كِتَاب (البُرْهَان فِي أُصُول الفِقْه)، كِتَاب (مدَارك العُقُول) لَمْ يُتِمَّه، كِتَاب (غِيَاث الأُمَم فِي الإِمَامَة، كِتَاب (مُغِيث الْخلق فِي اخْتِيَار الأَحقّ)، كِتَاب (غُنيَة المسْترشدين) فِي الخلاَف، توفي سنة ثمان وسبعين وأربع مائة[1].

سادسا:الغزالي: هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة، كان والده يغزل الصوف ويبيعه، لازم أبا المعالي الجويني وتتلمذ عليه، من مؤلفاته: إحياء علوم الدين، والمستصفى، توفي سنة خمس وخمسمائة[2].

سابعا:أبو بكر بن العربي: هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المالكي الحافظ أحد الأعلام، وعالم أهل الأندلس، صاحب التصانيف، له كتاب عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي، وكتاب المحصول في الأصول، ومن كتبه الكلامية كتاب المتوسط في الاعتقاد، انتصر فيه لمذهب الأشاعرة في الصفات، توفي رحمه الله سنة 543هـ[3].

ثامنا:عضد الدين الإيجي: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الشيرازي ولد عام 700هـ، من مؤلفاته: العقائد العضدية في علم الكلام، والمواقف في علم الكلام –ويعتبر الصياغة النهائية لمذهب الأشاعرة–، وشرح مختصر ابن الحاجب، توفي في السجن قرب"إيج" سنة 756هـ[4].

الفرع الثالث:عقيدة الأشعري:

يمكن إجمال ما استقر عليه الإمام أبو الحسن الأشعري من الاعتقاد فيما يأتي:

---

(1) ينظر: وفيات الأعيان، 167/3، وسير أعلام النبلاء، 468/18-481.

(2) ينظر:سير أعلام النبلاء، 323/19-346، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي، 87/4-90.

(3) ينظر: وفيات الأعيان، 296/4، وسير أعلام النبلاء، 197/20.

(4) ينظر: طبقات الشافعي، 46/10، ُالدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند، الطبعة الثانية، 1392هـ- 1972م، 110/3.

-يستدل الأشعري على وجود الله بخلق الإنسان[1]، ويثبت جميع أسماء الله ويعتمد على السمع فقط، فما ورد أثبته، وما لم يرد سكت عن إثباته[2].

-مذهبه في صفات الله يثبت جميع الصفات العقلية، أو المعاني، وهي سبعة: العلم، الحياة، القدرة، السمع، البصر، الكلام، الإرادة[3].

- ويثبت الصفات الخبرية، ويستدل عليها بالنصوص، كالوجه، والعين، والبصر[4].

-أما الصفات الفعلية: وهي المتعلقة بإرادة الله ومشيئته، والاستواء، والنزول، والمجيء، والضحك، والغضب، والرضا، والمحبة، وغيرها؛ فتعامل معها على أساس نفي حلول الحوادث بذات الرب عزّ وجلّ [5]، فيثبت ما ورد في النص، لكن يؤوله بأحد الأمرين:

أ-أن يجعل ما ورد صفة ذات أزلية كالكلام، أو يجعلها بمعنى الإرادة —وهي صفة ذات- كالمحبة، والرضا، والغضب [6].

ب- أن يجعل مقتضى الصفة مفعولا منفصلا عن الله لا يقوم بذاته؛ كالخلق ، فيجعل الاستواء، والنزول، والمجيء كالخلق، فهو الله فعل العرش فعلا سماه الاستواء، كما فعل في السماء الدنيا فعلا سماه نزولا وهكذا [7].

-أما مسألة الرؤية فيقول فيها: إن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر الله به[8].

---

[1] ينظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: علي بن إسماعيل إسماعيل بن عبد الله بن بن أبي موسى الأشعري، ت: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة 1413هـ، ص82.

[2] ينظر: الملل والنحل، ص94.

[3] ينظر: رسالة إلى أهل الثغر، ص 177.

[4] ينظر: الإبانة، ص120-140.

[5] ينظر: رسالة إلى أهل الثغر، ص184-185.

[6] ينظر: المصدر نفسه، ص216-220، وقد نسب إليه أن: كلام الله واحد، وأنه معنى قائم بذات الله، وأنه لم يزل متصفا بكونه أمرا ونهيا وخبرا، وأنه ليس بحروف ولا أصوات، فهذا غير منصوص عليه في كتبه، لكن نسبه إليه الأشاعرة كالجويني في الإرشاد، ص120، والشهرستاني في الملل والنحل، ص96.

[7] ينظر: الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى، د.ت، 308/2، وتبيين كذب المفتري، ص150.

[8] رسالة إلى أهل الثغر، ص237.

-أما مسألة الإيمان فيقول في "الإبانة": إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[1]، وفصّل فيه القول في كتابه "رسالة إلى أهل الثغر"[2]، لكنه في "اللمع" قال: بأن الإيمان هو التصديق[3]، وهو الذي تمسك به متأخرو الأشاعرة، كما نسبوا إليه: بأن القول باللسان والعمل بالأركان لا يدخلان فيه[4]، ونسبوا إليه أيضا: بأن الإيمان هو المعرفة[5].

- أما قوله في القدر فهو يثبت علم الله الشامل المحيط بكل شيء، كما يثبت الكتابة في اللوح المحفوظ، وأنّ الله أثبت فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة ،كما يثبت إرادة الله الشاملة لكل شيء، ويثبت أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها[6].

لكنه مال إلى الجبر بقوله بالكسب: وهو أن يقع الشيء بقدرة محدثة، فيكون كسبا لمن وقع بقدرته[7].

وهو يرى أن هذه القدرة المحدثة التي أثبتها للعبد وبها يكسب أعماله غير مؤثرة[8].

وقال بأنّ الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل[9]، ولذلك صرّح بالتكليف بما لا يطاق[10]، وقد فرّق بين عدم الاستطاعة للعجز عن الشيء، وعدم الاستطاعة للاشتغال بضده، والثاني هو مراده[11].

- أما مرتكب الكبيرة فيقول عنه قول أهل السنة: إنه مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وإنه لا يخلد في النار[12].

---

(1) الإبانة، ص27.

(2) رسالة إلى أهل الثغر، ص93.

(3) اللمع، ص75.

(4) ينظر: نهاية الإقدام، ص472.

(5) ينظر: المصدر نفسه، ص472.

(6) الإبانة، ص161.

(7) ينظر:مقالات الإسلاميين، 393/2.

(8) نهاية الإقدام في علم الكلام: عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، صححه: ألفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ن، ص72.

(9) رسالة إلى أهل الثغر، ص264.

(10) الإبانة، ص192.

(11) رسالة إلى أهل الثغر، ص241.

(12) الإبانة، ص26.

أما الأشاعرة المتأخرون فقد خالفوا إمامهم الأشعري وقدماء أصحابه في عدة مسائل منها:

مسألة الصفات الخبرية الزائدة على الصفات السبعة أو الثمانية، فيثبت القدماء ذلك، أما المتأخرون فيؤولون أو يفوضون.

قال ابن تيمية رحمه الله:" أهل الإثبات للصفات لهم فيما زاد على الثمانية ثلاثة أقوال معروفة: أحدها: إثبات صفات أخرى كالرضى والغضب والوجه واليدين والاستواء، وهذا قول ابن كلاب والحارث المحاسبي وأبي العباس القلانسي والأشعري وقدماء أصحابه كأبي عبد الله بن مجاهد وأبي الحسن بن مهدي الطبري والقاضي أبي بكر بن الطيب وأمثالهم، وهو قول أبي بكر بن فورك وقد حكى إجماع أصحابه على إثبات الصفات الخبرية كالوجه واليد وهو قول أبي القاسم القشيري وأبي بكر البيهقي، كما هو قول القاضي أبي يعلى وابن عقيل والشريف أبي علي وابن الزغوني وأبي الحسن التميمي وأهل بيته كابنه أبي الفضل ورزق الله وغيرهم، كما هو قول سائر المنتسبين إلى أهل السنة والحديث وليس للأشعري نفسه في إثبات صفة الوجه واليد والاستواء وتأويل نصوصها قولان، بل لم يختلف قوله أنه يثبتها ولا يقف فيها، بل يبطل تأويلات من ينفيها ولكنّ أبا المعالي وأتباعه ينفونها، ثم لهم في التأويل والتفويض قولان فأول قولي أبي المعالي التأويل كما ذكره في الإرشاد وآخرهما التفويض كما ذكره في الرسالة النظامية وذكر إجماع السلف على المنع من التأويل وأنه محرم، وأما أبو الحسن وقدماء أصحابه فهم من المثبتين لها، وقد عد القاضي أبو بكر في التمهيد والإبانة له الصفات القديمة خمس عشرة صفة ويسمون هذه الصفات الزائدة على الثمانية الصفات الخبرية وكذلك غيرهم من أهل العلم والسنة مثل محمد بن جرير الطبري وأمثاله وهو قول أهل السنة والحديث من السلف وأتباعهم وهو قول الكرامية والسالمية وغيرهم.

وهذا القول هو القول المعروف عند متكلمة الصفاتية لم يكن يظهر بينهم غيره حتى جاء من وافق المعتزلة على نفيها"[1].

وهذا شأن أتباع المذاهب من المتأخرين ، فقد يخرجوا عن جملة من أقوال أئمتهم الأوائل ويخالفونهم، كما قد يتعدد القول في المسألة الواحدة داخل المذهب، والذي يعنينا هنا هو الموقف من عدالة الصحابة، وهو محل البحث الآتي.

---

[1] درء تعارض العقل والنقل، 3/380-382.

المطلب الثاني: موقف الأشاعرة من عدالة الصحابة:

وقف علماء الأشاعرة من الصحابة الكرام موقف المعترف بعظيم مكانتهم، وسموّ منزلتهم، وردّوا أقوال الطاعنين فيهم والمشككين في مكانتهم وعدالتهم، وكفّوا عن الخوض فيما شجر بينهم وحكموا لهم في ملابستهم للفتن بالاجتهاد، وفيما يأتي عرض لآراء أبرز علماء الأشاعرة حول الصحابة ﷺ.

أولا: الثناء على الصحابة ونقل الإجماع على عدالتهم

يوقّر إمام الأشاعرة أبو الحسن الأشعري الصحابة ﷺ، ويعترف بفضائلهم الواردة في القرآن والسنة، ويذكرهم بإجلال ويترضى عليهم، ويقرّ بإمامة الأئمة الأربعة بعد النبي ﷺ، وقد عقد في كتابه الإبانة بابا في إمامة أبي بكر الصديق يوضح من خلاله موقفه من الصحابة ﷺ، فقال:"... أثنى الله تعالى على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، وعلى أهل بيعة الرضوان، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار ﷺ أجمعين في مواضع كثيرة، وأثنى على أهل بيعة الرضوان. وقد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق ﷺ وسموه خليفة رسول الله ﷺ وبايعوه وانقادوا له، وأقروا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي، وسياسة الأمة وغير ذلك[1]

و قال الإمام الجويني رحمه الله جوابا عمّن توقف في تعديل الصحابة الذين لابسوا الفتن:"... فإن الأمة مجمعة على أنه لا يسوغ الامتناع عن تعديل جميع أصحاب رسول الله ﷺ وما ذكره هذا السائل يوجب التوقف في تعديل كل نفر من الذين لابسوا الفتن وخاضوا المحن ومتضمن هذا الانكفاف عن الرواية عنهم وهذا باطل من دين الأمة وإجماع العلماء فانتهض الإجماع على بطلان هذا الطرف، حجة باتة على بناء الأمر على تحسين الظن وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر بالسبيل السابقة وهذا من نفائس الكلام.ولعل السبب الذي أتاح الله الإجماع لأجله أن الصحابة هم نقلة الشريعة ولو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر رسول الله ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار."[2]

---

[1] الإبانة عن أصول الديانة:، ص251-252.

[2] ينظر: البرهان في أصول الفقه، 1/241-242.

و قال الغزالي رحمه الله:"وَالَّذِي عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَجَمَاهِيرُ الْخَلَفِ، أَنَّ عَدَالَتَهُمْ مَعْلُومَةٌ بِتَعْدِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهُمْ وَثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ مُعْتَقَدُنَا فِيهِمْ إِلَّا أَنْ يَثْبُتَ بِطَرِيقٍ قَاطِعٍ ارْتِكَابُ وَاحِدٍ لِفِسْقٍ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَثْبُتُ فَلَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى التَّعْدِيلِ"[1]

وقال ابن حجر الهيتمي:" اعْلَم أَن الَّذِي أجمع عَلَيْهِ أهل السّنة وَالْجَمَاعَة أَنه يجب على كل أحد تَزْكِيَة جَمِيع الصَّحَابَة بِإِثْبَات الْعَدَالَة لَهُم والكف عَن الطعْن فيهم وَالثنَاء عليهم" [2]

ثانيا: الكف عما شجر بين الصحابة

قد كانت الفتنة التي جرت في زمن الصحابة –ونجم عنها مقتل عثمان ﷺ وانقسام الصحابة–، سببا في تعدد مواقف الناس من الصحابة واختلاف آرائهم فيهم بين مجرح ومعدل وملتمس للعذر وكاشف لخبايا شرور نفسه، ومتوقف في الأمر، وكان لأصحاب المذهب الأشعري رأيهم:

قال أبو الحسن الأشعري:"وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة – عليهم السلام – إلا بخير ما يذكرون به، وعلى أنهم أحق أن ينشر محاسنهم، ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج، وأن نظن بهم أحسن الظن، وأحسن المذاهب... وأجمعوا على أن ما كان بينهم من الأمور الدنيا لا يسقط حقوقهم"[3].

ويقول الإمام أبو الحسن في حديثه عن حرب معاوية:"إنه كان باجتهاد منه، وإن كان ذلك خطأ وباطلا ومنكرا وبغيا، على معنى أنه خروج على إمام عادل، ولكنه كان بنوع من الاجتهاد، ممن له أن يجتهد فيه، ولم يطلق عليه اسم الفسق أو الكفر، وكان يجري ذلك مجرى اختلاف الحاكمين إذا اجتهد أحدهما وأصاب الآخر"[4].

فيحكم على ما وقع من معاوية بالخطإ والبطلان والبغي، لكنه لا يحكم على معاوية بالفسق أو الكفر وفساد الدين، فيفرق بين الفعل الخطإ المجانب للصواب وبين فاعله المجتهد.

---

[1] المستصفى، ص130.

[2] الصواعق المحرقة، 603/2.

[3] رسالة إلى أهل الثغر، ص172-173.

[4] مقالات الشيخ أبي الحسن الاشعري: محمد بن الحسن بن فورك، ت: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م، ص195.

ويقول إمام الأشاعرة بعد الأشعري- أبو بكر الباقلاني-: "ويجب أن يعلم أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم من المشاجرة نكف عنه، ونترحم على الجميع، ونثني عليهم، ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان، والفوز، والجنان...ويجب أن يعلم أن خير الأمة أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة ﷺ الجميع وأرضاهم..."[1].

ويقول ابن فورك:" "فأما طلحة والزبير فإنهما خرجا عليه، وكانا متأولين مجتهدين، يريان ذلك صوابا بنوع من الاجتهاد، وإن كان ذلك منهما خطأ، وإنهما رجعا عن ذلك، وندما، وأظهرا التوبة، وماتا تائبين مما فعلا"[2].

وممن نص على ذلك الجويني:"علي بن أبي طالب كان إماما حقا في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطؤوه"[3]

ووافقه وأقره ابن ميمون في شرحه على الإرشاد[4]، فالجويني حكم على فعل معاوية بالبغي ولكنه لم يحكم عليه بالفسق وفساد الدين.

ويقول-الجويني- في كتابه لمع الأدلة:"ومعاوية وإن قاتل عليا، فإنه لا ينكر إمامته، ولا يدّعيها، وإنما كان يطلب قتلة عثمان، ظانا أنه مصيب، وهو مخطئ، وعلي ﷺ متمسك بالحق"[5].

أما أبو إسحاق الشيرازي ففي عقيدته المسماة الإشارة إلى مذهب الحق، فإنه ذكر اختلاف مواقف العلماء فيما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وذكر الأدلة على أن ما جرى بينهم لا يؤدي إلى الكفر والفسق، ثم قال:" والواجب في ذلك الإمساك عما شجر بينهم، وذكر محاسنهم"[6]

---

[1] الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: أبو بكر بن الكيب الباقلاني، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، 1421هـ-2000م، ص64-65.

[2] مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ص195.

[3] الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد:عبد الملك بن عبد الله الجويني، ت:محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة الخانجي، مصر، د.ط، 1950م، ص365.

[4] شرح الإرشاد: عبد الله بن ميمون، ت: أحمد حجازي السقا، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1987 م، ص365.

[5] لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ت: فوقية حسين محمود، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م، 129.

[6] الإشارة إلى مذهب أهل الحق: إبراهيم بن علي بن يوسف، ت: محمد السيد الجليند، القاهرة، 1420هـ-1999م، ص187.

وهذا أبو حامد الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد يقول:" الطرف الثالث: في شرح عقيدة أهل السنة في الصحابة والخلفاء الراشدين ﷺ.

اعلم أن للناس في الصحابة والخلفاء إسراف في أطراف؛ فمن مبالغ في الثناء حتى يدعي العصمة للأئمة، ومنهم متهجم على الطعن بطلق اللسان بذم الصحابة. فلا تكونن من الفريقين واسلك طريق الاقتصاد في الاعتقاد. واعلم أن كتاب الله مشتمل على الثناء على المهاجرين والأنصار وتواترت الأخبار بتزكية النبي ﷺ إياهم...، فينبغي أن تستصحب هذا الاعتقاد في حقهم ولا تسيء الظن بهم كما يحكى عن أحوال تخالف مقتضى حسن الظن، فأكثر ما ينقل مخترع بالتعصب في حقهم ولا أصل له وما ثبت نقله فالتأويل متطرق إليه ولم يجز ما لا يتسع العقل لتجويز الخطأ والسهو فيه، وحمل أفعالهم على قصد الخير وإن لم يصيبوه. والمشهور من قتال معاوية مع علي ومسير عائشة ﷺ إلى البصرة والظن بعائشة أنها كانت تطلب تطفئة الفتنة ولكن خرج الأمر من الضبط، فأواخر الأمور لا تبقى على وفق طلب أوائلها، بل تنسل عن الضبط، والظن بمعاوية أنه كان على تأويل وظن فيما كان يتعاطاه وما يحكى سوى هذا من روايات الآحاد فالصحيح منه مختلط بالباطل والاختلاف أكثره اختراعات الروافض والخوارج وأرباب الفضول الخائضون في هذه الفنون، فينبغي أن تلازم الإنكار في كل ما لم يثبت، وما ثبت فيستنبط له تأويلاً، فما تعذر عليك فقل: لعل له تأويلاً وعذراً لم أطلع عليه[1]".

وهذا السيف الآمدي إمام الأشعرية في زمانه يقول:"الْوَاجِب أَن يحسن الظَّن بأصحاب الرَّسُول وَأَن يكف عَمَّا جرى بَينهم وَألا يحمل شيء مِمَّا فَعَلُوهُ أَو قَالُوهُ إِلَّا على وجهة الْخَيْر وَحسن الْقَصْد وسلامة الِاعْتِقَاد وأنه مُسْتَند إِلَى الِاجْتِهَاد لما اسْتَقر فى الأسماع وتمهد فى الطباع ووردت بِهِ الْأَخْبَار والْآثَار متواترة وآحاد من غرر الْكتاب وَالسّنة واتفاق الْأمة على مدحهم وَالثنَاء عَلَيْهِم بفضلهم مِمَّا هُوَ فى اشتهاره يغنى عَن إِظْهَاره وَأَن أَكثر مَا ورد فى حَقهم من الْأَفْعَال الشنيعة والأمور الْخَارِجَة عَن حكم الشَّرِيعَة فَلَا أصل لَهَا إِلَّا تخرصات أهل الْأَهْوَاء وتصنعات الْأَعْدَاء كالروافض والخوارج وَغَيرهم من السفساف وَمن لَا خلاق لَهُ من الْأَطْرَاف وَمَا ثَبت نَقله وَلَا سَبِيل إِلَى الطعْن فِيهِ فَمَا كَانَ يسوغ فِيهِ

[1] الاقتصاد في الاعتقاد: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2004 م، ص131.

الِاحْتِمَال والتأويل فِيهِ بِحَال فَالْوَاجِب أَن يحمل على أحسن الِاحْتِمَالَات وَأَن ينزل على أشرف التنزيلات، وَيجب مَعَ ذَلِك أَن يعْتَقد أَن أَبَا بكر أفضل من عمر وَأَن عمر أفضل من عُثْمَان وأن عُثْمَان أفضل من علي وَأَن الْأَرْبَعَة أفضل من باقي الْعشْرَة وَالْعشرَة أفضل مِمَّن عداهم من أهل عصرهم وَأَن أهل ذَلِك الْعَصْر أفضل مِمَّن بعدهمْ وَكَذَلِكَ من بعدهمْ أفضل من يليهم وَأَن مُسْتَند ذَلِك لَيْسَ إِلَّا الظَّن وَمَا ورد في ذَلِك من الْآثَار وأخبار الْآحَاد والميل من الْأمة إِلَى ذَلِك بطرِيق الِاجْتِهَاد" [1].

ويذهب عضد الدين الإيجي إلى أن فضل الصحابة ثابت بنص الكتاب والسنة العملية والقولية، وكذلك بالنظر في سيرتهم مما يدفع عنهم الطعون التي لحقتهم؛ فيقول في كتاب المواقف:" يجب تعظيم الصحابة كلهم والكف عن القدح فيهم لأن الله عظمهم وأثنى عليهم في غير موضع من كتابه، والرسول قد أحبهم وأثنى عليهم في أحاديث كثيرة، ثم إن من تأمل سيرتهم ووقف على مآثرهم وجدهم في الدين، وبذلهم أموالهم وأنفسهم في نصرة الله ورسوله لم يتخالجه شك في عظم شأنهم وبراءتهم عما ينسب إليهم المبطلون من المطاعن، ومنعه ذلك عن الطعن فيهم ورأى ذلك مجانبا للإيمان، ونحن لا نلوث كتابنا بأمثال ذلك"[2].

و يقول تقي الدين السبكي: "ومن توقيره ﷺ توقير أصحابه، والسكوت عما شجر بينهم" [3].

و من أكثر العلماء الأشاعرة الذين اهتموا بقضية الاقتتال بين الصحابة الإمام ابن حجر الهيثمي، والذي ينقل فيه موقف أئمتهم الأشاعرة من الخلاف الذي جرى بين الصحابة فيقول:" صرّح أئمتنا وغيرهم في الأصول؛ بأنه يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة ﷺ...وقد ذكر أئمتنا الأصوليون وغيرهم شبه المبتدعة التي أخذوها تارة عن كذبهم على علي وأصحابه، وتارة عن بقية الصحابة، ثم ردوها عن آخرها حتى لم يبق لهم شبهة يستندون إليها، ولا حجة يعتمدون عليها، وبيّن أئمتنا المحدثون

---

[1] غاية المرام في علم الكلام:علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، ت: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ن، ص390-391.

[2] المواقف: عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ت: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م، 3/641-642، مع ملاحظة أنه عندكلامه عن مذاهب المبتدعة في الحكم على الفريقين المقتتلين من الصحابة ذكر أن الشيعة وكثير من أصحابهم ذهبوا إلى تفسيق محاربي علي، لكنه لم يسمّ أحدا من هؤلاء الأصحاب.

[3] السيف المسلول على من سب الرسول: علي بن عبد الكافي السبكي، ت: إياد أحمد الغوج، دار الفتح، عمان، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م، ص525.

أن كثيرا مما نقل عنهم إما كذب، وإما في سنده علة أو علل...وإنما المراد أنه لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا مما وقع بينهم يستدل به على بعض نقص من وقع له ذلك...وهو إغراء العامة ومن في حكمهم على تنقيص ؟أصحاب رسول الله ﷺ الذين لم يقم الدين إلا بنقلهم إلينا..." [1].

يظهر موقفه من الصحب الكرام من خلال كتابه " تطهير الجنان واللسان عن ثلب معاوية بن أبي سفيان، حيث يقول فيه:"...فعلي مجتهد مصيب، فله أجران...ومقاتلوه كعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تبعهم من الصحابة الكثيرين من أهل بدر وغيرهم مجتهدون غير مصيبين، فلهم أجر واحد" [2].

وقد أفرد لمعاوية ﷺ كتابا خاصا بالغ في شرح ما يراه من فضائله ومناقبه وعلمه واجتهاده [3].

ويقول في كتاب الزواجر:" الْكَبِيرَةُ الرَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ: بُغْضُ الْأَنْصَارِ وَشَتْمُ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ "[4].

وتعديل الصحابة والقول بفضلهم هو مذهب شهاب الدين المقّري في عقيدته المسماة" إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة" [5]، وأكد كلامه عبد الغني النابلسي، في شرح العقيدة المسمى رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة[6].

وهو مذهب العدوي الدردير، في شرح على الخريدة البهية في العقائد السنية [7]،

وممن قرّر هذه العقيدة الصاوي، في شرحه على جوهرة التوحيد، فقد بين أنه يجب على المسلم أن

---

(1) تطهير الجنان واللسان عن ثلب معاوية بن أبي سفيان مع المدح الجلي وإثبات الحق العلي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، علق عليه: إبراهيم بن حمدي بن عبد الله، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م، ص 110-111.

(2) المصدر نفسه، ص178.

(3) المصدر نفسه، ص44.

(4) الزواجر عن اقتراف الكبائر: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م، 381/2.

(5) إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة: أحمد المقري،، دار الفكر، د.ب، د.ط، د.ت، ص96.

(6) رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة: عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ن، ص168.

(7) شرح الخريدة البهية في علم التوحيد: أحمد بن محمد العدوي الدردير، ت: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، دار البيروتي، د.ط، د.ب، د.ت، ص204.

يصرف ما ورد عن الصحابة من خلاف واقتتال "إلى محمل حيث كان ممكنا، فإن لم يمكن تأويله وقفنا، لاعتقادنا حفظهم مما يوجب الفسق؛ لأنهم مجتهدون"[1]

ويقول البيجوري، في كتابه"تحفة المريد على جوهرة التوحيد": "وأفضل الصحابة النفر الذي ولي الخلافة العظمى وهي النيابة عن النبي ﷺ في عموم مصالح المسلمين، ...وقع تشاجر بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقد افترقت الصحابة ثلاث فرق:فرقة اجتهدت فظهر لها أن الحق مع علي فقاتلت معه، وفرقة اجتهدت فظهر لها أن الحق مع معاوية فقاتلت معه، وفرقة توقفت...فلم يخرج واحد منهم عن العدالة بما وقع بينهم؛ لأنهم مجتهدون"[2]

وممن قرر ذلك من متأخري الأشاعرة محمد بخيت المطيعي، في كتابه: القول المفيد في علم التوحيد، حيث قال:"ما وقع بينهم من التشاجر فمنشؤه الاجتهاد، فالمخطئ كالمصيب ومأجور، فلا يخل بالعدالة، ولا تخض في تفصيل ذلك التشاجر مخافة أن تصيب قدحا وذما في واحد منهم"[3]

والحاصل أنّ متكلمي الأشاعرة على القول بعدالة الصحابة والاعتراف بعلو منزلتهم، وهو قول الأشاعرة من علماء الحديث أيضا، وقد تقدم الحديث عن بعضهم في الفصل الأول حين الكلام عن مفهوم الصحابي ومعنى عدالة الصحابة.

واستقرّ القول بعدالة الصحابة والذب عنهم والكف عما شجر بينهم لدى الأشاعرة المعاصرين، من علماء الأزهر وغيره من المؤسسات العلمية التي يمثلها الأشاعرة في وقتنا[4].

---

[1] شرح الصاوي على جوهرة التوحيد: أحمد بن محمد الصاوي، ت: عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م، ص، 329-331.

[2] تحفة المريد على جوهرة التوحيد: إبراهيم الباجوري، ت: علي جمعة، دار السلام ، د.ن ، ص 237و 245.

[3] القول المفيد في علم التوحيد: محمد بخيت المطيعي، المطبعة الخيرية، د.ب، الطبعة الأولى، 1326هـ، ص70.

[4] ينظر: موقف علماء الأشاعرة من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: سلطان العميري، جامعة أم القرى، وهو بحث على الشبكة العنكبوتية، استفدت منه في معرفة أعيان الأشاعرة ، و رجعت من خلاله إلى مصادرهم ، وقد بيّن جزاه الله خيرا موقفهم من الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم.
ينظر: https//groups.google.com

المبحث السابع:الماتريدية وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ:

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الماتريدية ومراحل نشأتها.

المطلب الثاني:موقف الماتريدية من عدالة الصحابة ﷺ:

المطلب الأول:تعريف الماتريدية ومراحل نشأتها[1]:

الفرع الأول:تعريفها:

الماتريدية فرقة كلامية تنسب لأبي منصور الماتريدي[2]، ظهرت في أوائل القرن الرابع الهجري في سمرقند في بلاد ما وراء النهر، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها من المعتزلة والجهمية وغيرهم لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية، نشأت في ظل الصراع الكلامي الذي نشأ في بغداد عاصمة الخلافة العباسية وفي ظل تشعب الآراء والمذاهب فيها، واحتدام الجدل بين رؤساء المذاهب الذي امتد إلى بقية بقاع العالم الإسلامي ومنها سمرقند، فأدى إلى ولادة الطائفة الماتريدية، بالإضافة لانتشار العقائد والمذاهب المعتمدة على المناهج العقلية والفكرية آنذاك، حيث ساعد على نشوء فكر الماتريدية الداعي للجمع بين الشرع والعقل وتوسيع دائرة التفكير والاستنتاج[3].

---

(1) ينظر:المجلة الأردنية في الدراسات القرآنية، المنهج العقدي للإمام أبي منصور الماتريدي بين النقل والعقل: مروة حمود خرمة، المجلد التاسع، العدد الثالث، 1434هـ-2013م، عمان، الأردن، ص11-12.

(2) هو محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، السمرقندي، كان يلقب بإمام الهدى، وإمام المتكلمين، ورئيس أهل السنة، والإمام الزاهد، وغير ذلك، والماتريدي نسبة إلى ماتريد وهي محلة قرب سمرقند، لم يذكر الذين ترجموا له سنة مولده لكنهم ذكروا سنة وفاته فقيل سنة 232هـ، وقيل سنة336هـ، وقيل سنة33هـ وهو المشهور، له كتاب "التوحيد" وكتاب "المقالات" وكتاب "رد أوائل الأدلة" للكعبي وكتاب "بيان وهم المعتزلة" وكتاب "تأويلات القرآن"، وكتب أخر. تنظر ترجمته في تاج التراجم: قاسم بن قُطلُوبغا، ت: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1413 هـ -1992م، ص249، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ن، 36/2، والأعلام، 19/7.

(3) أصحاب الكتب في الفرق كالأشعري في المقالات، والبغدادي في الفرق بين الفرق، وابن حزم في الفصل، والإسفراييني في التبصير، والشهرستاني في الملل والنحل، لم يذكروا شيئا عن الماتريدي ولا الماتريدية، مع أنهم ذكروا أبا الحسن الأشعري وقد عاصره، وذكروا عبد الله بن أحمد الكعبي من المعتزلة وأتباعه، وهو الذي ردّ عليه الماتريدي في كتاب التوحيد.ينظر: المقالات، ص330-332، والفرق بين الفرق، ص13، 20، 45، 67، 69، 92، 108، والفصل، 144/2، 22/3، 61، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد الإسفراييني، ت: كمال يوسف الحوت عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م، ص74، 80، 82، 84، 90، والملل والنحل، 76، 78.

الفرع الثاني:منهجها:

اختلف الباحثون المعاصرون في تحديد منهج الماتريدية في العقيدة وتمييزه عن منهج الأشاعرة والمعتزلة، فذهب الدكتور فتح الله خليف – محقق كتاب التوحيد للماتريدي- إلى أن الماتريدي والأشعري" يلتقيان في المنهج كما يلتقيان في المذهب فليس المذهب إلا تطبيقا للمنهج، يلتقيان في إثبات صفات الله وفي كلامه الأزلي وفي جواز رؤيته وفي بيان عرشه واستوائه، وفي أفعال عباده، وفي أمر مرتكب الكبيرة منهم، وفي شفاعة رسوله، وتلك من أهم المسائل التي وقع فيها الخلاف بين فرق المتكلمين"[1]

وأما الدكتور محمود قاسم فيذهب إلى أنّ منهج الماتريدية موافق لمنهج المعتزلة إلا في مسألة مرتكب الكبيرة، فيقول:" يظن عادة أن الأشعرية والماتريدية يمثلان فريق أهل السنة، وأنهما فرسا رهان يسيران جنبا إلى جنب في هدم آراء المعتزلة المبتدعة، وتلك هي الفكرة السائدة، وأن وجه الحق ينحصر في أن الماتريدية كانوا أقرب إلى المعتزلة من الأشعرية...إن مسألة الخلاف بين الماتريدي والمعتزلة الحقيقي الوحيد، إنما هو مسألة المنزلة بين المنزلتين"[2]

وهذا الرأي بعيدٌ جدا فقد عاش الماتريدي حياته يكتب ويجادل المعتزلة ويرد عليهم فكيف ينسب إليهم؟

أما الكوثري فيرى أن" الماتريدية هم الوسط بين الأشاعرة والمعتزلة"[3]

و التوافق بين هذه المدارس الكلامية في بعض الاعتقادات مردّه إلى الأصل الذي اشتركوا في اعتماده وهو تقديم العقل وتوسيع دائرة إعماله، والذي يعنينا من منهجهم وعقائدهم هو نظرتهم للصحابة وموقفهم من عدالتهم.

---

[1] التوحيد: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، ت: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، المقدمة ص10.

[2] مناهج الأدلة في عقائد الملة: ابن رشد الحفيد، ت: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو، القاهرة، الطبعة الأولى، 1955م، ص125، 128.

[3] تبيين كذب المفتري، المقدمة، ص19.

الفرع الثالث:مراحل نشأتها:

مرت الماتريدية كفرقة كلامية بأربع مراحل أساسية هي:

1-مرحلة التأسيس (333هـ): واتسمت بشدة المناظرات مع المعتزلة، ورجل هذه المرحلة هو أبو منصور الماتريدي، وهو: محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، كانت له جولات عديدة مع المعتزلة وغيرهم، وتزامنت مع ظهور مؤسس فكر الأشاعرة أبي الحسن الأشعري.

2-مرحلة التكوين(333-500هـ): وهي مرحلة تلامذة الماتريدي -الذين نشروا أفكاره- ومن تأثر به من بعده، وفيه أصبحت فرقة كلامية.

3-مرحلة التأليف والتأصيل(500-700هـ): وامتازت بكثرة التأليف وجمع الأدلة للعقيدة الماتريدية، ومن أهم أعلامه: أبو المعين النسفي(ت508هـ)، وأبو محمد نور الدين أحمد بن محمد الصابوني(ت580هـ) الذي اعتمد في دراسته أصول الدين على كتابه تبصرة الأدلة.

4-مرحلة التوسع والانتشار(700-1300هـ): تعد من أهم مراحل الماتريدية، حيث بلغت أوج توسعها وانتصارها وذلك بسبب مناصرة سلاطين الدولة العثمانية، فكان سلطان الماتريدية يتسع حسب اتساع سلطان الدولة العثمانية، فانتشرت في شرق الأرض وغربها، وبلاد العرب والعجم والهند والترك وفارس والروم.

وانتهت بمدارس حديثة في الهند، مثل الديوبندية نسبة إلى جامعة ديوبند، التي اهتمت بالتدريس والتبليغ، والندوية ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الندوي، نشطوا كثيرا في ترجمة القرآن الكريم[1].

[1] عداء الماتريدية للعقيدة السلفية وموقفهم من الأسماء والصفات: شمس الدين السلفي الأفغاني، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الثانية،د.ت، ص287-290، 293.

المطلب الثاني:موقف الماتريدية من عدالة الصحابة ﷺ:

إنّ مذهب علماء الماتريدية في تعريف الصحابي وموافقتهم لاختيار المحدثين فيه وقبولهم مراسيل الصحابة يكشف لنا عن موقفهم منهم ﷺ بتعديلهم وحفظ مكانتهم [1].

فمذهبهم تعديل الصحابة وإثبات ما أثبته الله عز وجلّ ورسوله ﷺ لهم من فضائل، ويرتبونهم في الأفضلية على حسب ترتيبهم في الخلافة.

و يرون أنّ الحروب التي وقعت بين الصحابة كانت باجتهاد منهم، فمنهم من أصاب، ومنهم من أخطأ، وكلّ مأجور.

ويحكمون بعدم جواز القدح فيهم، ووجوب الكف عنهم، وأنّ الطعن فيهم إما أن يكون كفرا أو بدعة أو فسقا.

وهذه جملة من أقوال أئمتهم التي تبين ما ذكرته، مع الإشارة إلى ذكرهم لموقفهم من الصحابة في كتب العقائد ضمن باب الإمامة مما يؤكّد أهمية هذه المسألة-عدالة الصحابة- وأنها مما تتمايز فيه الفرق.

فالإمام أبو المعين النسفي، حين ذكر أنّ عليّا هو الأحق بالخلافة بلا تردد قال:" وإذا كان الأمر كذلك كان خطأ معاوية ظاهرا، إلا أنه فعل ما فعل أيضا عن تأويل، فلم يصرّ به فاسقا على ما قررنا"[2]

ويقول نور الدين الصابوني:"وترتيب فضلهم على ترتيب الخلافة عند أهل السنة.....ومن السنة أن يكف الرجل لسانه عن جميع الصحابة، ولا يذكرهم إلا بالجميل، ويحمل أمرهم على الصلاح والسداد."[3]

ويقول سعد الدين التفتزاني مبيّنا موقفهم من الصحابة وحكم من تعرّض لهم:"ونكف عن ذكر

---

[1] ينظر: شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر:علي بن سلطان محمد، الملا القاري، ت: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، بيروت، د.ن، ص575-588، وفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، 311/3.

[2] تبصرة الأدلة: 888/2.

[3] البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين: نور الدين الصابوني، ت: فتح الله خليف، دار المعارف، مصر، د.ط، 1969 م، ص104.

الصحابة إلا بخير لما روي في الأحاديث الصحيحة من مناقبهم، ووجوب الكف عن الطعن فيهم، ...وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات، فله محامل وتأويلات، فسبهم والطعن فيهم إن كان مما يخالف الأدلة القطعية فكفر، كقذف عائشة رضي الله عنها، وإلا فبدعة وفسق...ونشهد بالجنة للعشرة المبشرين الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة" [1]

ويقول الإمام البزدوي:"أفضل الْأمة أَبُو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عُثْمَان ثمَّ عَليّ ﷺ أَجْمَعِينَ ثمَّ تَمام الْعشْرَة ثمَّ بَقِيَّة الصَّحَابَة على حسب مَرَاتِبهمْ وأقدارهم ثمَّ التابعون ثمَّ تبع التَّابِعين ثمَّ عُلَمَاء السّلف وَمن بعدهمْ من أَئِمَّة الدّين ﷺ أَجْمَعِينَ.

وَنحن نحب أهل بَيت رَسُول الله ﷺ وأزواجه وذرياته وقراباته وَالصَّحَابَة أَجْمَعِينَ ونذكرهم بِالْخَيرِ ونثني عَلَيْهِم وندعوا لَهُم بِالْخَيرِ ونترحم عَلَيْهِم وَلَا نفرط فِي حب أحد مِنْهُم وَلَا نتبرأ من أحد مِنْهُم ونحب من يُحِبهُمْ ونبغض من يبغضهم وَمن ذكرهم بِسوء فَهُوَ على غير السَّبِيل وحبهم دين، وإيمان وبغضهم كفر وطغيان ونحسن القَوْل فيهم ونسكت عَمَّا جرى بَينهم ﷺ أَجْمَعِينَ.

وَمَا جرى بَين عَليّ وَمُعَاوِيَة رَضِي الله عَنْهُمَا كَانَ مَبْنِيا على الِاجْتِهَاد والمناعة من مُعَاوِيَة لعَلي وَعلي ﷺ كَانَ مصيبا فِي جَمِيع مَا عمل من خُرُوجه وصلحه وَغَيرهمَا دَار الْحق حَيْثُ دَار كرم الله وَجهه و ﷺ، وَقد قيل لكل مُجْتَهد نصيب وكل مُجْتَهد مُصِيب إِذْ ظن عَليّ أَن تَسْلِيم قتلة عُثْمَان ﷺ مَعَ كَثْرَة عَشَائِرهمْ واختلاطهم بالعسكر يُؤَدِّي إِلَى إضطراب أَمر الْإِمَامَة فِي بدايتها فَرَأى التَّأْخِير أصوب وَظن مُعَاوِيَة أَن تَأْخِير أَمرهم مَعَ عظم جنايتهم يُوجب الْعَزْل من الْإِمَامَة وَتعرض دِمَاء للسفك، وقد قيل الْمُصِيب وَاحِد فَلم نَذْهَب إِلَى تخطية عَليّ ﷺ دون تَحْصِيل أصل فَثَبت تخطية مُعَاوِيَة بِالضَّرُورَةِ"[2]

ويقول سعد الدين التفتزاني:"والمخالفون بغاة على الإمام الحق بشبهة هي تركة القصاص من قتلة عثمان، لقوله ﷺ لعمار:" تقتلك الفئة الباغية"[3] وقد قتل يوم صفين على يد أهل الشام، ولقول علي

---

[1] شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتزاني، مكتبة الكليات الأزهرية ، د.ن، ص102-103.

[2] أصول الدين: أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي، ت: الدكتور عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 – 1998م، ص289-295.

[3] رواه مسلم في كتاب الفتن، بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، رقم72، ح2916، 2231/4.

ﷺ:" إخواننا بغوا علينا"[1]، وليسوا كفارا ولا فسقة ولا ظلمة لما لهم من التأويل "[2]

ويقول ابن الهمام" فضل الصحابة الأربعة على حسب ترتيبهم في الخلافة:أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ﷺ، إذ حقيقة الفضل ماهو فضل عند الله تعالى، وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله ﷺ، بإطلاع الله تعالى، وقد ورد عنه ثناؤه عليهم كلهم، ولا يتحقق إدراك حقيقة تفضيله عليه الصلاة والسلام...واعتقاد أهل السنة والجماعة تزكية جميع الصحابة ﷺ وجوبا بإثبات العدالة لكل منهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى عليه...وكثناء الله عليهم أثنى عليهم رسول الله ﷺ...وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب بسبب طلب تسليم قتلة عثمان ﷺ لمعاوية ومن معه لما بينهما من بنوة العمومة كان مبنيا على الاجتهاد من كل منهما" [3]

و ترتيب الصحابة في الأفضلية حسب الخلافة هو مذهب الملا علي قاري[4]

فهذه التقريرات من كبار علماء الماتريدية تدل على أنهم يعدلون الصحابة ويعترفون بفضلهم ومكانتهم، ويحملون ما شجر بينهم على محمل الاجتهاد والتأويل دون الانتقاص من قدرهم.

---

[1] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، 535/7، رقم37763، والبيهقي السنن، 182/8، رقم17158، عن أبي البختري وهو لم يدرك عليا وكان يرسل عن الصحابة، ينظر: التهذيب لابن حجر، 47/3.

[2] شرح المقاصد في علم الكلام: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتزاني، ت: عبد الرحمن عميرة، د.ن، 307/2.

[3] المسامرة في شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة: محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن الهمام، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية، 1347هـ، 156/2-158.

[4] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م، 3875/9.

خلاصة القول في موقف الأشاعرة والماتريدية من الصحابة ﷺ أنهم:

– يثبتون فضائلهم كما وردت في القرآن والسنة وما جاء في تاريخهم وسيرتهم، ويثنون عليهم، ويترضون عنهم، ويقرّون بمناقبهم ومزاياهم.

– يرون الإمساك والتوقف عن الخوض في الخلاف الذي شجر بين الصحابة وما وقع جراءه من اقتتال بينهم ﷺ.

– يعتبرون كلا من الفريقين المتقاتلين من الصحابة مجتهدين، ويرون الحق مع علي ويلتمسون العذر لمعاوية ومن معه.

– يحكمون على فعل معاوية بالخطإ لكنهم لا يفسقونه ولا يكفرونه، بل فعله خطأ وبغي وهو مجتهد له عذره.

– يدافعون عن الصحابة ويذبون عنهم في وجه المعتزلة والشيعة وغيرهم ممن فسّقهم أو كفّرهم، مثل ما فعله عضد الدين الإيجي في كتابه المواقف حيث ناقش المعتزلة والخوارج والشيعة...

– يؤلفون في ذكر مناقب الصحابة والذب عنهم مثل مافعله ابن حجر الهيثمي في كتابه تطهير الجنان واللسان عن ثلب معاوية بن أبي سفيان.

المبحث الثامن: الزيدية وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ:

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الزيدية الزيدية وذكر نشأتهم

المطلب الثاني: موقف الزيدية من عدالة الصحابة ﷺ.

المطلب الأول: تعريف بالزيدية وذكر نشأتهم:

الفرع الأول: تعريف الزيدية:

الزيدية هم: فرقة كبيرة من فرق الشيعة تتبع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1]

وقد عرفها الإمام يحي بن حمزة بالنسبة إلى إمامها فقال:" إنّ لكل فريق إماما يعزون إليه، ويستندون في مذاهبهم إليه، ومن قبل زيد بن علي ما كان هناك زيدية، فما كان هذا اللقب ولا عرف إلا من بعده[2]

وعرفها عبد الكريم الفضيل بقوله: " يطلق هذا الاسم على أئمة البيت النبوي الشريف، ومن تابعهم في العدل والتوحيد، والقول بإمامة زيد بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، ووجوب الخروج–الثورة– على الظلمة، واستحقاق الإمامة بالفضل والطلب لا بالوراثة مع القول بتفضيل علي – كرم الله وجهه– وأولويته بالإمامة، وقصرها من بعده في البطنين الحسني والحسيني" [3]

الفرع الثاني: نشأة الزيدية:

يُنسب هذا المذهب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان قبل قتله بأيام قد دخل على هشام بن عبد الملك في مجلسه، وكان هشام يتوجس منه خيفة أن يخرج عليه، فقال له

---

[1] ينظر: الملل والنحل للشهرستاني، 207/1.

[2] عقد اللآلئ في الرد على أبي حامد الغزالي: يحي بن حمزة، ت: إما حنفي سيد عبد الله، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م، ص168.

[3] الزيدية نظرية وتطبيق: علي عبد الكريم الفضيل، جمعية عمال المطابع، عمان، الطبعة الأولى، 1405هـ، ص11.

هشام: لقد بلغني يازيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها، ولست هناك، وأنت ابن أمة، فقال زيد: إن لك يا أمير المؤمنين جوابا، قال: ليس أحد أولى بالله، وأرفع عنده منزلة من نبي ابتعثه، وقد كان إسماعيل ابن أمة، وأخوه ابن صريحة مثلك، فاختاره الله عليه، وأخرج منه خير البشر، فقال هشام: اخرج، قال: أخرج، ثم لا تراني إلا حيث تكره" [1]

وقد دعا الإمام زيد إلى نفسه بالكوفة سنة122هـ، فأرسل إليه والي العراق يوسف بن عمر الثقفي جيشا بقيادة العباس المرسمي فأدار الدائرة على زيد بعد أن خذله أنصاره كما خذل الحسين من قبل، والسبب في ذلك يعود إلى سؤالهم إياه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ قالوا: رحمك الله! ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قَالَ زيد: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيرا، قالوا: فلم تطلب إذا بدم أهل هذا البيت، إلا أن وثبنا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم! فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين، وإن القوم استأثروا علينا، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا، قد ولوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة قالوا: فلم يظلمك هؤلاء! و؟إن كان أولئك لم يظلموك، فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين! فقال: وان هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنه نبيه ﷺ، وإلى السنن أن تحيا، وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته، وقالوا: سبق الإمام- وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بْن علي أخا زيد بْن علي هو الإمام، وكان قد هلك يومئذ- وكان ابنه جعفر بْن محمد حيا، فقالوا: جعفر امامنا اليوم بعد أبيه، وهو أحق بالأمر بعد أبيه، ولا نتبع زيد بْن علي فليس بإمام فسماهم زيد الرافضة، فهم اليوم يزعمون أن الذي سماهم الرافضة ".. وأمسك بزيد وصلب بالكوفة" [2]

وبقي أتباعه يحملون اسم الزيدية.

الفرع الثالث:أصول الزيدية:

رغم كون الزيدية فرقة من الشيعة إلاّ أنها تختلف معهم في أمور تعتبر من الأصول فهم يقولون بجواز

---

[1] ينظر: تاريخ الطبري، 165/7، وسير أعلام النبلاء، 391/5.

[2] ينظر: مقالات الإسلاميين، 65/1.و تاريخ الطبري، 160/7- 180.

إمامة المفضول مع قيام الأفضل. وأنّ علي بن أبي طالب ﷺ أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين نائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة[1].

وقد ذكر الشهرستاني علاقة الزيدية بالمعتزلة فقرر أنهم على مذهبهم بقوله: " أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة" [2].

لكن ابن الوزير فنّد ذلك بقوله: " وأما ما نقله محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر المعروف بالشهرستاني في كتابه" الملل والنحل" من كون زيد بن علي –عليه السلام– قلّد واصل بن عطاء، وأخذ عنه مذهب الاعتزال تقليدا، وكانت بينه وبين أخيه الباقر –عليهما السلام– مناظرات في ذلك، فهذا من الأباطيل بغير شك، ولعله من أكاذيب الروافض، ولم يورد الشهرستاني سندا ولا شاهدا من رواية الزيدية القدماء، ولا من رواية علماء التاريخ، .."[3].

لكن بالنظر في آراء هذه الفرقة نجدها تتفق مع آراء المعتزلة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، وأفضلية علي، وإمامة المفضول، كما أننا نجد كثيرا من معتزلة بغداد كانوا من الزيدية كجعفر بن مبشر الثقفي وجعفر بن حرب الهمداني، ومحمد بن عبد الله الإسكافي [4].

وقد انقسمت الزيدية إلى ثلاث فرق هي: الجارودية، والسليمانية، والأبترية [5]، وأوصلهم الأشعري إلى ست فرق [6].

---

[1] ينظر: الملل والنحل، 154/1.

[2] المصدر نفسه، 162/1.

[3] العواصم من القواصم، 308/5-309.

[4] ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المِلَطي العسقلاني، ت: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، الطبعة الثانية، 1977م، ص34.

[5] ينظر: الفرق بين الفرق، ص22، والملل والنحل، 211/1.

[6] ينظر: مقالات الإسلاميين، 140/1-145.

المطلب الثاني:موقف الزيدية من عدالة الصحابة ﷺ:

لقد تقدم في نشأة فرقة الزيدية موقف إمامهم زيد بن علي من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لما سئل عنهما، حيث قال: " رحمهما الله وغفر لهما، ماسمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيرا" وكانت عاقبة الجواب أن انفض عنه الكثيرون ممن هو بحاجة لنصرتهم...

وقد نقل الإمام ابن الوزير مذهب الزيدية في الصحابة ﷺ عن أحد أئمتهم وهو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان إذ قال في الرسالة الإمامية في الجواب على المسائل التهامية:" ((فأمّا ما ذكره المتكلّم حاكياً عنّا من تضعيف آراء الصحابة، فعندنا أنّهم أشرف قدراً، وأعلى أمراً، وأرفع ذكراً من أن تكون آراؤهم ضعيفة، أو موازينهم في الشّرف والدّين خفيفة، فلو كان ذلك، لما اتّبعوا رسول الله ﷺ، ومالوا عن إلف دين الآباء والأتراب والقرباء إلى أمر لم يسبق لهم به أُنس، ولم يسمع له ذكر، شاقّ على القلوب، ثقيل على النّفوس فهم خير النّاس على عهد رسول الله ﷺ وبعده، ﷺ، وجزاهم عن الإسلام خيراً إلى قوله: فهذا مذهبنا لم نخرجه غلطة، ولم نكتم سواه تقيّة. وكيف وموجبها زائل! ومن هو دوننا مكانة وقدرة يسبّ ويلعن، ويذمّ ويطعن، ونحن إلى الله سبحانه من فعله براء، وهذا ما يقضي به علم آبائنا منّا إلى علي – عليه السلام"[1]

وذكر الشوكاني اثني عشر طريقا في إجماع أئمة الزيدية على تعظيم الصحابة ﷺ، قال بعدها: "...فهذه طرق متضمنة لإجماع أهل البيت من أئمة الزيدية ومن غيرهم، كما في بعض هذه الطرق، والناقل لهذا الإجماع ممن أسلفنا ذكره من أكابر أئمتهم[2]

يقول الإمام يحي بن حمزة الزيدي مبيّنا اعتقاد الزيدية في الصحابة:" إن ما ورد في القرآن الكريم والأخبار مما يدل على فضلهم وتزكيتهم واختصاصهم بالفضل وما حصل منهم من الأمانة في الدين، ونصرة رسول الله ﷺ وإيثارهم على أنفسهم واقتحام كل عظيمة في حقه، وكونه ﷺ مات وهو قرير العين بما فعلوه في النصرة، فهذه الأمور كلها دالة على نجاتهم وكونهم من أهل الجنة.

---

[1] إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ: محمد بن علي الشوكاني، ت: مشهور حسن بن محمود، دار المنار، الرياض، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م، ص60.

[2] الروض الباسم، 97/1.

ثم الظن بحال غيرهم إذا لم يكن مقدما على كبيرة أن الله يدخله الجنة، فكيف حال من بذل نفسه وماله في نصرة الدين، فالظن له بدخول الجنة أصوب وبالنجاة أحق وأقرب.

فمن اعتقد ذلك في حقهم فقد خلص من العهدة، وأدى مايجب عليه من الولاية: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ﴾ [المائدة:56] [1]

وهذا الموقف من الزيدية الأولى تجاه الصحابة بتعظيمهم لا يدخل فيه الصحابة الذين قاتلوا عليا في صفين مع معاوية، بل يرون أن الذين قاتلوه يومها وأعانوا على حربه وإن أطلقت بعض الفرق عليهم اسم الصحبة إلا أنهم مارقون، لأنهم قاتلوا عليا، وضالون لأنهم خرجوا عن الإمام الحق فهم يتبرؤون من أبي موسى الأشعري لخداعه عليا ومن المغيرة بن شعبة و عمرو بن العاص وآخرين زعموا أنهم مالؤوا على عداوة علي مع معاوية [2]

وبعد أن افترقت الزيدية وانقسمت لعدة فرق، كان لكل فرقة منها موقفا من الصحابة ﷺ:

فالجارودية: أصحاب "أبي الجارود زياد بن المنذر الكوفي" [3]، ذهبوا إلى أنّ النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب ﷺ، وأن الناس-أي الصحابة- لم يتعرفوا على الوصف، ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبابكر باختيارهم، فكفروا بذلك [4]

والسليمانية: أصحاب "سليمان بن جرير" أثبتوا عدالة الشيخين أبي بكر وعمر إلا أن الأمة أخطأت في البيعة لهما خطأ لا يبلغ الفسق، غير أنهم طعنوا في عثمان ﷺ للأحداث التي أحدثها، وأكفروه بذلك، وأكفروا عائشة والزبير وطلحة ﷺ بإقدامهم على قتال علي ﷺ[5] .

والأبترية: أصحاب الحسن بن صالح بن حي وأصحاب "كثير النواء" وإنما سموا بترية لأن كثيراً كان

---

[1] الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين: يحيى بن حمزة بن إبراهيم، مكتبة دار التراث، صنعاء، الطبعة الأولى، 1411هـ-1990م، ص27.

[2] ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء، ص35.

[3] قال عنه ابن حبان: "كان رافضيا يضع الحديث في مثالب أصحاب النبي ﷺ، ويروي في فضائل أهل البيت أشياء ما لها أصول"، المجروحين، رقم359، 384/1.

[4] الملل والنحل، 158/1.

[5] ينظر: المصدر نفسه، 159/1-160، ومقالات الإسلاميين، ص68.

يلقب بالأبتر، يزعمون أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ لأن علياً ترك ذلك لهما ويقفون في عثمان وفي قتلته ولا يقدمون عليه بإكفار[1]، قالوا: إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه، وكونه من العشرة المبشرين بالجنة، قلنا يجب أن نحكم بصحة إسلامه وإيمانه وكونه من أهل الجنة، وإذا رأينا الأحداث التي أحدثها، من استهتاره بتربية بني أمية وبني مروان، واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة، قلنا يجب أن نحكم بكفره، فتحيرنا في أمره وتوقفنا في حاله، ووكلناه إلى أحكم الحاكمين [2]، وشهدوا بالكفر على من حارب عليا.

وقد ذكر بعض متأخري الزيدية أنّ هذه الفرق لم يعد لها وجودا فقال:" فرق الزيدية كالجارودية والسليمانية والبترية لا توجد اليوم إلا في بطون الكتب والمؤلفات في الفرق الإسلامية"[3]

والحقيقة أنّ كلامه هذا غير الواقع فلإن زالت هذه التسميات فإن الموقف من الصحابة يكشف بقاءها، لأنّ هذا المتأخر نفسه تكلم عن عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بما لا يليق في حقهما[4].

وخلاصة القول في مذهب الزيدية في الصحابة ﷺ:

-أن الزيدية الأوائل يرون الصحابة كلهم عدولا باستثناء من قاتل عليا في صفين.

-أن الجارودية من الزيدية يرون الصحابة ساقطي العدالة باستثناء علي ﷺومن ناصره.

-أن البترية من الزيدية يرون الصحابة عدولا إلا من قاتل عليا، وتوقفوا في عثمان بن عفان ﷺ.

---

(1) مقالات الإسلاميين، ص69-68.

(2) ينظر: الملل والنحل، 161/1.

(3) الزيدية نظرية وتطبيق، ص11.

(4) المرجع نفسه، ص123-129.

خلاصة الفصل:

إنّ مما يلاحظ على الطرح التراثي لقضية عدالة الصحابة هو خوض الفرق–من غير أهل السنة والجماعة– في هذا الموضوع من الزاوية السياسية وما جرى بين الصحابة من فتن، فكان لكل فرقة ما تنقمه على صحابي أو مجموعة من الصحابة، والجواب عنهم يكون ببيان عدم تأثير الفتن على عدالة الصحابة الذين لابسوها وعدم مساسها بنزاهتهم الدينية وصدقهم في الرواية الحديثية، فأقول:

أولا الآيات القرآنية التي جاءت لتقرر عدالة الصحابة وتؤكد خيريتهم لا تزال تتلى إلى يوم الناس هذا ولم تُنسخ ولم تُبدّل، والله عزّ وجل قادر وعالم بما سيكون فكيف يحكم بعدالتهم لو كان للفتن التي سيقعون فيها بعد وفاة النبي ﷺ الأثر في زوال هذه العدالة؟

وما يقال عن القرآن يقال كذلك عن حديث النبي ﷺ، فقد شهد بفضل صحابته وبشّر أعيانا منهم بالجنة، وهو المبلّغ عن ربه عالم الغيب وما سيكون من فتن في المستقبل.

و"الصحابة الذين شاركوا في الفتن ليسوا معصومين من الخطأ، وليس من شرط العدل ألاّ يخطئ، فهم قد اجتهدوا في ظل فتنة عظيمة، وفعلهم دائر بين الأجر والأجرين، والمجتهد إذا أخطأ لا يؤاخذ، بل هو معذور، وقد اجتهد بعض الصحابة في زمن النبي ﷺ وأخطؤوا ولم يعنّفهم النبي ﷺ، ولم يقل أحد: إنهم ليسوا بعدول، بل إنّ لازم من يطعن فيهم لأجل الفتنة أن يكون الصحابة عنده معصومين، وهذا قول لم يقل به أحد من العلماء، ولاحتى من طعن فيهم" [1]

هذا مع ملاحظة أن الصحابة المشاركين في الفتنة هم قلة قليلة، مقابل الكثرة منهم الذين اعتزلوها ولم يخوضوا فيها، قال ابن سيرين:"هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما خفّ فيها منهم مئة، بل لم يبلغوا ثلاثين" [2]

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على تعديل الصحابة الذين لابسوا الفتنة، قال ابن حجر:"واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق

---

[1] المحدثون والسياسة:إبراهيم بن صالح العجلان، د.ن، ص246.

[2] العلل ومعرفة الرجال:أحمد بن حنبل، ت:وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، الطبعة الثانية، 1422 هـ - 201 م،، رقم 4787، 182/3.

منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا، وأنّ المصيب يؤجر أجرين"[1]

وعليه يمكن القول بأن الطعن في الصحابة ليس داخلا في النسق السني العام ولا يُعد صاحبه جاريا على ماكان عليه السلف من الصحابة ومن تبعهم.

هذا وإنّ استحضار المسار التاريخي الغالب الذي سار عليه المسلمون يعطي الأجيال عبر الزمن جرعة إقناعية عالية، لأنهم يدركون أن الموقف المحترم للصحابة المحتفظ بمكانتهم الذاب عن أعراضهم ليس موقفا ضعيفا أو غير متماسك، فالوقوف ضدهم ليس بالأمر السهل لأنه معارضة لكبار العلماء ويقف أمام أدلة عقلية وتاريخية ضخمة.

بقي أن أشير إلى أن الفتنة لم تؤثر على عدالة الصحابة في نقل الوحي وتبليغ الدين بل بلغوا المنتهى في الأمانة في ذلك، فرغم ماحصل بينهم كانوا يروون عن بعضهم ويحدّثون بفضائل بعضهم فيمكن للمرء في نظرته للصحابة أن يجمع بين الاعتراف بفضلهم وحفظ حقوقهم ومنزلتهم وبين الاعتراف بما وقعوا فيه من أخطاء دون الوصول إلى الفجور في الخصومة معهم.

[1] فتح الباري، 34/13.

الفصل الثاني:

الطرح الاستشراقي لقضية عدالة الصحابة ﷺ

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأول: تعريف الاستشراق وتاريخ نشأته ودوافعه وأهدافه.

المبحث الثاني: اتجاهات المستشرقين في نظرتهم للحديث النبوي.

المبحث الثالث: موقف المستشرقين من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث الرابع: تقييم الطرح الاستشراقي المتعلق بعدالة الصحابة ﷺ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

إنّ اهتمام الغرب بالعالم الإسلامي في كلّ مناحي الحياة اهتمامٌ أخذ صورا متعددّةً هي في مضامينها تكاملٌ بين الحضارات من حيث تبادل العلوم والمعارف، وتصادمٌ من حيث ماجرى بينهما من حروب وسعي للتحكم والسيطرة، وإنّ فشل الغرب في السيطرة على العالم الإسلامي سياسيا وإخضاعه له جعل سعَيه يأخذ منحى جديدا؛ وجعل استخدام القوة والسلاح في الصراع يتأجل إلى مرحلة لاحقة، ولم يبق له إلا سلاح العلم والمعرفة ولا سبيل له إلى ذلك إلا بمخالطة المسلمين والتوغل في مجتمعاتهم وكشف أغوار عالَمهم، وهذا ماعُرف بالاستشراق..

ولأنّ سبب نهضة المسلمين هو ماجاء به دينهم من قرآن وسنة، ولأنّ تبحّر المسلمين في علوم الوحيين كان له الأثر المباشر في تفوقهم في سائر علوم الكون، كان لا بدّ للمستشرقين من صرف الهمم وبذل الجهود في خوض غمار علوم الوحيين، فكانت لهم أعمالا كثيرة كشفت عن نواياهم وأهدافهم ومستوياتهم العلمية، ولأنّ الصحابة ﷺ هم الحلقة الأولى في سلسلة علماء الشريعة فهم نقلتها وأمناؤها باصطفاء الله لهم ﷻ؛ كان للمستشرقين مواقف تجاه هذا الجيل الكريم، وفي هذا الفصل عرض لهذه المواقف وبيان لها.

المبحث الأول: تعريف الاستشراق وتاريخ نشأته ودوافعه وأهدافه:

ويتضمن المطالب التالية:

المطلب المطلب الأول: تعريف الاستشراق.

المطلب الثاني:تاريخ الاستشراق ونشأته.

المطلب الثالث: دوافع الاستشراق وأهدافه.

المطلب الأول: تعريف الاستشراق

الفرع الأول: لغة

أصل الكلمة من الفعل شرق، يقال: شرقت الشمس أي طلعت، والشرق هو الجهة التي تطلع منها الشمس، وشرق المكان إذا طلعت عليه الشمس، والتشريق الأخذ في ناحية المشرق، ويقال: شتان بين مشرق ومغرب، ويسمى أهل الشرق مشارقة وواحدهم مشرقي [1]، وأحرف الزيادة – الألف والسين والتاء – تدل على طلب الشيء، ولهذا يقال: "استشرق فلان بمعنى طلب علوم الشرق ولغاتهم، وهي كلمة مولدة عصرية تقال لمن يُعنى بذلك من الإفرنج" [2]

والمستشرق العالم باللغات والآداب والعلوم الشرقية، والاسم الاستشراق [3]

الفرع الثاني: اصطلاحا:

إن المعنى الاصطلاحي للاستشراق يرجع في حقيقته إلى المعنى اللغوي، ولذلك عُرّف بـــــ:

" الاستشراق (Orientalism) تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من

---

[1] ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 194/6، مادة شرق، ولسان العرب، 173/10، والمصباح المنير، 310/1،، والمعجم الوسيط، ص480، مادة شرق، والقاموس المحيط، ص897،، وأساس البلاغة: محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ – 1998 م، 504/1.

[2] معجم متن اللغة العربية: أحمد رضا، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، 1379هـ، 310/3.

[3] المرجع نفسه، 384/3.

يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما" [1].

أو "هو علم الشرق أو علم العالَم الشرقي، وكلمة مستشرق لها معنى عام وهو كل علم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله من أقصاه إلى أدناه في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه، ولها معنى خاص ويراد به كل من يعنى من الغربيين بدراسة الشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام" [2]

أو هو" دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب، سواء كان من الشرق أو الغرب للإسلام عقيدة وشريعة ولغة وحضارة" [3]

المطلب الثاني: تاريخ الاستشراق ونشأته:

تعددت الآراء حول تاريخ نشأة الاستشراق وبداياته الأولى، فأرجعه بعض الباحثين إلى مرحلة ماقبل التاريخ وبالضبط إلى القرن السادس قبل الميلاد وما كان من اهتمام اليونان والفرس والإغريق بالعرب وما يتعلق بحياتهم [4]، وأرجعه البعض إلى القرن الرابع قبل الميلاد؛تاريخ البعثات الاستطلاعية التي تزعمها الإسكندر المقدوني إلى مناطق الجزيرة العربية بغرض اجتياحها [5].

أما في القرن الأول الميلادي فمن الذين اهتموا بالشرق جغرافيا اليوناني"استرابون" والمؤرخ الروماني" بليني" الذي وضع لوائح بأسماء قبائل ومدن وقرى شبه الجزيرة العربية [6]، وغيرهما من العلماء ممن كان

---

[1] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إصدار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض،د.ط،د.ت، 687/2.

[2] ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، سلسلة كتاب الأمة ،عدد صفر الخير، 1404هـ، ص18.

[3] من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام: عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ، ص18.

[4] ينظر: المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، 1964م، ص14، والاستشراق والإسلام مطارحات نقدية للطروحات الاستشراقية، خالد إبراهيم المحجوبي، ص18.

[5] ينظر: نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية): ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م، 28/1.

[6] ينظر: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر: أحمد سمايلوفيتش، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1418هـ-1998م، ص71.

لهم الاهتمام بالشرق أيضا [1].

وهذا لا شك أنه أمر عادي ووارد جدا لطبيعة الحياة التي تفرض على الشعوب والحضارات التعارف والتفاعل والتكامل، لكنه لا يرقى إلى مستوى الدراسات والأبحاث العلمية المنظّمة التي يُرجى من خلالها تحقيق أهداف متنوعة ومتعددة للحركة الاستشراقية.

وأرجعه بعضهم إلى عصر ازدهار دولة الإسلام في بلاد الأندلس وما كان من احتكاك الرهبان الغربيين بالمسلمين قصد تعلم اللغة العربية – وهي اللغة العالمية المستخدمة في العلوم والآداب وقتها- والعلوم الإسلامية، فأفادوا منهم وعادوا لبلدانهم بمشاريع لدراسة الشرق وترجمة علومه؛ومن أبرزهم في تلك الحقبة الراهب الفرنسي " جربر دي أُرلياك" الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام999م، وأنشأ مدرستين عربيتين الأولى في روما مقرّ خلافته والأخرى في "ريمس" بموطنه فرنسا[2].

ويذهب البعض إلى أن الاستشراق بدأ مع الحروب الصليبية (1097-1295م)، فاهتم الصليبيون بلغة المسلمين وثقافتهم وعلومهم وحضارتهم، وبعد دخولهم إلى القدس اتصل أحد الزعماء الأوربيين بعلماء العرب وحمل معه نسخا من كتب في الهندسة والفلك وتمت ترجمتهما إلى اللاتينية، وقد نشطت حركة الترجمة في هذه الفترة، حيث عمد بعض الرهبان إلى تشكيل فرق خاصة لترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية ومن أبرزهم" بطرس المكرم" ودون رايموندو الأول" رئيس أساقفة طليطلة [3].

وهناك من يرجع تاريخ نشأة الاستشراق إلى تاريخ صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام1312م؛ والذي نصّ على إنشاء كراسي الأستاذية لدراسة اللغات العربية والعبرية والسريانية في جامعات أوروبا مثل باريس وأكسفورد وسلامنكا وبولونيا[4]

وهنا يمكن القول بأن الاستشراق أصبح فكرا منظما أكاديميا.

---

[1] ينظر: المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، ص16-28، والاستشراق والتاريخ الإسلامي: فاروق عمر فوزي، منشورات الأهلية، لبنان، 1998م، ص30.

[2] ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، 120/1.

[3] ينظر: الاستشراق والمستشرقون: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ، ص18.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص16.

المطلب الثالث: دوافع الاستشراق وأهدافه:

لقد كان لاهتمام الغرب بالعلم الإسلامي دوافع تحركه تنوعت من خلال مراحل تطوره وبحسب اتجاه المستشرقين أنفسهم وانتماءاتهم الدينية[1]، ويمكن إجمال هذه الدوافع والأهداف في التالي:

1-**الدافع الديني**: إنّ نشأة الاستشراق في أحضان الكنيسة كان له الأثر البارز في تشبع المستشرقين بالحمية والعصبية للمسيحية على يد الرهبان والقساوسة الذين تيقنوا خطر الإسلام على معتقداتهم، فبعد فشل المواجهة العسكرية أثناء الحروب الصليبية كان لا بد لهم من اللجوء لأسلوب آخر تمثل في دراسة الإسلام وتعلم اللغة العربية ولهجاتها، حتى يسهل عليهم بث سمومهم وشبهاتهم وحجب نور الإسلام عن أبنائهم، بل والانتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم من خلال نشاطاتهم التبشيرية في بلدان المسلمين.

2-**الدافع النفسي**: وهو الخوف من تأثر عقل الرجل الأوربي بالحضارة الإسلامية وأهلها، فكان لا بدّ من حمايته وتحضيره ليكون قادرا على الخوض في أيّ حديث مع من سوف يلاقيهم من المسلمين، دون أن يضعف قلبه أو يخالج يقينَه شكٌّ، أو يزلّ زلّة تجعله يرى في الإسلام مايوجب انبهاره..وكان ذلك بتصوير الإسلام على أنه دين ملفق من اليهودية والنصرانية، وأنّ أتباعه قوم بُداة جهّال دان لهم من الأمم من دان تحت وقع السيوف، فكانت لهم حضارة جلّها مسلوب من حضارات الأمم السابقة[2].

3-**الدافع السياسي الاستعماري**: لقد كانت جيوش الحروب الصليبية تُقاد باسم المسيح والنصرانية وتلبس لبوس الدين لكنها في الحقيقة تدفعها الرغبة في استعمار ديار المسلمين والاستيلاء على خيراتهم وثرواتهم، وفي أثناء هذه الحروب تعلم الصليبيون لغات الشرق ودرسوا الإسلام بغرض زعزعة أركانه والقضاء عليه، وبعد اندحار الكتائب الصليبية اتجه الغرب لفهم الشرق وعقليته وزرعوا بذور التفرقة بين مكوناته بهدف احتلاله، وفي زمن الاحتلال استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من

---

[1] بإلقاء نظرة على الاستشرق الغربي يتبن أنه أنواع: فالكاثوليك أشد من البروتستانت، واليهود أشد من النصارى، وهناك فرق بين الدول الاستعمارية وغير الاستعمارية، ثم إنّ الدول الاستعمارية منها ماعاش فيها الإسلام، ومنها ما عرفته كعدو مباشر...كل هذا يشكل دوافع متعددة للاستشراق.

[2] ينظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة ، د.ط، 1407هـ-1987م، ص59-61.

المستشرقين لخدمة أغراضه حتى يتسنى له حسن سياسة مستعمراته، فاشتغل بعض المستشرقين على تعلم لغات المستعمرات ودراسة آدابها ودينها، وتزويد زعمائهم بما يخدم مصالحهم، وعمل بعضهم كمستشارين لدى وزرات الخارجية لبلدانهم، فكانت لهم اليد الطولى في إذكاء الصراعات الطائفية، ونشر الخرافات والشبهات، وتقوية اللهجات المحلية في مقابل اللغة العربية، ولم يتوقف الكيد الغربي بانتهاء الاحتلال بل عمل على توجيه السياسة العامة لتلك البلدان لضمان بقاء تبعيتها له، وذلك من خلال دعم الأحزاب المعتدلة في مقابل الحركات المعادية، ونشر الفكر العلماني وتنشئة فئة مثقفة توالي الغرب فكريا وسياسيا، فعمل كثير من المستشرقين في سفارات بلدانهم كمستشارين أو ملحقين ثقافيين، عملهم في الحقيقة ضمان بقاء استعمار بلدانهم للمسلمين.

4-**الدافع الاقتصادي**: كان الغرب يمرّ بفترات صعبة من الضيق والضعف الاقتصادي في مقابل الحضارة والخيرات والثروات التي يتمتع بها المسلمون، وكان العائدون من الحروب الصليبية إلى أوربا تمتلئ قلوبهم شهوة ورغبة فيما فتنتهم به ديار الإسلام، وكان السامعون بخيرات المسلمين يتوقون للانضمام إلى كتائب المجاهدين الصليبيين لتحقيق آمالهم في الغنى والثروة، بل حتى رجال الدين كانوا يعدون أتباعهم بأنهار من لبن وأرض واسعة ومغفرة...

وكان لابد للغرب من تعلم لغات الشرق وثقافاته وعاداته حتى يتسنى له التعامل معه والاستفادة من ثرواته، لأجل النهوض بحضارته في شتى الميادين.

ومع ظهور الصناعة في أوربا وتطورها، اضطر الأوربيون للبحث عن أكبر عدد من الأسواق ومصادر المواد الأولية، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لجأ الأوربيون لجلب عمال وبنائين لإعادة إعمار مادمرته الحرب، كل هذا جعل التجار وأصحاب الشركات الصناعية يمولون الدراسات الاستشراقية بغية معرفة العقلية الشرقية لتسهيل السيطرة عليها، ومن جهة أخرى كان للنشاط الاستشراقي في ترجمة نشر الكتب وترجمتها مصدرا لكسب الأموال.

5-**الدافع العلمي**: وهي من أهم بواعث الحركة الاستشراقية وأبرز غاياتها، فمحاولة لإدراك ركب الحضارة العربية وطرح غبار التخلف والانحطاط عن الغرب، كان لا بدّ من تسخير فئة من المخلصين لأمتهم يخرجون سائحين في الأرض همهم تعلم العربية، وشراء الكتب أو سرقتها، ومخالطة العلماء والعامة، ثم يعودون محمّلين بكنوز علم الشرق ومعارفه،

فكان الرهبان يقصدون الأندلس إبّان عظمتها ومجدها، فتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.

يقول عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ حاكيا عن صنيع المستشرقين مع والده الفقيه العالم: " وحضر إليه طلاب من الإفرنج، وقرأوا عليه علم الهندسة، وذلك في سنة تسع وخمسين(1159هـ-1746م) وأهدَوا إليه من صنائعهم وآلاتهم أشياء نفيسة، وذهبوا إلى بلادهم ونشروا بها العلم من ذلك الوقت وأخرجوه من القوة إلى الفعل، واستخرجوا به الصنائع البديعة مثل طواحين الهواء، وجرّ الأثقال، واستنباط المياه، وغير ذلك"[1].

ولقد كان لدراسات المستشرقين اليد الطولى في إمداد الرهبان والملوك بخبايا العالم الإسلامي وعرض صورته أمامهم واضحة جليّة ، مما ساعد على استعماره ، ومهّد الطريق لبعث حركة التبشير النصرانية، وهذا يؤكد لنا أنّ دوافع الاستشراق وغاياته مترابطة متكاملة ، تنوعت حسب مراحل تطوره رغم عرضها مقسمّة، يخدم بعضُها بعضا بلا انفكاك، وتدفعها روح الحقد والبغض لدين الإسلام وأبنائه[2].

---

[1] عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ن، 319/1.

[2] ينظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: محمود شاكر، ص38-83.

المبحث الثاني: اتجاهات المستشرقين في نظرتهم للحديث النبوي:

ويتضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: اتجاه جولد تسيهر في نظرته للحديث النبوي.

المطلب الثاني: اتجاه جوزيف شاخت في نظرته للحديث النبوي.

المطلب الثالث: اتجاه النقديين الجذريين في نظرتهم للحديث النبوي.

المطلب الرابع: الاتجاه الموضوعي في نظرته للحديث النبوي.

تمهيد:

إنّ اهتمام المستشرقين بالإسلام عموما وبالحديث النبوي على وجه الخصوص تمخّض عنه أعمال وبحوث ضمّت في ثناياها مواقفهم من الإسلام والمسلمين، وكشفت عن اتجاهاتهم في التعاطي مع كلّ ما له صلة بهذا الدين، ويعتبر المستشرق الفرنسي " هربلو"(1625-1695م) أول من كتب حول الحديث وأبدى رأيه في موسوعة " بيبليوغرافيا الشرق"، ففي ذيل مدخل "حدث" قام بتعريف الحديث وتسجيل بعض آرائه في الموضوع باختصار، وفي القرن التاسع عشر الميلادي تُرجمت بعض كتب الحديث إلى اللغة اللاتينية، كان أولها ترجمة كتاب" مصابيح السنة" للبغوي إلى الإنجليزية بين عامي1809 و1810م من طرف ماتيوز.

وفي منتصف القرن التاسع عشر تحوّلت اهتمامات المستشرقين بالحديث الشريف واتسعت لتشمل الدراسات التحليلية وكتابة المقالات، فكتب " كريل" سنة 1850م مقالة تحليلية حول" صحيح البخاري"، وأشرف على طباعة " صحيح البخاري" عام1862م، لكن" جوينبل" هو من أنهى هذا العمل عام1908-1907م...وفي أواخر القرن التاسع عشر انتشر كتاب " دراسات محمدية " للمستشرق" جولد تسيهر" [1].

[1] ينظر: نظريات المستشرقين حول الحديث النبوي الشريف، عرض ونقد: أحمد بركات، مؤسسة نادي الكتاب، المغرب، الطبعة الأولى، 2017م، 50/2.

وفي هذه الأسطر محاولة لعرض أهم آراء المستشرقين ونظرياتهم حول الحديث النبوي الشريف، حيث يمكن القول ابتداء أنّ جهودهم وبحوثهم تصبّ في مصبّ واحد وهو إنكار حجية السنة وطرح الأحاديث حتى لا يبقى من الإسلام شيء، يقول المستشرق" هاملتون جب": إنّ الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء، وصار شبه صبيرة طومسون"، وطومسون هذا رجل أمريكي، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء"[1].

ومن باب الإنصاف يقال أن قلّة من المستشرقين وقفت من السنة موقفا محايدا، من غير إقصاء لها أو تشكيك في مصداقيتها أو تشويه لمضامينها، يقول المستشرق فيليب.ح. أستاذ الآداب السامية في جامعة برنستون بأمريكا في كتابه" تاريخ العرب": " وتقف الأمة الإسلامية بين جميع الأمم فريدة؛ إذ أنشأت من كتلة الأحاديث النبوية علما مستقلا...وعلاوة على توضيح أحكام القرآن وإتمامها، قد زود الحديث النبوي الأمة الإسلامية بسنة نبوية، ترسم مثالا للحياة، يشمل جميع واجبات الإنسان"[2].

المطلب الأول: اتجاه جولد تسيهر في نظرته للحديث النبوي[3]:

اتجاه يمثله " جولد تسيهر"[4] وهو أول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث

---

[1] التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عمر فروخ ومصطفى الخالدي، منشورات المكتبة العصرية، د.ن ، ص98.

[2] في الحديث النبوي: مصطفى أحمد الزرقا، عناية: مجد مكي، الطبعة الثالثة، 1430هـ-2009م، دار البشائر الإسلامية، بيروت ، د.ن ، ص26.

[3] ينظر في تصنيف اتجاهات المستشرقين: نقدات المستشرق الألماني هرلد موتسكي لبعض النظريات الاستشراقية حول السنة النبوية- دراسة في كتابه" بدايات الفقه الإسلامي وتطوره في مكة" لأحمد صنوبر، بحث ألقي بالندوة الدولية حول السنة في الدراسات المعاصرة بمؤسسة دار الحديث الحسنية 8-9 ماي 2013م، الطبعة الأولى، 2018م، ص611وما بعدها، وبدايات الفقه الإسلامي وتطوره في مكة حتى منتصف القرن الهجري الثاني: هرلد موتسكي، ص25-112.

[4] إجناس جولد تسيهرIgnaz Goldziher واحد من أشهر المستشرقين الذين اشتغلوا بالفكر الإسلامي، ولد سنة 1850م بمدينة اشتولفيسنبرج في بلاد المجر من أسرة يهودية، نال الدكتوراه الاولى سنة 1870 على يدي أستاذه فليشر الذي كان مستشرقا نابها، عمل أستاذا في جامعات عديدة، ورحل إلى القاهرة وسورية وفلسطين، توفي في بودابست سنة 1921م، من محرّري دائرة المعارف الإسلامية، له أعمال عديدة بين تأليف وتحقيق للكتب الشرقية منها: "الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم" و" مذاهب التفسير الإسلامي" و" العقيدة والشريعة في الإسلام" و"ديوان الحطيئة" وكتاب" المعمرين" لأبي حاتم السجستاني، و" ترجمة لكتاب توجيه النظر " لطاهر الجزائري، وغيرها.ينظر:المستشرقون للعقيقي، ص906-908، وموسوعة المستشرقين:عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1993م، ص197-203، والأعلام للزركلي، 84/1.

النبوي، ويعدّه المستشرقون أعمق العارفين بعلم الحديث النبوي، ولا تزال آراؤه مؤثرة في الأجيال اللاحقة، حيث تناول في القسم الثاني من كتابه"دراسات محمدية" موضوع تطور الحديث تناولا عميقا، وكذلك في كتابه" العقيدة والشريعة في الإسلام".

وتنصب نظرته إلى المتن، ويعتمد منهج" Anachronism" ويترجم بـ" المغالطة التاريخية"، أو"المفارقة التاريخية"، ويقصد بها النقد المبني على تأريخ الحادثة، وعدم إمكان وقوعها في تاريخ معين لعدم إمكانية وجودها في ذلك الوقت.

وحاصل نظرته أن الأحاديث كانت تعالج الاهتمامات والصراعات التي حدثت بعد وفاة النبي ﷺ، ولذا لابد أن تكون الفرق المختلفة التي انخرطت في تلك الصراعات هي التي اختلقت تلك الاحاديث، ولا يمكن أن تكون أقوالا للنبي ﷺ حقيقة.بل إن محتويات كثير من الأحاديث لا تدلّ على وضعها واختلاقها فحسب، بل وعلى زمن وضعها، ومن وضعها كذلك[1].يقول جولد تسيهر: "...والمعرفة الشخصية الدقيقة بهذه الكمية المهولة من الأحاديث، والتي ضُمّت إلى بعضها في جوامع صنّفت بعناية تغري بالحذر والشكّ، لا بالثقة والتفاؤل...ولكن –إلى حد بعيد– يمكن أن نعد الجزء الأكبر من تلك الأحاديث على أنه نتيجة لتطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، والحديث لا ينفع وثيقة لتاريخ الإسلام في مراحل نشأته الأولى، ولكن يمكن أن يعدّ إلى حدّ ما انعكاسا للنزاعات التي ظهرت في الجماعة أثناء المراحل الناضجة من تطوره"[2].

وقد كان لقول جولد تسيهر ورأيه صدى قويا في أوساط المستشرقين حيث شايعه عليه الكثيرون، واحتفوا بكتابه "دراسات محمدية " أيما احتفاء، منهم جوزيف شاخت حيث قال: " إنّ الأحاديث المنسوبة للنبي وأصحابه التي يُدّعى بأنها ترجع إلى عصر النبي وأصحابه في الحقيقة لا تحتوي على معلومات موثوق بها صحيحة عن تلك الفترة الإسلامية الأولى، بيد أنّ تلك الأحاديث تعكس لنا الآراء

---

[1] نقدات المستشرق الألماني هرلد موتسكي: أحمد صنوبر نقلا عن:

Jonathan Brown ,Hadith,Muhammad' Legacy in the Medival Modern World,Oneworld Book,Oxford , p205.

[2] دراسات محمدية: إجناس جولد تسيهر، ترجمة: الصديق بشير نصر، المركز العالمي لدراسة الاستشراق، لندن، الطبعة الثانية، 2009م، 18/2.

التي كانت سائدة خلال القرنين الأولين من الهجرة والنصف الأول من القرن الثالث الهجري"[1]. ويعلّل ذلك بمحاولة أصحاب المذاهب الفقهية إيجاد مرجعيّة يتقوّون بها ويعززون بها أقوالهم، فيقول: " وفكرة الاستمرار الموروث في تصورّ " السنة" والعمل المثالي، مع الحاجة إلى إيجاد بعض المسوغات النظرية لما كان متبعا حتى الآن بكونها آراء الأكثرية لممثلي المدارس الفقهية، والتي ترجع إلى العقود الأولى من القرن الثاني، قادت تلك الجماعة المتخصصة إلى نسبة ذلك وإرجاعه إلى فترة زمنية متقدمة"[2]،

وقال المستشرق كلود كاهن: "...ولكن كثيرا من الأحاديث حُرّفت، أو وُضعت تماما، وهذا أمر يعلمه المسلمون بفعل الخلافات السياسية الدينية في القرنيين الأولين للإسلام، وذلك لاتخاذها حُججا لهذا الفريق أو ذاك"[3].

واتهم" غيلوم "(1851م) الزهري بوضع الحديث لصالح الأمويين، فقال: " إذا كنا نحتاج إلى دليل على وضع الأحاديث في عصر الأمويين فيكفينا مقولة الزهري الذي قال: الأمراء أكرهونا على أن ندون الأحاديث"[4]

وهكذا يمكننا القول بأنّ المستشرقين يرجعون نشأة الأحاديث إلى الخلافات والنزاعات السياسية والمذهبية، فكل فريق بحسبهم يضع ما يؤيد صفّه ويقوي مذهبه، ما أدى إلى ظهور كم هائل من الأحاديث لا علاقة لها بالرسول ﷺ وهذا يُبطل حجية السنة ويلغي مكانتها كمصدر ثان للتشريع الإسلامي.

أما عن الإسناد فإنّ جولد تسيهر يقرّر أنّ الإسناد لم تكن له تلك المكانة السامية في نقد الحديث في العصر الإسلامي الاول، حتى أنّ الإمام مالكا كان يهتم بفائدة التطبيق العملي للحديث أكثر من

---

(1) الرد على مزاعم المستشرقين إجناس جولد تسيهر وجوزيف شاخت ومن أيدهما من المستغربين: عبد الله عبد الرحمن الخطيب، د.ن، نقلا عن

J.Schacht , «A- Re-evaluation of Islamic Tradition » Jras,1949,p145.

(2) ردود على شبهات المستشرقين: يحي مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ، ص302-303. نقلا عن

J.Schacht ,introduction to Islamic law ,p31.

(3) تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ: ألفريد لويس دي بريمار، ترجمة: عيسى محاسبي، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت، ص24.

(4) دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث: امتياز أحمد، نقله غلى العربية: عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الثانية، ص458.

اهتمامه بسلسلة الرواة، وأنه قَبل ونَقَل الأحاديث المروية عن المغنّي الغزلي "عروة بن أذينة"، وربما قد فعل ذلك لتعاطفه مع مهنة الغناء التي زاولها في شبابه المبكر.ولكن عندما وقعت الفتن وذاعت الأحاديث الموضوعة اهتم الفقهاء بسلسلة الرواة، وأصبح الاعتماد في الحديث الصحيح على صحة الإسناد، فتولّد عنه ظهور النقد على أيدي ابن عون وعبد الله بن المبارك وآخرين من معاصريهم، وقد كانوا قُساة جدا فيما يتعلق بنقل الأحاديث المذاعة في الكوفة لكثرة الوضع به بعد اشتداد الفتن، وإعطاء فكرة سيئة عن العراق كمركز من مراكز العلم والرواية في العالم الإسلامي [1]

المطلب الثاني: اتجاه جوزيف شاخت في نظرته للحديث النبوي:

ويمثّله المستشرق" جوزيف شاخت"[2] الذي حذا حذو شيخه جولد تسيهر في التشكيك في أصلية السنة النبوية–كما تقدم–، وقد بحث هذا الموضوع في مقال له بالإنجليزية بعنوان: "إعادة تقييم الحديث الإسلامي"« A- Re-evaluation of Islamic Tradition» ، وبعده الف كتابه" أصول الشريعة المحمدية"، وفيه خصص فصلا للحديث عن الإسناد.

وقد درس شاخت الأحاديث الفقهية وتطورها، فاستنتج أن كل الآثار التي يُستدل بها، ويُدّعى إسنادها إلى الرسول ﷺ هي غالبا ما تكون أخبارا مفردة قد وُضعت في صورة مختصرة مسبوقة بسلسلة من الرواة تعرف عادة بالإسناد، ويُقصد بها التثبت من صحتها[3]

ويمكن حصر أهم آرائه في مايلي:

---

[1] ينظر: نقد الخطاب الاستشراقي، 513/1-514.

[2] جوزيف شاخت Joseph Schakhet، مستشرق ألماني، ولد سنة 1902م بمدينة راتيبور الألمانية، درس الفيلولوجيا الكلاسيكية، واللاهوت، واللغات الشرقية في جامعتي"برسلاو" و" ليبتسك"، حصل على الدكتوراه الأولى سنة1923م، انتدب لتدريس اللغات الشرقية في الجامعة المصرية سنة1934م، ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية سنة1939م انتقل إلى لندن وعمل في إذاعة B.B.C لحساب بريطانيا وحلفائها، وفي سنة 1954م ترك بريطانيا، وتنقل بين عدة جامعات، مثل: جامعة أكسفورد، وجامعة الجزائر، وجامعة ليدن بهولندا حيث أشرف على إصدار دائرة المعارف الإسلامية، وفي خريف 1959م انتقل إلى نيويورك وعُيّن أستاذا في جامعة كولومبيا، واستمر في هذا النصب حتى توفي سنة 1969م، له مؤلفات عديدة وتحقيقات كثيرة أهمها: " الشروط الكبير" للطحاوي، و"بداية الفقه الإسلامي" أو " أصول الشريعة المحمدية ". ينظر: المستشرقون: نجيب العقيقي، 469/2، والأعلام للزركلي، 234/8، وموسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ص366.

[3] ينظر: نقد الخطاب الاستشراقي: ساسي سالم الحاج،، 432/1.

أولا: الاستشهاد بأحاديث الفقه في زمن معين وعدم الاستشهاد بها قبل ذلك، يعني أنها لم تكن موجودة قبل ذلك وأنها اختُرعت زمن الاستشهاد بها، وهو ما يمكن التعبير عنه بأنه" الاستنتاج الصامت"[1]، وهذا حدث وفق عملية سمّاها بـ"القذف الخلفي" حيث يقول: " وعملية قذف الآراء إلى الماضي لإيجاد أساس نظري للفقه الإسلامي... لم تتوقف على شخصيات متأخرة نسبيا، بل توغل العلماء في نسبتها إلى الماضي أكثر فأكثر"[2]

ولمعرفة إن كان الحديث موجودا في زمن متقدم أم لا يرى شاخت أن تتبع كلام الفقهاء زمنيا والنظر فيما إن كانوا قد استخدموه أم لا، وهذا بحسب رأيه كفيل بالكشف عن الأحاديث الموضوعة، يقول: " أحسن طريق لإثبات أنّ حديثا ما لم يكن له ثمة وجود في فترة ما، هو إثبات أنّ الفقهاء لم يستعملوه في مناقشاتهم في تلك الفترة، الأمر الذي كان لابدّ منه إن كان الحديث موجودا"[3]

ويرى شاخت بأن اعتماد العلماء المسلمين على آراء التابعين والصحابة كان قبل اعتمادهم على أحاديث النبي ﷺ وأنّ أقدم الأحاديث لا يرقى إلى ماقبل سنة150هـ، " وبتعبير عام فإن أحاديث الصحابة والتابعين أقدم من مثيلاتها المروية عن النبي ﷺ"، وأنّ الأحاديث اختلقها الفقهاء وأصحاب المذاهب فـ" كل حديث فقهي للنبي ﷺ يجب- حتى يثبت العكس- ألا يُعتبر قولا صحيحا أو صحيحا في جوهره لوقته أو لوقت عصر الصحابة، بل تعبيرا وهميا لرأي مذهبي مصاغ في عصر متأخر، ووصف العلماء المسلمين خلال القرون الأولى بأنهم كانوا كذابين وملفّقين وغير أمناء"[4].

ويذهب إلى أنّ أحاديث النبي ﷺ أُشيعت قرابة منتصف القرن الثاني الهجري، والشافعي فقط هو الذي أقرّ لأحاديث النبي ﷺ بالمرجعية الأسمى، و" أنّ أحاديث النبي مع القرآن لا تشكل الأساس الأول للفقه الإسلامين بل هي ابتداع بدأ في وقت وجدت فيه بعض أصول الفقه.

---

[1] بدايات الفقه الإسلامي وتطوره: هرلد موتسكي، ص63.

[2] ردود على شبهات المستشرقين: يحي مراد، ص302-303. نقلا عن

J.Schacht ,introduction to Islamic law ,p32

[3] المرجع نفسه، ص303.

[4] شاخت والسنة النبوية: محمد مصطفى الأعظمي، مقالة في كتاب"مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1985م، ص62.

ثانيا: لم يكن هناك استعمال للأسانيد قبل القرن الثاني الهجري، والرأي القائل بأنّ أصل الإسناد يرجع إلى الربع الأخير من القرن الأول رأي باطل.

ثالثا: بناء أسانيد الأحاديث بناء مبعثر، صنع من دون مهارة وعناية غالبا، وقد تم اختيار الثقات في الأسانيد مصادفة، ويستنبط هذا من وجود أحاديث متشابهة تظهر في أسانيدها أسماء مختلفة.

رابعا: تم تحسين الأسانيد وإكمالها وإصلاح الثغرات فيها في كتب الحديث في القرن الثالث الهجري، وقاعدته في ذلك: الأسانيد الأكثر كمالا هي الأسانيد الأكثر تأخرا، ولذلك فإنّ النّمو المصطنع للأسانيد وتضخم الأحاديث يفضي بنا إلى عدم اعتبار الروايات عن النبي ﷺ والصحابة روايات صحيحة.

خامسا: لاحظ شاخت أنّ كثيرا من الأسانيد يقع فيها راو مشترك " المدار" تتفرع منه الأسانيد في رواية حديث معين، ويرى بناء على ذلك أنّ أقدم" راو مشترك " هو وقت بداية انتشار الحديث وشيوعه، وغالبا ما يكون هذا الوقت هو النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ويرى شاخت بأن" الراوي المشترك" أو " مدار الأسانيد" هو المختلق غالبا للرواية[1].

المطلب الثالث: اتجاه النقديين الجذريين في نظرتهم للحديث النبوي

اتجاه "النقديين الجذريين"، وهو الاتجاه الذي شكّك فيما سلّم به المستشرقون السابقون حول الرواية العامة عن جذور الإسلام، ودعا إلى المراجعة الكلية لمناهج الدراسات الاستشراقية، فلم يشكك المستشرقون السابقون في أنّ النبي ﷺ كان يعيش في مكة-المعروفة الآن- وأنه كان يدعو أهلها إلى دين إبراهيم عليه السلام وعبادة الله وحده، قبل أن يهاجر إلى المدينة ويؤسس مجتمعا إسلاميا فيها، وأنه حارب أعداءه في غزوات معروفة مع أصحابه المعروفين، لكنّ هذا الاتجاه جاء ليشكك في الرواية الإسلامية كلها، ولذلك أُطلق عليه " النقديون الجذريون" و" المراجعون الجُدد"، وقد ظهر هذا الاتجاه في نهاية سبعينات القرن الماضي على يد المستشرق" جون وانسبرو"[2] في كتابه" دراسات قرآنية"، وتبعه

---

[1] دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: :محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ ، 420/2-437.

[2] جون إدوارد وانسبرو(1928-2002م) تخرج من جامعة هارفارد وعمل في جامعة لندن بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية حتى التقاعد، أسس مايسمى " المدرسة التنقيحية في الدراسات الإسلامية" من خلال انتقاده الأساسي لمصداقية الموروث الإسلامي التقليدي

طلابه: مايكل كوك[1]، وباتريشيا كرون[2]، في كتابهما" الهاجرية" [3]وغيره، متجاوزين مناهج المستشرقين السابقة، معتمدين بشكل أساسي على المنهج الآركيولوجي، وعلى النصوص المبكرة لغير المسلمين التي تتحدث عن الإسلام ونشأته ! وقد أكدا بأنّ جذور الأحاديث " تفسيرية" بمعنى أنّ الأحاديث كان يختلقها علماء المسلمين لأجل شرح آيات القرآن وما غمض من أحكامه وتعابيره لأن المسلمين الأوائل -في زعمهم- اختلفوا في معاني الآيات القرآنية لذا اضطر هؤلاء العلماء ليؤيدوا كلامهم بأحاديث نسبوها للنبي، ليدعم كل منهم رأيه، وقد مرّ هذا التيار بتقلبات وتغيرات يلاحظها من تابعه، كما أن أفكاره قوبلت بشيء من الاستهجان والغضب في أوساط الكثيرين من الأكاديميين الغربيين، وبشيء من القبول لدى بعض الإعلاميين الغربيين وبعض الجهات التنصيرية [4].

حول بدايات الإسلام ومحاولة تطوير تصور بديل أكثر معقولية من الناحية التاريخية عن أصل الإسلام، استخدم في دراساته للتاريخ الإسلامي منهج النقد التاريخي، وخاصة منهج النقد الأدبي، واستنتج أن الإسلام مزيج من اليهودية والمسيحية، وأن القرآن نص تكوّن وتطور في عملية استمرت200عام، وأن شخص محمد ﷺ باعتباره نبي القرآن هوابتكار لاحق، أو على الأقل لا علاقة له بالقرآن.من أعماله: "الدراسات القرآنية: مصادر وأساليب تفسير الكتابات"، و" الوسط الملي: محتوى وتكوين تاريخ الخلاص الإسلامي"، وغيرها.

ينظر: www.https//ar.m.wikipedia.org

[1] مايكل كوك مؤرخ بريطاني وباحث في التاريخ الإسلامي ولد سنة1940م، عمل أستاذا لدراسات الشرق الأدنى في جامعة برنستون، تحصل على عدة جوائز منها جائزة الفارابي في الدراسات الإنسانية والإسلامية سنة2008م، من أعماله: "محمد الماضي" والقرآن مقدمة قصيرة جدا" وغيرها.

ينظر: https//en.wikipedia.org/wiki/Michael- Cook- %28historian%29

[2] باتريشيا كرون (1945-2015م) مستشرقة ومؤرخة للتاريخ الإسلامي، شغلت منصب أستاذ في جامعة أكسفورد وو جامعة كامبريدج، في عام 1997م تم تعيينها لمعهد الدراسات المتقدمة في برينستون، وكانت عضوا في هيئة تحرير مجلة التطور الاجتماعي والتاريخ، من مؤلفاتها " تجار مكة وظهور الإسلام" وكتاب " الهاجرية: صناعة العلم الإسلامي".

ينظر: https//en.wikipedia.org/wiki/Patricia -Crone

[3] يعتبر كتاب "الهاجريون" من أبرز كتب الاستشراق التي شككت في صحة القرآن والسنة النبوية؛ يؤمن كاتباه بوجوب إعادة قراءة التاريخ الإسلامي المبكر اعتمادا على مصادر غير إسلامية، وقررا فيه أن الإسلام جاء وتطور على أيدي عرب من طائفة يهودية مسيحية كانت في جزيرة العرب...

ينظر: الإسلام "المبكر"، الاستشراق الأنجلوسكسوني الجديد: باتريسيا كرون ومايكل كوك أنموذجا، للباحثة آمنة الجبلاوي، منشورات الجمل، ففيه خلاصة ما ورد في كتاب " الهاجريون " ومنهج مؤلفيه.

[4] ينظر: المراجعون الجدد: مدرسة استشراقية جديدة: منصور السالمي، مجلة التسامح، العدد17، عمان1418 هـ2007م، ص 225-241. http: //www.altasamoh.net/article.aspld=.....

Patricia Crone (2002), Roman, Provincial and Islamic Law: The Origins of the Islamic Patronate Cambridge::

Cambridge University Press, p.34. والمستشرقون" الشكاكون الجدد": محمد سالم الشغيبي الشهري، نقلا عن

المطلب الرابع: الاتجاه الموضوعي في نظرته للحديث النبوي

وهو اتجاه موضوعي في تعامله مع التراث الإسلامي ويمثله المستشرق "هرلد موتسكي" [1]، الذي نهج في كتابه " بدايات الفقه الإسلامي وتطوره في مكة حتى منتصف القرن الهجري الثاني/الميلادي الثامن" منهجا يقوم على إثبات عدم التزوير والاختلاق فيماورد من نصوص السنة النبوية معتمدا على أمرين:

الأول: القرائن الداخلية والخارجية التي تحيط بالرواية التي لا تقدم كل واحدة منها على حدة دليلا قاطعا إلا نادرا، ولكنها تشكل مجتمعة دليلا دامغا.

والثاني: تعاضد الروايات عن المدار أو الراوي المشترك.

وقد طبق منهجه هذا على كتاب" المصنّف" للإمام عبد الرزاق بن الهمام الصنعاني ت211هـ، فدرسه دراسة تحليلية معمقة سندا ومتنا، وخرج بنتائج مفادها أنّ نشوء الحديث كان في وقت مبكر جدا في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وأنّ هذه الروايات لا يمكن أن تكون مزوّرة أو مختلقة، مفنّدا بذلك ماذهب إليه غيره من المستشرقين بأن ظهور الأحاديث النبوية لم يكن له وجود إلا بعد القرن الثاني الهجري، ثم أخذت الأحاديث تتزايد وأعدادها ترتفع حتى صار لدينا كمّا هائلا من المرويات الموضوعة والمختلقة بفعل الرواة الذين كانت الظروف السياسية والاجتماعية المحرك الأساس لهم، وهرلد موتسكي باستنتاجه هذا جعل دعاوى "جولد تسيهر" و"شاخت" تتهافت وتتهاوى، خاصة وأنّ هذا الاستنتاج صدر في وسط علمي استشراقي[2].

---

[1] هرلد موتسكي: مستشرق ألماني ولد عام 1948م، حصل على الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة بون الألمانية عام1978م، وكان اهتمامه الأساس هو نقل الحديث في التراث الإسلامي، عمل أستاذا مساعدا في الدراسات الإسلامية في جامعة هامبورغ من عام 1983م حتى عام1991م، وأستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة نيميغن في هولندا من عام 1991م حتى عام2011م. له عدة مؤلفات منها: أصول الفقه الإسلامي، وإعادة بناء ابن إسحاق حياة النبي وغيرها. وأصل كتابه أطروحة أكاديمية نشرت باللغة الألمانية سنة1991م، ثم ترجمت إلى الإنجليزية سنة2002م، وقام بترجمتها إلى العربية: جورج تامر، وخير الدين عبد الهادي، وصدرت عن دار البشائر الإسلامية سنة2010م، ينظر: www.vb.tafsir.net

[2] للرّد على شبهات المستشرقين حول الإسناد وتدوين السنة ينظر: دراسات في الحديث النبوي وتارخ تدوينه لمحمد مصطفى الأعظمي، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة لأكرم ضياء العمري، والسنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب.

المبحث الثالث: موقف المستشرقين من الصحابة ﷺ:

وفيه محاولة للكشف عن نظرة المستشرقين للصحابة ﷺ وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الطعن في إسلام الصحابة وأنه كان بدافع المصلحة.

المطلب الثاني: تهمة الصحابة بأن جهادهم كان بدافع القومية وحب الحرب وسفك الدماء.

المطلب الثالث: تهمة الصحابة بنشر الإسلام طمعا في الأموال والثروات.

المطلب الرابع: تهمة الصحابة بالكذب في الرواية.

المطلب الخامس: تهمة الصحابة باغتصاب الخلافة والحرص عليها والتقاتل من أجلها، والتظاهر على قتل عثمان ﷺ.

المطلب السادس:تهمة خالد بن الوليد بقتل مالك بن نويرة رغبة في الزواج بامرأته.

المطلب السابع: اتهام خديجة رضي الله عنها بالشك في الوحي.

المطلب الثامن: رمي عائشة رضي الله عنها بالإفك.

المطلب التاسع:الطعن في فاطمة رضي الله عنها والتشكيك في علاقتها بزوجها وخليفة المسلمين.

المطلب العاشر: التشكيك في وجود شخصيات بعض الصحابة.

المطلب الحادي عشر:تهمة الصحابة بنقل عقائد اليهود النصارى ودياناتهم للنبي ﷺ.

تمهيد:

إنّ اهتمام المستشرقين بكل ما يتعلق بالشرق الإسلامي من دين وتاريخ وحضارة وعلوم وعادات وتقاليد يفرض عليهم الالتفات إلى العامل البشري المحرك لهذه المقوّمات الحضارية، ولقد كان لدراسة الشخصيات البارزة والمؤثرة نصيب وافر في بحوث المستشرقين، ويعتبر موضوع الصحابة مادة دسمة بالنسبة للمستشرقين فهم أهم حلقة في التاريخ الإسلامي، فتكلموا عن ما يتعلق بمنزلتهم وفضائلهم، وماجاء في أخبارهم وسيرهم، وما رُوي من الأحداث التي دارت بينهم سواء في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته وماتعلق بأمر الخلافة...، فكيف نظروا إليهم ؟وكيف كان موقفهم منهم؟

لقد حشد المستشرقون بحوثهم وكتاباتهم بالطعن في الصحابة ولمزهم والتشكيك في تديّنهم وجهودهم في نصرة الإسلام وتبليغه، وهذه جملة من شبهاتهم تتضح بإيرادها نظرتهم لهذا الجيل:

المطلب الأول: الطعن في إسلام الصحابة وأنه كان بدافع المصلحة:

فإسلام الصحابة بزعم المستشرقين كان غرضه تحقيق الأمن والاستقرار السياسي بسبب ماكان يدور من خصومات بين القبائل سيما ماكان بين الأوس والخزرج في المدينة.

يقول فلهوزن[1]: " فإذا كانت إحدى القبائل مثلا قد انقسمت بسبب النزاع حول الإمارة فإنّ أحد الفريقين المتخاصمين كان يحاول من طريق الدخول في الإسلام أن يتقوى على الفريق الآخر، وكثيرا ما عرضت هذه الفرصة الملائمة لمحمد، وعلى هذا كان الدخول في الإسلام عملا سياسيا، وانضماما إلى الأمة في المدينة"[2]

ويقول مونتجمري وات[3] وهو يتكلم عن إسلام أهل المدينة: "وكان هذا يعني من الناحية الدينية،

---

[1] يوليوس فلهوزن: مستشرق ألماني نصراني، ولد سنة 1844م، مؤرخ لليهودية وصدر الإسلام وناقد للكتاب المقدس-العهد القديم-، شغل عدة وظائف في الجامعات الألمانية، توفي سنة 1918م، ينظر: تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية: يوليوس فلهوزن، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريده، دار بيبلون، باريس، د.ط، 2008م، المقدمة، ص1-2.

[2] تاريخ الدولة العربية، ص20.

[3] مونتجمري وات: مستشرق إنجليزي عمل أستاذا ورئيسا لقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة "أدنبرا" لمدة خمسة عشر عاما، درّس خلالها الإسلام: عقيدة، وتاريخا، وحضارة، لعدة أجيال، وكثير منهم مسلمون(عرب وباكستانيين)، عُرف بتعصبه ونزعاته التنصيرية، تقاعد سنة1979م، من مؤلفاته: محمد في مكة، ومحمد في المدينة، وتاريخ إسبانيا الإسلامية، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، وغيرها.ينظر: والمستشرقون الناطقون بالإنجليزية: عبد اللطيف الطيباوي، ترجمة: قاسم السامرائي، نشر عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1411هـ، ص 98، والمستشرقون للعقيقي554/2.

قبول محمد كنبي، ومن الناحية السياسية كحكم بين الفئات المتنازعة في المدينة.

ويبدو أن الكثيرين كانوا مخلصين في قبوله كنبي، وإن كان البعض لم ينظر إلى المسألة إلا من الناحية السياسية، وقد سبقه إلى المدينة، اعتمادا على الاتفاق سبعون من أتباعه المكيين حيث قاموا برعاية أنصاره المدنيين.

وهكذا أصبح لمحمد عند قدومه إلى المدينة حاشية دينية قوية، كما أصبحت له مكانة سياسية مهمة نوعا ما في أمته"[1]

ويقول في كتابه: " محمد في مكة" ناقلا عن مستشرق آخر: " ادعى كايتاني أن سكان المدينة رضوا بمحمد ككاهن أعلى فقط لأنهم بحاجة إلى الاستقرار الداخلي في المدينة وليس لأنهم يقبلون تعاليم "القرآن" بأكملها، وبعضهم فقط كانوا مسلمين حقا" [2]

فهكذا يجعل المستشرقون سبب إسلام الصحابة ليس اقتناعا بالدين بل طمعا فيما يجره عليهم من نفع وما يدفعه عنهم من ضر، ولهذا نجد المستشرق دوزي لما تكلم عن إسلام أبي سفيان ﷺ ردّه إلى إيقان العجز عن مواجهة قوة محمد وجيشه، فقال: " كان أبو سفيان قائد الجيش الذي قاتل محمدا في أحد وحاصره في المدينة، ولما كان أبو سفيان زعيم المكيين فلم يخضع إلا في اللحظة التي رأى فيها خيوط خطته حين كان عشرة آلاف مسلم ذاهبين لسحقه هو واللاذين به [3]

وشكك المستشرق بول(1850-1923م) في نوايا أبي سفيان تجاه النبي ﷺ من خلال الحديث عنه بعد إسلامه، فقال: " وصحب أبو سفيان النبي في غزوته لقبيلة هوازن، ويحتمل أنه لما ساءت الأمور لحظة في وقعة حنين أمل أبو سفيان أن يتخلص من النبي، ولكنه لم يتعلق بأهداب هذا الأمل، وأُعطي أبو سفيان عقب النصر –إرضاء له– نصيبا وافرا من الغنائم فرضي بهذا كل الرضا" [4]

---

[1] محمد في المدينة: مونتجمري وات، تعريب: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ن، ص30.

[2] محمد في مكة: مونتجمري وات، تعريب: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ن، ص234.

[3] الرسول حياة محمد: رونالد فيكتور بودلي، ترجمة: محمد محمد فرج، وعبد الحميد جوده السحار، مكتبة مصر، د.ب،د.ط، د.ت، ص67.

[4] دائرة المعارف الإسلامية: يصدرها باللغة العربية:أحمد الشنتاوي، وإبراهيم زكي خورشيد ، 355/1.

وقال بودلي[1] عن إسلام هند بنت عتبة رضي الله عنها: " وكان إسلام هند أعجب إسلام، فلم تتمكن من أن تفرّ من مكة، فتقدمت في شجاعة إلى محمد، فلما رآها تتطلع إليه بعينيها الجميلتين، لم يتمكن من أن يخفي امتعاضه، فتخلت عنها كبرياؤها، فركعت عند أقدام محمد تلتمس العفو، فأرضاه هذا التذلل العام من المرأة التي بذلت أكثر من أي شخص آخر ما في وسعها لتلطيخه، فصفح عن قاتلة حمزة، وقبل إسلامها، ولكنّ هندا لم تؤمن أبدا، وكانت تمقت محمدا وتكرهه حتى ماتت" [2]

ولا عجب من موقف المستشرقين وتهمتهم هذه فقد اتهموا النبي ﷺ بطلب السلطة والاستماتة في الوصل إليها، يقول المستشرق بودلي عند كلامه عن غزوة بدر: " على الرغم من عدم تكافؤ القوتين، قرر محمد أن يخوض غمار القتال مخاطرا بمستقبله وسمعته بل بحياته في سبيل السيادة" [3]

وقال عنه جورج بوش(1796-1859م)-جد رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق جورج بوش-: "لقد بدأ مشروعه بدافع التقوى فأصبح في خاتمة المطاف مدعيا عنيدا، وحاكما"إمبراطوريا" بلا مبادئ منغمسا في الشهوات" [4]

والجواب عن هذه الشبهة على وجه الإجمال: أنّ النبي ﷺ لاقى من العداوة والأذية الكثير سواء من قومه أو من القبائل الأخرى، وكان أي شخص يقبل على الإسلام على علم بأنه سيلاقي من أصناف أيضا، فكيف يصح القول بأن إسلام الصحابة كان بحثا عن الاستقرار، بل والدعوة الإسلامية في بدايتها كانت بحاجة لأتباع تتعزز بهم وتتقوى؟

ثمّ إنّ بلاء الصحابة في الدفاع عن الإسلام وتحمل الأذى في سبيله مستفيض متواتر، ولا تثبت أمامه مجرّد تخمينات أصحابها وكأنهم يملكون القدرة على قراءة ما في الضمائر، بل هم مطالبون بدليل يثبت كلامهم.

---

[1] كولونيل رونالد فيكتور كورتيناي بودلي، ولد سنة1892م، كان ضابطا في صفوف الجيش البريطاني، امتهن السياسة وخالط العرب البدو بنصيحة من المستشرق لورنس مدة سبع سنوات، وتوفي سنة 1970م، ألف كتاب: الرسول، حياة محمد، وقد آمن في مقدمته بسلامة العقيدة الإسلامية وضل من بعد في تفسير الزكاة والجنة والنار والقضاء والقدر، ينظر: المستشرقون للعقيقي، 529/2.

[2] الرسول، حياة محمد، ص292.

[3] المصدر نفسه، ص151.

[4] محمد مؤسس الدين الإسلامي: جورج بوش، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، دار المريخ، الرياض، الطبعة الأولى، 1425هـ، ص108.

المطلب الثاني: تهمة الصحابة بأن جهادهم كان بدافع القومية وحب الحرب وسفك الدماء:

وهذا أصله نظرة المستشرقين لدين الإسلام وأنه دين السيف والقتل، انتشر تحت ضغط القوة والعنف وزهق الأرواح، فالصحابة بالنسبة لهؤلاء المستشرقين أهل غلظة ووحشية يدفعهم التعطش لسفك الدماء وفرض السيطرة على شعوب العالم، يقول المستشرق الألماني جون هيجل(1770-1831م): " كان الإسلام دائما وسيبقى دائما دين السيف؛ لأنه لا يمكن العثور على فكرة حب في القرآن" [1].

ويقول المنسيور كولي(1864-1929م) في كتابه "البحث عن الدين الحق": " برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام، الذي أُسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب، ولقد وضع محمد السيفَ في أيدي الذين تبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق؛ ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة، وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقيا وإسبانية فريسة له؛ حتى هدّد إيطاليا، وعمّ الاجتياح نصف فرنسا" [2]

و كذلك يرى فلهوزن أنّ الجهاد إنما شُرع لسفك الدماء وزهق الأرواح فيقول: " ولم يكن الجهاد لنشر الدين أكثر من ذريعة، وتعلّة للحرب، كما لم تكن دعوة أعداء الله إلى الدخول في الإسلام قبل محاربتهم إلا مسألة شكلية" [3]

"وجاء في كتاب " تقدم التبشير العالمي" الذي ألفه الدكتور غلوور، ونشره في نيويورك سنة1960 في نهاية الباب الرابع بعدما تحدث عن النبي ﷺ وأنه كان حاكما مطلقا، وقرن بين سيف محمد والقرآن لكونهما أشد عدوّ وأكبر معاند للحضارة والحرية والحق: " أما جيشه العربي فكان يتعطّش للتهديد والتغلب، وقد أرشدهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم، ويبعد عن طريقهم" [4]

ويذهب فيليب حتي(1886-1978م) إلى أنّ القومية العربية كانت هي الدافع القوي الذي بث في الفاتحين حب القتال والسيطرة على العلم، فقال: " على أن الإسلام الذي فتح الشمال لم يكن

---

[1] صحيفة The Daily Advertiser، مقال لـــ: Paul Harvey، عدد الخميس، 15 يناير، 1981م.

[2] المستشرقون وموقفهم من أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية: أشرف عباس القاسمي، مجلة الداعي الشهرية، جمادى الآخرة1436هـ-مارس، أفريل، 2015م، العدد السادس، السنة(39)، دار العلوم، ديوبند، الهند.

[3] تاريخ الدولة العربية، ص23.

[4] المنهج الاستشراقي في دراسة السنة وعلومها: عبد العزيز فارح، مطبعة الرباط، الطبعة الثالثة، 2012م، ص47.

الدين بل الدولة، والعرب الذين فاجأوا العالم وانقضوا عليه إنما كانوا مدفوعين بعامل قومي، فالفوز الأول كان للقومية العربية لا للدين الإسلامي" [1]

وهذه التهمة–حب سفك الدماء– راجعة لما استقرّ في أذهان الغرب مما قرّره كهنتهم من الزعم أنّ سبب انتشار الإسلام وتغلبه إنما هو القهر وقوة السيف والتعطش للدماء، وهذا لصدّ شعوبهم عن اعتناق الإسلام ولتبرير فشلهم في الحدّ من انتشاره والقضاء عليه.

والإسلام لا يُكره أحدا على الدخول فيه، بل القاعدة المحكّمة هي حرية الاعتقاد، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة:256]، ويكفل العلاقة القائمة بين أتباعه والأمم الأخرى التي لا تدين به على تبادل السلم، قال تعالى:﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنفال:61]، ولا يقف الأمر هنا بل يتعدّاه إلى البرّ والقسط، قال تعالى:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:8].

ثم إنّ سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ في حروبهم تفنّد هذه التهمة وتردّها فقد كانت الحرب عندهم حالة اضطرارية يلجأون إليها لردّ العدوان عليهم، أو لتحطيم الحاجز الذي يحول دون تبليغ رسالة الله تعالى، وقد كانت حروبهم في غاية من الرحمة والرّقي الذي لم تصل إليه الدول المعاصرة التي ترفع شعارات الإنسانية وحقوق الإنسان و...

أمّا عن اتهام الصحابة بأنهم قوميون، فباطلة يردّها جوهر الإسلام الذي لا يُنكر على الإنسان انتسابه لقومه أو وطنه أو عشيرته، ولا يعارض ما فُطر عليه من مشاعر تجاه أصله ومنبته، بل يشجع هذا الأمر ويباركه إن كان بدافع التواصل والتآزر الذي يقوّي المؤمن ويجعله في حصانة ومناعة من أعداء ملّته، أمّا إن أصبح ولاء الإنسان تعصبا على حساب عقيدته ودينه فهذا يرفضه الإسلام ويحاربه لأنّ أواصر الدين أقوى من أي أواصر مهما كانت.

---

[1] تاريخ العرب: فيليب حتي وآخرون، دار غندور، لندن، الطبعة الخامسة، 1974م، 197/1.

المطلب الثالث: تهمة الصحابة بنشر الإسلام طمعا في الأموال والثروات:

حيث ذهب القائلون بهذه التهمة إلى أنّ الفقر والحرمان والجدب الذي كان يعيشه الصحابة في جزيرتهم دفعهم إلى التطلع لخيرات الأكاسرة والقياصرة، وأنّ الرغبة كانت جامحة في التلذذ بنعيم الشعوب الأخرى، فانطلقوا في الأرض مجاهدين فاتحين.

يقول المستشرق البريطاني توماس أرنولد(1864-1930م): "...وكان أقوى من ذلك جذبا لهم إلى الإسلام أملهم الوطيد في الحصول على غنائم كثيرة في جهادهم في سبيل الدين الجديد، ثم أملهم في أن يستبدلوا بصحاريهم الصخرية الجرداء التي لم تتح لهم إلا حياة تقوم على البؤس، تلك الأقطار ذات الترف والنعيم، وهي فارس والشام ومصر...ويعتبر توسع الجنس العربي على أصح تقدير هجرة جماعية نشيطة، قوية البأس دفعها الجوع والحرمان إلى أن تهجر صحاريها المجدبة، وتجتاح بلدا أكثر خصبا، كانت ملكا لجيران أسعد حظا منهم" [1]

ويقول أيضا: " إن العرب شعب نشط فعّال، دفعته يد الجوع والحاجة إلى ترك صحاريه القاحلة، واجتياح الأراضي الفنية المترفة [2]

ويقول المستشرق البريطاني ستانلي لين بول(1854-1931م) " إنّ من المحقق أن تحمس العرب للفتوح كان يؤججه عنصر قوي من التعصب للدين والرغبة في نشره، فقد حاربوا، لأن مثوبة الشهداء وكؤوس السعادة والنعيم كانت تنتظر من يقتلون في سبيل الله، غير أننا لا نستطيع أن ننكر ثروة القياصرة والأكاسرة والأراضي الخصبة والمدن العامرة في الممالك المجاورة كانت عاملا كبيرا في تحمس المسلمين" [3]

ورغم أنه قبل أن يتحدث عن الرغبة المادية للصحابة في فتوحاتهم ذكَرَ تعصبهم للدين ورغبتهم في نشره، إلا أنه يردُّ هذه الحمية إلى الرغبة والطمع في النعيم الأخروي وكأنه يمهّد لما سيذكره بعده، فخلاصة قوله أن الطمع هو المحرك لهم سواء دنيوي أو أخروي.

---

[1] الدعوة إلى الإسلام:توماس أرنولد، ترجمة: حسن إبراهيم، وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت، ص64.

[2] الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: شوقي أبو خليل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ-1995م، ص181.

[3] موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (نقلا عن: تاريخ مصر في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد سالم، مكتبة الأسرة، القاهرة ، د.ن، 291/1.

بل ويردّ المستشرق كاهن الحماس الديني إلى الرغبة المادية الصّرفة فيقول: " ولقد تألفت هذه الجيوش من أنصاف الرّحل أو من المتطوعين عن إيمان، وسرعان ما انتشر في نفوسهم الحماس الديني، واستقر فيهم على حداثة عهدهم بالإسلام وذلك بفضل الغنائم التي كانت تدر عليهم خيرات طائلة"[1]

ويرى المستشرق الهولندي رينهارت دوزي (1820-1883م) أن اعتناق الكثيرين للإسلام كان دافعه المال والنفع المادي، فيقول: "كان المعروف أن أوامر الدين تُسقط الجزية في الحال عمن يسلم من الذميين الذين في دار الإسلام مسيحيين كانوا أم يهودا ولا تُجبى هذه الجزية إلا ممن بقي على دين إسلافه، فكان من جزاء هذا الطعم الذي يزكيه الطمع أن أخذت الملة الإسلامية تتلقى كل يوم في أحضانها جماعات من المسلمين الذين لم يعتنقوه إيمانا تاما منهم، بل كان همهم الأول الاحتفاظ بالمال والمتاع الدنيوي" [2]

وقال المستشرق الفرنسي درمنغم[3]: "اعتنى كثير من أتباع محمد في دور الفتوح، فجمع أكابر صحابته ثروات عظيمة باستيلائهم على كنز كسرى وكنائس مصر...وأبصر محمد المستقبل فقال يوما: "إن فتنة أمتي في المال"..." [4]

وفي ترجمة المستشرق بول (لأبي بكر في دائرة المعارف الإسلامية ينفي عنه أي قدر من البراعة والحنكة الحربية، ويعزو ما تحقق من تقدم وانتصارات لجنوده وأتباعه، مبينا سعيهم للحصول على خيرات وثروات الشعوب، فيقول: " اتجه أبو بكر -الذي كان يتسم بسمة المحافظة والذي كان قليل الخبرة بالحرب- إلى تنفيذ مشروع غيّر في قليل من الزمن مجرى العالم تغييرا تاما: فقد أرسل خالدا وغيره من القواد المحنكين في حملات ضد الفرس والروم.ويمكننا أن نؤكد أنّ أولئك الرجال المحنكين الذين كانوا حوله هم أصحاب تلك الفكرة، قصدوا بها وضع حد للفتن الداخلية وتعليم العرب وحدة الإسلام

---

[1] تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: كلود كاهن، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ، ص19.

[2] تاريخ مسلمي إسبانيا: رينهارت دوزي، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1963م، ص138.

[3] إميل درمنغم (E.Dermenghem) مستشرق فرنسي، عمل مديرا لمكتبة الجزائر، من كتبه(حياة محمد)، و(محمد والسنة الإسلامية) وغيرها، ينظر: قالوا عن الإسلام: عماد الدين خليل، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ، ص60.

[4] حياة محمد:إميل درمنغم، ترجمة: محمد عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، د.ن، ص198.

بصورة عملية، وذلك بتوجيه الناس عامة إلى الغزو الذي يعود عليهم بالمغانم الكثيرة؛ وقد ارتاح أبوبكر من أعماق نفسه لأن الحملات المتكررة التي وجهها النبي ضد ممتلكات الروم في بلاد العرب في الأعوام الأخيرة من حياته فسرها أبو بكر أنها من الواجبات العامة التي يدعو إليها الدين الجديد[1]

ويتكلم دلافيدا (1886-1967م)عن خلافة عثمان ﷺ فيعزو سبب الفتوحات إلى الرغبة في الثراء وسد الجوع، يقول: " إنّ نظام الديوان الذي أنشأه عمر كان يتطلب أن الغنائم المستولى عليها في الحرب يجب أن تزداد باطراد وبصفة دائمة نظرا لأن الحصيلة المنتظمة من الضرائب المفروضة على أهل الذمة لم تكف المجندين الجدد الذين سارعوا من أعماق بلاد العرب إلى الأمصار، ومن هنا جاء الدافع على الحملات التي لم تتوقف أبدا خلال خلافة عثمان والتي استهدفت مدّ حدود الإمبراطورية العربية"[2]

ويقول المستشرق فلهاوزن: " ولم تكن الحكومة الإسلامية يهمّها سوى حمل الخراج إلى بيت المال على المقدار المفروض له، الذميون بقرة، الوالي يمسكها من قرونها حتى تسكن وعامل الخراج يحلبها"[3]

ويرى فيليب حتّي" أنّ الحاجة المادية هي التي دفعت معاشر البدو وأكثر جيوش المسلمين منهم إلى ما وراء تخوم البادية القفراء، إلى مواطن الخصب في بلدان الشمال، ولئن كانت الآخرة أو شوق البعض إلى بلوغ جنّة النعيم قد حبب لهم الوغى فإن ابتغاء الكثيرين حياة الهناء والبذخ في أحضان المدنية التي ازدهر بها الهلال الخصيب كان الدافع الذي حبب لهم القتال" [4]

ويقول أيضا: "ولم تكن الجندية خير مهنة في نظر الله وأشرفها فحسب بل أوفرها دخلا"[5]

وبالجملة فالمستشرقون يردّون جهاد الصحابة وجهودهم في نشر الدين في الآفاق إلى الرغبة والطمع في المكاسب المادية، وحب المال والتطلع لخيرات الشعوب والأمم الأخرى والتخلص من حياة الفقر والبؤس في صحرائهم.

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية، 314/1.

[2] الموسوعة الإسلامية الميسرة، 653/1.

[3] الإسقاط، ص181.

[4] تاريخ العرب: فيليب حتي وآخرون، 195/1.

[5] العرب تاريخ موجز: فيليب حتي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ن، ص41.

كما أنهم طعنوا في أسباب وعوامل انتصارات الصحابة في الفتوحات؛ حيث حصروها في الأسباب المادية وأغفلوا الأسباب المعنوية من قوة الإيمان والرغبة في هداية البشرية، يقول المستشرق بليائيف:" ولا يزال المؤرخون حتى يومنا هذا يبحثون في الأسباب والعلل، التي مكنت العرب من إنجاز تلك الفتوحات بهذه السرعة الهائلة، وفي نظرنا إنّ هذه الانتصارات التي حققها العرب تعود في الأساس إلى الضعف الاقتصادي الذي مُنيت به بيزنطة وفارس الساسانية، كما تعود بوجه خاص إلى التناقضات الاجتماعية التي زادت حدتها فجأة في الدولتين"[1]

و يمكن الرد على هذه التهمة من وجوه هي:

أولا: الإسلام دين رسالته عالمية، والله عزّ وجل أرسل رسوله ﷺ هداية للبشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:158].

والنبي ﷺ عاش حياته مُبلّغا عن ربه هاديا إلى سبيله ساعيا إلى إيصال الإسلام لكل إنسان، وهو القائل ﷺ:" بلّغوا عني ولو آية"[2]

وقد كتب ﷺ لملوك الأرض في زمانه؛ كسرى وقيصر والمقوقس يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ولتحقيق دعوته ﷺ شُرع الجهاد في سبيل الله تعالى، قال تعالى:﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:41].

وقال تعالى:﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ ﴾ [الحج:78].

ومن السنة مارواه أبوهريرة عن النبي ﷺ أنه سئل أي العمل أفضل؟ فقال:" إيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا؟ قال:" الجهاد في سبيل الله"، قيل: ثم ماذا؟ قال:" حج مبرور"[3]

---

[1] العرب والإسلام والخلافة العربية: بليائيف، ترجمة: أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، د.ن، ص182.

[2] رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح3461، 170/4.

[3] البداية والنهاية لابن كثير، 46/7-47.

والصحابة الكرام ﷺ، أدركوا عظم المهمة الجليلة التي أُنيطت بهم، فما كان منهم إلا الاستجابة والتسليم، يقول ربعي بن عامر ﷺ في حواره مع رستم قائد الفرس عندما سأله: " مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضيق الدنيا إلى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ.

قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ"[1].

ثانيا: الإسلام دين السلام والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: 125]، والحرب فيه إنما هي حالة استثنائية، كما أنه دين لا يُكره على المعتقد، قال تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة:256].

ثالثا: كان النبي ﷺ يوصي الصحابة في غزواتهم بالالتزام بالأخلاق الإسلامية السامية مما عزّز انتشار الإسلام وإقبال الناس عليه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال:" اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع"[2]

رابعا: ويُذكر من باب الإنصاف ومن باب الرّد على الطاعنين وجود فئة من المستشرقين تعاملت مع قضية نشر الصحابة للإسلام عن طريق الفتوحات بموضوعية، معارضين بذلك ماذهب إليه زملاؤهم من المستشرقين الآخرين، يقول المستشرق الفرنسي "دي كاستري" (1850-1927م): "إن شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم، وهذه المحبة التي دفعت العرب في طريق الفتح"[3]

---

[1] رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، ح26، 14/1، ومسلم في كتاب الإيمان ، رقم 137، ح1، 89/85.

[2] رواه أحمد في مسنده، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره، رقم2728، 461/4.

[3] خواطر وسوانح: دي كاستري، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، مكتبة النافذة، القاهرة، الطبعة الأولى، ص37.

وقال المستشرق لنتون(1893-1953م):"وكان الإسلام دينا قويا يهدي إلى الصواب ويرحب بمن يريدون الدخول فيه، وفي الأيام الأولى للغزوات كان كل من يتبع دينهم يصبح أخا في الإسلام"[1]

وقال غوستاف لوبون(1841-1931م):" وقد عرف الخلفاء كيف يحجمون علن حمل أحد بالقوة على الإسلام، وعرفوا كيف يجعلون حسن السياسة رائدا لهم، وقد ابتعدوا-خلافا لمزاعم الكثيرين- من إعمال السيف فيمن لم يسلم، وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون ديانات الشعوب، وعرفها وعاداتها، مكتفين بأخذهم في مقابل حمايتها الجزية الزهيدة التي لم تكن بجانب ما كانت تدفعه إلى سادتها السابقين من الضرائب شيئا مذكورا"[2]

خامسا: أسباب انتصارات الصحابة في الفتوحات لا ترجع إلى الضعف لدى الدول التي حاربها المسلمون، ولا إلى قلّة عددهم وعُدّتهم وعتادهم، بل التاريخ شاهد على قوة هذه الدول، وشهرتها بقوة جيوشها مما جعلها مرهوبة الجانب، ومملكتا الفرس والروم كانتا أشهر من أن يدّعي أحد ضعفهما، وفي الحديث الصحيح عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ، قَالَ:" بَعَثَ عُمَرُ النَّاسَ فِي أَفْنَاءِ الأَمْصَارِ، يُقَاتِلُونَ المشْرِكِينَ، فَأَسْلَمَ الهُرْمُزَانُ، فَقَالَ: إِنِّي مُسْتَشِيرُكَ فِي مَغَازِيَّ هَذِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ مَثَلُهَا وَمَثَلُ مَنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ مِنْ عَدُوِّ المسْلِمِينَ مَثَلُ طَائِرٍ لَهُ رَأْسٌ وَلَهُ جَنَاحَانِ وَلَهُ رِجْلاَنِ، فَإِنْ كُسِرَ أَحَدُ الجَنَاحَيْنِ نَهَضَتِ الرِّجْلاَنِ بِجَنَاحٍ وَالرَّأْسُ، فَإِنْ كُسِرَ الجَنَاحُ الآخَرُ نَهَضَتِ الرِّجْلاَنِ وَالرَّأْسُ، وَإِنْ شُدِخَ الرَّأْسُ ذَهَبَتِ الرِّجْلاَنِ وَالجَنَاحَانِ وَالرَّأْسُ، فَالرَّأْسُ كِسْرَى، وَالجَنَاحُ قَيْصَرُ، وَالجَنَاحُ الآخَرُ فَارِسُ، فَمُرِ المسْلِمِينَ، فَلْيَنْفِرُوا إِلَى كِسْرَى، - وَقَالَ بَكْرٌ، وَزِيَادٌ جَمِيعًا عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ - قَالَ: فَنَدَبَنَا عُمَرُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرِّنٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضِ العَدُوِّ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلُ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ، فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَقَالَ المغِيرَةُ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلاَءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الجُوعِ، وَنَلْبَسُ الوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ: أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الجِزْيَةَ،

---

[1] حضارة العرب: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، د.ن، الطبعة الثالثة، 1399هـ، ص152.

[2] شجرة الحضارة: لنتون رالف، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ن، 339/3.

وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ"[1]

فجيش الفرس كان مجهزا بعدد أربعين ألف مقاتل، ولم يكن جيشا ضعيفا ولا قليلا، ولم يكن كحاله جيشُ المسلمين وكذلك كان الأمر بالنسبة لعدد المسلمين مقارنة بعدد جيش الروم في معركة اليرموك[2]، مما يدل دلالة قاطعة على أنّ الغلبة كانت بسبب قوة العقيدة والإيمان بالرسالة التي لا بدّ من تبليغها للناس كافة، وهم ينشدون صلاح الدين، وتقويم الأوضاع، ونشر الفضائل، ولم تخرجهم أطماع الدنيا وزينتها، ولم يخاطروا بأنفسهم إلا ابتغاء الدار الآخرة.

المطلب الرابع: تهمة الصحابة بالكذب في الرواية:

وهي تهمة رددها كثيرٌ من المستشرقين، يقول جولد تسيهر: "إن التوجيه الرسمي والنشاط الحكومي لوضع الأحاديث يرجع إلى فترة مبكرة جدا من تاريخ الإسلام، ونجد صداه في وصية معاوية للمغيرة أن يشجب عليّا وأتباعه ويبعدهم، ولا يسمع لهم كمصدر للأحاديث...كانت هذه التوصية بمثابة منشور رسمي لوضع الأحاديث" [3]

ويقول أيضا: "لا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول، أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى...وقد اعترف أنس بن مالك الذي صاحب الرسول عن قرب عشر سنوات، عندما سئل عما يحدث عن النبي هل حدثه به فعلا فقال: " ليس كل ما حدثنا به سمعناه عن النبي ولكننا لا نكذب بعضنا"[4]

وقال كاهن: " على أن عددا كبيرا من هذه الأحاديث –وبخاصة الأولى منها– قد لُفّق واستحدث في حمى المنازعات السياسية والدينية إبان القرن الأول والثاني للإسلام؛ حتى تنهض حجة يحتج بها كل

---

[1] رواه البخاري في كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، ح3159، 97/4.

[2] ينظر: تاريخ الطبري، 402/3.

[3] اهتمام المحدثين بنقد الحديث، ص132-133.

[4] موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية:الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد، الرياض، 1418هـ-1998م، 55/2.

من الأطراف المتنازعة"[1]

وهو ماذهب إليه المستشرق ميور(ت 1905م) حيث قال: "الأحاديث وليدة المحادثات بين أصحاب محمد في فترات الحروب"[2]

ولقد خصّ المستشرقون الصحابي الجليل أبا هريرة بترداد تهمته بالكذب في الرواية، يقول جوينبول[3]: " إن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع في أول الأمر، ولهذا نجد الثقة بأبي هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس"[4]

وقال جولدتسيهر: "..طريقة روايته للحديث التي ضمنها أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر على ما امتاز به من روح المزاح الأمر الذي كان سببا في ظهور كثير من القصص...ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائما قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر، ..وقد اضطر أحيانا أن يدفع عن نفسه تقوّل الناس، كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك، وقد وصفه شبرنجر بأنه" المتطرّف في الاختلاق ورعا"[5]

وعند ترجمة المستشرق هاملتون جب(1971م) للسيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في دائرة المعارف اتهم المغيرة بن شعبة ﷺ بالكذب، فقال: " وينتسب إليها –أي أسماء- فيما يتصل بذلك حديث [6] عن النبي ﷺ يذم فيه الكذابين اللذين يخرجان من ثقيف وهما المغيرة بن شعبة والحجاج بن يوسف.." [7]

---

[1] تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: كلود كاهن، ص11-12.

[2] اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا، ص452.

[3] جوينبول تيودور(TH.W.JUINBOLL) مستشرق هولندي توفي سنة1861م، ينظر: المستشرقون للعقيقي، 360/2، والأعلام للزركلي، 95/2.

[4] دائرة المعارف الإسلامية، 336/7.

[5] المصدر نفسه، 418/1.

[6] الحديث قوله ﷺ: " يخرج من ثقيف كذاب ومبير"، رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، رقم229، ح2545، 1971/4.

[7] دائرة المعارف الإسلامية، ط2، 360/3.

وسيأتي الرد على هذه الفرية في الفصل الثالث بحول الله تعالى.

المطلب الخامس: تهمة الصحابة باغتصاب الخلافة والحرص عليها والتقاتل من أجلها، والتظاهر على قتل عثمان ﷺ:

من الطعون التي وجهها المستشرقون للصحابة اتهامهم باغتصاب الخلافة، وهذه دعوى قديمة أول من قال بها الشيعة لأنهم يزعمون أنّ النبي ﷺ عيّن الإمام من بعده، والصحابة خالفوا حكم الله عزّ وجل في الإمامة.

يقول المستشرق فلهوزن: "وكان أبوبكر وعمر يعلمان أنهما لم يتوليا الخلافة بفضل حق شرعي، بل من طريق الاغتصاب، وهما لم يستطيعا أن يسبغا على رياستهما التي كانت غير شرعية في أول الأمر ثوبا شرعيا إلا فيما بعد"[1]

وقال إميل درمنغم: " وهل كان أبو بكر وعمر يتطلعان إلى خلافة صهرهما النبي، لقد قيل إنهما كانا متفقين مع أبي عبيدة على نيل خلافته للتناوب بعد وفاته"[2]

ويقول سيديو(1808-1875م): "ولم يضع محمد نظاما لخلافته، فأسفر سكوته عن ذلك أن تحركت ضروب الحرص إلى أبعد مدى"[3]

فهذا تصوير للخلافة على أنها مطمع وهدف سعى له الصحابة بالتدبير والتخطيط في حياته ﷺ.

والحقيقة التي حدثت أنّ النبي ﷺ لم يوص بالخلافة تصريحا كما تزعم الشيعة، ولكنه مهّد لها فعليّا، وأنّ الاضطراب الذي حصل بعد وفاته ﷺ إنما لأنهم فجعوا به، وكان من الطبيعي أن تحصل نقاشات حول القائد الجديد، ولكنها كانت في حدود المعقول، وانتهت باختيار الأصلح لا بالاغتصاب كما يدعي المستشرقون الذين يغلب على ظني أنهم أخذوها عن الشيعة القائلين بغصب الخلافة[4] لأنهم يعرضون عن المصادر الأصلية ويلجأون لرويات المنشقين عن أهل السنة.

---

[1] تاريخ الدولة العربية، ص34.

[2] حياة محمد: إميل درمنغم، ص283.

[3] تاريخ العرب العام، ص125.

[4] ينظر: كشف الأسرار للخميني، ص128.

ويقول المستشرق هنري ماسيه(1886-1969م): "لم يترك محمد عند وفاته ولدا ذكرا، ...إذن فقد اندلعت أزمة سياسية حول موضوع خلافة محمد، وتصارع المدنيون والمكيون على السلطة، وتألفت عدة أحزاب، ولكن عمر تغلّب على الشعب، وأقسم يمين الإخلاص بين يدي أبي بكر، وألّب حوله معظم الأصوات الذي حسم الخلاف"[1]

ويوافقه المستشرق ميكيل(1929-2021م) فيقول: " وكان صوت عمر الذي يدوي فوق أصوات الضوضاء قد فرضه على الأمة لأنه كان أحد أوائل الصحابة"[2]

فهكذا يصوّر المستشرقون خلافة أبي بكر وعمر على أنها خلافة مُرتقبة ومتطلّع إليها ومُخطّط لها فُرضت على الأمة بالقوة.

وعن خلافة عمر نجد المستشرق ليفي دلافيدا يكذّب أن يكون أبوبكر قد عهد له بها من بعده بدعوى مخالفة العُرف، فيقول: " إنّ السؤال عما إذا كان أبو بكر وهو على فراش الموت قد عيّن عمر خلفا له؛ سؤال كان موضع نقاش كثير من جانب منظري القانون الدستوري الإسلامي، الواقع أنه ماكان هناك أي عمل رسمي من أجل تقليده المنصب، لأن مثل هذا العمل لن تكون له قيمة لخروجه تماما على العرف العربي، لقد تولى عمر السلطة بحكم الواقع، والبيعة التي منها له أغلبية الصحابة على الفور، ضمنت له ممارستها بطريقة شبيهة تماما بالطريقة التي كان يتم بها تعيين شيخ القبيلة، ومهما بدا مثل هذا النظام بدائيا فإنه لم يكن يسبب أي متاعب إلا إذا اشتدت حدة الشعور بين طرفين، وهذا ما حدث عند انتخاب علي؛ لم يكن ضد عمر سوى استياء العلويين –المتمسكين بالشرعية–والأنصار الذين كانوا قد أصيبوا بالهزيمة قبل ذلك بوقت قصير جدا حين أصبح أبو بكر خليفة؛ بحيث لم يعودوا يشعرون بالرغبة في تنظيم معارضة منظمة"[3]

ثم اتهموا الصحابة بالتظاهر على مقتل عثمان، قال فلهوزن: " فحاول كبار الصحابة في بادئ الأمر أن يبعدوا بين الخليفة وبين بطانته كما قالوا، فلما لم يصلوا من هذه الطريق إلى غرضهم انقلبوا

---

[1] كتاب: الإسلام: هنري ماسيه، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، د.ن ، ص75.

[2] الإسلام وحضارته: أنديه ميكل، ترجمة: زينب عبد العزيز، المكتبة العصرية، بيروت،د.ط، 1981م، ص86.

[3] الموسوعة الإسلامية الميسرة، 689/1.

عليه هو، فتعمدوا تقويض هيبته في المدينة، وغذوا سخط الساخطين عليه من العرب في الأمصار...وقد التقى على البغض لبطانة عثمان أهل الأمصار، وكبار أصحاب النبي في المدينة، وكانت الغالبية الكبرى في العاصمة، خصوصا الأنصار وراءهم، وكان على رأس الصحابة علي وطلحة والزبير، على أن غضب الصحابة على بطانة عثمان كان له أسباب أخرى، وقد كان من السهل عليهم أن يجعلوا لمنافستهم تلك البطانة الصبغة الدينية اللازمة، وأن يظهروا مدافعين عن الكتاب والسنة...، كتب الصحابة إلى أهل الأمصار: إن كنتم تريدون الجهاد فمكانه الآن في المدينة"[1]

ويقول أيضا: "وخلّى أهل المدينة بين المصريين وبين ما أرادوا أن يفعلوا، ولم يتدخلوا لمنعهم، ولو أنهم أرادوا ذلك لما شق عليهم أن يقضوا على مئات قليلة من الثوار.

فأهل المدينة بدأوا بإثارة العاصفة على الخليفة، وإنما تركوا إتمام الثورة إلى ثوار من غير أهل المدينة، بل هم، خصوصا بعض الانصار، ساعدوا الثوار بالفعل.

أما كبار الصحابة الذين كانوا يحملون أكبر الوزر في اندلاع نار الثورة، وهم عليّ وطلحة والزبير، فإنهم لم يبذلوا أي جهد لإخمادها، وربما كان موقفهم من الخليفة هو أنهم أظهروا أسفهم أنهم لا يستطيعون مساعدته لأن أيديهم مقيدة، ولكنهم إنما كانوا يظهرون غير ما يبطنون، أما الحقيقة فهي أنهم لم يعملوا أبدا على إيقاف سير الحوادث آملين أن تنتهي بالفائدة لهم "[2]

و يقول كلود كاهن: "تعرّض عثمان لتهمة محاباة أقربائه كما تعرّض لمناهضة متزايدة من قبل أولئك الخصوم، وهي زوجة الرسول التي مازالت آنئذ في ريعان شبابها، وكان عليّ أيضا-وهو ابن عمّ النبي وصهره- خصما لعثمان، وكذلك عمرو بن العاص وغيره، وكان لا مفرّ من قيام التحالف بين مبعوثي هؤلاء وأولئك الخصوم، وأدى هذا التحالف إلى اغتيال الخليفة العجوز أثناء صلاته وفي ظروف لا تخلو من الغموض"[3]

ويقول فلهوزن: "كان بدء الخلاف في الإسلام الثورة على عثمان: في سبيل الله ضد الخليفة، ومن

---

[1] محمد في المدينة لفلهوزن، ص41-44.

[2] كتاب تاريخ الدولة العربية، ص48-49.

[3] كتاب تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: كلود كاهن، ص31.

أجل الحق والعدل ضد فساد الحكم وظلمه.وهي كلمات لم تستعمل ضد عثمان وحده، بل ضد كل حاكم يضل عن سواء السبيل.

فاستخدمها الخوارج ضد عليّ نفسه، فانفصلوا عن شيعته وصاروا خوارج.

فالثورة التي أتت بعليّ إلى الخلافة لم تتهاون معه حينما ضل الطريق.لقد تخلى عن الحق الإلهي، حق الجهاد ضد عثمان ومعاوية، من أن يصون ميثاقا مع بني الإنسان، ميثاقا يقضي على ذلك الحق الإلهي، ولهذا ساخت الأرض تحت قدميه وقضي على الخلافة"[1]

وقد تقدّم الرد على هذه الفرية في الفصل الأول عند الحديث عن موقف النواصب من الصحابةﷺ.

ويقول المستشرق دوزي(1820-1883م): "لم يكد عليّ يتسلم من الأنصار مقاليد الخلافة حتى عزل جميع عمال عثمان، وأبدلهم بمسلمين من رجال العهد القديم... لم تطل نشوة القوم إذ سرعان ما دبّ الشقاق بين القادة أنفسهم، فقد جمع في الخلافة كل واحد من أولئك الذين أعانوا قتلة عثمان، وفجع طلحة والزبير في آمالهما، فأجبرا- والسيف على رقبتيهما- على مبايعة المجدود، ثم غادرا المدينة ولحقا بعائشة الطموحة، أرملة النبي التي تآمرت من قبل على عثمان، لكنها أخذت الآن تستفز القوم للثار له والتمرد على عليّ الذي كانت تكرهه بدافع كبريائها المجروحة إذ جرؤ ذات مرة —في حياة الرسول- على التشكيك في عفتها" [2]

وقال سيديو: " متحدثا عن معاوية ﷺ: "قتل عثمان، فسفكت دماء في غير سبيل القرآن، فما كانت خلافة عليّ إلا سلسلة طويلة لحروب أهلية، وكان محمد قد رحم خصومه العتاة من قريش فأدخلهم إلى حظيرة الإسلام، فكانت تتألف من هؤلاء طبقة من الاشراف عند العرب فاستولوا بالتدريج على جميع مرافق الدولة، وكان عمر يزجرهم، فكانت لهم ضلع في نصب عثمان خليفة، فتخلّصوا منه عندما أراد أن يفلت منهم، ثم تذرعوا بحجة ثأره مع أن قتله كان من عملهم، فدعوا إلى الفتنة في جميع أنحاء الدولة، ثم قهروا بالحيلة عليّا الذي كان لا يدانيه أحدٌ في الشجاعة والمروءة، بعد أن

---

[1] كتاب أحزاب المعارضة الدينية في صدر الإسلام- الخوارج والشيعة-: كلود فلهوزن، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، 1978م، ص39-40.

[2] تاريخ مسلمي إسبانيا: دوزي، ترجمة:حسن حبشي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، د.ن، 43/1.

عجزوا عن الظفر به، فدلّوا خنجر متعصب عليه.

ولم يكد معاوية بن أبي سفيان يقبض على زمام السلطة حتى أظهر أنه وليّ أمر ممتاز...ولم يخش الحسن بن عليّ الأكبر الذي تنازل له عن الخلافة في سنة661 م مكتفيا بعزلة هادئة في المدينة" [1]

وقال سيديو عن طلحة والزبير متّهما لهما بالانقلاب على عليّ: " فلما رفض علي أن يولي صاحبي آل معاوية طلحة والزبير الكوفة والبصرة انقلبت صداقة هذين الصاحبين إلى حقد شديد، وبدت أرملة محمد عائشة بنت أبي بكر روح كل مكيدة ويهرع إلي السلاح"[2]

وقال فلهوزن: " وكأنما كان من حسن حظه أن طلحة والزبير وهما اثنان من الثلاثة الكبار من الصحابة انقلبا عليه انقلابا مخزيا؛ لأنه بتلقيه البيعة نال دونهما نجاحا قانونيا، وهم في حياة عثمان لم يألوا جهدا في الكيد لعثمان، وكان يبدو أن ذلك لأجل عليّ، فقد قدماه على أنفسهما، لكنهما الآن خرجا عليه خروج المنافسين واتهماه بأنه هو الذي دبّر مقتل عثمان وأنه هو الذي استفاد منه"[3]

ويقول دلافيدا عن طلحة أنه: " كان من المرشحين للخلافة، وقد أحس بمرارة الخيبة عندما وقعت من نصيب عثمان.

واندمج طلحة في صفوف المعارضة فاستغل السخط الذي سرعان ما دبّ في نفوس الناس على حكم عثمان، وسعى إلى تولي الخلافة مرة أخرى...وظنّ طلحة أن حلمه أوشك أن يتحقق، بل لقد بدا أن مبايعته بالخلافة باتت قاب قوسين أو أو أدنى، وإذا بعليّ يبايع بالخلافة دونه..فأقصي عن الخلافة "[4]

وتصوير الصحابة بصورة المتكالبين على الدنيا والمتقاتلين لأجلها إنما غرضه من المستشرقين الطعن في دينهم بما يقتضي ردّ ما جاؤوا به والتشكيك فيه.

---

[1] تاريخ العرب العام: سيديو، ترجمة: عبد الله الشيخ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2002م، ص165.

[2] المصدر نفسه، ص104.

[3] تاريخ الدولة العربية، ص 51-52.

[4] دائرة المعارف الإسلامية، 254/15.

المطلب السادس:تهمة خالد بن الوليد بقتل مالك بن نويرة رغبة في الزواج بامرأته:

فقد تكلّم المستشرق " تستر تشين" عن هذه الحادثة بما يشعر بظلم خالد لمالك بن نويرة ومؤازرة الخليفة أبي بكر لهذا الظلم، فقال: " ثم وجه همه-يعني خالدا- إلى بني تميم وكانوا ينزلون فيما جاور ذلك، وكان مالك بن نويرة يتزعم بطنا من بطونها في قتال البطون الأخرى، ولما دانت هذه البطون لخالد استسلم مالك أيضا، بيد أنه أُسر، وقُتل وبنى خالد بأرملته، فشكا الناس إلى الخليفة فعل خالد، ويروى أن خالدا اعتذر عن قتل مالك وسائر الأسرى بأنه كان نتيجة خطأ في الفهم، فقد أمر جنده ان يبذلوا لأسراهم من اللباس ما يستدفئون به قائلا: " أدفئوا أسراكم" ففهم الأعراب أن المقصود بها اقتلوا أسراكم ومهما يكن من شيء فقد قنع أبو بكر بلومه وأبقاه في منصبه على الرغم من شدة اعتراض عمر"[1]

أما بروكلمان فقد صوّر خالدا بصورة من أعماه طمعه في امرأة مالك فجعله يقتله وكلَّ أتباعه لأجل الظفر بها فقال: "...ومع ذلك فقد أمر خالد بقتله، وبقتل جميع اتباعه طمعا منه في زوجة مالك الجميلة على ما تقول الروايات"[2]

ومالك بن نويرة منع الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ، وأغار على إبل الصدقة، وفرّق ماكان بيده منها، وأنشد الشعر الذي أظهر به الردة عن الإسلام، ووادعّ سجاح بنت الحارث" التي ادعت النبوة، كل ذلك يدل على أنه ارتد عن الإسلام.

وقد هددته قوات خالد، فلما جاءت الخيل به في نفر معه من قومه سواء كان ذلك بقتال أو بدونه، اختلفت السرية فيهم، وكان أبو قتادة ممن شهدوا أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا، واختلافهم هذا دليل على أن مالكا لم يكن صريحا في إعلان إسلامه وأنه أظهر الإسلام-إن كان أظهره- عندما تهدده الخطر وأحدق به [3]يشهد لهذا ما ذكره ابن الأثير " أن متمما بن نويرة أخا مالك قد رثى أخاه بمرثية أعجبت عمر بن الخطاب ﷺ فقال له عمر: لو كنت أقول الشعر لرثيت أخي زيدا، فقال متمم: لا سواء يا أمير المؤمنين لو كان أخي صرع مصرع أخيك لما بكيته، وفي رواية: لو أن أخي مات على ما مات عليه

---

[1] المصدر نفسه، 202/8.

[2] تاريخ الشعوب الإسلامية، ص86.

[3] خالد بن الوليد المخزومي:محمود شيت خطاب، الطبعة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978م، ص101-102.

أخوك ما رثيته" [1]

أما ما يثار حول زواج خالد من امرأة مالك فيذكر ابن كثير أنّ خالدا بنى بها لما حلّت [2].

وقد قام الصديق بالتحقيق في مقتل ابن نويرة وانتهى إلى براءة ساحة خالد من تهمة قتل مالك بن نويرة، وأبو بكر في هذا الشأن أكثر اطلاعا على حقائق الأمور، وأبعد نظرا في تصريفها من بقية الصحابة، لأنه الخليفة وإليه تصل الأخبار، كما أنه أرجح إيمانا منهم، وهو في معاملته لخالد يحتذي على سنن رسول الله ﷺ إذ إنه عليه الصلاة والسلام لم يعزل خالدا عما ولاه في الوقت الذي كان يقع منه ما قد لا يرتاح له، وكان يعذره إذ يعتذر [3]

وهذا لا يعني أن خالدا منزه عن الخطإ بل لا يُظنّ به أبدا سوء القصد وسيرته في الجهاد وإعلاء كلمة الله خير دليل، وما موقف المستشرقين منه في نظري إلا محاولة لضرب رمز من رموز الجهاد وقائد من قادته العظام.

المطلب السابع: اتهام خديجة رضي الله عنها بالشك في الوحي:

قال به المستشرق جورج بوش في معرض كلامه عن مجيء جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في غار حراء وما كان من إفضائه ﷺ بما جرى معه لخديجة رضي الله عنها، حيث قال: " لقد بدأ يفضي لزوجته عند عودته لبيته مساء برؤى وأصوات اختص بها في معتزله" غار حراء"، فتشككت خديجة في بداية الأمر، وربما يكون تشككها هذا متوقعا، لقد فسرت هذه الرؤى التي رآها بوصفها خيال مضطرب، أو بوصفها إضلالا من الشيطان" [4]

وهذه الدعوى عارية من الدليل بل مجرد كلام لم يقم له صاحبة أي بينة، فنبينا ﷺ لما أوحي إليه من ربه عزّ وجلّ كانت خديجة رضي الله عنها أول من علمت بخبره، فواسته وطمأنته ولم تظهر أي

---

[1] البداية والنهاية، 43/5.

[2] المصدر نفسه، 27/5.

[3] أبو بكر الصديق شخصيته وعصره:علي محمد محمد الصلابي،، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1423هـ-2002م، ص212.

[4] محمد مؤسس الدين الإسلامي، ص164.

ارتياب أو انزعاج مما جاء به زوجها، وخبرها وارد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت:" أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ [العلق:1– 2] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ"[1]

فما ذهبت خديجة بالنبي ﷺ لابن عمها الذي عنده علم بالإنجيل إلا لعلمها بشأن ما جاء به، ولو كانت شاكة ما أعطت الأمر أهمية، بل لحاولت أن تلهي زوجها وتصرفه عما جاء به.

وهي أول من آمن [2]وسيرتها خير دليل على حسن بلائها في الإسلام، ولهذا كانت لها المكانة

---

[1] رواه البخاري في باب كيف كان بدء الوحي، ح3، 7/1،، ومسلم في كتب الإيمان ، رقم252،ح160، 139/1.

[2] أسد الغابة لابن لأثير، 82/6.

العالية عند الله ورسوله ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ "[1]

وبهذا استحقت أن يكون عام وفاتها عام حزن رضي الله عنها وأرضاها.

المطلب الثامن: رمي عائشة رضي الله عنها بالإفك:

قال بروكلمان(1836-1930): " فاتفق مرة أن أضاعت زوجه المفضلة عائشة بنت أبي بكر – وكانت آنذاك في الرابعة عشرة من عمرها-قلادتها فخرجت تبحث عنها مساء، ففاتتها قوافل الغزاة، ولم تعد إلى المعسكر إلا في اليوم التالي، وبرفقتها شاب قد عرفته من قبل وتطرق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبي، فردها إلى بيت أبويها، ولكن الله لم يلبث أن برّأها بعد شهر واحد في إحدى الآيات الموحاة للنبي "[2]

ويقول سبرنجر(1813-1893م): " ليس هناك دليل على أنّ عائشة قد اجتازت حرمة الزوجية، ولكن بما أنها زوجة رجل شيخ وجدت نفسها وحيدة في خلوة مع شاب، فلا يستبعد أن تصح التهمة، غير أن الرسول وجد في الوحي ملجأ يأوي إبان هذه الكارثة"[3]

وقال" بول" متحدثا عن صحبة أبي بكر ﷺ للنبي ﷺ نافيا تأثيرها وشفاعتها في حادثة الإفك: "...ومن المحتمل أن هذه الصداقة ما كانت لتعصمها تلك الفضيحة التي أثارتها هذه المرأة الصغيرة الطائشة حتى ولو لم يختمها القرآن بهذه الخاتمة الموفقة" [4]

وأثناء ترجمة المستشرق مونتجمري وات لعائشة رضي الله عنها بدائرة المعارف الإسلامية لم يخض في حادثة الإفك بالبهتان الذي خاض به غيره، إلا أنه عبّر عن القصة بتعابير فيها لمز ونبز لها رضي الله

---

[1] رواه البخاري في كتاب الحج، باب متى يحل المعتمر، ح1791، 1792، 6/3، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، رقم 72، ح 2432، 1887/4.

[2] تاريخ الشعوب الإسلامية، ص54.

[3] السيرة النبوية وأوهام المستشرقين: عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ن، ص81.

[4] دائرة المعارف الإسلامية، 312/1.

عنها، فقال: "...وجلست عائشة تنتظر حتى عثر عليها آخر الأمر شاب جميل هو صفوان بن المعطل السلمي فعاد بها في حراسته إلى المدينة، وكان ذلك منها زلة كبيرة في الظروف التي كانت سائدة آنذاك وخاصة أن الحجاب كان قد فرض" [1]

وهذا لا يستغرب منه وهو الذي يشكك في كونها تقية ورعة بقوله: " وقد وصفت في الأزمنة المتأخرة بأنها كانت مثالا للتقوى، ولكن ليس من اليسير أن نتبين السند في هذا القول"[2]

غير أنّ بعض المستشرقين استبعدوا وقوع عائشة رضي الله عنها في الفاحشة، منهم موير (1819-1905م)حيث قال: "إن سيرة عائشة قبل وبعد الحادث لتوجب علينا أن نعتقد براءتها من التهمة"[3]

ويكفي للرد على هذه الفرية أنّ براءة عائشة نزلت من السماء، في قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [النور:26].

كما أنّ النبي ﷺ أقسم على براءتها في قوله:" فالله ماعلمت من أهلي إلا خيرا"[4]

ولقائل أن يقول:لماذا لم يشهد الرسول ﷺ ببراءتها واستشار أسامة وعليّا في أمرها؟ فجوابه:أنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ هُوَ الْمَقْصُودَ بِالْأَذَى، وَالَّتِي رُمِيَتْ زَوْجَتُهُ فَلَمْ يَكُنْ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَشْهَدَ بِبَرَاءَتِهَا مَعَ عِلْمِهِ أَوْ ظَنِّهِ الظَّنَّ الْمُقَارِبَ لِلْعِلْمِ بِبَرَاءَتِهَا، وَلَمْ يَظُنَّ بِهَا سُوءًا قَطُّ وَحَاشَاهُ وَحَاشَاهَا، فَكَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْقَرَائِنِ الَّتِي تَشْهَدُ بِبَرَاءَةِ الصِّدِّيقَةِ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لِكَمَالِ صَبْرِهِ وَثَبَاتِهِ وَرِفْقِهِ وَحُسْنِ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ وَثِقَتِهِ بِهِ، وَفَّى مَقَامَ الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ حَقَّهُ حَتَّى جَاءَهُ الْوَحْيُ بِمَا أَقَرَّ عَيْنَهُ، وَسَرَّ قَلْبَهُ وَعَظَّمَ قَدْرَهُ وَظَهَرَ لِأُمَّتِهِ احْتِفَالُ رَبِّهِ بِهِ وَاعْتِنَاؤُهُ بِشَأْنِهِ [5].

---

[1] المصدر نفسه، 432/15.

[2] المصدر نفسه، 434/15.

[3] حياة محمد لموير، ص304.نقلا عن السيرة النوبوية وأوهام المستشرقين: عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، ص81.

[4] رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب إذا عدّل رجل أحدا، ح2637، 167/3، مكرر2661، 4141، 4750، 7369، ومسلم في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم56، ح2770، 2129/4.

[5] زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ، 1415هـ-1994م، 235/3.

ولقد بالغ المستشرقون في وصف الحادثة والتشكيك في عائشة مما يبين ما يضمرون، فوصفهم لصفوان ﷺ بأنه شاب جميل وراءه الشيء الكثير، رغم أن كتب التراجم والسير التي ذكرته والتي تحدثت عن الإفك لم تصفه أبدا، فمن أين جاؤوا بهذا الوصف؟

المطلب التاسع:الطعن في فاطمة رضي الله عنها والتشكيك في علاقتها بزوجها وخليفة المسلمين:

قال عنها المستشرق لامانس(1862-1937م): " فهي امرأة غير جذابة، ذات ذكاء متوسط، لا يقدّرها أبوها النبي ﷺ، ويعاملها زوجها (الإمام علي) معاملة سيئة، مصابة بفقر الدم، تعاني المرض في غالب أيامها، نزاعة للبكاء ربما تكون قد ماتت بداء السلّ" [1]

وقال إميل درمنغم:"...وكانت فاطمة العابسة دون رقية جمالا ودون زينب ذكاء...وكان علي يحرد بعد كلّ منافرة ويذهب لينام في المسجد، وكان حموه النبي يربته على كتفه ويعظ، ويرفق بينه وبين فاطمة إلى حين"[2]

وللرد عليهم أقول:

فاطمة رضي الله عنها لم تكن سيئة الحال كما وصفها المستشرقون بل كانت محببة عند والدها، وهي صاحبة المنزلة الرفيعة بين نساء المؤمنين؛

فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ امْرَأَةً، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "مَرْحَبًا بِابْنَتِي" فَأَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَاطِمَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ أَيْضًا، فَقُلْتُ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَقُلْتُ لَهَا حِينَ بَكَتْ: أَخَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَدِيثِهِ دُونَنَا، ثُمَّ تَبْكِينَ؟ وَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا قُبِضَ سَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ حَدَّثَنِي " أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ فِي

---

[1] موجز دائرة المعارف الإسلامية، 7707/25، مادة (فاطمة).

[2] حياة محمد، ص197-199.

الْعَامِ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، فَبَكَيْتُ لِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّنِي، فَقَالَ: "أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ" فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ"[1]

أما عن وصفها بقلة الجمال وقلة الذكاء فمحض افتراء لا دليل عليه.

أما ما يعبّر عنه بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار في شأن خصومتها مع عليّ، فالحديث الصحيح يدلّ على أن الواقعة حدثت مرة واحدة، فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: "أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟" قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاضَبَنِي، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: "انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟" فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: "قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ"[2]

وحتى لو فرضنا أنّ الخصومة تكرّرت بينهما فهذا أمر طبيعي جدا يحدث في بيوت الناس، والصحابة بشر وليسوا ملائكة، والحديث فيه تعاهد النبي ﷺ لابنته وزوجها.

المطلب العاشر: التشكيك في وجود شخصيات بعض الصحابة:

حيث شكك المستشرقون في وجود بعض الشخصيات من الصحابة، وعزوا اختلاق وجودها إلى روايات المحدثين؛ من ذلك ما ذهب إليه المستشرق لامنس في ترجمة الصحابي دحية بن خليفة الكلبي، حيث قال: " وظل دحية بن خليفة شخصية قصصية بل أسطورية، على الرغم من جميع الجهود التي بذلها المحدثون"[3]

أما المستشرق دلافيدا فيشكك في شخصية سلمان الفارسي رضي الله عنه المسلم، فيقول: " أقدم الروايات التي تحدثت عن يوم الخندق لم تذكر شيئا عن تدخل سلمان في الأمر، ومن المرجح أن تكون تلك

---

[1] رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب من ناجى بين يدي الناس، ح6285، 64/8، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي، رقم99، ح2450، 1905/4.

[2] رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، ح3703، 18/5، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالبن رقم38، ح2409، 1874/84.

[3] دائرة المعارف الإسلامية ، 131/9.

القصة قد اخترعت لكي تنسب إلى أحد الفرس هذه الوسيلة من وسائل الدفاع التي تسمى باسم من أصل فارسي.

ولا يوثق أيضا بالروايات الأخرى الخاصة بأعمال سلمان (نصيبه في فتح العراق وفارس، وولايته للمدائن وغيرها) لأن جلها أو كلها يرجع إلى عهد المؤرخ سيف بن عمر وهو مؤرخ عُرف كتابه بالتحيّز للهوى...والحق أن شخصية سلمان التاريخية من أغمض الشخصيات، ومن العسير بأن نسلّم بأنّ أمره يقوم على أنه عبد فارسي من أهل المدينة دخل في الإسلام"[1]

وللرد على هذه الفرية يقال للمستشرقين:

الذين ذكروا الصحابة الذين شككتم في وجودهم هم من ذكروا بقية الصحابة، فلم إثبات وجود فئة وإنكار وجود أخرى، والأساس المعتمد لديكم؟

المطلب الحادي عشر:تهمة الصحابة بنقل عقائد اليهود النصارى ودياناتهم للنبي ﷺ:

وفي هذه التهمة إنقاص لقدر النبي ﷺوأمانته في تبليغ الوحي، وطعن في الإسلام باستمداده تعاليمه من اليهودية والنصرانية وكل ذلك على يد فئة من الناس اختارهم الله لتبليغ شرعه للبشرية بعد نبيهم ﷺ.

تقول المستشرقة فكا عن زيد بن حارثة ﷺ: "...زيد ينحدر من قبيلة كانت تضرب قرب دومة الجندل.وكان عدد المعتنقين للنصرانية هناك كثيرا، كما كان أثر اليهودية واضحا، وربما كان أثر زيد في تطور فكر النبي كبيرا"[2]

ومثله ما كتبه المستشرق دلافيدا عن الصحابي تميم الداري ﷺ، حيث قال: " أسلم تميم وسكن المدينة، وكان تميم نصرانيا كغالب عرب الشام، فاستطاع أن يخبر النبي بتفاصيل العبادات التي استعارها من النصارى ومنها استعمال السراج في المسجد"[3]

---

[1] المصدر نفسه، 108/12، مادة(سلمان الفارسي).

[2] المصدر نفسه، 10/11، مادة(زيد بن حارثة).

[3] المصدر نفسه، 480/5، مادة(تميم الداري).

وهذه محاولة من المستشرقين لضرب الإسلام وتعريته من تعاليمه والتشكيك في كونه نسيجا من ديانات سابقةن وفق ما يعرف بنظرية التوفيد، وسيأتي الكلام عليها في الفصل الأخير بحول الله تعالى.

هذا عرض لما كتبه المستشرقون وما سطّروه في بحوثهم مما يبين مواقفهم من الصحابة ﷺ ونظرتهم إليهم، ولقد كان لبحوثهم هذه صدى واضحَ الرجع لدى كثير من الكتاب المعاصرين ممن يدّعون الانتساب للإسلام، من العصرانيين الذين ساروا على نهج المستشرقين وانطلقوا من استنتاجاتهم بمنتهى الانهزامية مسلّمين لها، منهزمين أمامهم كأن لا آلةَ عندهم للبحث والتنقيب عن الحقيقة، رغم تبجّحهم بالدعوة لتحكيم العقل، يقول محمد أبو شهبة عن هذه الطائفة: "وقد نجح المستشرقون إلى حد ما في التأثير في بعض الكتاب المسلمين، ولا سيما الذين صنعوهم على يديهم في العصر الأخير، فاقتفوا آثارهم فيما زعموا، ورددوا دعاواهم التي لم يقم عليها دليل، بل وزادوا عليها من عند أنفسهم، وهؤلاء وأولئك نفثوا سمومهم تحت ستار البحث وحرية النقد، والله يعلم والراسخون في العلم أن ما زعموا أبعد ما يكون عن العلم الصحيح والبحث القويم، والنقد النزيه"[1].

ويقول أيضا داعيا إلى التحرّر من ربقة تقليد المستشرقين: "... وأن لا يكون موقفهم موقف المقلّد لصنم المستشرقين "جولدتسيهر"، ومما نذكره لبعض المستشرقين المتأخرين عنه أنهم قد تخلّصوا من ربقة التقليد لجولدتسيهر، فجاءت أحكامهم أقرب إلى الحق والصواب في هذا الباب"[2].

---

[1] الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، دار الفكر العربي، د.ن، ص508.

[2] المرجع نفسه، ص625.

المبحث الرابع:تقييم الطرح الاستشراقي المتعلق بعدالة الصحابة ﷺ:

ويتضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعصب الشديد والحقد على الإسلام وأهله.

المطلب الثاني: تطبيق المناهج الغربية على الدراسات الإسلامية.

المطلب الثالث: التشكيك.

المطلب الرابع: طغيان الجانب المادي.

المطلب الخامس: الجهل باللغة العربية وثقافة العرب.

المطلب السادس: التحريف والتزييف والتدليس.

المطلب السابع: الانتقائية في اعتماد المصادر غير الإسلامية.

المطلب الثامن: التناقض.

تمهيد:

إنّ المطّلع على الدراسات الاستشراقية التي لم يدّخر أصحابها جهدا في الطعن في الصحابة والنيل منهم وتشويه تاريخهم المشرق لا يسعه إلاّ أن يلاحظ كمية الحقد الذي يكنّه هؤلاء المستشرقون لدين الإسلام ونبيه ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ، وهذه الدراسات اصطبغت بسمات فغلبت عليها وظهرت جليّة واضحة لكل ذي لبّ، ولعلّ من أبرز الملاحظات- وهي ملاحظات يمكن القول بأنها مسّت جميع مباحث دراساتهم والتي من ضمنها مبحث الصحابة ﷺ- التي يمكن إجمالها في الآتي:

المطلب الأول: التعصب الشديد والحقد على الإسلام وأهله:

ذلك أن الاستشراق نشأ وترعرع في أحضان الكنيسة، "ومن العسير حقا على باحث أن يفصل العمل الاستشراقي عن الهدف الديني التنصيري في جملة دراسة المستشرقين عن الإسلام...وإنّ دراسة المستشرقين قامت في أول الأمر بوحي من الكنيسة الكاثوليكية خاصة للانتقاص من تعاليم الإسلام وإهدار قيم تعاليمه؛حرصا على مذهب الكثلكة من جانب، وتعويضا عن الهزائم الصليبية في تحرير بيت

المقدس من جانب آخر، ولقد كان التبشير والاستشراق الطلائع الاستعمارية لغزو المسلمين والسيطرة على بلادهم[1].

يقول المستشرق غوستاف لوبون: " الحق أنّ استقلال آرائنا وتجردها ظاهري أكثر من أن يكون واقعيا، وإننا لا نكون البتة أحرارا في تفكيرنا كما ينبغي حيال بعض الموضوعات، فلقد تجمعت العقد الموروثة، عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحيقة حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي"[2].

إنّ انطلاق المستشرقين في أبحاثهم من خلفيات عقدية معادية للمسلمين جعلتهم يجنّدون كل طاقاتهم لإظهار الإسلام ورجاله بمظهر مُشين، فلا عجب أن يصوّروا الصحابة على أنهم مجرمون متعطشون للدماء، لا همَّ لهم من اتباع الدين الذي جاء به نبيهم إلاّ تحقيق الثراء، يكذبون على نبيهم، ويتناحرون فيما بينهم...

وعدم اتصاف المستشرقين بالموضوعية كانت له نتيجته الحتمية وهي عدم علمية مناهجهم، "ذلك لأن المناهج العلمية عادة ماتؤدي بالباحثين إلى نتائج واحدة ومتقاربة في مثل هذا النوع من الدراسات وقلما يوجد التباين بينهما والاختلاف، فلو أنّ الدراسات الاستشراقية تقوم على الموضوعية والمنهج العلمي كما يزعمون – لما اختلفت النتائج التي يتوصل إليها إلا اختلافا في وجهات النظر من حيث الفهم والاجتهاد"[3].

المطلب الثاني: تطبيق المناهج الغربية على الدراسات الإسلامية:

يقول رودي بارت1901-1983م): "نحن معشر المستشرقين، عندما نقوم بدراسة العلوم العربية والإسلامية، إنما لنبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة...، ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه، دون أن نعمل فيه النظر، بل نقيم وزنا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدو وكأنه يثبت أمامه، ونحن في هذا نطبق على الإسلام

---

[1] الاستشراق والدراسات الإسلامية: عبد القهار داود عبد الله، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1421هـ، ص29.

[2] كتاب وجهة العالم الإسلامي: مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1400هـ، ص38.

[3] الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين: نذير حمدان، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، د.ط، 1401هـ، ص161.

وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي تشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن"[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل بلغ النقد التاريخي لدى المستشرقين ما بلغه النقد الحديثي لدى المسلمين ؟ أم أنّ هؤلاء المستشرقين أحرص من المسلمين على دينهم وعقيدتهم ليقوموا بتمحيصها وتصفيتها؟

والحقيقة أنه: " على عكس المحدّثين كان حال جميع أصحاب الدراسات النقدية التاريخية في القديم والحديث؛ فإنهم اشتغلوا بنقد أحداث وروايات وتواريخ لم يسهموا في بنائها، وعامتهم لم يعايشها، بل جاؤوا بعدها بزمن كاف لإنقاص الأدوات والوثائق الضرورية التي تمكّن النقد الدقيق من محاكمة التاريخ"[2].

المطلب الثالث: التشكيك:

حيث أفرط المستشرقون في شكّهم في كل ماهو مدوّن لدى المسلمين من أخبار وسير وروايات، جاء فيها ما يخالف مايرجونه من خوضهم غمار البحث في علوم المسلمين، فادّعوا إخضاعها بزعمهم للفحص والتدقيق وفق المنهج العلمي، وكانت النتيجة رفض كل ما يبرز صورة مشرقة للصحابة ﷺ، والتشكيك في كل ما يمكن أي يكون دليلا إيجابيا في جانب الصحابة.

وإنّ إفراط المستشرقين في إعمالهم للشك أخرجه من العلمية والمنهجية، وأخرج نتائجهم من المصداقية، يقول الدكتور علي جواد الطاهر: " الشك ضروري على أن يكون علميا، وفي حدود الحقيقة، وأن يقع في السلب والإيجاب، وفيما لنا، وما علينا، أما الشك المرضي أو الشك الذي تدفعك إليه نزوة مخالفة المألوف...فهو خارج حدودنا، وليس من وكدنا"[3].

يقول المستشرق إميل درمنغم مشككا في مصادر السنة التي جاءت بأخبار الصحابة: " وكتب

---

[1] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق، كتاب الأمة، الطبعة الأولى، د.ت، ص77.

[2] المنهج النقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج النقدية التاريخية: عبد الرحمن بن نويفع فالح السلمي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2014م، ص116.

[3] منهج البحث الأدبي:علي جواد الطاهر، مطبعة العاني، بغداد، د.ط، 1970م، ص38.

الحديث لا تخلو من ميل وشبهة...وقد اقتطفت أقوال من التوراة والإنجيل ونسبت إلى محمد، ..وقد نسب إليه ما يشك فيه من المعجزات، وهو الذي لم يقل إنه جاء بها... "[1].

المطلب الرابع: طغيان الجانب المادي:

فلا هم يعترفون بقدسية القرآن وأنه كتاب منزل من عند الله، ولا بنبوة محمد ﷺ، ولا يعترفون بما هو روحي وأخلاقي، فالقرآن والسنة عندهم ليست سوى نصوص لا بدّ من إخضاعها للفحص، ونظرتهم للروايات وفحصهم لها تقوم على أسس مادية بحتة، وتستبعد كل ما هو ديني، فهم ينظرون إلى دوافع الوضع في الحديث ويهملون موانع الكذب لدى المسلمين، وينظرون إلى ضعف النفس البشرية أمام فتن الدنيا وغلبة الهوى عليها ويهملون الوازع الديني ومجاهدة النفس والزهد والطمع في ماعند الله والصبر عن المعاصي...

يقول المستشرق مكسيم رودنسون(1915-2004م) وهو يتحدث عن الرسول ﷺ: " إنني معجب بعظمة هذا الرجل وعبقريته، لكنني عندما أدرسه، أدرس حياته وفق منظور تحليلي ماديّ أعتبره المنظور الصائب الذي يمكن عبره فهم حياة الرسول ﷺ ودوره التاريخي الهامّ أو إنسانية الرسالة التي أتى بها.لكنّ هذا المنظور لا يروق بالطبع المسلمين المتدينين، لأنه ليس دينيا ومقدسا، بل هو مادي على الرغم من أنه كتاب يحمل الكثير من التمجيد لشخصية الرسول ﷺ باعتبارها واحدة من تلك الشخصيات الهامة التي غيرت تاريخ العالم"[2].

فنجد مثلا المستشرق كايتاني(1869-1935م) يركز في دراسته للتاريخ الإسلامي على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجغرافية، مهملا الجانب الديني بوصفه محركا تاريخيا، وكان ينتمي إلى أصحاب النظرة الوضعية التاريخية التي تعطي الماديات أهم تأثير في الحركات الفكرية والدينية، ومن ذلك إيمانه بالنظرية القائلة بحدوث تصحر قبل الإسلام في الجزيرة العربية، وأن هذا التصحر كان أحد العوامل الأساسية لظهور النبي محمد ﷺ وقوة انتشار الإسلام في المنطقة [3].

---

[1] حياة محمد: إميل درمنغم، ص هـ- و.

[2] نظريات المستشرقين حول الحديث النبوي الشريف، ص126، (نقلا عن مجلة الجهاد، عدد70، أكتوبر 1988م، ص61).

[3] ينظر: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ص493-496، والمستشرقون: نجيب العقيقي، ص372-373، ودراسات في الفقه الإسلامي المعاصر: حيدر حب الله، 1/364-368.

وهكذا تعامل المستشرقون مع الصحابة فغلّبوا الجانب المادي على الروحي ناسين أو متناسين أنّ الصحابة لم يسطر التاريخ أسماءهم في سجلات من ذهب إلا بإسلامهم وحملهم أمانة تبليغ الدين للبشرية جمعاء.

مع ملاحظة اتجاه المستشرقين في بحوثهم إلى نوع معين من الدراسات فهم " يبحثون في الخلافات والمنازعات بين الطوائف والفرق المختلفة مثل الكلابية، والمرجئة، والمعتزلة، والمعطلة، والشيعة، ويدرسون حياة التصوف وأساطير الحلاج وغيرها ويتناولون الأمور المتعلقة بالزندقة والشعر المبتذل في أعمال بشار، وأبي نواس وما هو مشهور عن ابن الراوندي، كل هذه المواضيع لا تعني شيئا بالنسبة للمسلمين وعقيدة السلف، والمستشرقون لا يتناولون القضايا التي تتعلق بالتكامل الاجتماعي في الإسلام، والنظم الاقتصادية وما فيها من صدقات وزكاة وفيء وما فيها من فوائد لمحاربة الفقر وإسعاد الإنسان.... "[1].

المطلب الخامس: الجهل باللغة العربية وثقافة العرب:

إنّ اللغة هي قوالب للمعاني ولا شك أنّ الجهل بها والعجز في فهم دلالاتها له تأثيره السلبي على النتائج المتوصّل إليها، وهذا مُلاحظ مُسلّم به حتى بين أهل اللغة الواحدة، فكيف للمستشرق وهو أجنبي عن اللغة العربية وأهلها، بعيد عن حقائقها ومدلولات ألفاظها وتراكيبها أن يكون عالما بماجاءت به نصوصها من قرآن وسنة وأخبار وروايات وأشعار وآداب؟

"فالمستشرق فتى أعجميٌّ، ناشئ في لسان أمته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها، (ألماني، أو إنجليزي، أو فرنسي)، حتى استوى رجلا في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين، فهو قادر أو مُفترض أنه أيضا مُؤهل أن ينزل في ثقافته ميدان"المنهج" و"ما قبل المنهج" بقدم ثابتة(المنهج العلمي القائم على جمع المادة العلمية وتمحيصها ونفي زيفها).نعم هذا ممكن أن يكون كذلك = ولكن هذا الفتى يتحوّل فجأة عن سلوك هذه الطريق ليبدأ في تعلم لغة أخرى، (هي العربية هنا)، مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه صغيرا، ولثقافته التي ارتضع لبانها يافعا، يدخل "قسم اللغات الشرقية" في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئ تعلم ألف باء تاء ثاء، أو أبجد هوّز، في العربية. ويتلقى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها، عن أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ثم يستمع

---

[1] الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر: عدنان محمد وزان، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، د.ن ، ص132.

إلى مُحاضر في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرّج لنا" مستشرقا" يفتي في اللسان العربي، والتاريخ العربي، والدين العربي" !!، عجب، وفوق العجب !

كيف يجوز في عقل عاقل أن تكون بضع سنوات قلائل كافية لطالب غريب عن "اللغة"، وهذه حاله، أن يصبح محيطا بأسرار اللغة وأساليبها الظاهرة والباطنة، وبعجائب تصاريفها التي تجمّعت وتداخلت على مرّ القرون البعيدة في آدابها، ...هذا، مع أنه أيضا تعلمها تلقيا من أعجمي مثله، ولم يخالط أهلها مخالطة طويلة متمادية تتيح له التلقي عنهم تلقيا يبصّره ببعض هذه الأسرار"[1].

وقد نقل الدكتور علي النملة نماذج تبيّن ضحالة وضآلة علم المستشرقين في العربية مع إقدامهم وجرأتهم على البحث حتى في أدق مجالات اللغة العربية، من ذلك ما ذكره رفاعة رافع الطهطاوي أحد تلامذة المستشرق" دو ساسي" من أنه كان" حين يقرأ ينطق كالعجم، ولا يمكنه أن يتكلم بالعربية إلا إذا كان بيده الكتاب"، وفي رسالة جوابية من دو ساسي لأحد مراسليه من الشرق يقول: "...وأنت تريد أن تعلم إذا ما كان لي شيوخ علّموني اللغة العربية..، وإني أستطيع أن أؤكد لك أنه لم يكن لي من معلم سوى الكتاب.وأنا لا أستطيع أن أحفظ بالعربية شيئا، ولا أفهم ما يقال بها، إذ لم تتح لي في شبابي أي فرصة للممارسة الكلام أو الاستماع للأحاديث بالعربية...وبأنني بعيد جدا عن امتلاك معرفة تامة بهذه اللغة الواسعة كالمحيط"

هذا وهو قد درّس اللغة العربية، وكتب فيها وعنها عدة أعمال، لعلّ من أهمها التحفة السنية في علم العربية، وهو في النحو والعروض والعربية !ونشر ألفية ابن مالك.

ويشير تقرير للأمبرت حول الدراسات الإسلامية إلى أنّ الذين يهتمون بالإسلام والعربية لا يجيدون اللغة العربية، وأنّ نسبة من مجيديها لا تصل إلى17%(16، 7%) فقط من مجموع المهتمين بالإسلام. والمسلمين وبلغة العرب والمسلمين[2].

---

[1] رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: محمود شاكر، ص66-67.

[2] الاستشراق والدراسات الإسلامية، مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم: علي بن إبراهيم النملة، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 2011م، ص107-110.

ولا شكّ أنّ هذا الجهل باللغة العربية من المستشرقين كان له أثره على مبحث عدالة الصحابة، ومثاله ماذهب إليه جولد تسيهر في حديث:" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..."[1]

حيث قال:" وقد أُضيف إلى هذا الحديث في إحدى رواياته هذه الزيادة:" ولا يغلّ أحدكم حين يغلّ وهو مؤمن، وإياكم وإياكم"[2]، ويراد بالغلو هنا المبالغة في محبة وتقديس عليّ وآله، حيث ذهب بعض المغالين إلى درجة التأليه في محبته، والواضح أنّ هذه الزيادة وُضعت من أجل أهداف جدليّة متحيزة، وليثبتوا أنّ المغالاة في تعظيم علي وآله كفر..." [3]

فأراد أن يثبت وضع الحديث من طرف خصوم أتباع عليّ فأتى بكلام محرّف لا علاقة له بالمعنى المراد في الحديث.

المطلب السادس: التحريف والتزييف والتدليس:

ولا عجب في ذلك ممن لا قوة تردعه ولا وازعا دينيا يوقفه، بل على العكس تماما فالحقد الديني على الإسلام يحركهم، وضعف المسلمين ماديا يشجعهم على المضي قُدُما.

يقول عبد الرحمن بدوي عن المستشرق لامنس: " وأبشع ما فعله خصوصا في كتابه: فاطمة وبنات محمد، هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها.وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها، فوجدت أنه إما أن يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقا في هذه الكتب، أو يفهم النص فهما ملتويا خبيثا، أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارئ على إشاراته إلى مراجع، فإن معظمها تمويه وكذب وتعسف في فهم النصوص"[4].

---

[1] رواه البخاري في كتاب المظالم، باب النهبى، ح2475، 136/3، مكرر5578، 6772، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، رقم100، ح57، 76/1.

[2] روى الحديث بهذه الزيادة الإمام أحمد في مسنده، رقم8187، وهو صحيح، 35/8.

[3] دراسات محمدية، ص176.

[4] الاستشراق والدراسات الإسلامية: علي بن إبراهيم النملة، ، ص49.

المطلب السابع: الانتقائية في اعتماد المصادر غير الإسلامية أو حتى المصادر الإسلامية الضعيفة وكذا الموضوعات:

من المقرر أن كثيرا من المستشرقين قد اعتمدوا على سابقيهم في توثيق أبحاثهم ودراساتهم عن الإسلام والمسلمين، وهذا أمر وارد؛ إذ إنّ المتأخرين من المستشرقين ينظرون لسلفهم من علماء المستشرقين نظرة إجلال وإكبار[1].

فقد ظلّ اعتماد المستشرقين ردحا من الزمن على بحوث سلفهم وما توصلوا إليه وكأنه من المسلمات التي لا تراجع، مما أدى بهم إلى الوصول إلى نتائج متماثلة، ترسّخ نظرتهم للإسلام والمسلمين، ومثاله ماذكره لدكتور محمد مصطفى الأعظمي عن كتاب شاخت "أصول الفقه المحمدي": " وصار كتابه منذ ذلك الحين إنجيلا ثانيا لعالم الاستشراق، وفاق شاخت سلفه جولدزيهر حيث غيّر نظرته التشكيكية في صحة الأحاديث إلى نظرة متيقنة في عدم صحتها، ولقد ترك كتابه هذا أثرا عميقا في تفكير دارسي الحضارة الإسلامية...وكافة الباحثين في الغرب، أثنوا عليه ثناء عطرا"[2].

"ومن مؤلفات المستشرقين التي رفعوها وجعلوها مثالا وحكما بين المؤلفات التي كتبت بالعربية: الإمبراطورية العربية أو(كتاب تاريخ الدولة العربية)، لفلهوزن، وتاريخ الخلفاء، لغوستاف فيل، والحكام الثلاثة، لهنري لامنس، وحوليات الإسلام، لكيتاني، وحياة محمد، وتعاليمه، لشبرنجر، والخلافة، نشأتها، وصعودها، وسقوطها، لموير، ودائرة المعارف الإسلامية، لجمع من المستشرقين، ودراسات في الإسلام، لجولد زيهر، والديانة المحمدية، لجولد زيهر، وفاطمة وبنات محمد، لهنري لامنس، ومحاضرات في الإسلام، لجولد زيهر، ومحمد في المدينة، لمونتجمري وات، ومحمد في مكة، لمونتجمري وات، ومحمد وظهور الإسلام، لمرجليوث، والمحمدية، لفنسك"[3].

---

[1] ينظر: الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د.محمد أركون ود.إدوارد سعيد: نعمان عبد الرزاق السامرّائي، دار صبري، الرياض، د.ط، 1409هـ-1998م، ص

[2] دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه:محمد مصطفى الأعظمي، المقدمة، (ص، ي، ك).

[3] موقف المستشرقين من الصحابة ﷺ: سعد بن عبد الله بن سعد الماجد، دار الفضيلة، الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م، ص60، وهو كتاب قيّم جدا استفدت منه كثيرا ؛ فقد جمع مادة علمية مهمّة في معرفة مواقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم، وبيّن مصادرهم في ذلك ، مع تفنيد شبهاتهم بالدليل العلمي ، فجزاه الله خيرا.

وإن نظرنا للمصادر الإسلامية التي بنى عليها المستشرقون كثيرا من ادعاءاتهم وجدناها منتقاة ومكيفة حسب الأهداف المرجوّ تحقيقها من خلال بحوثهم، فنجدهم"مع تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتاب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب الحيوان، ويكذبون مايرويه مالك في الموطأ، كل ذلك انسياقا مع الهوى، وانحرافا عن الحق"[1].

"ولقد كان اعتماد المستشرقين مثل جولدزيهر على ماكتبه أهل الأهواء والتعصب كاليعقوبي والطوسي وابن أبي الحديد والمامقاني وغيرهم يعكس النوايا المسبقة التي كانت تحكم آراءهم، بالنظر إلى طبيعة الأصول التي كانوا يعتمدونها في تكوين دراساتهم عن السنة والإسلام، واتخاذ هذه النقول منطلقا بنوا عليها أفكارهم، كما أضافوا شبها جديدة تخدم غرضهم"[2].

"فهم يستندون إلى بعض النصوص التي استوقفتهم في التراث الإسلامي، وتصيّدوها من بعض المصادر غير الأساسية في التاريخ والآداب كحياة الحيوان الكبرى للدميري وكتاب الأغاني للأصفهاني وكتب العيون والحدائق...فإنهم لا يستندون إلى نصوص موثقة، وحتى النصوص التي اعتمدوها فهي مورد خلاف بين المسلمين وبعضها غير ثابت، ثم إنه لو سلمنا بها فليس للمستشرقين الاحتجاج بها ماداموا يعتبرون السنة والحديث من صنع المسلمين"[3].

يقول الدكتور الأعظمي: "لقد كان لسوء اختيار المستشرقين مواد دراسة الأسانيد أكبر الأثر في وقوعهم في أخطاء جسيمة، نجمت عن سوء ذلك الاختيار في انتقاء المواد لهذه الدراسة...وبالتالي وصلوا ؟إلى نتائج خاطئة؛ لاختيارهم مواد غير مناسبة للبحث والتنقيب عما يريدون"[4].

يقول المستشرق بيليائيف عن كتاب تاريخ الطبري:"والطبري دقيق في ذكر المصادر التي يرجع إليها، ويحرص على ذكر الأسانيد والرجوع بها إلى عدد من الأجيال إلى أن ينتهي إلى شاهد عيان أو إلى خبر يعد ناقله معاصرا، وإلى جانب المعطيات التي توفرت له فقد انتفع الطبري بمجموعة الأخبار

---

[1] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، د.ط، 1430هـ-2010م، ص286-287

[2] ينظر: الإمام الزهري وأثره في السنة: حارث الضاري، مكتبة بسام،د.ب،د.ط، 1405هـ-1985م، ص446.

[3] نظريات المستشرقين حول الحديث، ص160-161.

[4] دراسات في الحديث النبوي، 2/397-398.

والروايات التاريخية التي جمعها آخرون كأبي مخنف وغيره...كتاب الطبري كان المرجع الذي اعتمده الأوربيون في القرن التاسع عشر ولا يزال حتى يومنا في غاية الأهمية"[1].

وهذا جهل من المستشرقين بطرائق العلماء ومقاصدهم في التصنيف، فالطبري لم يلتزم الصحة فيما يذكره من الرويات والأخبار، ولكنه أوردها مسندة وترك الحكم للقارئ، يقول في مقدمة كتابه:" فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا"[2].

أما عن الموضوعات التي ينتقيها المستشرقون فيمكن القول أنهم يتحدثون عن اعتناق الصحابة للإسلام رغبة في المال وجهادهم طمعا في الخيرات، ولا يذكرون ما بذله الصحابة من مال في سبيل دينهم، وما جادوا به من أنفس وممتلكات في الجهاد لإعلاء كلمة الله، ويتحدثون عن الفتنة التي جرت بين الصحابة مع تحريفها وتزييفها ويُعرضون عن عرض ما كان بين الصحابة من التآخي والألفة والتصافي، ويلمزون الصحابة في أخلاقهم وفي نزاهتهم الدينية، فيرمونهم بالكذب والنفاق والفساد ويجردونهم من كل الفضائل التي تحلّوا بها، ويتناسون ما بلغوه من مراتب عُليا في سموّ الأخلاق ومكارمها، وقوة الالتزام بتعاليم الإسلام...

المطلب الثامن: التناقض:

كتابات المستشرقين ملأى بنتائج متناقضة بشكل واضح وصريح، ممايؤكد عدم التزامهم المنهج العلمي ويبيّن عدم أمانتهم ونزاهتهم "من ذلك ما ذكره المستشرق مرجليوث في كتاب ألفّه عن النبي ﷺ فشكك في نسبه ﷺ، وقال أنه غير معروف النسب، ويرجع في الكتاب ذاته إلى أنه ابن عم علي بن أبي طالب !رضي الله عنه ويرى المستشرق "بيكر" أنّ كتابات المسلمين عن الفتوحات الإسلامية كلها تلفيق وأكاذيب وأغلاط، ولكن المستشرق "نللينو" يأتي ويقول أنّ العرب والمسلمين بلغوا من الدقة في التاريخ

---

[1] العرب والإسلام والخلافة العربية: بليائييف، ص169.

[2] تاريخ الطبري، 8/1.

وكتابته مبلغا اتخذوا فيه طرقا بالغة الحيطة"[1].

ومن ذلك ماذكره المستشرق كلود كاهن عن موقف عليّ من مقتل عثمان رضي الله عنهما، حيث قال"...والظاهر أنه لم يقصد مطلقا إلى اغتيال عثمان لكنه لم ينكر هذا الاغتيال"[2]

ثم نجده يتهمه والصحابة ﷺ بالتواطؤ على قتله، ثم قال"وأدى هذا التحالف إلى اغتيال الخليفة العجوز أثناء صلاته وفي ظروف لا تخلو من الغموض"[3]

وخلاصة القول أنّ المستشرقين اعتقدوا في الصحابة ما من شأنه الحط من قيمتهم وإسقاط عدالتهم ثم انطلقوا لإثبات معتقدهم هذا في بحوثهم مجانبين معايير البحث العلمي النزيه.

---

[1] ينظر: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص175-176.

[2] تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: كلود كاهن، ص25.

[3] المصدر نفسه، ص31.

الفصل الثالث:

الطرح المعاصر

لقضية عدالة الصحابة ﷺ

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: المدرسة العقلية المعاصرة وموقفها من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث الثاني: القرآنيون وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث الثالث:الحداثيون وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ.

المبحث الرابع:الأثر الاستشراقي على الدراسات المعاصرة في قضية عدالة الصحابة وحكم الطعن فيهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

وتستمر الحملات المغرضة والهجمات الشرسة على الصحب الكرام ﷺ، ولكن هذه المرة –ومما يدعو للأسف الشديد– حملةُ راية هذه المعارك أناسٌ انتسبوا أو ادّعوا الانتساب للإسلام والذب عن حياضه والذود عن جوهره، تسمّوا بتسميات عديدة: فهم عقلانيون، أو حداثيون، أو قرآنيون، أو تنويريون، أو عصرانيون.. اجتمعوا تحت سقف الطعن في السنة وتشويه تاريخ رجالها، وفي ما يأتي محاولة للتعرف على هذه الفرق وبيان موقفها من السنة والصحب الكرام ﷺ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: المدرسة العقلية المعاصرة وموقفها من عدالة الصحابة ﷺ:

ويتضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف المدرسة العقلية المعاصرة.

المطلب الثاني: نشأة المدرسة العقلية المعاصرة.

المطلب الثالث: أبرز شخصيات المدرسة العقلية المعاصرة.

المطلب الرابع: تأثر المدرسة العقلية المعاصرة بالفكر الاعتزالي.

المطلب الخامس: موقف أصحاب المدرسة العقلية المعاصرة من السنة النبوية.

المطلب السادس: موقف العلماء من أفكار المدرسة العقلية المعاصرة.

المطلب السابع: موقف المدرسة العقلية المعاصرة من عدالة الصحابة ﷺ.

المطلب الأول: تعريف المدرسة العقلية المعاصرة:

الفرع الأول: ضبط المفاهيم

أولا: المدرسة: وهي مكان الدرس والتعليم، وهي كذلك جماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين، تعتنق مذهبا معيّنا، أو تقول برأي مشترك [1].

ثانيا: العقلية أو العقلانية

لغة: مأخوذة من العقل، وهو مأخوذ من عقال البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل، والصحيح أنه جوهر مجرّد يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة[2].

واصطلاحا: مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.

---

[1] المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، ت: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، 280/1.

[2] التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، 152/1.

ويحاول المذهب إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدها من التجربة العملية الحياتية أي أن الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد [1].

والعقلانية تؤمن بكفاية العقل واستقلال مرجعيته، واستبعاد الوحي من دائرة البحث العلمي[2]، وحقيقتها: إلغاء النص أمام النظر العقلي المجرّد[3].

فهذا تعريفها كمذهب فكري أما تعريفها كمدرسة فهو:

ثالثا: المدرسة العقلية: هي تلك الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين، والتي تغالي في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، وتعطي العقل وأحكامه اعتبارا فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تعالى ورسوله ﷺ [4].

وعرّفها الشيخ سلمان العودة بقوله:" إنّ المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي العاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلا جديدا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، ومع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر، وتتفاوت رموز تلك المدرسة تفاوتا كبيرا في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة، أو نصوص الأحكام، أو الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل" [5].

رابعا: المعاصرة: وصف المدرسة العقلية بالمعاصرة، لتتميز عن المدرسة العقلية القديمة، والتي يمثلها المعتزلة، مع وجود قواسم مشتركة بينهما، من أبرزها: تعظيم دور العقل في مقابل النص، وإخضاع الأخير له.

---

[1] موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، ص394.

[2] ينظر: أولية العقل: عادل ظاهر، دار أمواج، د.ب، الطبعة الأولى، 2001م، ص18.

[3] العقلانيون أفراخ المعتزلة: علي حسن الحلبي، مكتبة الغرباء الأثرية، د.ب، الطبعة الأولى، 1413هـ، ص46.

[4] الجهمية والمعتزلة: ناصر العقل، ص202.

[5] في حوار هادئ مع الغزالي: سلمان العودة، ص09.

الفرع الثاني: أصناف العقلانيين

والعقلانيون صنفان[1]: المتكلمون من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين يعتمدون العقلانيات ويقدمونها على كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، ويتبعهم أهل الكلام الذين يخلطون بين النقليات والعقليات ويحكّمون العقليات في بعض مسائل العقيدة وأصول الدين، كالأشاعرة والماتريدية ومتأخري الرافضة والخوارج ونحوهم، وهؤلاء هم أصحاب المدرسة العقلانية القديمة.

والصنف الثاني- وهم المقصودون بالبحث في فصله الأخير وبصفة أخص متأخريهم ومعاصريهم: أصحاب الاتجاهات العقلانية الحديثة، وهم من مشارب شتى بعضها امتداد للقديمة، وبعضها مقلّد للاتجاهات الغربية، وبعضها يمثل نزعات فردية، وآخر يمثل إفرازا للشيوعية والإلحاد كالعلمانيين والحداثيين والوجوديين والعصرانيين ونحوهم من الأخلاط المتناقضة التي يجمعها النزوع إلى تقديم أحكام البشر الناقص الفاني الجاهل على أحكام الله تعالى العليم الخبير [2].

وهذا يعتبر تقسيما عاما، يضم بالنسبة للمعاصرين اتجاهات عديدة، وفي البحث فصل بينها، وفي هذا المبحث بالذات المقصود بأصحاب المدرسة العقلية المسلمين الذين ساروا على نهج المعتزلة في إكبار العقل وتقديمه على النص، وقد أذكر من ينتسب للعقلانين لإكباره العقل وينتسب للتيار الحداثي لاعتبارات أخرى إذا احتجت للاستشهاد بكلامه.

---

[1] يمكن القول وبتفصيل أكثر أنّ المدرسة العقلانية المعاصرة تنقسم إلى ثلاث طوائف:

الأولى: من يُنكر الوحي الإلهي بالكلية، وهم غلاة العلمانية، حيث يرون أنّ أي مخطط للحياة الإنسانية، يجب أن يصدر عن عقل الإنسان فقط، بعيدا عن الدين.

الثانية: لا تُنكر قداسة الوحي صراحة، وتظهر احترامه في الظاهر، لكنها تفرّغه من مضمونه وتلغي تطبيقه، كما هي الحال مع عابد الجابري، وعبد الله العروي، وسعيد العشماوي، وأضرابهم، وقد أذكر من كلام بعضهم ما أحتاجه في هذا المبحث.

الثالثة: وهم العقلانيون الإسلاميون، وهم المعنيون بالدراسة في هذا المبحث.

ينظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد ناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الثانية، 1422هـ، ص167-177، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1403هـ-1983م، ص70.

[2] الاتجاهات العقلانية الحديثة: ناصر عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م، ص17.

المطلب الثاني: نشأة المدرسة العقلية المعاصرة:

تفوّق الغرب بعد الثورة الصناعية تفوّقا كبيرا على العالم الإسلامي، وبسط سيطرته على بلاد المسلمين، واستعمرها طمعا في خيراتها، محاولا بث أفكاره وقيمه وعاداته، بل قد عمل عموما-اللهم إلا في بعض الاستثناءات - على تشويه تراث الإسلام ومفاهيمه، ولم يسع قطّ إلى المصالحة معه، أو محاولة فهمه بنزاهة [1].

وكان من نتيجة الحملات الصليبية أن نقلت الحضارة الإسلامية إلى أوروبا فاستولى الأوروبيون على الكتب العلمية في شتى العلوم والمعارف وأقبلوا عليها دراسة وتجربة وتنمية، ووقفت الكنيسة موقفها فأحرقت كثيرا من العلماء وأعدمت الكثير، لكن هذا لم يمنع العلماء من الظهور بمظهر الاستشهاد في الدفاع عن مبادئهم وآرائهم حتى الموت مما أتاح الفرصة لدعاة التحرر الفكري من سلطان الكنيسة فهدموا الكنيسة وهدموا الدين معها وانتهى ذلك الصراع الطويل بانتصار دعاة التحرر والحدّ من سلطان الكنيسة وحصره فانكمش نفوذ البابا ولم يعد يجاوز طقوس التعميد والصلاة والزواج والجنائز وبذلك تحقق فصل الدين عن الدولة. فخُيّل إلى أصحاب هذه الثقافات أن الشعوب الإسلامية تعيش في حالة تشبه أوروبا، وأنّ الإسلام والمسجد، كالنصرانية في أوروبا والكنيسة [2].

وكان للحركة الاستعمارية وظهور الاستشراق وكذا الحركات التبشيرية الأثر الكبير على بلاد المسلمين ومقوماتهم...

فهال الأمرُ علماءَ المسلمين وذهبوا للرد على تلك الأفكار مذاهب شتى، وحاولت فئة منهم التوفيق بين الدين والعلم، وبينت للناس أن الدين الإسلامي الحق لا يحارب العلم ولا ينافي العقل، وأنه دين العقل والحرية والفكر.وذهبت تبين للناس ذلك المنهج وتقيم الدين الإسلامي على العقل-الذي لا يقر أرباب الثقافة الغربية غيره حكما- وبينت أن ليس في الإسلام ما لا يقره العقل، وحاولت أن تفسر القرآن الكريم على هذا المنهج وهذا الأساس.

---

[1] في حوار هادئ مع الشيخ محمد الغزالي: سلمان العودة، ص09.

[2] الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1405هـ-2008م، 1/254-255.

وفي هذه المرحلة الحساسة من تاريخ الصراع الحضاري، بدأ يتكامل بناء التجديد الديني، بعد أن وضع لبناته الأولى جمال الدين الأفغاني [1]، ثم أكمله بما يتوافق مع روح العصر تلميذه محمد عبده وتلاميذه [2].

ولقد أعلنها محمد عبده بكل صراحة أنه:" إذا تعارض العقل والنقل، أُخذ بما دلّ عليه العقل"[3]، وبهذا أجهزوا على عدد غير قليل من النصوص الحديثية، وضيقوا من حيز الغيبيات في أبواب الاعتقاد، وأنكروا ما تتابع المسلمون على تصديقه من جليل المعجزات[4].

وكذلك كان لفئة من أبناء المسلمين ممن تتلمذوا في الغرب إثر البعثات العلمية إلى الجامعات الغربية الأثر الكبير في محاولة تطويع الإسلام بما يوافق أفكار الغرب الذي انبهروا به وبتقدمه الصناعي والاقتصادي، ومن أبرز هؤلاء المبتعثين: رفاعة الطهطاوي من مصر (1801-1873م)، وخير الدين التونسي(1830-1879م)، اللذين أعجبا بالغرب إعجابا ملك عليهما عقولهما، وذهلا للفارق بين أوضاع المسلمين وحال الغرب هناك، فعاد كل منهما بنفسية منهزمة وبعقلية غربية، ودعا كل منهما إلى تقليد الغربيين حتى في أساليب المعيشة والأخلاق... [5].

وشكّلت هذه المدرسة نموذجا علميا مبكرا، حاول أن يوفق بين "النقل" أو الدين بما يمثله من نص إلهي، وبين" العقل" أو " الواقع الراهن" أو "العصر" بما يمثله من كسب إنساني وضعي، وخرجت

---

[1] جمال الدين الأفغاني: (1254 - 1315 هـ = 1838 - 1897 م):هو محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين: فيلسوف الفكر الإسلامي في عصره، ولد في أسعد آباد بأفغانستان ونشأ بكابل. وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات، وسافر إلى الهند، وحج سنة 1273 هـ وعاد إلى وطنه، فأقام بكابل. وانتظم في سلك رجال الحكومة في عهد (دوست محمد خان)، ثم رحل مارا بالهند ومصر، إلى الآستانة سنة 1285هـ فجُعل فيها من أعضاء مجلس المعارف، ونُفي منها سنة 1288هـ فقصد مصر، وهمّه النهضة الإصلاحية، في الدين والسياسة، وتتلمذ له نابغة مصر الشيخ محمد عبده، وكثيرون. ونفته الحكومة المصرية سنة 1296هـ فرحل إلى حيدر آباد، ثم إلى باريس، وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة (العروة الوثقى) ورحل رحلات طويلة، وتوفي بالآستانة، ونقل رفاته إلى بلاد الأفغان سنة 1363 هـ .

ينظر: الأعلام، 13/426-427.

[2] منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد الرومي، 1/70.

[3] الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده، دار المنار،د.ب، الطبعة السابعة، 1367هـ، ص54-59.

[4] حوار هادئ مع الشيخ الغزالي: سلمان العودة، ص10.

[5] الاتجاهات العقلانية الحديثة: ناصر العقل، ص83.

باجتهادات عديدة طرحتها في سياق رؤية تجديدية امتدت آثارها إلى واقعنا الحالي، بحيث لا تخلو دراسة معاصرة تدعي التجديد، من الاستعانة بهذه الدراسة أو بأدواتها الاجتهادية.

وقد تأثرت بها الكثير من التيارات التجديدية في الفكر الإسلامي الحديث، واعتبرت أنّ هذه المدرسة هي مبدأ الصحوة الإسلامية التي أرادت أن تطرد المستعمر وتعيد للمسلمين كيانهم ودولتهم، وأنها بداية تاريخ التجديد في الفقه والتفسير والحديث، وجعلت من بعض كلامها تكئة لأفكارها الجديدة [1].

يقول محمد عبده:" المطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته، لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي، والفكر الإنساني، الذي يجري على نظامه الفطري، فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يُخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية"[2].

وكانت النتيجة إعطاء العقل الحق في تفسير آيات المعجزات [3].

و يقول جمال البنا[4]: "إن تجديد الفكر الإسلامي الذي بدأ بظهور جمال الدين الأفغاني قد وقف وتعثر بعده، رغم الكثير من المحاولات التي بذلت حتى الآن" [5].

والذي يعنينا في هذا البحث بالدرجة الأولى فئة العقلانيين المعاصرين الذين كان لكتاباتهم ودراساتهم الصدى الكبير في السنوات الأخيرة.

---

[1] موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق بن عبد بن عبد الله الشقير، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة الأولى، 1419هـ، 1998م، ص09.

[2] الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده، ص54-59.

[3] ينظر: تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط،1990م،211/1، 347/1.

[4] جمال البنا هو ابن العالم المحدّث أحمد بن عبد الرحمن البنا، صاحب الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد، وشقيق الأستاذ حسن البنا، المرشد الأول لجماعة الإخوان المسلمين، ولد عام 1920م، عمل محاضرا بالجامعة العالمية والمعاهد المتخصصة من عام 1963م حتى 1993م، كثير التأليف مع جرأة حادة، له مواقف سلبية تجاه السنة النبوية، من مؤلفاته: جناية قبيلة حدّثنا، الأصلان العظيمان، السنة ودورها في الفقه الجديد، وغيرها. توفي يوم 30 جانفي 2013م.

ينظر: http:// ar.wikipedia.org

[5] الإسلام وحرية الفكر والاعتقاد في الإسلام: جمال البنا، ص14.

المطلب الثالث:أبرز شخصيات المدرسة العقلية المعاصرة:

يُعتبر جمال الدين الأفغاني المؤسس الأول لهذه المدرسة، والداعي الأول لفكرتها، أما تلميذه محمد عبده[1] فقد كان إمامها الذي جعل لها صدى بين الأتباع فاق به شيخه، وهذا نتيجة لاختلاف الأساليب والرؤى في تنزيل دعوتهم على الواقع.

فبينما كان الأفغاني منكبا على المجال السياسي، يبتغي من خلاله نهضة حضارية جديدة، مقتنعا بعدم إمكان تغيير الواقع إلا "بثورة سياسية" دندن حولها في عدة من مقالاته، كان تلميذه (عبده) يخالفه المسلك، فيدعوه-متأدبا- إلى سلوك طريق التعليم والدعوة والكتابة لتحقيق ما يصبوان إليه من إصلاح حضاري، إلى أن أعلن عيبه عليه بعد موته انشغاله المبالغ" بأمور الحكم والحكام"[2].

ولقد كانت الظروف السياسية والثقافية في المشرق العربي وقتها مما ساعد في انتشار فكر محمد عبده، إضافة إلى مساندة المحتل البريطاني له ليصدر المشهد الإصلاحي، فلاقت أفكاره التجديدية رواجا كبيرا لدى فئة عريضة في المجتمع ممن يطمحون للتجديد.

ويصف المستشرق (جب) التأثير البالغ لأفكار محمد عبده على الساحة الثقافية والفكرية بقوله:" إنّ عظمة اسمه قد ساهمت في نشر أخبار لم تكن تُنشر من قبل ! ثم إنه قد أقام جسرا من فوق الهوة السحيقة بين التعليم التقليدي، والتعليم العقلي المستورد من أوربا، الأمر الذي مهّد للطالب المسلم أن يدرس في الجامعات الأوربية، دون خشية من مخالفة معتقده، وهكذا انفرجت مصر المسلمة بعد

---

[1] الشيخ محمد عبده:(1266 - 1323 هـ = 1849 - 1905 م) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة)، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وتصوف وتفلسف، وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها، ولما احتل الإنجليز مصر ناوأهم، وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن 3 أشهرللتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام، سنة 1299 هـ -1881م، وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الافغاني جريدة (العروة الوثقى)وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة 1306 هـ -1888م وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمةالاستئناف، فمفتيا للديار المصرية سنة 1317 هـ، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. له:تفسير القرآن الكريم، لم يتمه، ورسالة التوحيد، والرد على هانوتو، وغيرها.ينظر: الأعلام،141/14.

[2] ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى، 1350هـ-1931م، 416/1-417، 425.

كبت !فقد ساهم الشيخ محمد عبده أكثر من أي شخص آخر في خلق اتجاه أدبي جديد، في إطار الروح الإسلامية"[1].

والذي أعتقده أن تأثير محمد عبده الكبير في الساحة الفكرية والثقافية كان مبعثه الدعم البريطاني، لا لأجل مصر وطلبتها وتعليمهم في أوربا مع الحفاظ على معتقدهم، بل لأجل سلخهم من هويتهم المسلمة واستعمار المسلمين بأسلوب جديد.

" لقد رضي محمد عبده بالتعاون مع البريطانيين –مع أنهم كانوا أجانب لا مسلمين– شرط أن يساعدوا في العمل من أجل التربية الوطنية، وشرط أن يكون بقاؤهم مؤقتا؛ وكان على صلة طيبة ب(كرومر) –المندوب البريطاني على مصر– فقد كتب كرومر عنه وعن رفاقه قائلا: "بأنهم الخلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربي"، ولذلك أيده عندما أراد الخديوي عزله من منصب الفتوى"[2].

وقد خرّجت مدرسة محمد عبده الكثيرين من الكتاب الأدباء والمفكرين والسياسيين، منهم: السياسي سعد زغلول (ت1346هـ)، والأديب قاسم أمين(1362هـ)، وعبد العزيز جاويش (1347هـ)، وأحمد أمين (1373هـ)، وعلماء دين مثل: محمد رشيد رضا(1354هـ)، وأحمد مصطفى المراغي(1371هـ)، وهما من أخص تلاميذ الشيخ محمد عبده.

المطلب الرابع:تأثر المدرسة العقلية المعاصرة بالفكر الاعتزالي:

تأثر أصحاب المدرسة العقلية الحديثة بالفكر الاعتزالي القديم وأصوله في الاستدلال، فقدّموا العقل على النصوص الثابتة فيما أشكل عليهم فهمه، وأخضعوا الغيبيات لموازين العقول، وظهر هذا التأثر واضحا في دعوتهم، وفي تعاملهم مع مصادر التلقي الشرعي نفسها، فقالوا بظنية أخبار الآحاد، ومنعوا الاحتجاج بها في العقائد[3]، بل غلا بعضهم فسلب الحجية منها في الأحكام، واقتصر آخرون على المنع في المسائل الفرعية الكبرى كالحدود[4]

---

[1] الاتجاهات الحديثة في الإسلام: هاملتون جب، تعريب: جماعة من الأساتذة الجامعيين، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع،بيروت، د.ط ، 1961م، ص70.

[2] ينظر: الفكر العربي في عصر النهضة: ألبرت حوراني، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار، بيروت، د.ط، د. ت، ص179، 195.

[3] ينظر:مقال للشيخ محمد رشيد رضا بمجلة المنار، 33/33.

[4] ينظر: موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي: سعد بن بجاد العتيبي، مركز الفكر المعاصر، الرياض، الطبعة الثانية، 1434هـ، ص216.

يقول محمد حمزة متحدثا عن هذا التأثر: "إن النزعة العقلية التي تحمّس لها مفكرون عديدون، كمحمد عبده، وعلي عبد الرزاق، وأحمد أمين، ومحمود أبو رية، وجدت في مبادئ المعتزلة ونزعتها العقلية تعبيرا صادق عن طموحاتها، فكان الاحتفاء بمبادئها، وخاصة في فترة مابين الحربين، استعادة جديدة ومحاولة إحياء العقلانية العربية القديمة...ومثلما وجد هؤلاء المفكرون في مبادئ المعتزلة ما يتناغم مع دعوتهم التحديثية، فإنّ موقف المعتزلة من الأدلة النقلية عموما، والحديث النبوي بصفة أخص، كان مما يلائم أفكارهم"[1]

وبلغ الأمرُ بالمتأثرين بالفكر الاعتزالي المحتفين به إلى التأسف الشديد والحسرة على انكسار شوكة المعتزلة وذهاب سلطانهم وبزوع شمس المحدثين، فأعلنوا حسرتهم وراحوا يعيبون منهج أهل الحديث؛ فالمعتزلة في رأي أحمد أمين هي التي منحت العقل" من السلطة ما يمكنه من إقامة البرهان حتى على ما يتعلق بالله، فلا حدود للعقل إلا براهينه ولا زلل ولا خطأ متى صح البرهان، فلنستعمل البراهين في أدق الأمور وأصعبها وأعقدها، ففي استطاعة العقل الوصول إليها"[2]

يقول متأسفا على زوال سلطة المعتزلة:" لما ذهب ضوء المعتزلة، وقع الناس تحت سلطان المحدثين وأمثالهم من الفقهاء...فكانت النتيجة جمودا بحتا !...فلما ضعُف شأن المعتزلة بعد المحنة، ظل المسلمون تحت تأثير حزب المحافظين نحوا من ألف سنة، حتى جاءت النهضة الحديثة، وفي الواقع: إن فيها لونا من ألوان الاعتزال، ففيها الشك والتجربة، وهما منهجان من منهج الاعتزال-كما رأيت في النظام والجاحظ- وفيهما الإيمان بسلطة العقل...ففي رأيي إن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة، وعلى أنفسهم جَنوا !..." [3]

ويقول محمد عبده عن أهل الحديث منتقدا منهجهم:"...اللهم إلا فئة زعمت أنها نفضت غبار التقليد، وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها وبين النظر في آيات القرآن الكريم ومتون الأحاديث لتفهم أحكام الله منها، ولكن هذه الفئة أضيق عطنا وأحرج صدرا من المقلدين وإن أنكرت كثيرا من

---

[1] الحديث النبوي ومنزلته في الفكر الإسلامي: محمد حمزة، ص421-422.

[2] ضحى الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة، القاهرة، الطبعة الثامنة، د.ت، 39/3.

[3] المرجع نفسه، 203/3-204.

البدع، ونحّت عن الدين كثيرا مما أضيف إليه وليس منه، فإنها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من اللفظ الوارد والتقيد به، بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين، وإليها كانت الدعوة، ولأجلها منحت النبوة، فلم يكونوا للعلم أولياء، ولا للمدنية السليمة أحباء"[1]

والواقع أنّ إعطاء العقل مساحة من الحرية أكبر مما يستحق هو ما جعل أصحاب هذا الاتجاه يقعون في أخطاء جسيمة في فهم نصوص الوحيين، وفي الحكم على أحاديث بالضعف أو بالوضع مع كونها مروية في الصحيحين، إضافة إلى سعيهم لعرض الإسلام بصورة لا تصادم العلم والتطور –في ظنهم– نتيجة انبهارهم بما وصل إليه الغرب وشعورهم بالانهزامية النفسية.

المطلب الخامس:موقف أصحاب المدرسة العقلية المعاصرة من السنة النبوية:

إنّ موقف المدرسة العقلية المعاصرة من العقل بإعطائه مساحة أوسع مما يطيق جعلتهم يردّون نصوصا من السنة النبوية لا توافق أصولهم، فكان ردّهم تذرّعا بحجج هي في الحقيقة شبهات أذكر منها:

أولا:دعوى عدم حجية أخبار الآحاد التي تمثل أكثر الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ:

هناك الكثير من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، لم يقبلها العقلانيون بل ردوها وطعنوا فيها بحجة أنها من الآحاد التي مفادها الظن، فلا تبنى على مثلها العقائد الثابتة منها: حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، أحاديث الدجال والجساسة، حديث سحر النبي ﷺ، وحديث المعراج، وحديث وقوع الذباب في الإناء، حديث إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة، حديث موسى عليه السلام وملك الموت، وحديث إسلام شيطان النبي، وحديث عدم مس الشيطان لعيسى بن مريم وأمه عليهما السلام.

قال الشيخ محمد عبده رحمه الله:" وأما ما ورد في حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يلمسهما، وحديث إسلام شيطان النبي ﷺ، وإزالة حظ الشيطان من قلبه، فهو من الأخبار الظنية، لأنه من رواية الآحاد، ولما كان موضوعها عالم الغيب، والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخذ فيها بالظن، لقوله تعالى:﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ﴾ [النجم: 28] كنا غير مكلفين بالإيمان

[1] الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ص170.

بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا[1].

وهو ما أكده محمد رشيد رضا بقوله:"أصول العقائد وقضايا الإيمان التي يكون بها المرء مؤمنا...لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد"[2].

"والشيخ محمد عبده – رَحِمَهُ اللهُ – لا شك أنه كان من أكبر رُوَّادِ الإصلاح في عصرنا الحديث،

ولكنه – مع هذا – كان قليل البضاعة من الحديث، وكان يرى في الاعتماد على المنطق والبرهان العَقْلِيَيْنِ خير سلاح للدفاع عن الإسلام، ومن هذين العاملين، وقعت له آراء في السُنَّةِ وَرُوَّاتِهَا وفي العمل بالحديث والاعتداد به، ...أما خبر الآحاد فالجمهور على أنها حُجَّةٌ يجب العمل بها وإن أفادت الظن"[3]

وقد درج أهل العلم على تقسيم الأخبار إلى متواترة يُقطع بثبوتها وصحة نسبتها إلى رسول الله ﷺ، وآحاد يُظن نسبتها إليه ﷺ، –مع تفصيل في هذا التقسيم لأهل الاختصاص من علماء الحديث، وقد تلقت الأمة الكثير من أخبار الآحاد بالقبول، وعملت بها في الكثير من الأحكام الشرعية العملية والعقدية، والقول بإفادتها الظن وعدم العمل بها يؤدي لطرح الكثير من الأحكام الشرعية التي ثبتت بها وبالتالي تفريغ التشريع من محتواه.

وموقف المدرسة العقلية الحديثة من الآحاد إنما هو امتداد لموقف المعتزلة قديما، لأنها لا تتفق مع منهجهم العقلي، قال ابن حزم:"...فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ يجزي على ذلك كل فرقة في علمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك"[4].

ثانيا:دعوى تأخر كتابة الحديث والتعلق بأحاديث النهي عن كتابته:

زعم العقلانيون أنّ الحديث لم يُكتب على عهد الرسول ﷺ، مما يدعو إلى التلاعب والفساد، ما قد حصل، ولذا طرأ على السنة من التبديل والزيادة، كما طرأ على أهل الكتاب، لعدم كتابتها في عهده ﷺ،

---

[1] تفسير المنار، 392/3.

[2] مجلة المنار، 29/19.

[3] السنة ومكانتها في التشريع: مصطفى السباعي، ص30، و167، وفيه تفصيل في الرد على هذه الشبهة.

[4] الإحكام لابن حزم، 113/1-114.

وعدم حصر الصحابة لها في كتاب معيّن، وعدم تبليغها للناس بالتواتر وعدم حفظهم لها جيدا في صدورهم[1]

وقد ردّ الشيخ محمد أبو زهو على ما قاله محمد رشيد رضا فقال:" فهذه الدعوى من الشيخ – محمد رشيد رضا– عفا الله عنه، لا أساس لها، بل تخالف نصوص القرآن الكريم، وتتعارض مع ما تواتر من سنة الرسول ﷺ الأمين، ولا تتفق وما أجمع عليه المسلمون في كافة الأزمان من عهد النبي إلى اليوم...والحق أن الصحابة فهموا أنّ السنة دين عام كالقرآن، وكان هذا أمرا بدهيا عندهم لا يحتاج إلى استدلال، بل هو ضرورة من ضرورات الدين وبدهي عند عامة المسلمين في جميع الأزمان حتى اليوم"[2]

والأحاديث ثابتة في كتابة الحديث على عهد النبي ﷺ، قبل أن تنتقل إلى التدوين الرسمي على رأس المائة بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز حين كتب إلى أبي بكر بن حزم:" انظر ما كان من حديث الرسول ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء..." [3]

أمّا التعلق بحديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"[4]

فقد أجاب عنه العلماء بأجوبة منها:

-أنه منسوخ بأحاديث جواز الكتابة [5].

أنّ النهي كان عن كتابة الحديث مع القرآن ضمن صحيفة واحدة، خشية اختلاطهما ببعض.

-أنّ النهي خاص بوقت نزول القرآن، خشية التباسه، والإذن في غير ذلك.

-أنّ النهي خاص بمن خُشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أُمن منه ذلك.

---

[1] مجلة المنار، 515/9، 911.

[2] الحديث والمحدثون: محمد محمد أبو زهو، دار الفكر العربي، القاهرة،د.ط، 1378هـ، ص237، 242.

[3] رواه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم،ح99، 31/1.وينظر لتفصيل الجواب عن هذه الشبهة: السنة ومكانتها للسباعي، ص158، ودراسات في الحديث النبوي، للأعظمي، 36/1.

[4] رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب التثبيت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم 72، ح3004، 2298/4.

[5] تأويل مختلف الحديث: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق الطبعة الثانية، 1419هـ – 1999م، ص412.

وقال الحافظ ابن حجر: "الأمر استقر والأمر انعقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان، ممن يتعين عليه تبليغ العلم"[1].

-أنّه معلول بالوقف ، وعلى فرض صحته مرفوعا فقد أجاب عليه العلماء بأجوبة.

والمقصود التمثيل لمعرفة تعامل أصحاب هذه المدرسة مع السنة النبوية فقط وليس استقصاء الشبهات[2].

المطلب السادس: موقف العلماء من أفكار المدرسة العقلية المعاصرة:

إنّ الفكر الذي حملته المدرسة العقلية الحديثة ودعت إليه، وما حواه من انحرافات وتجاوزات لم يلق رواجا ولا قبولا لدى جُلّ أهل العلم، بل على العكس تصدت له فئة ليست بالقليلة من أهل الفكر سواء في مصر أو في غيرها من البلاد، حيث ردّت على الأفغاني ومحمد عبده بشدة وصلت إلى التشنيع في بعض الأحيان.

وممن رد عليهما منهجهما وانتقدهما:

محمد الجنبيهي (ت1882م)وقد كان معاصرا للشيخين، وزميلا لمحمد عبده في الأزهر، اشتد عليه وعلى شيخه الأفغاني خصوصا، وذكر انحرافه عن أبواب من الأحاديث القدسية وتشربه بالمنهج الطبيعي[3]

ومصطفى صبري(ت1946م)، شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، الذي رد على بعض مقالاتهما، وشبههما ب"لوثر" محدث البروتستانتية في النصرانية[4].

و يوسف الدجوي (ت1966م) ألّف في الرد على رشيد رضا كتابا أسماه:" صواعق من نار على صاحب المنار"، خصصه لانتقاد سقطاته في التفسير.

و ممن رد عليهم أيضا سيد قطب في تفسيره ظلال القرآن، حيث أنكر عليهم توسيع دائرة

---

[1] فتح الباري، 204/1.

[2] من أبرز الكتب التي اعتمدتها من حيث أخذ المادة العلمية، و تقسيم مطالب هذا المبحث ، والرجوع إلى الكتب المؤلفة حوله كتابي:موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية للأمين الصادق الأمين، والمعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين، لمحمد زريوح فجزاهما الله خيرا.

[3] بلايا بوزا: محمد الجنبيهي، د.د، د.ب، د.ط، د.ت، ص38.

[4] موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين: مصطفى صبري، المكتبة الإسلامية لحاج رياض، د.ط، 1369هـ، 144/1.

استعمال العقل، رغم اعترافه بحسن نيتهم في الدفاع عن الدين ومحاربة الخرافات[1].

ولا شك أنّ هذا الموقف تجاه المدرسة العقلية مما ساء المستشرقين وفوّت عليهم شيئا من مآربهم في بلاد المسلمين، وأصاب أطماعهم في مقتل...

ولهذا نرى المستشرق (جب) يتألم حسرة ويقول:" لسوء الحظ ظل قسم كبير من المسلمين المحافظين...لا يخضعون لهذه الحركات الإصلاحية، وينظرون إلى الحركة التي تزعّمتها مدرسة محمد عبده بمصر نظرة كلها ريبة وسوء ظن !لا تقل عن ريبتهم في الثقافة الأوربية نفسها !" [2]

المطلب السابع: موقف المدرسة العقلية المعاصرة من عدالة الصحابة ﷺ:

لقد بين الشيخ محمد رشيد رضا[3] بكلامه في مجلة المنار عن عدالة الصحابة موقفه من هذه القضية حيث قال:" إن بعض الصحابة والتابعين كانوا يروون عن كل مسلم، وما كل مسلم مؤمن صادق، وما كانوا يفرقون في الأداء بين ما سمعوه من النبي ﷺ أو من غيره، وما بلغهم عنه بمثل: سمعت، وحدثني، وأخبرني، ومثل: عن النبي ﷺ أنه قال، أو قال رسول الله ﷺ كما فعل المحدثون من بعد عند وضع مصطلح الحديث، وقد ثبت أن الصحابة كان يروي بعضهم عن بعض وعن التابعين حتى عن كعب الأحبار وأمثاله، والقاعدة عند أهل السنة أن جميع الصحابة عدول فلا يخل جهل اسم راو منهم بصحة السند، وهي قاعدة أغلبية لا مطّردة فقد كان في عهد النبي ﷺ منافقون قال الله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ

---

[1] في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412 هـ، 3978/6.

[2] الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: محمد حسين، ص213، نقلا عن" إلى أين يتجه الإسلام لجب"، ص69.

[3] محمد رشيد بن علي رضا القلموني: البغدادي الأصل، الحسيني النسب، أحد رجالات الإصلاح الإسلامي، من الكتاب، والعلماء بالحديث، والأدب، والتاريخ، والتفسير، وُلد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، وتعلم فيها وفي طرابلس، ثم رحل إلى مصر سنة 1315هـ، فلازم محمد عبده، وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت، ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، حتى أصبح مرجع الفتيا، في الأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوروبا، وعاد مستقرّا بمصر إلى أن تُوفي فجأة في سيارة كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة، ودُفن بالقاهرة، ومن أشهر آثاره غير مجلة المنار: تفسير المنار، في اثني عشر مجلدا، ولم يكمله. ينظر: الأعلام، 318/13.

نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[التوبة:101] مردوا عليه:أحكموه وصقلوه أو صُقلوا فيه حتى لم يعد يظهر في سيماهم وفحوى كلامهم كالذين قال الله تعالى فيهم:﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد:30]، ولكن البلية في الرواية عن مثل كعب الأحبار، وممن روى عنه أبو هريرة وابن عباس ومعظم التفسير المأثور مأخوذ عنه وعن تلاميذه، ومنهم المدلسون كقتادة وكذا غيره من كبار المفسرين كابن جريج" [1].

وقال أيضا:" والذي أراه أن القول بعدالة جميع الصحابة –على اصطلاح من لا يشترط في الصحبة طول العشرة، وتلقي العلم والتربية النبوية–إفراط، يقابله في الطرف المقابل له تفريط الشيعة في تعديل نفر قليل منهم ولا سيما السائل، وطعنه على السواد الأعظم من جماعة نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: 110]، وقوله عز وجل:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[التوبة:100]، وغير ذلك من الآيات، وورد من الأحاديث النبوية في تعديلهم والثناء عليهم، والنهي عن سبهم، وحظر بعضهم ما لا محل لذكر شيء منه في هذا الجواب الوجيز ثم كان من سيرتهم المتواترة في نشر الإسلام في العالم، وإصلاح البشر به ماهو أكبر حجة علمية تاريخية على تفضيل أصحاب محمد ﷺ على جميع أصحاب الأنبياء والمرسلين، وتفضيل أمته على جميع الأمم، وهذا لا يمنع ارتكاب أفراد منهم لبعض الكبائر أو الإصرار على بعض الصغائر، الذي يسلب صاحبه وصف العدالة " [2].

وفحوى هذا الكلام: **اعتبار عدالة الصحابة حكما أغلبيا**[3]:

والمقصود أنّ العدالة تثبت لمجموعهم بما ورد في القرآن والسنة والحال التي كانوا عليها من نشر الدين الإسلامي في العالم وهداية البشرية، ولكنهم ليسوا عدولا فردا فردا، وحجته في حكمه هذا:

---

[1] مجلة المنار، 28/27-28.

[2] المرجع نفسه، 34/114.

[3] ينظر للرد على هذه الشبهة –وكذلك موقف المدرسة العقلية من قضايا السنة النبوية– بالتفصيل: آراء محمد رشيد رضا في السنة النبوية من خلال مجلة المنار، دراسة تحليلية نقدية: محمد بن رمضان رمضاني، الرياض، الطبعة الأولى، 1434هـ، ص291.

– وجود المنافقين من أهل المدينة ومن أعراب البوادي.

– كثرة أخذ الصحابة كابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما عن كعب الأحبار، وعن تلاميذه واعتباره آفة في الرواية الحديثية.

–ما ثبت من ارتكاب بعضهم للمعاصي ومقارفة بعض الكبائر يسلبهم حكم العدالة.

وممن وجدت هذه الشبهة صدى كبيرا لديه: إسماعيل الكردي[1] في كتابه" نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث"

حيث يقول: " فعدالة الصحابة –كما نص عليها عدد من العلماء المحققين منهم رشيد رضا كما مرّ معنا– هي على نحو الأصل والعموم والأغلبية، وليست على سبيل الاستغراق المطلق لكل فرد، كيف؟ !وقد ثبت قطعا بالقرآن والخبر المتواتر وجود منافقين من الأعراب —ومن أهل المدينة، مردوا على النفاق: أي أحكموه وصقلوه حتى لم يعد يظهر في سيماهم"[2].

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أولا: إنّ عدالة الصحابة أمر ثابت بصريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المشرفة، وهو مستند أهل السنة والجماعة في تعديلهم لا آراء الرجال، وهذا التعديل جاء بالعموم، دون استثناء لأفراد أو فئة، فكيف يُقبل أن يُستثني منهم فرد أو جماعة وتُنفى عدالتهم؟ وأيّ دليل يقف أمام أدلة الكتاب والسنة؟

ثانيا: تقدم في الفصل الأول عدم صحة القول بوجود فئة من المنافقين ضمن الصحابة، بل الصحيح تميّزهم عنهم، وإنما سمّوا صحابة في بعض النصوص من باب اللغة لا غير، وتعريف الصحابي الذي اختاره المحدثون قيّده بمن مات على الإسلام، ومن كان منافقا ولم يتب ومات على نفاقه فلا شك بخروجه من هذا القيد، وسيأتي مزيد تفصيل في شبهة اتهام الصحابة بالنفاق.

---

[1] إسماعيل الكردي كاتب سوري معاصر، من مواليد دمشق سنة 1964م، له اهتمام بالقضايا الشرعية، حاز على إجازة في اللغة العربية وآدابها، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق سنة 1986م، اشتهر بكتابه "نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث النبوي"، ويظهر من خلاله توجّهه العقلاني.
ينظر:http://www.darawael.com.

[2] نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث: إسماعيل الكردي، ص303.

ثالثا: وتقدم أيضا أنّ عدالة الصحابة لا تعني عصمتهم من الذنوب والأخطاء، فالعصمة خاصة بالأنبياء والمرسلين، وإنما المقصود أمانتهم في التبليغ واستحالة صدور الكذب منهم، لما اتسموا به من قوة الإيمان، والتحلي بالصدق، وتقوى الله.

رابعا: إنّ أهل العلم بالحديث لم يقولوا بأنّ كل ساقط بعد التابعي هو صحابي، وإنما يبحثون ويدققون في الرواية فإن ثبت كونه صحابيا حكموا بعدالته، وإن كان الساقط تابعيا أو أكثر بحثوا في عدالته وحكموا على الرواية تبعا لما يترجح لديهم.

خامسا: كتب الحديث والآثار موجودة لا تكاد تجد فيها خبراً يروى عن كعب عن النبي ﷺ فإن وجد فلن تجده إلا من رواية بعض التابعين عن كعب، ولعله مع ذلك لا يصح عنه.

وقد كان الصحابة ﷺ في غنى تام بالنسبة إلى سنة نبيهم، إن احتاج أحد منهم إلى شيء رجع إلى إخوانه الذين صحبوا النبي ﷺ وجالسوه، فكيف يُتصوّر منهم الغفلة والسذاجة بحيث إذا احتاج أحدهم لحديث لم يجد من يسأله إلا كعب الأحبار[1]؟

سادسا: ما ثبت عن بعضهم من مقارفة بعض الكبائر إنما هو من تمام خلقتهم البشرية ولم يقل أحد بكمالهم أو عصمتهم، ولكنّ تلك المعاصي كانت منهم أخطاء سرعان ما تداركوها بالتوبة والعمل الصالح، ولم تحملهم أبدا على الكذب في دين الله.

شبهة رواية أبي هريرة ﷺعن أهل الكتاب:

هذه الشبهة قال بها أصحاب المدرسة العقلية وتلقفها عنهم المعاصرون مثل مصطفى بوهندي الذي جعل من أبي هريرة في كتابه" أكثر أبو هريرة" راوية ساذجا مغفلا يروي عن كعب الأحبار روايات من التوراة ويحدّث بها فتختلط على الصحابة أحاديث النبي ﷺ بأخبار أهل الكتاب–وقد تقدم شيء من كلامه في ذلك–، وللرد على هذه الشبهة أقول:

الرواية عن أهل الكتاب جائزة بشرط عدم تصديقهم ولا تكذيبهم، وهذا بأمر وإرشاد من النبي ﷺ،

---

[1] ينظر كلام المعلمي حول رواية الصحابة عن كعب في الأنوار الكاشفة، ص105.

حيث قال: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم" [1] وقال: "وحدّثوا عن بني إسرائيل ولاحرج" [2]، فما المانع من أن يروي عنهم أبو هريرة؟

يقول ابن حجر: "قَوْلُهُ وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ أَيْ لَا ضِيقَ عَلَيْكُمْ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ... وَقِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ لَا حَرَجَ لَا تَضِيقُ صُدُورُكُمْ بِمَا تَسْمَعُونَهُ عَنْهُمْ مِنَ الْأَعَاجِيبِ فَإِنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَهُمْ كَثِيرًا وَقِيلَ لَا حَرَجَ فِي أَنَّ لَا تُحَدِّثُوا عَنْهُمْ لِأَنَّ قَوْلَهُ أَوَّلًا حَدِّثُوا صِيغَةُ أَمْرٍ تَقْتَضِي الْوُجُوبَ فَأَشَارَ إِلَى عَدَمِ الْوُجُوبِ وَأَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ لِلْإِبَاحَةِ بِقَوْلِهِ وَلَا حَرَجَ أَيْ فِي تَرْكِ التَّحْدِيثِ عَنْهُمْ وَقِيلَ الْمُرَادُ رَفْعُ الْحَرَجِ عَنْ حَاكِي ذَلِكَ لِمَا فِي أَخْبَارِهِمْ مِنَ الْأَلْفَاظِ الشَّنِيعَةِ نَحْوَ قَوْلِهِمِ (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا) وَقَوْلُهُمْ (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا)" [3]

قال ابن كثير: " وَلَسْنَا نَذْكُرُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ إِلَّا مَا أَذِنَ الشَّارِعُ فِي نَقْلِهِ مِمَّا لَا يُخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ. وَهُوَ الْقِسْمُ الَّذِي لَا يُصَدَّقُ وَلَا يُكَذَّبُ، مِمَّا فِيهِ بَسْطٌ لِمُخْتَصَرٍ عِنْدَنَا، أَوْ تَسْمِيَةٌ لِمُبْهَمٍ وَرَدَ بِهِ شَرْعُنَا مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِي تَعْيِينِهِ لَنَا فَنَذْكُرُهُ عَلَى سَبِيلِ التَّحَلِّي بِهِ لَا عَلَى سَبِيلِ الِاحْتِيَاجِ إِلَيْهِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ.

وَإِنَّمَا الِاعْتِمَادُ وَالِاسْتِنَادُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا صَحَّ نَقْلُهُ أَوْ حَسُنَ وَمَا كَانَ فيه ضعف نبينه"[4]

لم يثبت قط عن أبي هريرة الزاهد الورع أنه روى رواية إسرائيلية ونسبها إلى النبي ﷺ أنها حديث نبوي، ولقد وجد الصحابة والتابعون في أبي هريرة ﷺ حافظا محققا، مدقّقان إذا ناقشه أحد ثبت أنه الحافظ، وإذا روجع في مسألة ثبت أنه الراسخ، ولم يجرّبوا عليه خطأ ولا كذبا، وإنما وجدوا فيه عكس ذلك، يتحرّى ويحتاط، يعظم حديث رسول الله ﷺ كل الإعظام[5]

---

[1] رواه أبو داود في سننه، ح3644، 487/5، 488، وأحمد في المسند، ح17225، 460/28، وإسناده حسن.

[2] رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ماذكر عن بني إسرائيل، ح3461، 170/4.

[3] فتح الباري، 498/6.

[4] البداية والنهاية، 6/1.

[5] دفع الشبهات عن السنة النبوية: عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2001م، ص173.

والمشهور عن أبي هريرة أنه كان يعزو كل ما يُحَدِّثُ به عن غير النبي ﷺ إلى قائله، فبالأحرى أنْ يبيِّن حديث كعب، وما يقوله له كعب، ولا يمكن لإنسان أنْ يتصوَّر أبا هريرة الذي روى حديث: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ» عن الرسول ﷺ ثم يكذب على لسان الرسول – عَلَيْهِ الصَلاَةُ وَالسَّلاَمُ –، وينسب ما يقوله كعب إلى النبي ﷺ، وخاصة أنَّ كعب الأحبار لم يلق النبي – عَلَيْهِ الصَلاَةُ وَالسَّلاَمُ –. فإنْ كان أبو هريرة وابن عباس قد سمعا من كعب وَرَوَيَا عنه فإنما رَوَيَا أخبار الأمم الماضية وعَزَوَاهَا إليه. وربما يكون بعض السامعين قد خلط بين ما يروي أبو هريرة عن النبي ﷺ، وما يرويه من القصص عن كعب، ويثبت ذلك ما قاله بُسْرِ بنِ سَعِيدٍ: «اتَّقُوا اللهَ، وَتَحَفَّظُوا مِنَ الحَدِيثِ، فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا نُجَالِسُ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَيُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيُحَدِّثُنَا عَنْ كَعْبٍ (الأحبار)، ثُمَّ يَقُوْمُ، فَأَسْمَعُ بَعْضَ مَنْ كَانَ مَعَنَا يَجْعَلُ حَدِيْثَ رَسُوْلِ اللهِ عَنْ كَعْبٍ، وَيَجْعَلُ حَدِيْثَ كَعْبٍ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ»[1]، فإن كان الخلل من الرواة عنه فما دخله هو؟ ولم ينسب إليه الكذب؟

أما عن ادعائهم سذاجة أبي هريرة وغفلته واستغلال كعب لذلك فيقال:

كيف يكون ساذجا مغفّلا من كان يتصدى للفتوى، ويجلس له مشاهير الصحابة يأخذون عنه حديث رسول الله ﷺ كابن عباس، وابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك؟

أم كيف يكون ساذجا مغفلا من جعله رسول الله ﷺ حارسا على أموال الزكاة، ومن ولاه عمر رضي الله عنه إمارة البحرين مرة وعرضه عليه أخرى فأبى؟وعمر هو ذاك الرجل العبقري الملهم كما شهد له رسول الله ﷺ [2].

أما كعب الأحبار فقد كان من الأستاذ رشيد رضا أن اتهمه بالكذب والزندقة والدّس وسماه" كعب الأحبار الإسرائيلي " [3].

ولم يلتفت لرأي علماء الجرح والتعديل الذين عدّلوه فقال: "إن قدماء رجال الجرح والتعديل اغترّوا بهما وعدّلوهما –كعبا ووهب بن منبه– فكيف لو تبين له–ابن تيمية– ما تبين لنا من كذب كعب

---

[1] أبو هريرة راوية الإسلام: محمد عجاج خطيب، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، 1402 هـ – 1982م، ص247.

[2] ينظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1425هـ، 2005، ص57-59.

[3] تفسير المنار، 40/9.

ووهب وعزوهما إلى التوراة وغيره من كتب الرسل ما ليس فيه شيء منه، ولا حومت حوله؟ !" [1].

وقال: " وقد حققنا من قبل أن كعب الأحبار من زنادقة اليهود الذين أظهروا الإسلام والعبادة لتقبل أقوالهم في الدين، وتحمل على الرواية عن أنبياء بني إسرائيل، وقد راجت دسيسته حتى انخدع به بعض الصحابة ورووا عنه، وصاروا يتناقلون قوله بدون إسناد إليه حتى ظن بعض التابعين ومن بعدهم أنه مما سمعوه من النبي ﷺ"[2].

ولننظر ما قال عنه الإمام الذهبي: "كَعْبُ بنُ مَاتِعٍ الحِمْيَرِيُّ، اليَمَانِيُّ، العَلاَّمَةُ، الحَبْرُ، الَّذِي كَانَ يَهُودِيّاً، فَأَسْلَمَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدِمَ المَدِيْنَةَ مِنَ اليَمَنِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ رضي الله عنه فَجَالَسَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَكَانَ يُحَدِّثُهُم عَنِ الكُتُبِ الإِسْرَائِيْلِيَّةِ، وَيَحْفَظُ عَجَائِبَ، وَيَأْخُذُ السُّنَنَ عَنِ الصَّحَابَةِ.. حَدَّثَ عَنْ: عُمَرَ، وَصُهَيْبٍ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ.

حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو هُرَيْرَةَ، وَمُعَاوِيَةُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ"[3].

وقال عنه ابن حجر: "كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار"[4]. ويؤكد هذا وقال معاوية بن صالح: "ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كاثمار، وإن كنا فيه لمفرطين"[5]

فكيف يُعقل أن يرمي الأستاذ رشيد رضا قول علماء الجرح والتعديل في كعب عرض الحائط وهم الذين نقلوا لنا خبر وجوده وخبر تزكيته ممن عاصره، ويطلب منا أن نلتفت لقوله وهو ليس من أهل الاختصاص وبعد قرون عديدة؟ ثم كيف تبين له كذبه وزندقته وأي آليات اعتمدها خفيت على من سبقه؟

---

[1] المرجع نفسه، 9/1.

[2] مجلة المنار: أسئلة من تونس، رجب1346هـ، يناير1921م، 747/28.

[3] ينظر: سير أعلام النبلاء، 489/3-490.

[4] تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، 1406 – 1986، ص461.

[5] تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1400 – 1980، 192/24.

إضافة إلى نسبته الغفلة لجماعة الصحابة فهل يعقل أن يخدع كعب جمعا من الصحابة دون أن يتفطّن له أحد؟

وإن اعترض بقول معاوية بن أبي سفيان عن كعب الأحبار: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب" [1]، فيقول القاضي عياض في توجيه هذا الكلام: " الضمير في نبلو عليه" يعود على الكتاب، ويصح عوده على كعب وعلى حديثه، وإن لم يقصد الكذب ويتعمده، إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب، وقال ابن الجوزي: إن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار"[2]

وفي هذا القدر ما يكفي لدفع هذه الفرية عن أبي هريرة ﷺ، ويرفع التهمة عن مروياته التي تدين بها الأمة لربها.

خلاصة القول أنّ المدرسة العقلية المعاصرة في أصلها حركة إصلاحية ليس غرضها الطعن في الدين ولا في نقلته ولا التشكيك في عدالة الصحابة ﷺ، لكنّ اتجاههم نحو توسيع دائرة العقل مع احتكاكهم بالمستعمر جعلهم يقعون في أخطاء منهجية.

فآراء محمد عبده الحديثية كانت تخضع لنظرته الإصلاحية، وإحساسه بتأثير الأحاديث التي تروّج بين الناس والتي تبعث الشعور المأساوي بآخر الزمان وبفساد العلم، فهذه الأحاديث" لو رسخت معانيها في العقول لأفسدت الأخلاق وحملت الناس على التهاون بالأعمال الشرعية وفترت الهمم عن الانتصار للحق كالأحاديث الدالة على انقضاء عمر الإسلام...أو المطمعة في عفو الله مع الانحراف عن شرعه أو الحاملة على التسليم للقدر بترك العقل فيما يصلح للدين والدنيا"[3].

وآراء محمد رشيد رضا النقدية حول الحديث ورواته إنما وردت في سياق إصلاحي، بغية العودة إلى الإسلام الصافي، فكان له موقفه من الأحاديث والرواة الذين —إن صحّ التعبير– وقفوا في طريق رؤيته الإصلاحية، سيما قبل نضوجه وصقل شخصيته العلمية والحديثية، يشهد لهذا ما كان منه من استقامة رأيه في كثير من قضايا السنة في آخر حياته رحمه الله.

---

[1] رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ:" لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء" ح7361، 110/9،

[2] فتح الباري، 335/13.

[3] الأعمال الكاملة: محمد عبده، ت: محمد عمارة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1993م، 422/2.

المبحث الثاني: القرآنيون وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ:

ويتضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: نشأة فرقة القرآنيين.

المطلب الثاني: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية.

المطلب الثالث: موقف القرآنيين من قضية عدالة الصحابة ﷺ.

المطلب الرابع: موقف أحمد صبحي من أبي هريرة وحديث الوعاءين.

المطلب الأول: نشأة فرقة القرآنيين:

إن الحديث عن نشأة فرقة القرآنيين ترجع جذوره إلى أواخر عصر الصحابة ﷺ، فعن حَبِيب بْن أَبِي فَضَالَةَ الْمَكِّيَّ، قَالَ: لَمَّا بُنِيَ هَذَا الْمَسْجِدُ مَسْجِدُ الْجَامِعِ، قَالَ وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ جَالِسٌ فَذَكَرُوا عِنْدَهُ الشَّفَاعَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ لَتُحَدِّثُونَا بِأَحَادِيثَ مَا نَجِدُ لَهَا أَصْلًا فِي الْقُرْآنِ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَقَالَ لِرَجُلٍ: قَرَأْتَ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَجَدْتَ فِيهِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ ثَلَاثًا، وَصَلَاةَ الْعِشَاءِ أَرْبَعًا، وَصَلَاةَ الْغَدَاةِ رَكْعَتَيْنِ، وَالْأُولَى أَرْبَعًا، وَالْعَصْرُ أَرْبَعًا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَعَمَّنْ أَخَذْتُمْ هَذَا الشَّأْنَ؟ أَلَسْتُمْ أَخَذْتُمُوهُ عَنَّا، وَأَخَذْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوَجَدْتُمْ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا، وَفِي كُلِّ كَذَا وَكَذَا شَاةً، وَفِي كُلِّ كَذَا وَكَذَا بَعِيرًا كَذَا، أَوَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَعَمَّنْ أَخَذْتُمْ هَذَا؟ أَخَذْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخَذْتُمُوهُ عَنَّا، قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآنِ ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29] وَجَدْتُمْ هَذَا طُوفُوا سَبْعًا، وَارْكَعُوا رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ، أَوَجَدْتُمْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ؟ عَمَّنْ أَخَذْتُمُوهُ؟ أَلَسْتُمْ أَخَذْتُمُوهُ عَنَّا، وَأَخَذْنَاهُ عَنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ ؟ أَوَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآنِ لَا جَلَبَ وَلَا جَنَبَ وَلَا شِغَارَ فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا جَلَبَ وَلَا جَنَبَ وَلَا شِغَارَ فِي الْإِسْلَامِ» أَسَمِعْتُمُ اللهَ يَقُولُ لِأَقْوَامٍ فِي كِتَابِهِ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: 42-44] حَتَّى بَلَغَ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: 48] قَالَ حَبِيبٌ: «أَنَا

سَمِعْتُ يَقُولُ الشَّفَاعَةَ»[1]

وقال رجل لمطرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ: لَا تُحَدِّثُونَا إِلَّا بِالْقُرْآنِ فَقَالَ لَهُ مُطَرِّفٌ: وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ بِالْقُرْآنِ بَدَلًا وَلَكِنْ نُرِيدُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ مِنَّا "[2].

و عَنْ أَيُّوبَ السِّخْتِيَانِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: " إِذَا حَدَّثْتَ الرَّجُلَ بِالسُّنَّةِ فَقَالَ: دَعْنَا مِنْ هَذَا وَحَدِّثْنَا مِنَ الْقُرْآنِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ "[3].

وفي نهاية القرن الثاني برزت شراذم أنكرت حجية السنة في التشريع، وطائفة أخرى أنكرت حجية الآحاد منها بالخصوص [4] فكانت للإمام الشافعي مع أصحاب هذا المذهب وقفات خاصة؛ حيث أكّد على حجية السنة في كتابه "الرسالة"، وجرت بينه وبين أحد المنتسبين لهذا المذهب مناظرة ذكرها في فصل خاص من كتاب "جماع العلم" ضمن كتابه"الأم" [5].

وقد كان أهل هذا الرأي موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم، وتصدى الأئمة الأربعة وأصحابهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم للرد عليهم[6].

ومن التيارات العقدية التي تبنت هذه الفكرة الخوارج والشيعة والمعتزلة؛ لا من جهة إنكار حجية السنة، إنما من جهة الطعن على النقلة بسبب الفتن التي عصفت بوحدة الأمة الإسلامية، وما كان من المعتزلة من تقديم العقل على النقل.

فالخوارج أثاروا هذه الفتنة، لأن السنة كانت تعرقل سيرهم نحو نشر الفساد في المجتمع الإسلامي،

---

[1] سنن أبي داود: كتاب الزكاة، باب ماتجب فيه الزكاة، ح1561، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، 5/3.
والطبراني في المعجم الكبير، رقم547، واللفظ له. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، 219/18.

[2] جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1994 م، 1193/2.

[3] معرفة علوم الحديث: للحاكم، ص116، والكفاية، ص16.

[4] دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: محمد مصطفى الأعظمي، ص22.

[5] ينظر: الأم: محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1410هـ-1990م، 273/7.

[6] مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، 1409هـ/1989م، ص6-7.

ولأن نظرياتهم المتطرفة لم تكن لتنتشر في المجتمع الإسلامي الذي كان مؤسسا على السنة المحمدية.

والمعتزلة أثاروا الفتنة: لأن الشبه التي وجدت في أذهان الكثير نتيجة لطغيان الفلسفة اليونانية والعجمية، أرادوا أن يزيلوها بأي طريق كان، قبل أن يفهموها جيدا، وقبل أن يستوعبوا في نظرياتها.وظنوا أن كل ماهو قادم من جهة الفلسفة موافق للعقل، وأنه يجب أن تكون العقائد الإسلامية وأصولها وفقا لتلك النظريات.فوجدوا السنة تمنعهم من هذا وتعرقل سيرهم.فأنكروها وشككوا في صحتها [1].

يقول الدكتور الأعظمي: " لا يحدّثنا التاريخ عن أفراد أو جماعات تنتسب إلى الإسلام دعت إلى نبذ السنة النبوية بعد القرن الثاني، وأما الذين نادوا بها في القرن الثاني فقد أصبحوا في ذمة التاريخ واستمر الوضع هكذا بعد ذلك أحد عشر قرنا على وجه التقريب.وتغير الزمن وزالت دولة المسلمين وجاء عهد الاستعمار والاستعباد وبدأ المستعمرون بنشر أفكارهم الخبيثة للقضاء على مقوّمات الإسلام"[2].

هذا بالنسبة للعصور الماضية، أما في العصر الحاضر فإن الاستعمار الغربي لم يكد ينتهي من إتمام وإحكام سيطرته على بلاد المسلمين حتى شرع – وذلك عبر طلائعه من المبشرين والمستشرقين –في إحياء ما اندثر من البدع والآراء المنحرفة والفرق والطوائف المعادية للإسلام والتي كان قد غرسها من قَبْلَهم أسلافهم من أعداء الإسلام من يهود ونصارى ومجوس وصابئة.

وكان من تلك البدع والآراء المنحرفة التي أحياها الاستعمار – عن طريق من باعوا ذممهم من جهلة المسلمين للاستعمار نظير حفنة من الجنيهات – تلك المقولة التي تنادى برفض السُّنَّة والاكتفاء بالقرآن وحده، فهو كاف بزعمهم، وهم في الحقيقة يقصدون ردَّ الدين كلِّه كتاباً وسنة.

ففي شبه القارة الهندية استطاع الإنجليز أن يشتروا مجموعة ممن يزعمون أنفسهم من علماء المسلمين ثم اتخذوهم مطية لإنكار الجهاد بالسيف وإقناع المسلمين بذلك، وكان ذلك بعد أن عانى الانجليز الأمرَّين على يد الحركات الجهادية التي كانت تخرج ضدهم في أنحاء الهند.

وكان من أبرز المنادين بإبطال الجهاد "جراغ علي" و"ميرزا غلام أحمد القادياني".

---

[1] اهتمام المحدثين بنقد الحديث، ص453.

[2] دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: مصطفى الأعظمي، 26/1.

ثم تطور الأمر إلى إيجاد مجموعة أخرى تنادي برد السُّنَّة مطلقاً والاقتصار على القرآن، وكان على رأس هذه المدرسة "سيد أحمد خان" و"عبد الله جكرألوي"و "أحمد الدين الآمرتسري" وآخرين، ثم جاء "غلام أحمد برويز" فأسس جمعية باسم أهل القرآن، كما أصدر مجلة شهرية، ونشر عدة كتب في هذا الصدد.

وقد ذكر الدكتور خادم حسين [1]أن فرقهم المعاصرة أربع لا تزال تدعو إلى عدم حجية السنة والاقتصار على القرآن وحده في أمور الدنيا والآخرة، وهي:

1-فرقة " أمة مسلم الذكر والقرآن".

2-فرقة " أمة مسلمة ".

3-فرقة "طلوع إسلام" وهي أنشط فرق القرآنيين المعاصرة.

3-فرقة " تحريك تعمير أنسانيت" أي حركة تعمير الإنسانية.

وفي الوقت الذي كان يحاول فيه علماء الهند إطفاء لهيب هذه البدعة المتطايرة في ربوع بلادهم، تطايرت شرارتها جهة الغرب، مصيبا فيحُها بلاد العرب، ثم توسعت رقعة الحريق تتراءى للناظرين في كتابات مصرية متناثرة، بين مؤلف مستقل ومقال في صحيفة[2]

وقد تولَّى كِبر الدعوة إلى رد السُّنَّة والاقتصار على القرآن وحده في بلاد العرب طائفتان:

الطائفة الأولى:

من يزعمون أنفسهم من أتباع المدرسة الإصلاحية التي نشأت وترعرعت في أرض الكنانة مصر على يد كل من: محمد عبده وشيخه الأفغاني، وقد نشرت آراء هذه المدرسة من خلال وسيلتين:

الوسيلة الأولى: مجلة المنار التي كان يرأس تحريرها ومؤسسها الشيخ محمد رشيد رضا أحد أقطاب المدرسة الإصلاحية، فقد نشرت هذه المجلة سلسلة من المقالات بعنوان: الإسلام هو القرآن وحده، بقلم الدكتور توفيق صدقي[3]، وقد أيَّد الشيخ رشيد رضا هذه المقالات إلا أنه زاد الطين بلة حين قسَّم السُّنَّة

---

[1] ينظر: القرآنيون: خادم حسين إلهي بخش، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الثانية، 1421هـ2000م، ص57وما بعدها.

[2] ينظر: القرآنيون، نشأتهم، عقائدهم، أدلتهم: علي زينو، دار القبس، دمشق، الطبعة الأولى، 1432هـ-2011م، ص45.

[3] مجلة المنار، 515/9.

إلى دين عام – السُّنَّة العملية – يجب قبوله، ودين خاص – وهو ماعدا ذلك –

الوسيلة الثانية: تمثلت فيما سطره محمود أبو رية في كتابه "أضواء على السُّنَّة المحمدية".

الطائفة الثانية:

بعض الكتاب والأدباء وهم من أبناء الكنانة أيضاً – ممن نشأ وترعرع على أيدي أعداء الإسلام من يهود ونصارى من المستشرقين في جامعات فرنسا وألمانيا وبريطانيا، فتغذَّت عقولهم، وران على قلوبهم شبهات وشكوك مشايخهم من المستشرقين، فعادوا إلى بلاد المسلمين ليكونوا رسلاً لأعداء الله ورسوله، فيبثوا تلك الشبهات ويثيروا تلك الشكوك بين المسلمين، وعلى رأس هؤلاء الأدباء الذين كانت كتبهم تنضح بالطعن على السُّنَّة ورواتها وينادون بردِّها كل من: طه حسين، وأحمد أمين وغيرهما[1].

وفي السنوات الأخيرة ظهر التيار القرآني في مصر من جديد، ولقي استجابة واسعة–كما يرى أصحابه من القرآنيين– في مصر وخارجها بين أوساط المثقفين المسلمين المستنيرين !!والأب الروحي لهذا التيار هو الدكتور: أحمد صبحي منصور، الذي أظهر مذهبه داخل جامعة الأزهر، ففصل منها عام1987م، ثم اضطر للهجرة إلى أمريكا لاجئا سياسيا، بعد إغلاق مركز ابن خلدون، وبعد موجة اعتقالات شملت صفوف النشطين من القرآنيين، بتهمة ازدراء الأديان [2].

وقد بيّن أحمد صبحي منصور أنّ أصول فرقتهم: قائمة على الاكتفاء بالقرآن وحده في التشريع، وعلى ردّ ما سواه من النصوص المنسوبة إلى النبي ﷺ، وأنّ من أغراض دعوتهم: بيان تعارض كثير من هذه السنن مع القرآن، وشدد في ذلك على " صحيح البخاري" بخاصة، ونبزه بأوصاف جُزاف، فادعى أنّ الأحاديث لا تعدو أن تكون "كلاما أو سنة البخاري"، وأنها نصوص بشرية !

فما دام أن الله سبحانه وتعالى قال:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة:3]، فليس هناك بعد ذلك أي إكمال، كأن يأتي البخاري بعد مائتي سنة

---

[1] تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري: محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م، ص50-53.

[2] اهتمام المحدثين بنقد الحديث، ص458-459.

ليُكمل نقصا؛ فنرى في هذا اتهاما مُبَطنا للرسول، بأنه لم يُبلّغ جزءا من الدين، وتركه لأبي هريرة وللبخاري ولغيرهم" [1]!

ولا يخفى أن فكرة طرح السنة لاتزال تلقى رواجا لدى الكثيرين ممن تصدّوا للدفاع عنها في مؤلفات وعبر مختلف وسائل الإعلام، أذكر منهم: عدنان إبراهيم[2] الفلسطيني المقيم ببريطانيا، وزكريا أوزون السوري، وغيرهما.

المطلب الثاني: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية:

إن الشبه التي أثارها القرآنيون حول السنة مأخوذة من كتب المعتزلة والمستشرقين، وهي قولهم[3]:

– عدم كتابة الحديث في عهد الرسول ﷺ، ولا في عهد الخلفاء الأربعة ﷺ.

–أنّ الصحابة ﷺ أدركوا حقيقة نهي النبي ﷺ عن كتابة سننه لذلك نهوا عن كتابتها.

– أنّ الأحاديث جمعت أول مرة بعد مائة سنة من وفاة الرسول ﷺ، وقد فقدت تلك المجموعات ثم جمعت من أفواه الناس في القرن الثالث.

– أنّ الأحاديث الموضوعة اختلطت بالأحاديث الصحيحة اختلاطا لا يمكن بعده التمييز بين الصحيح والسقيم.

– أنّ المعايير التي اختارها المحدثون لنقد الحديث لم تكن كافية لمعرفة الصحيح من المغشوش، لأنها كلها تدور حول نقد السند ورجاله، أما المتن فلم يحظى باهتمام المحدثين.

---

[1] من حوار أجراه مع قناة العربية بتاريخ: 03ربيع الأول 1429هـ الموافق لـ 11مارس2008م.

[2] عدنان إبراهيم من مواليدة غزة بفلسطين سنة 1966م، من الخطباء البارزين في أوروبا، يرى أن الإصلاح بين السنة والشيعة هو الحل الأمثل لتقويم الامة الإسلامية، اشتغل بالنسق الفلسفي على القضايا الدينية، له آراء مثيرة للجدل، مثل انتقاده لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ في خطبة جمعة زامن الربيع العربي بعنوان "بداية كارثتنا"، قد رد عليه جماعة من علماء السنة مثل: الشيخ عثمان الخميس والشيخ عدنان العرعور وغيرهما.

ينظر:https//www.ar.m.wikipedia.org

[3] ينظر: القرآنيون المعاصرون وإنكارهم سنة النبي محمد ﷺ: خالد علي عباس القط، ص505-506.

المطلب الثالث:موقف القرآنيين من قضية عدالة الصحابة ﷺ:

بعد ما لاقاه القرآنيون من تضييق وحملات اعتقال في مصر، ورفض لأفكارهم وسط مجتمع سُني محافظ، وبعد فرار زعيمهم أحمد صبحي منصور إلى أمريكا، لجأوا إلى الإعلام فأنشأوا موقعا إلكترونيا على شبكة النت أسموه" موقع أهل القرآن" [1] أصبح منبرا إعلاميا لبث آرائهم والترويج لها، وكتبوا في الصحف والمجلات[2]، وظهروا على القنوات الفضائية[3]، ومما ساعد على نشاطهم الإقبال الشعبي الكبير على مواقع التواصل الاجتماعي، فزعموا الرجوع إلى القرآن وحده كمصدر للتشريع، وبفهم عصري تنويري عقلاني، وخرجوا على الثوابت الدينية والاجتماعية.

وبمجرد أن يعرف المرء موقفهم من السنة وإنكارهم لها يتبادر إلى ذهنه السؤال حول موقفهم من نقلة السنة ورواتها وعلمائها، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله ﷺ.

إنّ القراءة في كتاب " القرآن وكفى" لمحمد صبحي منصور تعطينا فكرة واضحة عن موقفه من عدالة الصحابة ، فقد زعم أنّ فكرتها منشأها ممن جمع الحديث ، فقال:"...والذين جمعوا الحديث وقاموا بتنقيته ووضع أسانيد له أصدروا قرارا بأنّ الصحابة كلهم عدول فوق مستوى الشبهات، ثم لم ينظروا في مفهوم الحديث ومنطوقه، وهل يتفق مع القرآن أم لا؟..."[4]

وما يفعل بالآيات القرآنية التي جاءت في تعديلهم والثناء عليهم وهو الذي يزعم اكتفاءه بالقرآن؟

فإن قال: تبدّلت حالهم وفسدت، -وهكذا يصوّرهم فساقا كفرة- فهذا انتقاص لله عزّ وجلّ وفيه نسبة الجهل إليه بما سيؤول إليه أمرهم.

وإن قال: كان معه قلّة مؤمنة والباقي منافقون، فهو مطالب بتسميتهم وتمييز المؤمن من المنافق، مع إقامة الدليل على دعواه[5].

---

[1] ينظر: https//www.ahl-alquran.com.

[2] مثل صحف: الأخبار، والأهرام، والخليج، والوطن، ينظر: https//www.ar.m.wikipedia.org

[3] ينظر: https//www.m.ahewar.org.

[4] القرآن وكفى: أحمد صبحي منصور، ص46.

[5] تم الجواب عن شبهة اتهام الصحابة بالنفاق في الفصل الأول.

والكتاب فيه طرح لحجية السنة وتسخيف لدواوينها، ولكنّه في معرض حديثه عن صحيح البخاري وسخريته من الأحاديث الواردة فيه يتهم الإمام البخاري بالإساءة لعائشة رضي الله عنها، ويبرّئها من الافتراءات المسيئة التي نسبها إليه، ويرى أن لا شأن لها بحديث الإفك، إنما سورة النور تتحدث عن المجتمع النبوي...[1].

أمّا الرجوع إلى الموقع الإلكتروني لأهل القرآن فيكشف الحقيقة المرّة ويعطي نظرة شاملة لنظرته للصحابة ﷺ:

فهو يرى أنّ موقف عائشة رضي الله عنها في الفتنة شيطاني، وهي ليست عاصية فقط لقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:33] بل قادت أوّل حربية في تاريخ المسلمين، وهي –وفقا لما جاء في التاريخ السني من روايات عنها–: كانت أقرب إلى الشيطان، وهي بالمقارنة مع الحاكمة "دهية" التي كانت زعيمة وقائدة للدولة الأمازيغية قبل الفتح، حتى اعتدى العرب عليها في العصر الأموي، وكان سبب هزيمتها أنها تطلق الأسرى بل وتتبناهم...هذه سيدة عظيمة ضد **غزاة كفرة**...قارن لوسمحت بين عائشة وبين هذه السيدة البطلة !

و يسخر من تعديل أهل السنة للصحابة ومن بينهم عائشة ويصفهم بخفة الدم[2].

ويعتبر الصحابة منافقين مردوا على النفاق كذبوا على النبي ﷺ وزيّفوا أقواله في حياته [3]

ويعتبر مقولة " الخلفاء الراشدين" أسطورة يتندّر بها على حدّ تعبيره، وأنّ هذا المصطلح منشأه أهل الحديث والتاريخ، وأنّ النبي ﷺ لم يكن على علم بما سيحدث بعده فكيف يقول عنهم راشدين؟ ويتهجم عليهم بالقول بانتشار الانحلال الخلقي في عصرهم.

ويتهمهم بارتكاب أكبر كفر يُسمى الفتوحات ونسبته إلى الإسلام، وهو في الحقيقة فعل هتلر ونابليون، بل وأسوأ؛ لأنهم نسبوه للإسلام ورفعوه لله ! [4]

---

[1] ينظر: القرآن وكفى، ص80-120.

[2] لحظات قرآنية: عائشة والكاهنة الأمازيغية، الحلقة، 102، و103.

[3] القرآن وكفى، ص40.

[4] تم الرد على شبهة الطعن في جهاد الصحابة في فصل الاستشراق وموقفه من عدالة الصحابة ﷺ.

ويؤكد على موقفه السلبي من الصحابة بقوله:" نحن نهاجم صحابة الفتوحات الذين يقال عنهم راشدين وهم فاسقون سيئون جدا والصادقون لم يذكرهم التاريخ لأن التاريخ لا يذكر إلا أشرار البشر في معظمه وكل تاريخ العالم هو تاريخ الطغاة، حتى صورة النبي يذكره التاريخ متآمرا يقوم بغزوات ويصوّره بشخصية جبارة تخالف طبيعته في القرآن".

أما الصحابة الصادقون فهم قلة، تحدث الله عنهم قوله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[الحشر:8].

وقوله: ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة:92].

فهؤلاء فقراء صادقون في إيمانهم، ذكرهم القرآن دون أن يذكر صحابة بأعيانهم وأسمائهم[1].

أما آل البيت فهي خرافة شيعية، وآل بيت الرسول هن زوجاته، كما في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [الأحزاب:33] [2].

المطلب الرابع:موقف أحمد صبحي من أبي هريرة وحديث الوعاءين:

يتساءل أحمد صبحي متعجّبا مالذي يجعل النبي ﷺ يختص أبا هريرة بحديث الوعاءين ويحذّره لو أفشاه بقطع رقبته ! والرسول رحمة للعالمين ليس لأبي هريرة فقط ! فكيف يؤذن له بأن يخبر بنصف الحديث والنصف الآخر تُقطع رقبته إن أخبر به؟

ويختم ساخرا مستهزئا:"من أجل هذا نحن نحب أن نسخر من البخاري ومن أبي هريرة وممن يؤمنون بهما"[3].

---

[1] لحظات قرآنية، الحلقات176، 43، 1104، 213.

[2] لحظات قرآنية: خرافة آل البيت، الحلقة169.

[3] لحظات قرآنية: بلعوم أبي هريرة، الحلقة42.

والجواب عليه:

أولا: أنا أتعجب ممن لا يعرف قراءة الحديث كيف له أن يتكلم عنه فضلا عن السخرية ممن تحدث به ومن رواه !

أمّا حديث أبي هريرة، فقد قَالَ: " حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ " [1]

ليس في الحديث مع كونه موجزا واضحا ما يدلّ على أن النبي ﷺ تكلم مع أبي هريرة بحديث واحد فأذن له بنشر نصفه، وهدّده بقطع رأسه إن نشر النصف الثاني، إنما الكلام من الصحابي حيث يقول بأنه حفظ من العلم نوعين، أو مقدار ملء وعائين، فبثّ أحدهما في الناس، وخشي على نفسه من بث الآخر فكتمه وتستّر عليه.

قال ابن بطال:" قال المهلب، وأبو الزناد: يعني أنها كانت أحاديث أشراط الساعة، وما عرف به ﷺ من فساد الدين، وتغيير الأحوال، والتضييع لحقوق الله تعالى، كقوله ﷺ: تمت يكون فساد هذا الدين على يدى أغيلمة سفهاء من قريش –، وكان أبو هريرة يقول: لو شئت أن أسميهم بأسمائهم، فخشى على نفسه، فلم يُصَرِّح. وكذلك ينبغى لكل من أمر بمعروف إذا خاف على نفسه فى التصريح أن يُعَرِّض. ولو كانت الأحاديث التى لم يحدث بها من الحلال والحرام ما وَسِعَهُ تركها، لأنه قال: لولا آيتان فى كتاب الله ما حدثتكم، ثم يتلو:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ [البقرة: 159]" [2].

و قال الحافظ ابن حجر:"حَمَلَ الْعُلَمَاءُ الْوِعَاءَ الَّذِي لَمْ يَبُثَّهُ عَلَى الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا تَبْيِينُ أَسَامِي أُمَرَاءِ السُّوءِ وَأَحْوَالِهِمْ وَزَمَنِهِمْ وَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَكْنِي عَنْ بَعْضِهِ وَلَا يُصَرِّحُ بِهِ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ كَقَوْلِهِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ رَأْسِ السِّتِّينَ وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ يُشِيرُ إِلَى خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لِأَنَّهَا كَانَتْ سَنَةَ سِتِّينَ مِنَ الْهِجْرَةِ وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ فَمَاتَ قَبْلَهَا بِسَنَةٍ" [3]

---

[1] رواه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم، ح120، 35/1.

[2] شرح صحيح البخارى:علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد ، الرياض، الطبعة الثانية، 1423هـ - 2003م، 195/1.

[3] فتح الباري، 216/1.

وقال العيني: "أراد بِهِ نَوْعَيْنِ من الْعلم، وَأَرَادَ بِالْأولِ: الَّذِي حفظه من السّنَن المذاعة لَو كتبت لاحتمل أَن يمْلَأ مِنْهَا وعَاء. وَبِالثَّانِي: مَا كتمه من أَخْبَار الْفِتَن" [1].

فالعلم الذي حفظه أبوهريرة فيه ما حقّه أن يذاع ويُنشر من أمور الدين، وفيه ما يتعلق بالفتن مما حقّه أن يُطوى، خشية لحاق الضرر.

"وَلقَائِل أَن يَقُول: كَيفَ استجاز كتم الحَدِيث عَن رَسُول الله ﷺ وَقد قَالَ: "بلّغُوا عني" وَكَيف يَقُول رَسُول الله ﷺ مَا إِذا ذكر قتل رَاوِيه؟ وَكَيف يستجيز الْمُسلمُونَ من الصَّحَابَة الأخيار وَالتَّابِعِينَ قتل من يروي عَن رَسُول الله ﷺ؟ فَالْجَوَاب: أَن هَذَا الَّذِي كتمه لَيْسَ من أَمر الشَّرِيعَة؛ فَإِنَّهُ لَا يجوز كتمانها، وَقد كَانَ أَبُو هُرَيْرَة يَقُول: لَوْلَا آيَة فِي كتاب الله مَا حدثتكم، وَهِي قَوْله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ [الْبَقَرَة: 159] فَكيف يظنّ بِهِ أَن يكتم شَيْئا من الشَّرِيعَة بعد هَذِه الْآيَة، وَبعد أَمر رَسُول الله ﷺ أَن يبلغ عَنهُ، وَقد كَانَ يَقُول لَهُم: "ليبلغ الشَّاهِد مِنْكُم الْغَائِب". وَإِنَّمَا هَذَا المكتوم مثل أَن يَقُول:فلَان مُنَافِق، وستقتلون عُثْمَان، و"هَلَاك أمتِي على يَدي أغيلمة من قُرَيْش" بَنو فلَان، فَلَو صرح بِأَسْمَائِهِمْ لكذبوه وقتلوه" [2].

وخلاصة القول أنّ هذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ، وأنّ ما كتمه أبوهريرة ﷺ من العلم خاص بأخبار الفتن وأمراء السوء وفساد الأحوال وأسماء المنافقين مما دعت المصلحة الراجحة إلى طيّه وعدم إذاعته بين الناس، وكان كتمانه هذا من دلائل حكمته ورجاحة عقله.

وخاتمة هذا المبحث أنّ فرقة القرآنيين تدعي تمسكها بالقرآن وحده، وتنبذ السنة وتطعن في حملتها من الصحابة ﷺ، وقد سخّر زعيمها المعاصر أحمد صبحي منصور لنشر ترّهاته ومساوئه شبكة النت فكشف عن حجم عقله وعقول أتباعه.

---

[1] عمدة القاري شرح صحيح البخاري: محمود بن أحمد بن موسى العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ن، 185/2.

[2] كشف المشكل من حديث الصحيحين: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، د.ط، د.ت، 534/3-535.

المبحث الثالث: الحداثيون وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ:

ويتضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم الحداثة.

المطلب الثاني: نشأة الحداثة.

المطلب الثالث: الآراء والمقولات الرئيسة للحداثة.

المطلب الرابع: أهداف الحداثة.

المطلب الخامس: موقف الحداثة من السنة النبوية.

المطلب السادس: موقف الحداثيين من عدالة الصحابة ﷺ

المطلب الأول: مفهوم الحداثة:

الفرع الأول: الحداثة لغة:

من حدَث، والحديث لغة نقيض القديم، وحدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة يعني ظهوره بعد أن لم يكن[1].

وكان ذلك في حدثان أمر كذا أي في حدوثه وأخذ الأمر بحدثانه وحداثته أي بأوله وابتدائه[2].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: "لولا حدثان قومك بالكفر لهدمت الكعبة وبنيتها"[3].

ومعنى اللفظ في هذا الحديث موافق تماما لمعناه اللغوي أي: أنّ إسلامهم قريب عهد بما كانوا عليه من الكفر سابقا، وهو معنى الجديد.

---

[1] ينظر: لسان العرب، 131/2، ومعجم مقاييس اللغة، 36/2.

[2] المعجم الوسيط، 160/1.

[3] رواه مسلم في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم 399، ح 1333، 968/2.

الفرع الثاني: الحداثة اصطلاحا:

لم تعد لفظة "الحداثة" في واقعنا اليوم تدل على المعنى اللغوي لها، ولم تعد تحمل في حقيقتها طلاوة الجديد ولا سلامة الرغبة في التجديد.إنها أصبحت رمزا لفكر جديد نجد تعريفه في كتابات دعاتها وكتبهم[1].

ولقد تعددت تعريفات الحداثة بحسب زاوية النظر إليها من قبل الباحثين، فتباينت تعريفاتهم، والتي منها:

تعريف الدكتور علاء عبد العزيز حيث يقول: " الحداثة مصطلح غامض وغائم ومن العسير جدا أن نبني تعريفا حدّيا أو حتى إجرائيا لمصطلح هذا الشكل فلا يمكن أن نقيسها مثلا على الكلاسيكية التي تعدّ سمة، حيث لا تملك الحداثة صفات صارمة يمكن التعويل عليها ولكن هناك ظواهر عامة" [2].

وعرّفها المراكبي بأنها الشيء الذي لا يعرف" [3]، أو هي "قول ما لم يعرفه موروثنا"، أو هي: "قول المجهول من جهة، وقبول بلانهائية المعرفة من جهة ثانية" [4].

فنظرتهم إلى الحداثة صوّرت عنها فكرة غامضة غير منضبطة المعالم وغير واضحة الماهية، فكان أن ذكروها بأنها أمر صعب التعريف.

أما محمد أركون فيعرّفها مبيّنا آليتها وأهدافها بأنها: " استراتيجية شمولية يتبعها العقل من أجل السيطرة على كل مجالات الوجود والمعرفة والممارسة"[5].

أو "هي محاولة صياغة نموذج للفكر والحياة يتجاوز الموروث ويتحرّر من قيوده(ثوابته)؛ ليحقق تقدم الإنسان ورُقيه بعقله ومناهجه العصرية الغربية لتطويع الكون لإرادته، واستخراج مقدراته لخدمته،

---

[1] الحداثة في منظور إيماني: عدنان رضا النحوي، دار النحوي، الرياض، د.ط، 1409هـ-1988م، ص21-22.

[2] سقطة الحداثة والخصوصية الغربية: وائل عبد الغني، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد190، ص46.

[3] الحداثة وتحولات الخطاب المقاصدي: نحو فقه سائل: محمد المراكبي، مجلة الأخلاق الإسلامية، تصدر عن مؤسسة بريلBrill ، (مجلد3، العدد1-2، 2019م)، ص11.

[4] الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب: علي أحمد سعيد، أدونيس، دار الساقي، بيروت، الطبعة السابعة، ص19.

[5] أين هو الفكر الإسلامي المعاصر: محمد أركون، 1995م، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، ص181.

وهذا التعريف يعطي صورة للحداثة بأنها ذات علاقة صراع بين الإنسان والكون، وأنها محاولة فرض النموذج الغربي على العالم اعتمادا على العقل، وأنّ التراث هو سبب التخلف، وأنّ الإنسان هو الغاية في الحياة[1].

فهنا عرّفت من زاوية التفاعل بين الإنسان ومحيطه لأجل استغلاله، وتأليه الإنسان.

ويعرّفها طه عبد الرحمن مبيّنا وظيفتها ووسائلها بأنها: "ممارسة السيادات الثلاث عن طريق العلم والتقنية، والسيادة على الطبيعة، وعلى المجتمع وعلى الذات" [2].

وعرّفت بوصفها وسماتها فجاء في القاموس بأنها" انفصال واع بالذات عن الماضي، والبحث عن أشكال جديدة للتعبير"

"a self-conscious break with the past and search for new forms of expression"

وهناك من عرّفها من زاوية علاقتها بالموروث سواء المادي أو الفكري، فمن ذلك:

" أنها ثورة على النمط القديم في التفكير والتحليل والاستنتاج، وفي الإنتاج المعنوي والمادي"[3].

ويقول تورين: " هي انتشار لمنتجات النشاط العقلي؛العلمية، والتكنولوجية، والإدارية، وتشمل قطاعات الحياة الاجتماعية كلها: السياسية، والاقتصادية، والحياة العائلية، والدين، والفن"[4]، أي شمولية الإنتاج الحداثي لجميع جوانب الحياة.

وعرفها هابر ماس: "الحداثة كمفهوم تستعمل للتعبير عن عصر بذاته يأخذ اسم "الأزمنة الحديثة"، وهذا العصر يحيا بدلالة المستقبل وينفتح على الجديد الآتي، وذلك عبر إحداث قطيعة مع الماضي" [5].

ويرى ماكس فيبر أنّ" الحداثة هي فصم الائتلاف والوحدة بين السماء والأرض مما يخلي العالم من وهمه ويلغي سحره" [6].

---

[1] الحداثة وموقفها من السنة: عبد الله الحارث فخري، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013م، ص33 و39.

[2] روح الحداثة: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م، ص23.

[3] انحرافات الخطاب الحداثي في تونس: محمد عادل لطيف، موقع رسمي: الأوان من أجل ثقافة علمانية عقلانية، ديسمبر 2013م.

[4] نقد الحداثة: آلان تورين، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997م، ص14.

[5] تجديد الخطاب الإسلامي وتحيات الحداثة: عبد الجليل أبو المجد وعبد العالي حارث، أفريقيا الشرق، المغرب، 2011م، ص64.

[6] سقطة الحداثة والخصوصية الغربية: وائل عبد الغني، ص46.

وعرّفت –ممن انتقدها– من زاوية استمداداتها وأصل نشأة أفكارها بأنها:" تصور إلحادي جديد للكون والحياة، ومذهب فكري أدبي علماني، يسعى لهدم كل موروث، والقضاء على كل قديم، والتمرد على الأخلاق والقيم والمعتقدات، بُني على أفكار وعقائد غربية خالصة؛ مثل: الماركسية، والوجودية، والفرويدية، والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته؛ مثل: السريالية والرمزية...وغيرها.

والحداثة خلاصة مذاهب خطيرة ملحدة؛ ظهرت في أوروبا كالمستقبلية والوجودية والسريالية وهي من هذه الناحية شرّ ، لأنها إملاءات اللاوعي في غيبة الوعي والعقل، وهي صبيانية المضمون وعبثية في شكلها الفني وتمثل نزعة الشر والفساد في عداء مستمر للماضي والقديم، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوروبي ولظهور الشك والقلق في حياة الناس [1].

فالفكر الحداثي منشأه تخبط الإنسان الأوروبي بين المذاهب الإلحادية التي لم تحقق له الاستقرار، فكانت النتيجة الحتمية الثورة على كل مناحي الحياة التقليدية.

والحاصل أنّ هذه التعريفات مجتمعة تعبّر عن ماهية الحداثة وحقيقتها، ولهذا فالتعريف المختار لها حسب رأيي: أنها توجّه فكري يرمي إلى التحرر من التراث والقطيعة معه، وتحديدا التراث الديني، لأن على أساسه تتحدد نظرة الإنسان لباقي مناحي الحياة، والغرض هو الوصول إلى حياة متقدمة.

المطلب الثاني: نشأة الحداثة:

يختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ ومكان نشأة الحداثة، إلا أنهم متفقون أنّ" مصطلح الحداثة من أهم المصطلحات التي شاعت وذاعت منذ الخمسينيات الميلادية من القرن الماضي عند الغرب، ولم يهتد أحد بعد إلى تحديد مصدره بدقة"[2].

ظهر تيار الحداثة في العالم الغربي نتيجة للمدّ الطبيعي الذي دخلته أوروبا منذ العصور الوثنية في العهدين اليوناني والروماني، امتدادا إلى عصر الظلمات، ثم امتدادا بالعصور اللاحقة التي تزاحمت بكل أنواع المذاهب والفلسفات المتناقضة المتصارعة، وقد كان كل مذهب عبارة عن ردّ فعل لمذهب سابق،

---

[1] ينظر: الموسوعة الميسرة، 780/2.

[2] قراءات فيما بعد الحداثة: مجموعة من الباحثين، ترجمة: حارث محمد حسن وباسم علي خريسان، د.ن ،ص61.

وكل مذهب من هذه المذاهب كان يحمل في ذاته عناصر موته[1].

وقد كانت أول المذاهب الفكرية الأدبية ظهورا في الغرب"الكلاسيكية" التي تتحدث عن النمطية والجمود، ثم جاءت" الرومانسية " فكانت ثورة وتمردا على الكلاسيكية، وادعت أنّ الشرائع والتقاليد والعادات هي التي أفسدت المجتمع، ويجب أن يجاهد في تحطيمها، ثم المدرسة "الواقعية" التي تطورت إلى "الرمزية" التي كانت الخطوة الأخيرة قبل الحداثة التي وصلت في الغرب شكلها النهائي على يدي الأمريكي اليهودي عزرا باوند، والإنجليزي توماس إليوت[2].

لقد نمت الحداثة في البيئة الغربية، وكانت إحدى مراحل تطور الفكر الغربي، ثم نقلت إلى بلاد العرب صورة طبق الأصل لما حصل في الغرب، ولم يبق منها عربي إلا الحروف العربية...

ولا شك أن الحداثيين العرب حاولوا بشتى الطرق والوسائل أن يجدوا لحداثتهم جذوراً في التاريخ الإسلامي، فما أسعفهم إلا من كان على شاكلتهم من كل ملحد أو فاسق أو ماجن... لكن الواقع أن كل ما يقوله الحداثيون هنا، ليس إلا تكراراً لما قاله حداثيو أوربا وأمريكا، ورغم صياحهم وجعجعتهم بالإبداع والتجاوز للسائد والنمطي .كما يسمونه . إلا أنه لا يطبق إلا على الإسلام وتراثه، أمّا وثنية اليونان وأساطير الرومان وأفكار ملاحدة الغرب، حتى قبل مئات السنين، فهي قمة الحداثة وبذلك فهم مجرد نقلة لفكر أعمدة الحداثة في الغرب[3].

ومن المعروف أن الحداثة (ومختلف الاتجاهات التنويرية التاريخية المعروفة في العالم الغربي) ظهرت إلى الوجود في داخل سياق ومناخ ثقافي وتاريخي مؤطر ومحدد بسياق تجربة مجتمعية؛ انطلقت مفاعيلها من خلال عصر التنوير الذي ساهم في صياغة أفكاره ومعارفه نخبة من الفلاسفة والمفكرين الأروبيين ممن أعادوا تأسيس العقل الإنساني على معطيات، وركائز عقلانية علمية إنسانية جديدة، بعد أن حسمت تلك النخبة لصالحها نتائج المواجهة العنيفة التي حصلت بين أنماط ومحددات الفكر والمعرفة التقليدية

---

[1] الحداثة في منظور إيماني: عدنان علي رضا النحوي، دار النحو للنشروالتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1410هـ-1989م، ص25.

[2] فن الشعر: إحسان عباس، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1959م، ص72.

[3] ينظر: في ميزان الإسلام، نظرات إسلامية في أدب الحداثة: عوض بن عبد الله القرني، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م، ص18.

اليقينية السائدة، وبين ثورة العقل البشري الذي انتفض على واقع الجمود الديني الرث والبالي، كما كان من أهم وأبرز تجليات وتمظهرات ذلك المناخ العملية هو وجود علاقة قوية وشبه العضوية بين الواقع المتغير، وبين النص الثابت الجامد الخاص باللاهوت الديني المسيحي، وكأنهما حالة متلازمة على مستوى الفكر الديني والفلسفي" [1].

إذن لم تقف الحداثة عند حدود الأدب والشعر بل تعدّتها إلى نقد النص الديني، تقول الكاتبة الحداثية خالدة سعيد في مجلة فصول المجلد الرابع العدد الثالث صفحة 27 في مقال لها بعنوان: (الملامح الفكرية للحداثة): "إن التوجهات الأساسية لمفكري العشرينات، تقدم خطوطا عريضة تسمح بالقول: إن البداية الحقيقية للحداثة من حيث هي حركة فكرية شاملة، قد انطلقت يومذاك، فقد مثل فكر الرواد الأوائل قطيعة مع المرجعية الدينية والتراثية كمعيار ومصدر وحيد للحقيقة، وأقام مرجعين بديلين، العقل والواقع التاريخي، وكلاهما إنساني، ومن ثمّ تطوري"[2].

المطلب الثالث: الآراء والمقولات الرئيسة للحداثة

للفكر الحداثي آراء ينطلق منها في تحقيق مشروعه، وهي[3]:

أولا:مركزية الإنسان في الكون: فالحداثة ترى أن الإنسان هو مركز الكون، وينبغي أن يُسخّر كل ما في الكون له، وأنه ينبغي الانتقال بمركزية الكون من الله إلى الكون، يقول حسن حنفي: "إن حياتنا المعاصرة لم تقم على احترام الإنسان، بل على تقديس الله، وأن مجتمعاتنا المعاصرة ليست مجتمعات إنسانية، بل وأن حضارتنا كلها لم تكن حضارة إنسانية، بل إلهية"[4].

قلت: تأليه الإنسان من أبرز ما تدعو له الحداثة، هروبا من العبودية لله التي تكبّل حريته وتعيق تقدمه، ونتيجتها السقوط في عبودية الإنسان والشهوات.

---

[1] مقومات التفكير الحداثي بين العرب والغرب: نبيل علي صالح، الوحدة الإسلامية، 1436هـ- 2015م، السنة الرابعة عشر، عدد158، http//www:wahdaislamyia.org/issues/158/nalisaleh.

[2] المرجع نفسه، ص21.

[3] ينظر: النقد الحديثي بين المحدّثين والحداثيين: نماء البنّا، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد26، العدد101،سنة 2021م، ص 188-189.

[4] دراسات إسلامية: حسن حنفي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1981م، ص110-111.

ثانيا:سيادة العقل وهيمنته: فالحداثة تقدّم العقل وتراه مستقلا بنفسه عن الموجّه الخارجي، وتعطيه مجالا واسعا في مقابل الفكر الديني الذي يخالف الفكر العقلي والعلمي ويعجز أمامه، وتقدّمُ المعرفة التي ينتجها العقل على ماجاء به الموروث الديني.

فالعقل " بما هو فعالية اجتماعية تاريخية متحركة قابل للخطأ، ولكنه بالدرجة نفسها قادر على تصويب أخطائه؛ لأن العقل سلطة اجتماعية وتاريخية، فهو ضد الأحكام النهائية والقطعية.وهكذا يصبح العقل أولا، والنص ثانيا...وأي حيد للعقل من أوّليته إلى أن يصبح تابعا للنص ودائرا في فلكه هو تدنيس للعقل، وانحطاط به إلى مكان ليس مكانه"[1].

يقول تورين: " تقام الصلة بين الثقافة العلمية والتكنولوجيا والإدارة من جانب، وبين تنظيم المجتمع وحرية الأفراد وتحرّرهم من كل الضغوط على انتصار العقل؛ فالعقل وحده هو الذي يعقد الصلة بين الفعل الإنساني ونظام العالَم، وهذا ما بحث عنه الفكر الديني من قبل، ولكنه كان مشلولا بسبب الغائية الخاصة بالأديان التوحيدية القائمة على الوحي"[2].

ثالثا:التحكم في الكون: ترى الحداثة أن العالم المادي يحتوي الحقيقة كلّ الحقيقة؛ أي إنه مكتف بذاته"الذاتية"، فالواقع المادي يوجد في داخله ما يلزم لفهمه، والإنسان قادر على فهم هذا العالَم، وتوليد منظومات معرفية وأخلاقية وجمالية بتفاعل هذا العقل مع المادة(الطبيعة) إذا يتوافر واقع مادي، وعقل إنساني.والعقل الإنساني قادر على التفاعل مع هذا الواقع، وتوليد منظومات معرفية.وبالتفاعل المستمر تتراكم المعرفة؛ فيتقدم الإنسان إلى الأمام.وفي إطار المعرفة المتراكمة، يمكن للإنسان أن يزيد من تحكّمه في الواقع، ومن تحكمه في نفسه، ومن التقدم إلى الأمام[3].

رابعا:السعادة والتحرر: ترى الحداثة أنّ تحقيق مركزية الإنسان في الكون تكون عن طريق تحكم العقل في الواقع المادي، وقدرته على توليد منظومات معرفية تحرره من سيطرة الأشكال التراثية كلها،

---

[1] العصرانيون: حقيقة التجديد عند العصرانيين، أبو الفتح حسين قاسم، موقع رابطة العلماء السوريين.
https//islamsyria.com/site/show-article 456

[2] نقد الحداثة: آلان تورين،، ص20.

[3] التيارات الفكرية المعاصرة، الحداثة وما بعد الحداثة: عبد الوهاب المسيري، لقاء ومحاضرة مصورة، 1994م،
https//www.youtube.com/watch v=rYuVFVuTV8

والتنمية والديموقراطية في الحداثة مرتبطتان بكفاحهما ضد التراث والتعسف، يقول الشرفي: " إن الحداثة قد نجحت في خلق توازن حي وغير قادر على أن يصل أحيانا حدّ التماهي بين قطبين: قطب السلطة والإنتاج، وقطب السعادة والتحرر"[1].

وهذا برأيي نتيجة حتمية للسلطة التعسفية التي كانت الكنيسة ورجال الدين يمارسونها على المجتمع، فتولّد لدى دعاة الحداثة ثورة ضد التراث الذي يمثل في نظرهم التعسف والوقوف في طريق الإنسان وسعادته، فأرادوا تعميم نظرتهم الحداثية –القائمة على الإقصاء– على كل تراث، متجاهلين ما قدمه الوحي قرآنا وسنة من استقرار وسعادة ورقي لأتباعه.

المطلب الرابع: أهداف الحداثة:

يسعى الحداثيون لتحقيق جملة من الأهداف ، لعلّ أبرزها[2]:

أولا:نزع القداسة والوحي عن النص (السنة النبوية) وأنسنته:

يهدف المشروع الحداثي في تعامله مع السنة النبوية، إلى نزع صفة الوحي والتقديس عنها، وعدّها نصا بشريا محضا من حيث المصدرية، فهو من إبداع محمد ﷺ البشر، وجاء به عن واقع خبرته وتجربته البشرية المحضة، وطول تأمل واستغراق في التفكير.

قلت: وبهذا يتمكن الحداثي من إقصاء السنة النبوية وإلغاء دورها وتأثيره في حياة الناس لأنها تمثل التطبيق العملي للقرآن الكريم، فإذا زالت ومُحيت مكانة السنة في النفوس سهل تعبئتها بالبديل فيحل محلها الهوى والشهوات.

ثانيا: تبني الفكر الحداثي من مفكرين وعلماء ومثقفين مسلمين:

من أهداف المشروع الحداثي أن يتبنى فكره مفكّرون وعلماء ومثقفون مسلمون، وأن يعمل هؤلاء على نقل هذا الفكر والدعوة إليه بثقافاتهم الذاتية، ولغتهم العربية، وأسلوبهم الإسلامي.

قلت: من الوسائل الخطيرة التي سعى الحداثيون إلى الظفر بها –فكانت دفا ووسيلة في آن واحد–

---

[1] لبنات: عبد المجيد الشرفي، دار الجنوب للنشر، تونس،د.ط، 1994م، ص24.

[2] المشروعات الحداثية لقراءة السنة النبوية: استعراض ونقد لبعض الأدبيات: الحارث فخري عبد الله، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد26، العدد101، 13-61، ص53-56.

أن يتبنى المثقف والداعية الإسلامي الفكر الحداثي، لمكانته عند المسلمين واقتدائهم به، ولمعرفته بالأساليب الموصلة إلى جذبهم وإقناعهم.

ثالثا: نقض المشروع الإسلامي الإحيائي:

الذي يدعو إلى تطبيق الشريعة في الحياة العامة على مبدأ دين ودنيا.

قلت: الرؤية الكلية التي تربط الإنسان بالكون-انطلاقا من القرآن والسنة- على أساس التعايش والاستخلاف في الأرض واستغلال ما سخره الله تعالى له، تصادم الرؤية الحداثية القائمة على الصراع بين الإنسان والكون، ما يجعل الحداثيين يسعون لإلغاء المشروع الإسلامي وإقصائه.

المطلب الخامس: موقف الحداثة من السنة النبوية:

لقد وقفت الحداثة من السنة النبوية موقفا تنوعَ بين إنكارها والزعم أنها من نسج الخيال، أو من وضع الرواة بسبب الظروف السياسية، وبين نفي حجيتها والانتقاص منها والسخرية من دلالاتها، ونزع صفة الوحي عنها واعتبارها قابلة للنقد شأنها شأن أي نص تراثي.

أولا:رفض حجية السنة: حيث حاول الحداثيون قصر مفهوم السنة على العادات الجاهلية نافين عنها صفة الإلزام والتأسي والتشريع، يقول عبد المجيد الشرفي: "هي معنى حادث في القرن الثاني، ولم تكن حجة زمن البعثة.ويجب ألا تكون حجة اليوم.وقد ضاعت بفعل فساد وسائل حفظها"[1]

وهي ليست "مصدرا للتشريع وليست وحيا، بل هي تفسير وبيان لما أجمله الكتاب.وحتى مع التسليم بحجية السنة فإنها لا تستقل بالتشريع، ولا تضيف إلى النص الأصلي شيئا لا يتضمنه على وجه الإجمال أو الإشارة"[2]

ويقول أركون[3]: "إن القرآن بالطبع هو أول مصدر أساسي لما يدعى بالإسلام كدين.ولكن يوجد

---

[1] جهالات وأضاليل: نقض افتراءات عبد المجيد الشرفي على السنة النبوية: سامي عامري، دار البصائر،الطبعة الأولى، 2012م، ص23.

[2] الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية: نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014م، ص119.

[3] محمد أركون: مفكر وباحث أكاديمي ومؤرخ، من مواليد الجزائر سنة 1928م، تلقى تعليمه الأول ببلدة عين الأربعاء، ثم انتقل رفقة عائلته إلى مدينة وهران حيث أكمل دراسته الثانوية بمدرسة الآباء البيض التبشيرية، والتحق بعدها بجامعة الجزائر أين درس الأدب

بالإضافة إلى القرآن مصدر ثان أو أصل "كما يقال بالعربية" هو: " التراث النبوي أو الحديث النبوي أو السنة.ونعني بها الكلام الذي تلفظ به النبي بصفته قائدا لجماعة المؤمنين، لا بصفته كأداة للإرادة الإلهية وناقل لكلام الله.وبالطبع فبما أن النبي مفعم دائما بالوحي الإلهي، فإن ما يقوله كإنسان يتمتع دائما بالضمانة الأنطولوجية"[1]

ويقول محمد شحرور[2] " إن المشكلة تأتي مرة أخرى من زعم الفقهاء أن حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد ﷺ حرام إلى يوم القيامة، وتأتي من اعتبارهم أن القرارات النبوية التنظيمية لها قوة التنزيل الحكيم الشامل المطلق الباقي، ناسين أن التحليل والتحريم محصور بالله وحده، وأن التقييد الأبدي للحلال المطلق يدخل حتما في باب تحريم الحلال، وهذه صلاحية لم يمنحها تعالى لأحد بما فيهم الرسل"[3]

وهذا من باب دسّ السم في العسل فظاهر كلامه تعظيم الله عز وجلّ وأحكامه وحقيقته قطع الطريق الموصلة لفهم مراد الله من عباده.

وقد اتهم الحداثيون الإمام الشافعي رحمه الله بالتأسيس لحجيتها وأنه من جعلها مصدرا ثانيا من مصادر التشريع الإسلامي، فعقله" ينمو ويترعرع داخل مجموعة نصية (corpus) ناجزة ومغلقة على ذاتها، نقصد بذلك القرآن والحديث[4]

والفلسفة، أكمل الدراسات العليا بجامعة السوربون بوساطة من المستشرق الفرنسي " لويس ماسينيون"، وعيّن بها مدرّسا لمادة الفكر الإسلامي المعاصر، عُرف أركون بمنهجه الموافق لمنهج المستشرقين وبمشروعه حول نقد العقل الإسلامي، حيث اعتبر القرآن والسنة محرّفين ودعا إلى قراءتهما وفق مناهج النقد الغربية، توفي سنة 2010م بالمغرب، وله مؤلفات عديدة منها: " الفكر الإسلامي نقد واجتهاد" و" من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي" و" القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الإسلامي" وغيرها.ينظر: http://www.ar.m.wikipedia.org ونادي الفكر العربي: http: //www.nadyelfikr.com

[1] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: محمد أركون، مكتبة الفكر الجديد، دار الساقي، الطبعة الرابعة، 2007م، ص105.

[2] محمد شحرور: كاتب سوري معاصر، من مواليد دمشق عام1938م، تلقى تعليمه في المراحل الأولى بدمشق، ثم سافر بعد الثانوية إلى الاتحاد السوفياتي لدراسة الهندسة المدنية، ثم سافر من سوريا إلى إيرلندا ليحصل على الدكتوراه في الهندسة من الجامعة القومية بدبلن، من مؤلفاته: الإسلام والإيمان منظومة القيم، الدولة والمجتمع، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، وغيرها. ينظر: نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان الخراشي، 191/3.

[3] نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي: محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 2000م، ص153.

[4] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: محمد أركون، مكتبة الفكر الجديد، دار الساقي، الطبعة الرابعة، ص 65و69، والإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية: نصر حامد أبو زيد، دار سينا، القاهرة، 1992م، ص41.

ثانيا:التشكيك في عملية تدوين السنة: وأنها لم تدوّن إلا بعد وفاة النبي ﷺ بزمن طويل مما يعني أنها وليدة ظروف عاشها المسلمون في تلك المرحلة احتاجت لنصوص تخدم تعالج متغيراتها، يقول أركون: "وأخذ تسجيل الأحاديث النبوية وقتا أطول بكثير مما أخذ تدوين القرآن.ومن المعلوم أن مجموعات الحديث الكبرى المعدة صحيحة لم تكتب إلا في نهاية القرن التاسع الميلادي، أي في القرن الثالث الهجري.وإذن فقد كتبت بعد موت النبي بزمن طويل.ولهذا السبب نفهم كيف أن جمع هذه المجموعات وكتابتها قد ولد خلافات ومناقشات لم تتجاوزها حتى الآن الطوائف الإسلامية الثلاث: أي السنية والشيعية والخارجية.وهكذا راح السنة يعترفون بمجموعتي البخاري ومسلم المدعوتين بالصحيحين "[1]

ويقول: " وبالطبع فإن مسيرة التاريخ الأرضي وتنوع الشعوب التي اعتنقت الإسلام- قد خلقت حالات وأوضاعا جديدة ومستحدثة لم تكن متوقعة او منصوصا عليها في القرآن ولا في الحديث، ولكي يتم دمجها وتمثلها في التراث فإنه لزم على المعنيين بالأمر أن يصدقوا عليها ويقدسوها إما بواسطة حديث للنبي، وإما بواسطة تقنيات المحاجة والقياس " [2]

ويقول عبد المجيد الشرفي[3]: " لقد كان انتشار الوضع إذن سببا كافيا لعدم الاستشهاد بالحديث في مجال اللغة، ولكنه كان كذلك سبب التحري الذي مارسه جامعو الحديث من أصحاب المصنفات التي تبوأت شيئا فشيئا منزلة ألحقتها بقداسة المصحف حتى أصبحت عبارة "رواه الشيخان" أي البخاري ومسلم، كافية في التسليم بصحة الحديث والالتزام بما فيه"[4]

---

[1] الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: محمد أركون، ص105.

[2] المرجع نفسه، ص104.

[3] عبد المجيد الشرفي: باحث وأكاديمي تونسي لد في 23يناير 1942م في صفاقس تحصل على دكتوراه في الآداب من جامعة تونس سنة 1982م، بدأ تدريس الفكر والحضارة الإسلامية في الجامعة التونسية خلال سبعينات القرن العشرين، شغل عدة مناصب من بينها: كرسي اليونسكو للأديان المقارنة بين سنتي1999 و2003م، عُيّن بعد الثورة التونسية سنة2011م عضوا في الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والانتقال الديموقراطي ثم في لجنة الحريات الفردية والمساواة، مدير مجموعة معالم الحداثة لدار الجنوب للنشر، ومجموعة الإسلام واحدا ومتعددا، يبحث من خلال أبحاثه على خلق المصالحة بين المسلم المعاصر والحداثة، كما يدافع عن ضرورة خلق حوار جدّي بين الحضارات والأديان، ويحاول فهم النص القرآني بالاعتماد على الأدوات التحليلية للعلوم الإنسانية، من مؤلفاته: الإسلام والحداثة، ومستقبل الإسلام في الغرب والشرق، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، وغيرها.
ينظر:http ://ar.m.wikipedia.org

[4] الإسلام بين الرسالة والتاريخ: عبد المجيد الشرفي، ص178.

ولم يقم الحداثيون لجهود الأمة في حفظ السنة النبوية وما قام عليه منهج المحدثون من قواعد وضوابط لحفظ وصيانة النص النبوي أيّ اعتبار، محكّمين في ذلك أصولهم القائلة بعدم تصديق النقل والاحتكام للعقل المجرد؛ يقول حسن حنفي: " لا يعتمد على صدق الخبر سندا أو متنا، وكلاهما لا يثبتان إلا بالحس والعقل طبقا لشروط التواتر، فالخبر وحده ليس حجة ولا يثبت شيئا على عكس ما هو سائد في الحركة السلفية المعاصرة في اعتمادها المطلق على: " قال الله" و" قال الرسول" واستشهادها بالحجج النقلية وحدها دون إعمال الحسّ والعقل، وكأن الخبر حجة، وكأن النقل برهان، وأسقطت العقل والواقع من الحساب في حين أن العقل أساس النقل"[1]

وهكذا أصبحت أصح دواوين السنة عندهم مشكوك في صحتها، وتمثل تراثا لا وحيا ، فلم يقيموا وزنا لتلقي الأمة لها بالقبول، وأعرضوا عن الجهود والقواعد التي وضعها المحدثون من النقاد وعلماء الجرح والتعديل لتنقية السنة وبيان صحيحها من سقيمها على مستوى السند أو المتن، يقول شحرور: "يقولون صحيح مسلم وصحيح البخاري !، ويقولون: إنهما أصح الكتب بعد كتاب الله !، ونحن نقول: هذه إحدى أكبر المغالطات التي مازالت المؤسسات الدينية تكره الناس على التسليم بها تحت طائلة التكفير والنفي"[2]

ثالثا:إخضاع السنة للقراءات الحداثية الغربية: فبعد اعتبار السنة نصا تراثيا لا علاقة له بالوحي ونزع صفة القداسة عنها يدعو الحداثيون إلى قراءتها وفق قراءات غربية محضة، وهي[3]:

أولا:القراءة التاريخية: والمقصود به أنّ النص مرتبط بواقعه وبعده الزماني والمكاني والبشري والظرفي الذي نزل فيه، وبذلك فهو منتج شكلته الظروف المحيطة به؛ سواء الظروف الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو السياسية، أو الأدبية، وهذا ماحدا بأحدهم أن يذهب إلى أن السنة ليست تراثا نبويا محفوظا، وإنما هي " تمثُّل معيّن للسنة، وليست السنة ذاتها"[4]

وأنها منتج من حياة الرسول العامة والخاصة ومحيطه" إن معطيات الوحي على النبي تتناغم وتقترب تماما مع ماكان يدور في حياة النبي الخاصة أو العامة، بل كانت مقترنة مع بعضها بعضا، ولم تكن

---

[1] التراث والتجديد من العقيدة إلى الثورة: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م، ص318.

[2] نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي: محمد شحرور، ص160.

[3] ينظر: المشروعات الحداثية لقراءة السنة النبوية، ص28-31.و النقد الحديثي بين المحدثين والحداثيين: نماء البنا، ص205و211.

[4] لبنات: عبد المجيد الشرفي، ص155-156.

قضايا الوحي مثلا من قبيل الأمور الجاهزة مسبقا بدون الأخذ بنظر الاعتبار الحوادث الواقعة في إطار الزمان والمكان، وبعيدا عما يدور في الوسط الاجتماعي للناس...أي إن النبي كان يرتبط مع قومه برابطة ديالوكية، فهو يقول شيئا، ويسمع منهم شيئا أيضا، ثم يجيب عن ذلك بكلام يتناسب مع ما سمعه"[1]

ويمثل محمد حمزة[2] في كتابه الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث" تطبيقا للتاريخية؛ إذ طبق المنهج التاريخي على السنة النبوية في كتابه هذا، وركّز فيه كثيرا على الواقع السياسي والاجتماعي للأمة الإسلامية في مختلف مراحل السنة النبوية؛ سواء في زمن النبي ﷺ، أو في زمن التدوين (زمن الزهري)، أو في العصور اللاحقة، محاولا تفسير وقراءة الأحاديث والسنة برمتها وفق المعطى التاريخي، وذلك ليس محاولة للفهم المجرد او استنتاج المعاني، بل لإقصاء النص ونفيه بدعوى أنه جاء أو جيء به بدافع سياسي، أو واقع اجتماعي، أو ضغط مذهبي، أو إكراه من سلطان ونحوه.

ثانيا:القراءة الهرمينيوطيقية: من ثمرات القراءة التاريخية للحديث النبوي، عدُّ النص الحديثي منتجا ثقافيا ونصا لغويا لا يختلف عن أي نص بشري، فلا يضير المؤول أن يخضعه لمطرقة النقد التفكيكي، أو يجره إلى أفق انتظاره وتلقيه ليحمّله من الدلالات المتعذرة ما يأباه صاحب الخطاب نفسه، وهذا على مذهب الهرمينيوطيقيا في موت المؤلف وتأليه القارئ، الذي يغدو منتجا للنص لا كاشفا عن مقاصد صاحبه.والفهم المثالي فيها لا يتأتى إلا بالاعتماد على منهجين متوازيين: المنهج الوضعي اللغوي، والمنهج النفسي؛ لأن القارئ أو المؤول لا يغوص على مراد النص إلا بملكة لغوية ثرية، وقدرة على استبطان النفوس البشرية تقوم على تشكيل لغوي ووجداني مستقل عن فكر المؤلف، وهذا الاستقلال ييسر عملية الفهم، برفد من عامل آخر؛ هو تواطؤ المخاطب والمخاطَب على تشكيل هوية اللغة، وهي إسقاط التجربة الذاتية للقارئ على تجربة المؤلف، واكتشاف ما لم يقله النص.[3]

---

[1] بسط التجربة النبوية: عبد الكريم سروش، ترجمة وتحقيق: القبانجي، دار الفكر الجديد، العراق، الطبعة الأولى، 2016 م، ص110.

[2] محمد حمزة:باحث تونسي محاضر بالجامعة التونسية، مختص في قضايا الفكر الإسلامي، له العديد من الكتب المنشورة من بينها: السنة النبوية إشكالية التدوين والتشريع، وإسلام المجددين، وأفق التأويل في الفكر الإسلامي، ومن الدراسات له: فضائل الصحابة بين المتخيل والواقع التاريخي، ووضعية المرأة في الخطاب الفقهي القديم، وغيرها.

ينظر: http ://www.mominoun.com

[3] جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين: زكريا أوزون، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص80-88، و113.

يمثل ما كتبه زكريا أوزون [1] في كتابه" جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين" نموذجا للقراءة الهرمينيوطيقية للسنة النبوية؛ فهذا الكتاب فيه استنباطات بعيدة غير معلوم كيفية الاستدلال بها، وفيه تبسيط لبعض الأفكار لدرجة السذاجة، وفيه إطلاق التشكيك على عواهنه، دون انضباط بقواعد ومبادئ.فقضية سحر النبي ﷺ تتحول إلى قضية جنسية وضعف جنسي للنبي ﷺ، وأحكام المرأة في الإسلام تمثل نجاحا لعلماء المسلمين في زرع عقدة النقص والدونية في المرأة التي أصبحت مكونا في جينات المرأة المسلمة[2].

ثالثا:القراءة التفكيكية للسنة[3]: وهي قراءة النص بمعزل عن قائله أو مؤلفه؛ إذ يقرأ النص وفق قارئه، والعبرة بالذات القارئة لا بالذات الكاتبة في تطبيق لنظرية"موت المؤلف"، ويمثل تناول هشام جعيط[4] في قراءته للسيرة النبوية في كتابيه: "في السيرة النبوية-1-الوحي والقرآن والنبوة"، و"في السيرة النبوية-2-تاريخية الدعوة المحمدية في مكة " تطبيقا للقراءة التفكيكية، أو تطبيقا للمنهج التفكيكي في قراءة السيرة بوصفها جزءا من السنة النبوية، الفعلية أو العملية، حيث إنك تجد هذا المنهج في كامل الكتابين.

فحادثة نزول جبريل عليه السلام بالوحي إلى النبي ﷺ في غار حراء، ومخاطبته له: " إقرأ "، فيرد عليه رسول الله ﷺ: " ما أنا بقارئ"، تمثيل واضح لهذه القراءة؛ إذ يقرأ هشام جعيط هذه الحادثة على أن هذا الرد " يمثل صمود الذات الإنسانية أمام الاختراق من الخارج، ورفضا مبدئيا للائتمار.فعبارة: ما أنا بقارئ التي تبدو مبهمة لا تعني لا أُحسن القراءة، بل أرفض أن أقرأ؛ لأني حرّ في أن أقرأ أو لا أقرأ، ولم يطع النبي هذا الأمر...، وأخيرا فجبريل هو الذي قرأ النص"[5]

---

[1] زكريا أوزون:كاتب سوري علماني، غالب كتبه موجهة للطعن في الثوابت والأصول الإسلامية، منها:جناية سيبويه، جناية البخاري، الإسلام هل هو الحل...، وغيرها.
ينظر:http://www.safi info.com

[2] تقنيات الخطاب الحداثي في إعادة قراءة السنة النبوية: عزوز بن عمر الشوالي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد101، ربيع 1442هـ-2021م، ص67-68.

[3] الحداثة وموقفها من السنة، ص377-382.

[4] هشام جعيط: كاتب وباحث حداثي، ولد بتونس سنة 1935م، تحصل على درجة الدكتوراه من جامعة باريس سنة1981م، عمل بجامعة تونس، وجامعة ماك غيل بكندا، وجامعة كاليفورنيا، توفي سنة2021م، من مؤلفاته: الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، وأزمة الثقافة الإسلامية، الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، وغيرها ينظر:.wwwhttps//ar.m.wikipedia.org

[5] في السيرة النبوية-1-الوحي والقرآن والنبوة: هشام جعيط، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م، ص40.

خامسا:أهم البنيات التي تناولها النقد الحداثي للسنة النبوية:

لقد استهدفت القراءات الحداثية السنةَ النبوية مركّزة على محاور محدّدة تمثل أساس السنة الذي بنيت عليه، في محاولة لهدمها وإلغاءها، وتتمثل هذه البنيات في[1]:

أولا: نظام المصطلحات والمفاهيم، وهو النظام الأساسي للسنة النبوية؛ لأنه يختزل الوصف العلمي، والوظائف الإدراكية لكل موضوع من موضوعاتها.وتعد مصطلحات السنة والمفاهيم التي انتظمتها عماد الحقل العلمي السني؛ لأنها تشكل طبيعة السنة، وتحدد هويتها، وترسم مساراتها، وتوجه مكوناتها.فالمصطلحات تختزل ماهية السنة في مستوى مفردات اللغة ومكوّنات اللسان، أما المفاهيم فهي التعريفات التي تكوّن الصور الذهنية لتلك الموضوعات في العقل.

قلت: ضرب السنة وعلى مستوى المصطلحات والمفاهيم هو قطع للطريق الموصل لفهم دلالاتها وتقويض للجسر الذي يمتد بينها وبين غيرها من العلوم الموصلة لمراد الله تعالى.

ثانيا:النظام المرجعي، وهو النظام الذي يصنف علوم السنة بكاملها داخل مفهوم الوحي والنبوة، أو بمعنى آخر هو الذي يحدد طبيعتها بوصفها من مصادر الدين الإسلامي انبثاقا وعملا ومنهجا ووظيفة وغاية.

-النظام العلمي والمعرفي، وهو النظام المركزي الذي يحدد وظيفة السنة في بيانات العقيدة، ومراسيم الشريعة، ومبادئ العلم والمعرفة بنظام التديُّن.

قلت والمراد بالنظامين المرجعي والمعرفي حجية السنة وانتظامها في دائرة الوحي، وبيان صور منزلتها في التشريع، وفي الضمير الإسلامي، والحداثة تهدف لنزع صفة الوحي عنها واعتبارها ميراثا بشريا عاديا لا قداسة ولا حجية له.

---

[1] تقنيات الخطاب الحداثي في إعادة قراءة السنة النبوية، ص67-68.

المطلب السادس: موقف الحداثيين من عدالة الصحابة ﷺ

لقد كان للصحابة حظ وافر وحيّز واسع في كتابات الحداثيين ومنابرهم الإعلامية؛ فلم يتوانوا في التشكيك فيهم والطعن في عدالتهم، ونزاهتم الدينية، وتخطئة منهج أهل الحديث القائم على اعتبار عدالتهم واعتماد مروياتهم...

وهذه أبرز النقاط التي أثارها الحداثيون حول عدالة الصحابة:

أولا:العيب على المحدثين توسعهم في مفهوم الصحبة:

طعن الحداثيون في منهج المحدثين في تحديد مفهوم الصحبة واعتبروه مضطربا، ومُتوسعا في معناه، وشككوا في مقاييسهم واعتبروها غير مقبولة، وماهذا إلا للاختلاف بين ما قصده المحدثون وما انتقده الحداثيون، فَقَصدُ المحدثين بعدالة الصحابة عدم احتمالية الكذب على رسول الله ﷺ، وكل الشروط التي تم وضعها لضبط عدالة الراوي كان القصد منها التأكد من عدم كذب الراوي أو تساهله في القول على النبي ﷺ، غير أنّ الحداثيين جعلوا العدالة مساوية للعصمة، وجعلوا تعديل الصحابة بمثابة رفعهم إلى منزلة المعصومين.

يقول عبد الجواد ياسين [1]: "الرؤية الوجدانية التي أسبغها أهل الحديث على الصحابة(بمفهوم واسع للصحبة) مرادفين على نحو نزوعي بين الخيرية التي يمكن الاعتراف بها للأصحاب كجيل مجمل، وبين الحصانة أو العصمة التي لا يمكن الاعتراف بها لأفراد البشر.." [2]

ويقول إسماعيل الكردي:" لقد عرّف المحدثون الصحابي بأنه كل مسلم رأى رسول الله، ولو للحظة، ومات مسلما، ولو كان من الأعراب والطلقاء غير ذوي السابقة في الدين، ولا المجالسة المعروفة لسيد المرسلين، وبغض النظر عن حاله فيما بعد، ومدى استقامته على أمر الدين ولا شكّ أن هذا

---

[1] عبد الجواد ياسين: قاضي مصري سابق، من مواليد عام 1954م، تخرج من كلية الحقوق في القاهرة سنة 1976م، وتدرج في سلك النيابة العامة والقضاء منذ تخرجه، له مؤلفات في الفكر السياسي، والفقه الدستوري، منها: تطور الفكر السياسي في مصر، خلال القرن التاسع عشر.ينظر غلاف كتابه: السلطة في الإسلام، العقل السلفي بين النص و التاريخ.
ينظر الحوار الذي أجراه معه محمد الخراط، http ://www.mouminoun.com: https

[2] السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 2000م، ص167.

التعريف للصاحب تعريف حديثي روائي، اصطلاحي، لا علاقة له بالمعنى اللغوي العرفي للصاحب إذ يقال لمن رأى شخصا مرة أو كلمه مرة أو مرتين أنه من أصحابه"[1].

ويقول محمد حمزة متحدثا عن الأسئلة التي يطرحها المحدَثون حول المقاييس التي اعتمدها المحدّثون لقبول الحديث: "إنّ تحليل مواقف المفكرين المحدثين من مجمل هذه القضايا يقتضي منا بادئ ذي بدء التطرق إلى إشكالية الصحبة والنظرة التي أسبغوها على الصحابة لأن الحفر في هذه القضية يمثل في نظرنا حجر الزاوية عند البحث في صحة نصوص الحديث النبوي"[2].

ويتساءل في معرض حديثه عن مفاضلة أهل الحديث بين الصحابة: "...لكن ماحدود هذا التفاضل؟ هل يقتصر على مجرد السبق في اعتناق الإسلام وشد أزر النبي أيام الدعوة الأولى ومشاركة النبي غزواته أم يتعدى ذلك إلى التفضل في العدالة والضبط؟ وهل كان الصحابة صنفا خاصا من البشر يتمتعون بالثقة والائتمان اختصهم الله بفضائل لم تتح لغيرهم أهمها شهود الوحي والاطلاع على مانزل منه قبل غيرهم فكانوا تبعا لذلك يثقون ثقة مطلقة في روايات بعضهم دون أن يساورهم شك أو ريبة في أن تخالج بعضهم رغبات ذاتية أو نوازع فردية؟"[3].

وإن مصدر صحة الحديث وتقويمه والوقوف على ضبطه وتقييده، له أصول وشرائط فإن توفرت في الصحابي تعين الأخذ به والرجوع إليه، وحسابهم نفس حساب الذي لم تتوفر فيه شرائط المحدث العادل الضابط الثقة، أما الصحبة فلا علاقة لها بعوالم جعل الحجية لأقوالهم ومذهبهم أصلا[4].

وهذه المكانة التي أخذت تتمتع بها طبقة الصحابة-في نظر أركون- هي التي حذفت المنظور التاريخي والعلمي للسنة النبوية"[5].

وعملية تدوين السنة "هي التي حبذت صعود طبقة رجال الدين وازدياد أهميتهم على المستويين المعرفي والسياسي[6].

---

[1] نحو تفعيل قواعد نقد المتن: إسماعيل الكردي، دار الأوائل، دمشق، الطبعة الثانية، 2008م، ص303.

[2] الحديث النبوي ومنزلته في الفكر الإسلامي: محمد حمزة، ص110.

[3] المرجع نفسه، ص115-116.

[4] المرجع نفسه، ص194.

[5] الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: محمد أركون، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، 2002م، ص47.

[6] المرجع نفسه، ص29.

ثانيا:إنكار عدالة الصحابة:

لقد رفض الحداثيون القول بعدالة الصحابة وأنكروها واعتبروها "سيفا مسلّطا على رقاب الناس يمنعهم من الاجتهاد والتفكير في كل ما من شأنه مخالفة ما ثبت عنهم، وفكرة خيرية عصرهم هو اختراع منهم لإضفاء القداسة على أقوالهم.وتبعا لهذا الأمر كل الأحاديث التي تقرر فضل هؤلاء الصحابة مطعون فيها ولا يمكن قبولها، وكيف يُقبل منهم ذلك ويتصفون بتلك الخيرية وفي مجتمعهم المنافق والكاذب ومحب السلطة والميال للنعرة القومية وفيهم الأعراب؟، كما أنّ أكبر عمليات التزوير وقعت في عصرهم، بالإضافة لمستواهم البدائي الذي لا يؤهلهم لذلك المقام... القول بعدالة الصحابة مبالغ فيه إلى حدّ لا يمكن قبوله" [1].

ودَعَوا- أعني الحداثيين- إلى إسقاط القول بعدالتهم واعتبارهم كغيرهم من البشر وإجراء مقاييس النقد عليهم دون الالتفات لخصوصية صحبتهم، يقول محمد شحرور: " الذي يهمنا هو أن تصرّفات الصحابة تصرّفات اجتهادية بحتة غير مقدسة، وأن الصحابة بشر مثلنا، تصرفوا حسب درجات وعيهم وفهمهم ومصالحهم...مشكلتنا هي أننا عندما نتكلم عن مجتمع الصحابة نتكلم عن مجتمع أحادي الجانب، كما لو كانوا فوق البشر"[2].

وهذا ادعاء منه بلا دليل ، فلم يقُل أحد من أهل السنة أنّ الصحابة فوق البشر وأنّ تصرّفاتهم مقدّسة، بل تحدثوا عن سيرهم بكل ما فيها من تفاصيل تثبت بشريتهم وعدم قداستهم أو عصمتهم، ورَوَوا ما وقع فيه بعضهم من أخطاء جرّتهم إليها نوازعهم البشرية...

ثالثا:تهمة الصحابة بالأخذ عن أهل الكتاب:

وهذا بناء على **نظرية التوفيد** التي يقولون بها، ومفادها إحالة كل العلوم والتصورات الإسلامية من عقيدة وفقه ونحو وعروض بل وحتى الروايات الحديثية إلى الحضارات القديمة –اليونان والرومان والفرس... [3].

---

[1] السنة الرسولية والسنة النبوية: محمد شحرور، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2012م، ص68-70و 86.

[2]الدولة والمجتمع: محمد شحرور، الأهالي للطباعة، دمشق، الطبعة الثالثة، 1996م، ص160.

[3] ينظر: التأويل الحداثي للتراث، التقنيات والاستمدادات: إبراهيم السكران، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1435هـ، 2014م، ص131.

وبناء على ذلك اتُّهم أبوهريرة ﷺبالأخذ عن كعب الأحبار الإسرائيليات التي يرويها، وأنه أدخلها فيما يرويه عن النبي ﷺ فلم تتميّز عند الصحابة،

يقول عبد الجواد ياسين عن أبي هريرة أنه" كان تلميذا لكعب الأحبار، الذي كان بدوره قد دخل في حزب معاوية وانضم إلى حاشيته. وقد أشرنا من قبل إلى خصوصياته الإسرائيلية التي كان يسندها إلى التوراة كيهودي سابق، والتي كانت تمثل في ظل المناخ العقلي السائد، ضربا من الإبهار الديني بما تحتويه من غرائب ونبوءات. وكان أبو هريرة_ بحكم تكوينه الشخصي_ يميل إلى هذا الضرب من الروايات والأخبار، ويكثر من التلقي عن كعب الأحبار، إلى الدرجة التي أصبحت تشكل خطرا على حديث النبي ﷺ" [1].

ويصوّر محمود أبو رية(لايحتسب ضمن الحداثيين لكن أفكاره لاقت رواجا عندهم) أباهريرة ﷺبصورة الرجل الغرّ المغفل أمام دهاء كعب الأحبار فيقول: "...قد رووا عن كعب الأحبار اليهودي الذي أظهر الإسلام خداعا وطوى قلبه على يهوديته، ويبدو أنّ أباهريرة كان أكثر الصحابة انخداعا به وثقة فيه...ومما يدل على أنّ هذا الحبر الداهية قد طوى أباهريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلام هذا الكاهن بالنص، ويجعله حديثا مرفوعا للنبي" [2].

ويخصص مصطفى بوهندي [3] صفحات من كتابه (أكثر أبو هريرة) ليحلّل ويشكك في قضية أخذ أبي هريرة عن كعب الأحبار: "...فهل كان أبو هريرة طالب حديث رسول الله ﷺ، أم طالب علم التوراة من كعب الأحبار؟..والسؤال المطروح هو: ما الذي كان يعمله أبوهريرة بالعلم التوراتي الذي أخذه عن كعب الأحبار، والذي من أجله خرج إلى الطور وقدم إلى الشام، وإلى أي مكان ذهب إلى الطور ليجد كعبا، هل في جبل الطور، في معبد هناك أو خلوة أو مسجد في البراري؟ !.

---

[1] السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين ، ص265.

[2] أضواء على السنة النبوية: محمود أبورية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة،د.ت، ص180.

[3]مصطفى بوهندي: باحث مغربي أستاذ مقارنة الأديان في جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، كاتب ومحاضر في مواضيع عديدة تتعلق بالقرآن وتفسيره وبالحديث، أثار الكثير من الانتقادات بسبب آرائه في مواضيع مختلفة، منها: رأيه في عصمة الأنبياء وأن لاعصمة لهم وأنّ النبي محمدا ﷺ له أخطاء بشرية، وأنّ أباهريرة ليس صحابيا وهو كذاب لا تصح أحاديثه، وأن ابن كثير انتهى زمانه، والإمام مالك فقدت صلاحية كلامه...ويرى أن الفكر الإسلامي يحتاج إلى زلزال يجتاح المسلمات التي لا تقوم على أي سند.ينظر: http ://www.3arabica.org

إن خروج أبي هريرة يثير مجموعة من الإشكالات....إن رحلة أبي هريرة إلى الطور، كانت من أجل عرض أحاديث رسول الله ﷺ على كعب الأحبار ليصدقها بالتوراة، ولقد نجح أبو هريرة في مهمته-رغم خداع كعب- وصدق ما يحمله من أحاديث بما في توراة كعب، ثم قفل راجعا من حيث أتى؟ ! [1].

رابعا:عدالة الصحابة نشأت نتيجة الظروف السياسية:

لقد أرجع الحداثيون فكرة القول بعدالة الصحابة إلى سلطة الساسة والحكام الذين وجدوا في هذا القول حلاّ ملائما ومخرجا مناسبا لكثير من القضايا التي عاشها المسلمون، فكانت الروايات الحديثية التي تصدر من القوم العدول هي الحكم الفصل، واعتبروا الروايات التي لا تتطرق إليها ريبة في تاريخ الإسلام من اختلاق الاتجاهات الإسلامية لدعم مواقفها، وهذا القول من الحداثيين مرده إلى قولهم بـــ: **نظرية التسييس:** ومعناها أنّ تراث المسلمين من الروايات الموثوقة عندهم، نتج من تزلّف العلماء للسلاطين، أو من إملاء وتأييد الحكام للعلماء بما يخدم مصالحهم [2].

يقول عبد الجواد ياسين: " ونعود إلى معاوية الذي استطاع ببراعته السياسية المعهودة أن يكتسب إلى صفه "ماكينة" التنصيص الكبرى في الإسلام، أعني أباهريرة. وأبوهريرة_ في هذا الصدد_ يعني الشيء الكثير. يعني فيضا سائلا من الروايات والأحاديث، التي يمكن تشبيه دورها، مع الفارق الزمني، بكتيبة إعلامية متنوعة، مسموعة ومرئية" [3].

...حتى استحكم الأمر في عصر الدولة الأموية التي شرعت لنفسها وأتباعها دينا منحرفا خارجا على قوانين العدالة والشريعة الحقة ومازالت تلك الجذور مؤثرة في أقوام ومذاهب يتبنون اليوم هذه النظريات الباطلة والتي منها عدالة جميع الصحابة وأن جميعهم في الجنة، وهم بهذا يكونوا قد نقضوا كثيرا من آيات القرآن الكريم والسنة الصحيحة كما أنهم قد عطلوا الكثير من الأحكام والتشريعات إضافة إلى تعطيلهم مدركات العقل القطعية، ولو كان جميع الصحابة محسنهم ومسيئهم عدولا كما يزعمون وأن جميعهم في الجنة فعلى من نزلت الآيات الكثيرة بشأن الفاسقين والمنافقين والظالمين والمجرمين والضالين والمرتدين و...؟ [4].

---

[1] أكثر أبو هريرة: مصطفى بوهندي، مطبوعات النجاح، الدر البيضاء، الطبعة الأولى، أفريل2002م، ص63-67.

[2] ينظر: التأويل الحداثي للتراث: إبراهيم السكران، ص177.

[3] السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين، ص265.

[4] جدلية الصحابة بين النص والعقل والسيرة: أبو الحسن حميد المقدس الغريفي، مكتب أنصار الحجة الإسلامي، الطبعة الأولى، ص137.

خامسا: التشكيك في أمانة الصحابة وأهليتهم في نقل السنة النبوية:

إن تحليل شخصيات الصحابة وأصولهم ومنابتهم ومكانة كل منهم والبيئات الاجتماعية التي نشأوا فيها وعقائدهم السابقة وأماكن تربيتهم من بدو أو حضر وثقافاتهم والنظم والقيم والأنساق الاجتماعية التي قضوا ردحا طويلا من عمرهم فيها قبل أن يلاقوا محمدا ويدخلوا دينه والحرف التي مارسوها والأساطير التي ظلوا شطرا عن اعمارهم يؤمنون بها...إلخ وتأثير ذلك في كيفية روايتهم لأحاديث محمد خاصة، وان جانبا كثيرا من هذه الأحاديث اعتمد على الرواية الشفاهية مع تسليمنا أن بعضا منها كان يكتب حتى في حياة محمد نفسه، ولكن لاشك أن الغالبية العظمى من الأحاديث كان طريق نقلها من الشفاه إلى الآذان...إن تحليل ذلك يحتاج إلى كتيبة كاملة من الباحثين والدارسين في شتى العلوم الإنسانية [1].

يقول أركون مشككا في شهادات الصحابة ورواياتهم: " فنحن نجد أن جيل الصحابة هو وحده الذي رأى وسمع وشهد الظروف الأولى، والكلمات الأولى التي نقلت فيما بعد على هيئة القرآن والحديث والسيرة، إنه لمن الصعب تاريخيا إن لم يكن من المستحيل التأكد على القول بأن كل ناقل قد سمع بالفعل ورأى الشيء الذي نقله، على الرغم من هذه الحقيقة فالنظرية الثيولوجية قد فرضت بالقوة فكرة أن كل الصحابة معصومون في شهادتهم وروايتهم" [2].

سادسا: اتهام الصحابة بالتكالب على الخلافة والمال:

" وإن الإنسان المسلم التقي الذي لم يُضع عقله في الأوهام، ولم يذهب ليله في الأحلام ليأسف أشد الأسف، ويحزن أبلغ الحزن أن ينحدر المسلمون الأوائل، مثله العليا، ونجومه الساطعة، وشخوصه النموذجية إلى هذا المنقلب المادي، والسعار العرضي الذي صبغ تاريخ الإسلام بلونه الأسود، ولطّخه بشكله الشائه، وغيّر من روح الإسلام، وبدّل من صميم الشريعة، وجعل من هذه وتلك أعراضا سلطوية[3].

---

[1] شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، جزء محمد الصحابة: خليل عبد الكريم، دار سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1998م، ص17-18.

[2] الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون: مصطفى كيحل، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م، ص262-263.

[3] الخلافة الإسلامية: محمد سعيد العشماوي، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1992م، ص117.

ويقول خليل عبد الكريم[1]: " إن الحرص على الأموال ونهبها كان همّا مقيما، وهدفا رئيسا لدى الصحابة"[2].

ويذهب بعيدا في تفسير ثناء القرآن على الصحابة بما ينقص من قدرهم فيقول: "حتى في نطاق حديثه عن الصحابة أتى القرآن بالصورة النموذجية التي كان يتعين عليهم أن يتصوّروا بها، والهيئة المثالية التي كان يتوجب عليهم ان يتلبسوا بها لا ما حدث على أرض الواقع؛ لأن الأخير لا يتطابق مع المثال الرفيع الوارد بالقرآن، فهو إذ يقول عنهم ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: 29] فنحن نفسرها على أنها الشكل الأرفع الذي كان يتحتم عليهم أن يتمثلوه ويتشبهوا به لا ما حدث فعلا بينهم؛ لأن ما وقع بينهم هو التخاصم والتحارب والتقاتل والتدابر..." [3].

سابعا: موقف بعض الحداثيين من عائشة رضي الله عنها:

وقف عبد الرزاق عيد[4] من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها موقف المبجل –وهو موقف مغاير بالنسبة لموقف الحداثيين من بقية الصحابة –حيث أفرد لها فصلا في كتابه:" سدنة هياكل الوهم"، واعتبرها نموذجا فعلا ومؤثرا في التاريخ العربي والإسلامي حتى اليوم،

---

[1] خليل عبد الكريم: كاتب مصري ليبرالي، من مواليد سنة1930م بأسوان جنوب مصر، درس القانون في جامعة فؤاد الأول" جامعة القاهرة حاليا" وتخرّج منها سنة 1951م، عمل محاميا وقضى أغلب حياته بالقاهرة، قام بالدفاع عن زميله نصر حامد أبو زيد عندما اتهم بالكفر واضطرّ أن يدافع عن كتبه وأفكاره أمام المحكمة، من مؤلفاته: " مفاهيم خاطئة ألصقوها بالإسلام" و" الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية" و" مجتمع يثرب" و" شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة" و" النص المؤسس ومجتمعه" وهو آخر كتبه، وقد ردّ عليه كثير من الكتاب المعاصرين، مثل الأستاذ إبراهيم عوض ومصطفى باحو وغيرهما، وله حلقات في قنوات أجنبية صرّح فيها بإلحاده وأنه كان يحاول موازنة كلماته حتى يحافظ على حياته، توفي سنة2002م بالقاهرة.
ينظر: http ://www.ar.m.wikipedia.org

[2] مجتمع يثرب: خليل عبد الكريم، دار سينا، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م، ص81.

[3] شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة: خليل عبد الكريم، 338/3.

[4] عبد الرزاق عيد:كاتب ومفكر وسياسي سوري، ولد في مدينة أريحا في محافظة إدلب سنة 1950م، والده عبد الرحمن عيد رئيس رابطة رجال الثورة في حلب وإدلب وسليل عائلة شيوخ أزهريين، يدعو إلى تحرير العقول وعدم اتباع تفكير الغير، له شبهات عديدة حول السنة وافق فيها الحداثيين، من مؤلفاته: طه حسين العقل والدين، والديموقراطية بين العلمانية والإسلام، ويسألونك عن المجتمع المدني، وسدنة هياكل الوهم، نقد العقل الفهي يوسف القرضاوي بين التسامح والإرهاب، وغيرها، ينظر: سدنة هياكل الوهم، نقد العقل الفقهي (البوطي نموذجا): عبد الرزاق عيد، دار النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م، ص180-181.

وقد: "كان يقودها عقلها الطليق الحرّ لتدخل في حيزات المقدس، ولتطرح الأسئلة التي تشير إلى نفس قلقة متسائلة متعطشة إلى المعرفة؛ حتى لو أدت إلى الولوج في برزخ علاقة التقاطع بين الأرضي والسماوي، بين الوحي والتاريخ، وعلى هذا فقد كانت قراءات السيدة عائشة وروايتها تستند إلى مرجعية العقل...هذه المرأة العظيمة إشكالية بحق وهي تستحق أن تفرد بكتاب يتقصى قراءاتها وتأويلاتها ومواقفها وأسئلة عقلها الطليق الذي كثيرا ما أدى إلى نتائج خطيرة"[1].

كما أنه اعتبرها نموذجا "لتصحيح النقل بالعقل"[2].

وخلاصة رأيه فيها أنها امرأة مثالية تمثل العقل التنويري الذي يواجه النقل بالعقل.

وعلى العكس من ذلك اتهم أباهريرة بالزيادة في الحديث حسب هواه، وأنه لم يكن أمينا في على أموال البحرين حين أرسله عمر بن الخطاب إليها فكيف يوثق برواياته[3]؟ وشكك في روايات ابن عباس انطلاقا من الاختلاف في تحديد سنة ميلاده[4].

ونُسب إلى عائشة رضي الله عنها تكذيب الرواة من الصحابة مع قدرة على معارضتهم؛ تقول الباحثة فاطمة قشوري[5]: "...إن هذا الاستدراك في حدّ ذاته يكشف عن مدى مصداقية عائشة وقدرتها على التصريح بمعارضتها لرجال عدّوا من الثقات المقربين لمحمد.بل إنّ رجلا مثل أبي هريرة وهو يُعدّ العماد الذي تستقيم به وعليه المدونة الحديثية السنية في مجملها، لا تتوانى عائشة عن تكذيبه بالقول والفعل.وهذا في رأينا أعمق من مجرد اختلاف بل هو يفضح ما تسعى المنظومة إلى درءه، يفضح ما كان يعتري مجتمع "الصحابة" من اختلافات جذرية وانقسامات وتبادل للتكذيب.هذا مخالف لما توارثناه من عدالة مطلقة لمكوّني هذا المجتمع على حد سواء.

---

[1] سدنة هياكل الوهم، ص128-129.

[2] المرجع نفسه، ص128.

[3] سدنة هياكل الوهم، ص63

[4] المرجع نفسه، ص66.

[5] فاطمة قشوري: باحثة تونسية حاصلة على الماجستير في اللغة والآداب العربية، عملت سابقا بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية ابن شرف تونس، شاركت في عدة ندوات علمية في تونس، صدر لها عن مؤسسة مؤمنون بلاحدود " عائشة في كتب الحديث والطبقات". ينظر: http ://www.mominoun.com

أما النموذج الثاني لهشاشة مفهومي العدالة المطلقة للصحابة ولمفهوم الصحبة عينه فهو ابن عباس والذي، وإن عُدّ من المكثرين الأخذ عن محمد، فإن عائشة استهدفته بالتكذيب والاستدراك على مروياته.وهذا دليل واضح على ثبات مكانتها لدى العامة والخاصة من المسلمين، حتى أنها كانت قبلة السائلين من كبار الصحابة على قول مسروق[1].

وحسب رأيي هذا الموقف من الحداثيين تجاه عائشة رضي الله عنها إنما هو محاولة لضرب السنة من داخلها، وما هو إلاّ تغيير لأداة الطعن، فهم يعلمون منزلة عائشة عند أهل السنة ومكانتها العلمية، وكأنهم يريدون أن يقولوا هذه عائشة التي تحتجون بعلمها تعارض وتنتقد و...مما يعني أنّ لنا سلفا صالحا-هو حجة عندكم- فيما نذهب إليه من انتقاد الصحابة.

كما أنه محاولة للتعمية والظهور بمظهر المنصف الموضوعي الذي يقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت، ولا أدلّ على هذا من قلة أدبهم وجرأتهم مع الصحابة ﷺ.

ثامنا:شبهة شيوع الفواحش والمعاصي في مجتمع الصحابة ﷺ:

صوّرت بعض الدراسات الحداثية مجتمع الصحابة في أبشع الصور، مجتمع تكثر فيه الفواحش من الزنا وشرب الخمر والخيانة والجري وراء شهوات النفوس بلا ضوابط ولا التفات لحدود الشرع، ولعلّ أكثر من دندن حول هذه الشبهة خليل عبد الكريم في كتابه شدو الربابة؛ والذي يُخيل إلى قارئه أنّ مجتمع الصحابة مجتمع بدائي متخلف غير متحضر، ذكوري يضطهد المرأة ويغتصبها، مجتمع ليس فيه إلا الحرص على العلاقات الجنسية المحرّمة واتباع هوى النفوس، رغم نزول الوحي بين ظهرانيهم يحرّم الزنا ويسدّ الذرائع المفضية إليه، ويضع العلاقة بين الرجل والمرأة في إطارها الشرعي، ورغم محاولة النبي ﷺ تأديبهم وتوجيههم لما فيه صلاح لهم.

وأنا أذكر شيئا من كلامه[2]:

---

[1] عائشة في كتب الحديث والطبقات: فاطمة قشوري، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014م، ص134.

[2] ينظر: شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، الصحابة والصحابة: خليل عبد الكريم، 1997م، ص357، و369-370، و398- 399، وص405.

"وعلى التنافس بين الصحبة على الزوجة الحسناء يتعاقبون عليها...كان التنافس بين الأصحاب على الزوجات الحسناوات على وجه الخصوص ظاهرة تلفت النظر حتى بين العشرة المبشرين والأعيان منهم...وفي ذلك المجتمع لم يكن منكرا أن يتنافس ابن وأبوه أو أب وابنه على خطبة امرأة..."

"لم تكن نساء ذلك المجتمع يعرفن الملابس الداخلية التي ترتديها نساء هذا الزمان على الإطلاق أما السراويل فاللاتي كنّ يرتدينها قلة ربما النخبة وسبق أن قلنا إن سهولة حوادث الاغتصاب مرجعها إلى ذلك.

ويقول: "لاوجه للمقارنة بين حُلي النسوان في مجتمع الصحابة في أثرب وبين ما كانت تتزين به المرأة في مصر القديمة للفارق الشاسع في المستوى الحضاري ومع ذلك استطاع أصحاب هذا المجتمع الساذج العبيط بسنابك أحصنتهم المهيبة أن يدوسوا أرض الكنانة ذات أعرق حضارة عرفها التاريخ.."

وغيرها من الأمثلة الجريئة التي يستحي المرء من قراءتها فضلا عن ذكرها.

ومن أبرز ما استُدل به على هذه الشبهة جملة من الروايات الحديثية، منها:

-وقائع الزنا مثل قصة ماعز والغامدية رضي الله عنهما[1]، وأحاديث اللعان[2].

-حديث أم سليم في المرأة إذا رأت الماء ماذا عليها [3].

-حديث امرأة رفاعة القرظي وقولها: " إن معه مثل هدبة الثوب.." [4].

---

[1] رواه البخاري في كتاب الحدود، باب هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست أو غمزت، ح6824، 167/8، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وروى الحديث في مواضع أخرى دون التصريح باسم ماعز وهي: 6820، و6815.
ورواه مسلم في كتاب الحدود، ح1695، رقم 22 ورقم23، 1321/3.من حديث بريدة بن الحصيب ﷺ.

[2] حديث عويمر العجلاني رواه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ح2695، 184/3.وح2724، مكرر6633، ومسلم في كتاب الحدود، رقم25، ح1697،، 1324/3.
وحديث هلال بن أمية الواقفي: رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب إذا ادعى أو قذف فله أن يلتمس البينة وينطلق لطلب البينة، ح2671، 178/3، ومسلم في كتاب اللعان، رقم11، ح1496، 1134/2.

[3] رواه البخاري في كتاب الغسل، باب إذا احتلمت المرأة، ح282، 64/1، ومسلم في كتاب الحيض، رقم32، ح313، 251/1.

[4] رواه البخاري في كتاب الشهادة، باب شهادة المختبئ، ح2639، 168/3، مكرر 5260، 5261، 5265، ومسلم في كتاب النكاح، رقم111، ح1433، 1055/2.

والجواب عن الشبهة من وجوه:

أولا: قبل الخوض في تفاصيل الحديث أجدني كلما قرأت شبهة من شبهات الطاعنين في الصحابة أطرح السؤال ذاته وهو: كيف لهؤلاء القوم أن يكذبوا رواة السنة ويطعنوا في نزاهتهم وأمانتهم، ويردوا الأحاديث الصحيحة التي جاءت في مناقبهم، ويدعوا لإسقاط دواوين السنة، ثم يقبلون أحاديث تخدم أحكامهم المجحفة رغم ورودها في الدواوين ذاتها وعن طريق الرواة أعينهم؟ هذا إنما يدلّ على عدم التزامهم بالأمانة العلمية، والموضوعية في البحث، إنما هو الانتقاء على أساس الأفكار المسبقة وهوى النفس.

أما عن شبهة شيوع الفاحشة في مجتمع الصحابة فأقول:

ثانيا: مما لا شكّ فيه أن الشريعة- قرآنا وسنة – جاءت لتهذيب الأخلاق وضبط العلاقات وتنظيم حياة الناس وارتباطاتهم ببعضهم، وتنقية المجتمع من كل ما يشوبه من تصرفات تؤدي لاختلال الوضع الأخلاقي فيه وتردي الحالة الاجتماعية لأفراده، ونبذ كل ما كان على خلاف سموّ الأخلاق وانضباط العلاقات مما كان في الجاهلية، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " أَنَّ النِّكَاحَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ اليَوْمَ: يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ: كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلاَنٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ. وَنِكَاحٌ آخَرُ: يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ العَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ: يَجْتَمِعُ النَّاسُ الكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، لاَ تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ البَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ القَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنَهُ، لاَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ «فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ

الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَوْمَ»[1]

وقد حفلت نصوص الكتاب والسنة بما يؤيد ماذكرته، فجاء الحث على الستر، وفرض الحجاب، وحرّمت الخلوة بالأجنبية، وحرّم سفر المرأة بلا محرم، وحرّم خروج المرأة متطيبة، ونظّمت أحكام الخطبة والنظر للمخطوبة، وحرّم خضوع المرأة بالقول، واعتُبر الوليّ في النكاح وبُينت الأنكحة الفاسدة، وشُرع حدّ الزنا وحدّ القذف وحّ شارب الخمرو، وبينت أحكام اللعان وغيرها من الاحكام الشرعية المنظمة للمجتمع والضابطة لهوى النفوس.

ثالثا: هؤلاء الصحابة الذين تشنّعون عليهم وقوعهم في أخطاء كهذه أليسوا هم الصحابة الذين تنادون دائما ببشريتهم وتؤكدون على عدم بلوغهم رتبة الملائكة ؟ أليسوا هم الصحابة الذين قلتم حالهم كحال غيرهم من البشر وهم ليسوا معصومين؟ ثم إنّ هذه الحوادث التي فرحتم بها هي وقائع فردية في مجتمع كبير فكيف لكم تعميمها على جيل كامل؟

رابعا: إنّ حكم أهل السنة بعدالة الصحابة المقصود منه كما تقدم أمانتهم في نقل الوحي واستحالة صدور الكذب منهم في التبليغ ونزاهتم الدينية، وليس المقصود منه عصمتهم وبلوغهم رتبة الأنبياء أو الملائكة، والملاحظ لرواياتهم يرى أمانتهم في نقل حتى ما يعبّر عن نقصانهم البشري في جميع جوانب الحياة.ويعاد السؤال الأول: أيُقبل منهم ما يحطّ من قيمتهم ويرفض ما يبين المستوى العالي من الالتزام والعفاف الذي بلغوه بتطبيق أحكام الشرع؟

أما عن سؤال الصحابيات عن أمور الدين مما يتعلق بالأمور الشخصية، وتشنيع القوم عليهن فجوابه:

أنهن يسألن عن أمور دينهن وما يصلح حالهن به وهذا لا إشكال فيه، بل الإشكال في كتمانه والجهل به، ثم ألستم من دعاة تعليم المرأة وتحريرها ومساواتها بالرجل ؟تبيحون للمرأة الاختلاط بالرجال في أخص الواقع وتدافعون عن حقها في التعلم؟

ثم إنّ هذه الوقائع الفردية لا يمكن تعميمها على كافة الصحابيات.

---

[1] رواه البخاري في كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي، ح5127، 15/7.

تاسعا: شبهة تهمة الصحابة ﷺ بالكذب

إنّ اتهام الصحابة ﷺ بالكذب في حديث النبي ﷺ مما ردّده خصوم الصحابة المعاصرون على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم [1]، والجواب عنها من وجوه:

جيل الصحابة خير الناس بعد نبيهم ﷺ، وعن طريقهم أخذت الأمة دينها قرآنا وسنة، شهد الله بفضلهم في آيات كثيرة، وشهد النبي ﷺبما يؤكد أهليتهم لتبليغ الدين للناس جميعا، قال عنهم ابن مسعود ﷺ: " أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم"[2].

ولكن هذا الجيل لم يسلم من من الشبهات والطعون والافتراء، ومما اتهموا به الكذب في الرواية وبيع الدين، ولا تخفى خطورة اتهام الصحابة بالكذب وعدم الأمانة في النقل وما ينجر عليه من عواقب وخيمة، ولا شك أن الطعن فيهم لا يقف عند ذواتهم، فالصحابة ﷺ هم نقلة الوحي، وهم الحلقة الأولى في السلسلة الإسنادية، وفضلهم على الأمة ظاهر والطعن فيهم وإسقاطهم يؤدي لسقوط المدونة الحديثية كاملة، ورفض جميع مرويات هؤلاء الصحابة المتهمين، فالمقرر عند علماء الجرح والتعديل أن من تعمد الكذب سقطت عدالته، وطُعن في دينه، ورُدت مروياته، وبهذا يسقط جانب كبير من السنة التي نقلوها من أقوال النبي ﷺ وأفعاله، فالمتّهَمون ليسوا بقلة ومنهم المكثرون الذين رَوَوا الآلاف، بل إن سقوط بيان القرآن نتيجته هدم الدين كلية...

وقد تفطّن لهذه المكيدة علماء الأمة منذ القديم؛ وقد تقدم نقل أقوالهم في الفصل الأول،

ثم إنّ الكذب في الرواية هو كذب عن الله عز وجل، لأن النبي ﷺ مبلّغ عن ربه، والصحابة هم الحلقة التي تربط عصر النبوة بمن بعده، ومما ينفي عنهم التهمة بالكذب عدة أدلة:

---

[1] ممن ذكر هذه الشبهة من المستشرقين: جولد زيهر في كتابه" العقيدة والشريعة" ص41، وكذلك فنسنك كما نقل عنه الدكتور الأعظمي في " منهج النقد عند المحدثين" ص132-133، ومن العقلانيين: أحمد أمين في "فجر الإسلام"، ص211، ومن الحداثيين: عبد الجواد ياسين في " السلطة في الإسلام" ص 265، وجما البنا في " السنة ودورها في الفقه الجديد"، ص139، ونيازي عز الدين في" دين السلطان"، ص258-325.

[2] رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، رقم1810، 947/2،، والهروي في ذم الكلام 38/4، وأبو نعيم في الحلية، 379/1 عن ابن عمر رضي الله عنهما.

-ما تقرّر لدى الصحابة جميعا من خطورة الكذب على النبي ﷺ، وهم رواة حديث " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[1]، حتى بلغ مبلغ التواتر.

وهم الذين نُقل عنهم تقبيح الكذب والتشنيع في أمره عامة، فمابالك بالكذب على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أقوالهم في هذا:

قول أبي بكر رضي الله عنه: "الكذب مجانب للإيمان"[2].

وقول عمر رضي الله عنه: " لأن يضعني الصدق وقلما يفعل، أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل"[3].

وقال علي رضي الله عنه: " فوالله لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه"[4].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: " أعظم الخطايا الكذب"[5].

وقد اتخذ الصحابة إجراءات صارمة في نقلهم للسنة النبوية حتى لا يعتريها زيادة ولا نقصان، من ذلك:

أولا: التثبت عند سماع الحديث، وتحريهم صحة نسبته إلى النبي ﷺ، وكل ذلك امتثالا لما جاء به القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: 6]

يقول الإمام الذهبي: " كان أبو بكر رضي الله عنهأوّل من احتاط في قبول الأخبار، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر رضي الله عنهتلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئا، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئا، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: سمعت رسول الله ﷺ

---

[1] رواه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي، ح107، 33/1، مكرر108، 109، 110، 1291، ومسلم في المقدمة، رقم2، 10/1.

[2] رواه أحمد في مسنده، رقم16، 198/1.

[3] ذكره الماوردي في أدب الدين والدنيا، ص273.

[4] رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ح6930، 16/9.

[5] رواه أبو نعيم في الحلية، 138/1.

يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر ﷺ"[1].

وهذا المنهج الذي نهجه أبوبكر هو الذي سار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: " كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى الأشعري كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثا، فلم يؤذن لي فرجعت. وقال رسول الله ﷺ: " إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع. فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لايقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك "[2]. " فقال عمر لأبي موسى: أما إني لم أتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ"[3].

قال الإمام الذهبي: " أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبي موسى بقول صاحب آخر، إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم، ولا يكاد يجوز ذلك على ثقتين لم يخالفهما أحد"[4].

وعن المسور بن مخرمة ﷺ قال: استشار عمر الناس في إملاص المرأة-يعني الإسقاط- فقال المغيرة بن شعبة: شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمة.قال: فقال عمر: إئتني من يشهد معك. قال: فشهد له محمد بن مسلمة"[5].

وعن مالك بن أوس قال: سمعت عمر ﷺ يقول لعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد: " نشدتكم بالله الذي تقوم السماء والأرض به أعلمتم أنّ رسول الله ﷺ قال: إنا لا نوررث ما تركنا صدقة؟ قالوا: اللهم نعم" [6].

وعلى نهج الشيخين في الاحتياط والتثبت في الرواية سار الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ؛ فقد روى بسر بن سعيد أن عثمان ﷺ أتى المقاعد فدعا بوضوء، فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه

---

(1) تذكرة الحفاظ للذهبي، 2/1، والحديث في الموطأ في كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة، رقم1076، 513/2.

(2) رواه البخاري في الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثا، ومسلم في الآداب، باب الاستئذان، 1694/3.

(3) رواه مالك في الموطأ في كتاب الجامع، باب الاستئذان، رقم1731، 964/2.

(4) تذكرة الحفاظ، 6/1.

(5) رواه مسلم، كتاب القسامة، باب دية الجنين، رقم39، ح1683، 1311/3.

(6) رواه أحمد، 186/1-187-228، وإسناده صحيح.

ثلاثا، ويديه ثلاثا ثلاثا، ثم مسح برأسه، ورجليه ثلاثا ثلاثا، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ هكذا يتوضأ، ياهؤلاء أهكذا؟ قالوا: نعم، لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ عنده [1].

وأما علي ﷺ فقد كان كما قال الذهبي عنه: " إماما عالما متحريا في الأخذ، بحيث أنه يستحلف من يحدثه بالحديث، فقد روى عثمان بن المغيرة الثقفي عن علي بن ربيعة عن أسماء بن الحكم الفزاري أنه سمع عليا يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديث نفعني الله بما شاء أن ينفعني به، وكان إذا حدثني عنه غيره استحلفته، فإذا حلف صدقته"[2].

وهذا النهج الذي سلكه الخلفاء الراشدون سار عليه غيرهم من الصحابة ﷺ؛ فعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: " يَا ابْنَ أُخْتِي بَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، مَارٌّ بِنَا إِلَى الْحَجِّ، فَالْقَهُ فَسَائِلْهُ، فَإِنَّهُ قَدْ حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِلْمًا كَثِيرًا، قَالَ: فَلَقِيتُهُ فَسَاءَلْتُهُ عَنْ أَشْيَاءَ يَذْكُرُهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ عُرْوَةُ: فَكَانَ فِيمَا ذَكَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ، وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُءُوسًا جُهَّالًا، يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ» قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا حَدَّثْتُ عَائِشَةَ بِذَلِكَ، أَعْظَمَتْ ذَلِكَ وَأَنْكَرَتْهُ، قَالَتْ: أَحَدَّثَكَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ هَذَا؟ قَالَ عُرْوَةُ: حَتَّى إِذَا كَانَ قَابِلٌ قَالَتْ لَهُ: إِنَّ ابْنَ عَمْرٍو قَدْ قَدِمَ، فَالْقَهُ، ثُمَّ فَاتِحْهُ حَتَّى تَسْأَلَهُ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرَهُ لَكَ فِي الْعِلْمِ، قَالَ: فَلَقِيتُهُ فَسَاءَلْتُهُ، فَذَكَرَهُ لِي نَحْوَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ، فِي مَرَّتِهِ الْأُولَى، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا أَخْبَرْتُهَا بِذَلِكَ، قَالَتْ: مَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ، أَرَاهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ شَيْئًا وَلَمْ يَنْقُصْ"[3].

وعن ابن عمر أنه حدث أن أباهريرة ﷺ يقول: من يتبع جنازة فله قيراط، فقال: أكثر أبوهريرة علينا، فبعث إلى عائشة فسألها، فصدقت أباهريرة وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقوله، فقال ابن عمر: لقد فرطنا في قراريط كثيرة [4].

وقد ورد التزام هذا المنهج عن عدد من الصحابة منهم ابن عباس [5]، وعمران بن حصين [6]، وغيرهما ﷺ جميعا.

---

[1] رواه أحمد، 372/1، وإسناده حسن.

[2] تذكرة الحفاظ، 10/1.

[3] رواه مسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، رقم2673، 2059/4.

[4] رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، رقم55، ح945، 652/2.

[5] ينظر: صحيح مسلم، " المقدمة"، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، 12/1-13.

[6] ينظر: سنن الترمذي، أبواب الصلاة، 31/2.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الصحابة بسلوكهم هذا المنهج في التثبت في الرواية لم يكن هذا شكّا منهم في إخوانهم من الصحابة، ولا اتهاما لهم بالكذب، ولا تعريضا بأمانتهم في التبليغ، ولكنه كمال الاحتياط والحرص على سلامة السنة النبوية وصفائها من الدخيل، وقد قال أنس ﷺ: " ولكنا لايتهم بعضنا بعضا" [1] ولما حدث بحديث عن رسول الله ﷺ وسأله رجل: أسمعت هذا من رسول الله؟ قال: نعم أو حدثني من لم يكذب، والله ما كنا نكذب، ولا كنا ندري ما الكذب[2].

وتقول عائشة رضي الله عنها عندما سمعت عمر وابنه عبد الله يرويان حديث: " إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه: والله ما هما بكاذبين ولا مكذبين ولا مستزيدين، ولكن السمع يخطئ[3].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة لاندري لعلها حفظت أو نسيت[4]. ولم يقل صدقت أو كذبت.

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: " ليس كلنا سمع حديث رسول الله ﷺ، كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن الناس كانوا لا يكذبون يومئذ، فيحدث الشاهد الغائب"[5].

ومنه حديث عبد الله بن رافع: " أَنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ، وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَفَ نَاسًا، إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ، «يَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يَجُوزُ هَذَا، مِنْهُمْ، - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ - مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَسْوَدُ، إِحْدَى يَدَيْهِ طُبْيُ شَاةٍ أَوْ حَلَمَةُ ثَدْيٍ» فَلَمَّا قَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: انْظُرُوا، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، فَقَالَ: ارْجِعُوا فَوَاللهِ، مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَجَدُوهُ فِي خَرِبَةٍ، فَأَتَوْا بِهِ حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ..." [6].

---

[1] طبقات ابن سعد، 12/7.

[2] مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: السيوطي، ص22.

[3] رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله، رقم22، ح929، 641/2.

[4] رواه مسلم في كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها، رقم46، ح1480، 1118/2.

[5] رواه الحاكم في المستدرك، ح438، 216/1، وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرطهما.

[6] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم157، ح1066، 749/2.

ومنه أيضا حديث عَمْرٌو بن عبسة: " يا أَبَا أُمَامَةَ، لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِ اللهِ..." [1].

وإن اعترض عن ما سبق بورود نصوص فيها تكذيب النبي ﷺ لبعض الصحابة، أو تكذيب بعضهم بعضا فالجواب عنه أنه لم يثبت في حديث واحد منها أن لفظ التكذيب منصرف إلى حقيقته التي يقصد بها التقول على النبي ﷺ بحديث لم يقله، بل معناه التخطئة، والعرب تستعمل الكذب بمعنى الخطإ، كقول الأخطل:

كذبت عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا[2].

وأذكر من النصوص التي قد تكون سببا لذكر اعتراض المعترض:

1-حديث سلمة بن الأكوع ﷺ، وفيه قصة في آخرها ما وقع في بداية غزوة خيبر: " قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ، قَتَلَ نَفْسَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: «كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»..."[3]

وفسر ابن حجر الكذب في هذه الرواية بأنه الخطأ في لغة أهل الحجاز[4]

2-وفي فتح مكة قال سعد بن عبادة لأبي سفيان: " يَا أَبَا سُفْيَانَ، اليَوْمَ يَوْمُ المَلْحَمَةِ، اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ، وَهِيَ أَقَلُّ الكَتَائِبِ، فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ قَالَ: «مَا قَالَ؟» قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: «كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الكَعْبَةُ»..." [5]، وفي هذا الحديث لا يمكن لقائل أن يقول: معنى

---

[1] رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم294، ح832، 569/1.

[2] ينظر: لسان العرب لابن منظور، 704/2-709، مادة كذب، وينظر لتوثيق قول الأخطل: شعر الأخطل للسكري، 105/1.

[3] رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، رقم 132، ح1807، 1433/3.

[4] فتح الباري، 467/7.

[5] رواه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، ح4280، 146/5.

الكذب هنا هو التقول على النبي ﷺ، قال ابن حجر رحمه الله: " قوله: "فقال: كذب سعد"، فيه إطلاق الكذب على الإخبار بغير ماسيقع، ولو كان قائله بناه على غلبة ظنه وقوة القرينة"[1].

وقال العيني: "...كذب سعد أي قال النبي ﷺ: كذب؛ أي أخطأ "[2]

وقال الزرهوني: " أي أخبر بغير ما سيقع" [3]

ومن ذلك قول النبي ﷺ في حديث سبيعة الأسلمية: "كذب أبو السنابل"[4]

قال الماوردي: " وقوله: "كذب أبوالسنابل " يعني أخطأ" [5].

قال ابن القيم: " الكذب يراد به أمران، أحدهما: الخبر غير المطابق لمخبره، وهو نوعان: كذب عمد، وكذب خطأ، فكذب العمد معروف، وكذب الخطأ ككذب أبي السنابل بن بعكك في فتواه للمتوفى عنها إذا وضعت حملها أنها لا تحل حتى تتم أربعة أشهر وعشرا، فقال النبي ﷺ: " كذب أبو السنابل"، ومنه قوله: " كذب من قالها " لمن قال: حبط عمل عامر حيث قتل نفسه خطأ [6]، ومنه قول عبادة بن الصامت: كذب أبو محمد، حيث قال : الوتر واجب، فهذا كله من كذب الخطأ، ومعناه: أخطأ قائل هذا" [7].

وفي موضع آخر ذكر هذين البيتين:

أفي الحق أما بجدل وابن بجدل ... فيحيا وأما ابن الزبير فيقتل

كذبتم وبيت الله لا تقتلونه ... ولما يكن أمر أغر محجل

ثم قال: " ألا ترى أن هذا ليس من باب الكذب الذي هو ضد الصدق، وإنما هو من باب الغلط

---

[1] فتح الباري، 9/8.

[2] عمدة القاري، 280/17.

[3] فتح الباري، 9/8.

[4] رواه البيهقي في السنن الكبرى، 429/7، والبغوي في شرح السنة، ح2388، 304/9.

[5] الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني:علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، ت: علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ -1999 م، 236/11.

[6] رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر، 463/7-464، ومسلم في الجهاد، باب: غزوة خيبر، وهو بلفظ كذب من قاله، 168/12.

[7] مدارج السالكين، 367/1.

وظن ماليس بصحيح...وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: "كذب أبو السنابل؛ لما أفتى أن الحامل المتوفى عنها زوجها لا تتزوج حتى تتم لها أربعة أشهر وعشرا، ولو وضعت، وهذا كثير" [1].

3-ومنها قول عمر بن الخطاب ﷺعند احتضاره لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ العُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ، - وَكَانَ العَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا - فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيْ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟ قَالَ: كَذَبْتَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ"[2]

فابن عباس رضي الله عنهما هنا لم يحدث عن النبي ﷺ ولا عن غيره، قال ابن حجر: " قوله: "كذبت" هو على ما ألف من شدة عمر في الدين، لأنه فهم من ابن عباس من قوله: " إن شئت فعلنا" أي قتلناهم فأجابه بذلك، وأهل الحجاز يقولون: "كذبت" في موضع أخطأت، وإنما قال له: " بعد أن صلوا" لعلمه أن المسلم لا يحل قتله، ولعل ابن عباس إنما أراد قتل من لم يسلم منهم"[3]

4-ومن ذلك أيضا حديث: " زعم أبو محمد أن الوتر واجب، فقال عبادة بن الصامت: كذب أبو محمد؛ أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه" [4]

قال ابن الأثير: " وَمِنْهُ حَدِيثُ صَلَاةِ الوِتر «كَذِبَ أَبُو مُحَمَّد» أَيْ أَخْطَأَ. سَمَّاه كَذِبا، لِأَنَّهُ يُشْبِهُه فِي كَوْنِهِ ضِدّ الصَّواب، كَمَا أَنَّ الكَذِب ضِد الصِّدق وَإِن افْتَرقا مِنْ حَيْثُ النِّيَّة والقَصْد؛ لِأَنَّ الكاذِب يَعْلم أَنَّ مَا يَقُولُهُ كَذِب، والمخْطِىء لاَ يَعلَم. وَهَذَا الرجُل لَيْسَ بِمُخْبِر، وَإِنَّمَا قَالَهُ باجتهادٍ أَدَّاهُ إِلَى أَنَّ الوِتْر واجِب، والاجْتِهاد لَا يَدْخُله الْكَذِبَ وَإِنَّمَا يَدْخله الخَطأ.

وَأَبُو مُحَمَّدٍ صَحابي. وَاسْمُهُ مَسْعود بْنُ زَيْد.

---

[1] مفتاح دار السعادة، 3/535-336.

[2] رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: قصة البيعة والتفاق على عثمان بن عفان ﷺ وفيه مقتل عمر بن الخطاب ﷺ، ح3700، 5/15.

[3] فتح الباري، 10/498.

[4] رواه أحمد في مسنده،، ح22704، وإسناده صحيح، 37/377.

وَقَدِ اسْتَعملت العرَب الكَذب فِي مَوْضع الْخَطَأ، قَالَ ذُو الرُّمَّة:

وقد توجس ركزا مقفر ندس بنبأة الصوت مَا فِي سَمْعِه كَذِب[1].

5-وَمِنْهُ حَدِيثُ عُرْوة "قِيلَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُول: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبِثَ بِمَكَّةَ بضْعَ عَشْرة سَنَة. فَقَالَ: كَذَبَ" أَيْ أخْطَأ.

وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ لِسَمُرَةَ حِينَ قَالَ: "المغْمَي عَلَيْهِ يُصَلّي مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ صَلاَةً حتى يَقْضِيَها، فقال: كَذَبْت، ولكنَّه يُصَلّيهِنّ مَعَاً" أَيْ أخْطَأت[2].

6-ومنه أيضا قول ابن عباس لما قال نوف البكالي[3] بأن موسى الذي ذهب يلتمس العلم ليس موسى بني إسرائيل: " كذب نوف"، ثم روى حديثا عن أبي بن كعب يثبت أنه نبي الله موسى عليه السلام[4].

قال النووي: " وهو جار على مذهب أصحابنا أن الكذب هو الإخبار عن الشيء خلاف ماهو عمد كان أو سهوا" [5].

7-ومن ذلك أيضا ما ورد في قصة عمر بن الخطاب ﷺمع هشام بن حكيم بن حزام ﷺ، وفيه: " سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلاَةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

---

(1) ديوان ذي الرمة: شرحه:أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م، ص17.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر:، المبارك بن محمد بن محمد بن الجزري ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت،د.ط، 1399هـ - 1979م، 159/4.

(3) نوف البكالي: ابن امرأة كعب، شامي مستور، وإنما كذّب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب، وهو من الطبقة الثانية، مات بعد التسعين، ينظر: تقريب التهذيب، رقم 7213، ص567.

(4) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله: " فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا"، ح4726، 89/6، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر ﷺ، رقم171، ح2380، 1850/4.

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر، 159/4.

فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ» فَقَرَأَ عَلَيْهِ القِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ يَا عُمَرُ» فَقَرَأْتُ القِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ"[1].

قال ابن حجر مبينا المراد بلفظ التكذيب: " قوله: "كذبت" فيه إطلاق ذلك على غلبة الظن أو المراد بقوله كذبت أي أخطأت لان أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ"[2].

8-ومن ذلك أيضا ماجاء في حديث عاصم الأحول قال: "سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ القُنُوتِ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ القُنُوتُ قُلْتُ: قَبْلَ الرُّكُوعِ أَوْ بَعْدَهُ؟ قَالَ: قَبْلَهُ، قَالَ: فَإِنَّ فُلاَنًا أَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ، فَقَالَ: «كَذَبَ إِنَّمَا قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا، أُرَاهُ كَانَ بَعَثَ قَوْمًا يُقَالُ لَهُمُ القُرَّاءُ، زُهَاءَ سَبْعِينَ رَجُلًا، إِلَى قَوْمٍ مِنَ المُشْرِكِينَ دُونَ أُولَئِكَ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ، فَقَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا يَدْعُو عَلَيْهِمْ"[3].

ثانيا: ورع الصحابة عند رواية الحديث: فقد كانوا ﷺ على جانب كبير من الورع والخوف في نقلهم للسنة النبوية مخافة أن يدخلوا في زمرة الكذابين الذين توعدهم النبي ﷺ بالنار، ومما نقل عنهم في ذلك:

قال عمرو بن ميمون: ما أخطاني ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه، فما سمعته يقول بشيء قط: قال رسول الله ﷺ، فلما كان ذات عشية قال : قال رسول الله ﷺ فنكس، قال: فنظرت إليه، فهو قائم محللة أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه، قال: أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريبا من ذلك، أو شبيها بذلك"[4].

وقال ابن سيرين: "كان أنس بن مالك ﷺإذا حدث عن رسول الله ﷺحديثا، ففزع منه قال: أو

---

(1) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح4992، 184/6، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة المسافرين وقصرها، رقم 270، ح818، 560/1.

(2) فتح الباري، 25/9.

(3) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب: دعاء الإمام على من نكث عهدا، ح1002، 26/2.

(4) رواه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب التوقي في الحديث عن رسول الله، ح23، 59/1، وهو صحيح.

كما قال رسول الله ﷺ"[1].

وقال الشعبي: " جالست ابن عمر ﷺ سنة، فلم أسمعه يذكر حديثا عن رسول الله ﷺ"[2].

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: قلت لزيد بن أرقم ﷺ: حدثنا عن رسول الله ﷺ، قال: كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله ﷺشديد"[3].

وقال السائب بن يزيد: " صحبت سعد بن مالك ﷺ من المدينة إلى مكة، فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ بحديث واحد"[4].

ثالثا: حقيقة الأحاديث المنسوبة إلى الصحابة التي ظاهرها وقوع الكذب منهم: إن النظر بعين الإنصاف للأحاديث التي يظن فيها وقوع الكذب من الصحابة ﷺ كمثل مانسب لمعاوية ﷺ أنه قال للمغيرة بن شعبة ﷺ: " لا تهمل في أن تسب عليا، وأن تطلب الرحمة لعثمان، وأن تسب أصحاب علي، وتضطهد من أحاديثهم، وعلى الضد من هذا أن تمدح عثمان وأهله وأن تقربهم وتسمع إليهم" يجد أنها تأتي من طريق الوضاعين والضعفاء، أو من طريق خصوم الصحابة.

فهذا الأثر أخرجه الطبري في تاريخه[5]من طريق أبي مخنف لوط بن يحي[6]، وهو ممن لا يوثق بنقله.

يقول السباعي رحمه الله:"انظر إلى هذا الدليل! معاوية يقول لأحد أتباعه أو أمرائه: اضطهد

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، 295/5، رقم 26214، والدارمي في سننه، 327/1، رقم284، وابن ماجه في سننه، 11/1، رقم 24، والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي، 27/2، رقم1116، وفي الكفاية، ص311، وصححه الألباني.

(2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، 295/5، رقم 26216، والدارمي في سننه، 326/1، رقم280، وابن ماجه في سننه، 11/1، رقم 26، والرامهرمزي في المحدث الفاصل، ص551، رقم 739 وسنده صحيح.

(3) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، 295/5، رقم 26216، وعنه ابن ماجه في سننه، 11/1، رقم 26، والرامهرمزي في المحدث الفاصل، ص551، رقم 737، وصححه الألباني.

(4) رواه ابن ماجه في سننه، رقم 29، 12/1، وصححه الألباني.

(5) تاريخ الطبري، 253/5.

(6) قَالَ عنه يحي بن معين: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال الدارقطني: أخباري ضعيف' ينظر: الضعفاء الكبير: محمد بن عمرو بن موسى العقيلي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1984م، 18/4، وسير أعلام النبلاء، 301/7، ولسان الميزان492/4، والجرح والتعديل،182/7.

أصحاب عَلِيٍّ وقرِّبْ إليك أصحاب عثمان، فأي شيء في هذا يدل على وضع الأحاديث؟ أليس هذا ما يقع دائماً في كل حكومة مع أنصارها وَخُصُومِهَا في الرأي؟ فما علاقة ذلك بوضع الحديث؟ وأين تجد معاوية يقول للمُغيرة: لا تهمل في أنْ تضع الأحاديث على عَلِيٍّ، وأنْ تضع الأحاديث في عثمان؟ لو قال ذلك معاوية لكان دليلاً على ما يزعم، ولكن أين قال ذلك؟ وكيف نعلم ذلك من النص الذي نقله؟

أما قول معاوية: "وَأنْ تَسُبَّ أصحاب عَلِيٍّ وَتَضْطَهِدَ من أحاديثهم"، إنَّ أصل العبارة كما رواها الطبري: "لاَ تَحْجِمْ عَنْ شَتْمِ عَلَيٍّ وَذُرِّيَّتَهُ، وَالتَّرَحُّمَ عَلَىَ عُثْمَانَ وَالاسْتِغْفَارِ لَهُ، وَالعَيْبَ عَلَىَ أَصْحَابِ عَلِيٍّ وَالإِقْصَاءِ لَهُمْ، وَتَرْكُ الاسْتِمَاعِ مِنْهُمْ، وَإِطْرَاءُ شِيعَةِ عُثْمَانَ، وَالإِدْنَاءِ إِلَيْهِمْ وَالاسْتِمَاعِ مِنْهُمْ" فانظر كيف حَرَّفَت لفظة "والإِقْصَاءَ لَهُمْ" بلفظ "وَتَضْطَهِدَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ" فإن كلمة أحاديثهم لا وجود لها في أصل النص، ولو فرضنا أنها واردة فلا معنى لأحاديثهم هنا إلاَّ كلامهم ومحاورتهم في مجالسهم، لا الأحاديث بمعنى الأقوال المنسوبة إلى رسول الله ﷺ.

هذه هي الأدلة التي يُبنى عليها بأنَّ الحكومة الأموية وضعت الأحاديث وَدَعَتْ إلى وضعها[1]

وقد تتبع العلامة ابن الوزير اليماني أحاديث معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأبي موسى الأشعري وهم أكثر من اتهم بالكذب من قبل الإمامية، فوجد أن جميع أحاديثهم التي رووها فيما يمكن أن يستنبط منه حكم إنما رواها غيرهم، أو أن القرآن ذكر ما فيها من أحكام أو وجد ما يشهد لها عند المخالف قبل الموافق وليس فيها ما لم يذهب إليه جماهير العلماء من الفريقين [2]

وقد بدأ تتبعه هذا بقوله: " وفي هذا الموضع لم أجد طريقاً قريبة مجمعاً عليها إلا طريقاً واحدة، وهي: بيان صدق هؤلاء المذكورين في روايتهم بشهادة من لم تجرحه الشّيعة من الصّحابة لهم بصّحة الرّواية في كلّ حديث على التّعيين، خاصّة في أحاديث الأحكام المعتمدة في معرفة الحلال والحرام"[3].

ثم ختمه بقوله: " وقد عرفت بهذه الجملة بطلان ما توهّمه المعترض من دعوى بطلان أحاديثهم،

---

[1] ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي: دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1402 هـ - 1982 م، ص205.

[2] ينظر: الرَّوضُ البَاسِمْ في الذّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِم لابن الوزير، 2/523-569.

[3] المصدر نفسه، 2/523.

وسقط قوله على كلّ مذهب، وصحّت أحاديثهم هذه على وجه لا شبهة فيه على قواعد الخصوم، والله سبحانه أعلم"[1].

وقد كان معاوية بن أبي سفيان أميرا على الشام عشرين سنة وعشرين سنة خليفة، وكان في حزبه وفيمن يحتاج إليه جمع كثير من الصحابة منهم كثير ممن أسلم يوم فتح مكة أو بعده، وفيهم جماعة من الأعراب وكانت الدواعي إلى التعصب له والتزلف إليه متوافرة فلو كان ثم مساغ لأن يكذب على النبي ﷺ أحد لقيه وسمع منه مسلما لأقدم بعضهم على الكذب في فضل معاوية وجهر بذلك أمام أعين التابعين فينقل ذلك عنهم، فإذا لم يصح خبر واحد في ذلك ثبت صحة القول بأن الصحابة كلهم عدول في الرواية، وأنه لم يكن منهم أحد مهما خفت منزلته وقوي الباعث له محتملا منه أن يكذب على النبي ﷺ.

بل معاوية نفسه لو كان يسمح بأن يقع الكذب على رسول الله ﷺ مادام في فضله وذم خصومه، ولم يجد من يعينه على ذلك من الصحابة فقد كان في وسعه أن يحدث هو عن النبي ﷺ فقد حدث عدد كثير من الصحابة عن النبي ﷺ بفضائل لأنفسهم وقبلها منهم الناس، ورووها وصححها أئمة السنة.

ففي هذا برهان على أن معاوية والصحابة أجمعين كانوا من الدين والأمانة بدرجة تمنعهم من أن يفكروا في الكذب على رسول الله ﷺ أو حمل غيرهم على ذلك مهما اشتدت الحاجة إلى ذلك[2].

أما أبو هريرة فيكفي لرد تهمة الكذب عنه كثرة الراوين لحديثه من الصحابة والتابعين، قال الإمام الحاكم: " بلغ عدد من روى عن أبي هريرة من الصحابة ثمانية وعشرين رجلا، فأما التابعون فليس فيهم أجل ولا أشرف وأعلم من أصحاب أبي هريرة، وذكرهم في هذا الموضع يطول لكثرتهم"[3].

ومع هذا فإن هذا من يطلع على "كتب الحديث المعتمدة والمتداولة اليوم بين المسلمين ويتتبع فيها روايات أبي هريرة ﷺ، يجد أن أكثرها قد شاركه في روايتها صحابي أو أكثر، ولا سيما التي كانت مثار

---

[1] المصدر نفسه، 569/2.

[2] ينظر: الأنوار الكاشفة، ص92-93، والروض الباسم، 523/2.

[3] المستدرك، 513/3.

اعتراض أو طعن من قبل أهل الأهواء والبدع، وغيرهم ممن لا خبرة لهم بما تصح به الأحاديث وما لاتصح"[1].

رابعا: الاستدلال بالحال: فالصحابة ﷺ كانوا على جانب عظيم من صلاح النفس، وقوة الإيمان، وصلابة الدين، وتعظيم الخالق، فاستعظموا الكذب وذموه، وتبرؤوا منه في الأمور العامة فكيف بهم في جانب الدين؟

تقول عائشة رضي الله عنها: "ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب"[2]

وقد ذكرت فيما تقدم الآثار الثابتة عن الصحابة في موقفهم الصريح من الكذب، وذمه والتنفير منه.

ومما يدل على صدق الصحابة وأمانتهم في الرواية: شهادة التابعين لهم بالصدق، والبعد التام عن الكذب، فهم الذين عاصروهم وأخذوا عنهم، وعرفوهم حق المعرفة فكانوا أدرى الناس بهم وبأحوالهم، يقول الأعمش: "لقد أدركت قوما لو لم يتركوا الكذب إلا حياء لتركوه"[3]

قال محمد أسد[4]: "إن السبب الأول لوجود حديث مكذوب إنما هو كذبة متعمدة ترجع إلى مصدره الأول أي إلى الصحابي أو إلى أحد الرواة المتأخرين، أما فيما يتعلق بالصحابي فيمكن صرف التهمة عنه ابتداء، وإننا لن نتكلف سوى شيء من النظر الثاقب في الناحية النفسانية لنرد مثل هذه المزاعم إلى نطاق الوهم الخالص.

إن الأثر العظيم الذي تركته شخصية الرسول ﷺ في أولئك الرجال إنما هي حقيقة من أبرز حقائق التاريخ الإنساني، ثم هي فوق ذلك ثابتة بالوثائق التاريخية، فهل يمر في خيالنا أن أولئك الرجال الذين كانوا على استعداد لأن يضحوا بأنفسهم وما يملكون في سبيل الله كانوا يتلاعبون بكلماته؟ لقد قال

---

(1) أبوهريرة صاحب رسول الله ﷺ: حارث سليمان الضاري، مبرة الآل والأصحاب، الكويت، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م، ص71.

(2) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، رقم20195، 158/11، ومن طريق الإمام أحمد، رقم25183ن100/42، وسنده صحيح.

(3) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان: عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا أبو بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ، ص258، رقم544.

(4) محمد أسد:ليوبولد فايس، أسلم وتسمى بمحمد أسد، وأنشأ بمعاونة مستشرق آخر –أسلم أيضا– مجلة: " الثقافة" الإسلامية في حيدر آباد الدكن عام 1927م، وكتب فيها دراسات معظمها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام، من كتبه: ترجمة لصحيح البخاري، وكتاب: الطريق إلى مكة، وأصول الفقه الإسلامي، وغيرها، ينظر: معجم أسماء المستشرقين، ص503.

الرسول: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"، لقد عرف الصحابة ذلك، ولقد اعتقدوا ضمنا بكلام الرسول ﷺ الذي كانوا ينظرون إليه على أنه ينطق عن الله، أفمن المحتمل من وجهة النظر النفسانية إذن أن يفعلوا هذا النهي الصريح نفسه"[1].

مع ملاحظة ان العرب كانوا حتى في زمن الجاهلية يستهجنون الكذب ويقبحونه وقصة أبي سفيان مع هرقل الروم مشهورة، وهو يومئذ لم يسلم بعد وكان يعادي النبي ﷺ أشد العداء، فحدّث "أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي المدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ"[2].

فأبو سفيان كان واثقا ممن خلفه ألا يكذبوه لو كذب لاشتراكهم جميعا في عداوة النبي ﷺ ولأنه سيدهم، لكنه ترك ذلك استحياء وأنفة من أن يتحدثوا بذلك بعد أن يرجعوا فيصير عند سامعي ذلك كذابا وهذا دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب ويستهجنون الكذاب[3].

خامسا: الدليل العكسي: حيث لم يرد عن أحد من الصحابة نص صريح يكذب فيه صحابيا آخر، ويتهمه في الرواية، فدل هذا على صدق الصحابة وثقتهم وأمانتهم فيما نقله، وسلامتهم من تهمة الكذب.

سادسا: اعتبار الروايات: ومما يؤكد عدالة الصحابة وأمانتهم في النقل "أن أئمة الحديث اعتمدوا فيمن يمكن التشكك في عدالته من الصحابة اعتباراً لما ثبت أنهم حدثوا به عن النبي ﷺ أو عن صحابي آخر عنه، وعرضوها على الكتاب والسنة وعلى رواية غيرهم مع ملاحظة أحوالهم وأهوائهم، فلم يجدوا من ذلك ما يوجب التهمة، بل وجدوا عامة ما رووه قد رواه غيرهم من الصحابة ممن لا تتجه إليه تهمة،

---

(1) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الصاق الأمين الصادق، 63/2.

(2) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ح 7، 8/1.

(3) ينظر: فتح الباري لابن حجر، 35/1.

أو جاء في الشريعة ما في معناه أو ما يشهد له"[1].

سابعا: تاريخ الوضع في الحديث النبوي، واحتياط الصحابة في التحديث: اختلف العلماء في تحديد بداية الوضع في الحديث النبوي، بين من يقول: كانت بدايته في العهد النبوي، وهو مستبعد لكون الوحي ينزل فيخشى المنافقون من فضحهم، ومن يقول: إن بدايته كانت في خلافة عثمان ﷺ، وقيل: كانت بدايته في الثلث الأخير من القرن الأول حيث مات جل الصحابة، ولم يبق إلا عدد من صغارهم اعتزلوا المجتمع [2].

وبعد أن ظهرت الفتن في الدولة الإسلامية وعصفت بوحدتها تفطن الصحابة لما يمكن أن يدخل على السنة النبوية نصرة للمذهب ونشرا للبدعة فكانوا لا يحدثون إلا من هو أهل للتحديث.

روى ابن سعد عن سليمان بن الربيع أنه دخل هو ونفر من أصحابه من أهل البصرة على عبد الله بن عمرو بن العاص فطلبوا منه أن يحدثهم عن رسول الله ﷺ، فقال لهم: ممن أنتم ؟ قالوا: من أهل العراق، قال: إن من أهل العراق قوما يكذبون ويكذبون ويسخرون [3].

ولذلك شدد الصحابة في الرواية ولم يتساهلوا فيها، فعن مجاهد قال: " جَاءَ بُشَيْرٌ الْعَدَوِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْذَنُ لِحَدِيثِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَالِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي، أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا تَسْمَعُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا، وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ، وَالذَّلُولَ، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ " [4].

و يبين لنا الإمام ابن سيرين منهج الصحابة في الاحتياط فيقول: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم "[5].

---

[1] الأنوار الكاشفة، ص271.

[2] ذكر هذه الأقوال: عمر فلاته في كتابه: الوضع في الحديث، 182/1-217، ورجح القول الأخير.

[3] طبقات ابن سعد، 267/4.

[4] رواه مسلم في صحيحه، في المقدمة، باب: النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، 13/1.

[5] صحيح مسلم، المقدمة، 15/1.

فكيف لقوم بذلوا كل ما تسعه الطاقة البشرية من جهد في التثبت والاحتياط تحملا وأداء أن يصدر منهم الكذب، وأن يتقولوا على الله ورسوله، وأن يخونوا الأمانة التي شرفهم الله بنقلها للبشرية جمعاء؟[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] اخترت الجواب عن هاتين الشبهتين الأخيرتين:"شبهة شيوع الفاحشة في مجتمع الصحابة، وشبهة كذب الصحابة في الرواية" لتعلقهما المباشر بديانة الصحابة وأمانتهم في التبليغ.

المبحث الرابع:أثر الاستشراق في مواقف المعاصرين من عدالة الصحابة وحكم الشرع فيمن يطعن في الصحابة ﷺ:

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: أثر الاستشراق في مواقف المعاصرين من عدالة الصحابة:

المطلب الثاني: حكم الشرع فيمن يطعن في الصحابة ﷺ:

المطلب الأول: أثر الاستشراق في مواقف المعاصرين من عدالة الصحابة:

الغاية من هذا المطلب عقد الصلة بين المؤثرات التي كان لها دور في صياغة مواقف المعاصرين من الصحابة ﷺ وأثر الاستشراق فيها، فبعد أن عرفنا موقف المستشرقين من السنة النبوية ومن رواتها من طبقة الصحابة الكرام ﷺ، وبعد أن عرفنا الشبه التي طالما رددوها في كتبهم وبحوثهم، يمكننا القول بأن المعاصرين لم يخطئوا طريق أسلافهم المستشرقين، بل استقوا من روافدهم العكرة، وساروا على نهجهم، وكرّروا شبهاتهم نفسها، فكانوا بحق امتدادا فعليا لمدرسة المستشرقين و" لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من المعاصرين، ومستترة وراء الحواشي المرصوصة في كتابات البعض الآخر منهم كما يقول نورمان دانيل: على رغم المحاولات التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين عن الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا من أن يتجرّدوا منها تجرّدا تامّا كما يتوهّمون"[1].

فأثاروا إشكلات حول مصداقية القول بعدالة الصحابة، وتكلموا عن الظروف السياسية التي عاشتها الأمة بعد وفاة النبي ﷺ وصوّروا الصحابة أصحاب أطماع في السلطة والخلافة، ونجد أنّ "التهمة السياسية في الطرح المعاصر أخذت حيزا أكبر مما سبق، وضُخّمت بشكل ملحوظ، حتى ليُخيل لقارئ بعض هذه الكتابات أن تاريخ المسلمين قد اجتاز من بوابة السياسة، ولا غرابة في ذلك؛ فهذه الأطروحات لا تعدو أن تكون رجع الصدى للكتابات الاستشراقية، فهم قد ابتلعوا هذه التهم، ثم

---

[1] التبشير والاستعمار في البلاد العربية: مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص45.

أعادوا صياغتها للناس، موهمين أنها من نتاج دراساتهم، وليس تأثرا بفكر وافد، وبعضهم أدخل هذه التهمة تحت مشروعات إعادة قراءة التراث"[1].

وقد احتجوا في ما أثاروه من شبهات بكون الصحابة بشرا لهم نوازعهم التي يُعدّ إغفالها سببا لكثير من المغالطات، كما اتهموهم بالكذب في الرواية والأخذ عن أهل الكتاب...وغيرها من التهم التي طرحها المستشرقون قبلهم.

ويمكن إظهار تأثر المعاصرين بالمستشرقين من خلال نقطتين:

الأولى: الثناء على مناهجهم وتزكيتها والدعوة إلى اعتمادها، وهو ماردّد الكثيرون تحت تأثير الانهزام النفسي والانبهار الحضاري، بل وحتى الوفاء لهم من الطلبة الذين درسوا في الجامعات الغربية وتكوّنوا فيها، فتشرّبت قلوبهم حبّ المستشرقين والتبعية العمياء لهم بل وحتى الامتنان لجهودهم، يقول محمد أركون داعيا الباحثين العرب للاستفادة من المستشرقين: " حتّام يستطيع المسلمون أن يستمروا في تجاهل الأبحاث الأكثر خصوبة وتحديدا من الناحية الاستكشافية المعرفية؟ قصدت بالطبع أبحاث العلماء الغربيين الذين يدعونهم بـ" المستشرقين"، أقول ذلك وأنا أفكر بأبحاث "نولدكه" و"جوزيف شاخت" و"ج.هـ. أ جوينبول" عن الحديث النبوي، وغيرهم كثير، كلهم متجاهَلون تماما من قبل المسلمين، أو يهاجمون من قبل الفكر الإسلامي المعاصر دون أي تمييز أو تفحّص موضوعي، حتّام يُهمَلون أو يمرَّرون تحت ستار من الصمت، أو يُحذَفون كلّيا من الساحة الثقافية العربية أو الإسلامية؟ هل يمكن أن يستمر هذا الوضع إلى أبد الآبدين؟ ولمصلحة من؟"[2].

وقال الجابري معترفا بجميل المستشرقين ومعبرا عن وفائه لهم:" لا أشعر أني أنتمي إلى واحد منهم –أي المستشرقين– بالتخصيص، بل أشعر أنني تلميذ لهم جميعا، قد تعلمت منهم جميعا، وأهم شيء تعلمته منهم هو ما نَسَيتُه من آرائهم وتقريراتهم وطرق عملهم، إنّ هذا الذي نسيته هو الذي أستعمله وأوظفه فيما أكتب..."[3]،

---

[1] المحدثون والسياسة:إبراهيم بن صالح بن عبد العزيز العجلان، ص207.

[2] قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم: محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، د.ن، ص54.

[3] التراث والحداثة: محمد عابد الجابري، ص322.

والملاحظ عليهم أنّ اعترافهم بفضل المستشرقين تُنتقى له عبارات التقدير والامتنان مع لين الجانب، فليتهم عاملوا القرآن والسنة وعلماء الأمة بشيء من الاحترام وخفض الجناح كما هي الحال مع أسياهم المستشرقين.

الثانية: إعادة الشبهات التي أثارها المستشرقون حول عدالة الصحابة، وعقد مقارنة بسيطة بين الشبهات المذكورة في فصل الاستشراق وموقفه من عدالة الصحابة وهذا الفصل يفي بالغرض؛ فمن ذلك أنهم اعتبروا عدالة الصحابة التي قرّرها أهل الحديث والأثر مسألة سياسية [1]، حتى يُخيّل للمطلع على كتاباتهم أنّ تاريخ المسلمين ماهو إلا صراعات حول السلطة والحكم، وخلافات سياسية لا تنتهي، والحقيقة أنها إعادة لما قرّره المستشرقون قبلا وتكرار له؛

واعتبروا جهاد الصحابة وجهودهم في الفتوحات لتبليغ الإسلام الغاية منه البحث عن الثروات المادية، يقول الكاتب المصري سيد القمني[2]: " يحمل مفهوم الجهاد قوة دفع استعمارية لحوحة لاحتلال البلاد الأخرى، ونقل ثرواتها وتغيير ثقافتها" [3]

و يقول عبد المجيد الشرفي: "إن الأغراض الدنيوية المحضة، هي الدافع الحقيقي للحروب التي شنها المسلمون الأوائل على البلاد المجاورة لهم، وأستنكف عن استعمال الأوصاف الموضوعية التي تنطبق عليها كالاحتلال والغزو والاستعمار حسب المفهوم الحديث" [4]

وهي الشبهة التي يرددها دائما أحمد صبحي منصور في حلقاته على موقع أهل القرآن، ويربطها بكل ما ينقمه على الصحابة، والواقع أنّ فكرتها مأخوذة عن المستشرقين مثل: إميل درمنغيم[5]، وكلود كاهن[6] وغيرهم.

---

[1] الحديث النبوي ومنزلته في الفكر الإسلامي: محمد حمزة، ص185، وضحى الإسلام: أحمد أمين، 123/2.

[2] سيد محمود القمني: هو كاتب أكاديمي لبرالي مصري، ولد في مصر سنة1947م، له مؤلفات وآراء في التاريخ الإسلامي، وفي القرآن الكريم، وانتقادات للإسلام السياسي من وجهة نظر ماركسية، توفي يوم 06 فيفري2022م ، ينظر: http ://www.ar.m.wikipedia.org

[3] أهل الدين والديموقراطية: سيد القمني، دار مصر المحروسة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م، ص146.

[4] الإسلام بين الرسالة والتاريخ: عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2001م، ص115.

[5] حياة محمد، ص197-198.

[6] تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص19.

بل ومما يؤسف له أنّ من المعاصرين من كانت له الجرأة الشديدة والتوسع في عرض الشبهات حول الصحابة فخليل عبد الكريم يذكر أنّ غرض الصحابة من الفتوحات كان:" التمتع بخيرات البلاد البلاد المفتوحة وما فيها من الطيبات، وقتل الناس واستحلال دمائهم، وأخذ الأموال، وأخذ النساء سبايا للتمتع بهن "[1].

و من الشبهات التي رددها المعاصرون وأصلها المستشرقون أنّ السنة نشأتها الخلافات السياسية والنزاعات المذهبية والحاجات الاجتماعية، كما تقدم في فصل الاستشراق وموقف جولد تسيهر وشاخت من السنة النبوية، فنجد مثلا عبد الجواد ياسين يذهب إلى أنّ الحاجة إلى تشريعات جديدة تواكب تطور الحياة الاجتماعية، وكذا الصراعات السياسية والمذهبية التي ظهرت بعد نهاية المائة الأولى أدى إلى استحداث نص ديني أكبر حجما من القرآن، ويكافئه في الحجية وهو الحديث النبوي[2].

وكذلك يرى أركون أنّ" الأحاديث النبوية ما انفكت تتزايد وتنتشر طيلة القرون الهجرية الثلاثة الأولى، وهي تعبّر عن مجمل القيم الأخلاقية الدينية المعظمة والمبجلة من قبل مختلف الفئات الاجتماعية في أوضاعها الحياتية المتنوعة، كما أنها مسقطة على النماذج المثالية المقدسة للسلف الصالح" [3].

ويقول حمادي ذويب[4]: " وعندما نذكر السنة أو العمل الجاري والمثالي تثار فكرة الاستمرار والامتداد المتصلة اتصالا وثيقا بكل منها.وفعلا كانت كل مدرسة تنمّي حاجتها إلى الاستمرار والامتداد وكذلك إلى التعليل النظري تدعم به إجماعها المحلي عديم الشهرة بل خامل الذكر.وهكذا ظهر حرصها على إرجاع عملها الجاري إلى الوراء حتى تنسبه إلى أعلام من الماضي ذوي الشأن[5]

فترديد أصحاب هذا الفكر لشبهات المستشرقين وتبنّيهم لأفكارهم واضح لا غبار عليه وإن

---

[1] شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، 3/276-277.

[2] ينظر الحوار الذي أجراه معه محمد الخراط، https :www.mouminoun.com: http

[3] أين هو الفكر الإسلامي: محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، ص175.

[4] حمادي ذويب: باحث وأكاديمي تونسي، يعمل بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس منذ تاريخ انتدابه للتدريس بالتعليم العالي سنة1993م، مستشار للتحرير بمجلة يتفكرون التي تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلاحدود، من أهم أعماله: " السنة بين الأصول والتاريخ" و" جدل الأصول والواقع" ينظر: https :www.mouminoun.com: http

[5] السنة بين الأصول والتاريخ: حمادي ذويب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2013م، ص31.

تعمدّوا إخفاءه وعدم التصريح به، وإلباسَه لبوس البحث العلمي الموضوعي.

ولعلّ في هذا القدر كفاية لعقد الصلة بين مواقف العصرانيين والمستشرقين من الصحابة ﷺ، ومعرفة مدى الأثر الذي تركه الفكر الاستشراقي في أتباعه ممن ينتسبون للإسلام.

المطلب الثاني: حكم الشرع فيمن يطعن في الصحابة ﷺ:

لقد تقدّم مايدل على عدالة الصحابة وفضلهم من نصوص الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف، بما لا يدع مجالا للشك فيهم، ومع ذلك شذّ كثير من الناس في هذا الباب وجانبوا الصواب، ولا شك أن الطعن الصحابة الكرام وانتقاصهم جريمة شنعاء، ومعصية نكراء، كونها طعنا في الإسلام لأنهم الوسائط الذين نقلوه إلينا، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، وطعنا في القرآن الكريم الذي نطق بعدالتهم والثناء عليهم، وطعنا في النبي ﷺ لما فيه من الدلالة على أنه لم يحسن اختيار ولا تربية أصحابه، وقد استدلّ العلماء على حرمة الطعن فيهم بأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، واستفاضت أقوال السلف في بيان ذلك:

أولا:من القرآن الكريم

قول الله عزّ وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب:57].

فلقد تضمنت هذه الآية تهديدا شديدا، ووعيدا بالطرد والإبعاد من رحمة الله وعذابا مهينا لمن آذى الله ورسوله، وأذية الرسول تشمل كل أذى قولي أو فعلي، من سب وشتم، أو تنقص له أو لدينه، وسب أصحابه وزوجاته هو مما يؤذيه، فهذه الآية فيها إشارة قوية ظاهرة على تحريم سبهم ﷺ[1]

وقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:58].

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم، 423/6.

فهذه الآية دالة على تحريم سب الصحابة، لأنهم أول من ينطبق عليهم لفظ المؤمنين، ومن اتخذ شتمهم والطعن فيهم دينا فله الوعيد المذكور في الآية، قال ابن كثير:" وَمِنْ أَكْثَرِ مَنْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْوَعِيدِ الْكَفَرَةُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ الرَّافِضَةُ الَّذِينَ يَتَنَقَّصُونَ الصَّحَابَةَ وَيَعِيبُونَهُمْ بِمَا قَدْ بَرَّأَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ وَيَصِفُونَهُمْ بِنَقِيضِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَدَحَهُمْ وَهَؤُلَاءِ الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم وَيَذْكُرُونَ عَنْهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ وَلَا فَعَلُوهُ أبدا فهم في الحقيقة منكسو الْقُلُوبِ يَذُمُّونَ الْمَمْدُوحِينَ وَيَمْدَحُونَ الْمَذْمُومِينَ"[1].

ثانيا: من السنة النبوية

دلت السنة المشرفة أيضا على تحريم سب الصحابة وشتمهم ﷺ، ومن ذلك ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال:" كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شيءٌ، فسبّه خالدٌ فقال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإنّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه"[2]، وعدول النبي ﷺ إلى التعميم دليل على قصد التقعيد لتغليظ سب الصحابة عموما، ويدلّ على تحريم سبّهم من صحابي وغيره، وأيضًا: فإنَّ خطابه للواحد خطاب للجميع، وخطابه للحاضرين خطاب للنائبين إلى يوم القيامة [3].

ثالثا: من كلام أهل العلم

لأهل العلم كلام مستفيض في بيان حكم منتقص الصحابة، من ذلك:

قول الإمام مالك فيمن يطعن في الصحابة: " إنما هؤلاء قوم أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء كان له أصحاب سوء"[4].

وقال الإمام أحمد لتلميذه الميموني: "يا أبا الحسن إذا رأيت أحدا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، 424/6.

[2] رواه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذا خليلا"، ح3637، 8/5، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ، رقم222، ح2541، 1976/4.

[3] ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أحمَدُ بن عمر بن إبراهيم القرطبي، 49/21.

[4] مجموع الفتاوى، 429/4، والصارم المسلول، ص580.

بسوء فاتهمه على الإسلام"[1].

وقال يحيى بن معين في ترجمة توليد بن سليمان: "كذاب كان يشتم عثمان، وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ دجال، لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[2].

وقال ابن كثير: " فيا ويل من أبغضهم، أو سبهم، أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول ﷺ، وخيرهم، وأفضلهم أعني الصديق الأكبر، والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه"[3].

وأما التفصيل في حكم الطعن في الصحابة فهو على النحو الآتي:

أولا: الطاعن فيهم أو في أكثرهم بما يقتضي سقوط العدالة عنهم، كالقول بردتهم، أو غصبهم للخلافة، كافر لأن ذلك تكذيب لله جلّ وعلا، وإنكار للنصوص المتواترة: فإن " مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الأمة التي هي: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارا أو فساقا ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ولهذا تجد عامة من ظهر عنه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم "[4].

وقال الذهبي:" فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وبيان فضائلهم ومناقبهم وحبهم...والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، هذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفاق، ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته"[5].

---

[1] الشرح والإبانة على أصول أهل الديانة، رقم231، ص170.

[2] تاريخ الدوري، رقم2670، 546/3.

[3] تفسير القرآن203/4.

[4] الصارم المسلول، 587.

[5] الكبائر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ن، ص238.

ثانيا: وأما من طعن في عدالة بعضهم، أو سب بعضهم، فالمسألة فيها خلاف، فقالت طائفة من العلماء بكفره، قال عبد الله بن أحمد: " سألت أبي عمّن شتم رجلا من أصحاب النبي ﷺ فقال: ما أراه على الإسلام"[1].

ومن أدلتهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح:29].

وإذا كان الكفار يغاظون بهم، فمن غيظ بهم فقد شارك الكفار فيما أذلهم الله به وأخزاهم وكبتهم على كفرهم، ولا يشارك الكفار في غيظهم الذي كُبتوا به جزاء لكفرهم إلا كافر؛ لأن المؤمن لا يُكبت جزاء للكفر[2].

وقالت طائفة: إنه لا يكفر، لكنه فاسق مُرتكب لجُرم عظيم يعزّر عليه.

قال الملا علي القاري:" أما من سب أحدا من الصحابة فهو فاسق، ومبتدع بالإجماع"[3].

ثالثا: أما بالنسبة لقذف عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، فهو تكذيب بالقرآن الكريم الذي برّأها صاحبه كافر بلا شك، قال ابن حجر الهيتمي: " عُلم من حَدِيث الْإِفْك الْمشَار إِلَيْهِ أَن من نسب عَائِشَة إِلَى الزِّنَا كَانَ كَافِرًا وَهُوَ مَا صرح بِهِ أَئِمَّتنَا وَغَيرهم لِأَن فِي ذَلِك تَكْذِيب النُّصُوص القرآنية ومكذبها كَافِر بِإِجْمَاع الْمُسلمين وَبِه يعلم الْقطع بِكفْر كثيرين من غلاة الروافض لأَنهم ينسبونها إِلَى ذَلِك قَاتلهم الله أَنى يؤفكون[4].

وعن أَبِي بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مَنْ يَشْتِمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ. قَالَ: مَا

---

[1] المصدر نفسه، رقم 782، 493/3.

[2] الصارم المسلول، ص579.

[3] مجموعة رسائل بن عابدين، 367/1.

[4] الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ابن حجر الهيتمي، 193/1-194.

أُرَآهُ عَلَى الإِسْلاَمِ، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ مَالِكٌ: الَّذِي يَشْتِمُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ لَهُ سَهْمٌ، أَوْ قَالَ: نَصِيبٌ فِي الإِسْلاَمِ [1].

وَقال ابن كثير: "قَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، قَاطِبَةً عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّها بَعْدَ هَذَا وَرَمَاهَا بِمَا رَمَاهَا بِهِ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُعَانِدٌ لِلْقُرْآنِ. وَفِي بَقِيَّةِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلَانِ: أَصَحُّهُمَا أَنَّهُنَّ كَهِيَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[2].

رابعا: من سب الصحابة مستحلا لسبّهم، اتفق العلماء على كفره باستحلاله لهذا الفعل الشنيع،

قال القاضي أبو يعلى:" الذي عليه الفقهاء في سبّ الصحابة: إن كان مستحلا لذلك كفر وإن لم يكن مستحلا فسق، قال: وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكُفر الرافضة [3].

خامسا: وأما من رمى الصحابة بما لا يقتضي الطعن في عدالتهم كالرمي بالبخل أو الجبن، أو عدم الزهد، أو قلة العلم ونحو ذلك، ففاعل هذا لا يحكم بكفره، ولكن يستحق التعزير والتأديب، وعلى هذا يحمل قول من قال من العلماء بعدم تكفير الساب[4].

والحاصل أنّ الوقوع في الصحابة وانتقاصهم جريمة نكراء، نص الفقهاء على هجرة البلد الذي ترتكب فيه، قال الرعيني:"كذلك يجب الهروب من بلد يسمع فيها سب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولو كان مكة والمدينة"

وما ذلك إلا لعظم هذه الفعلة وشناعتها، مما يجعل الواحد يخشى أن يدركه عذاب ينزل من الله على أرض تعتبر أرض سوء ظالم أهلها بالوقيعة في خير الناس بعد الأنبياء.

---

[1] السنة: أبو بكرالخلال، رقم779، 493/3.

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم، 31/6-32.

[3] الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص514.

[4] تفسير القرآن العظيم، 198/10.

خلاصة الفصل:

إنّ المتتبع لتاريخ الطعن في السنة النبوية منذ القديم وحتى عصرنا الحاضر، يجد أنّ أصول الطعون والشبهات مردها في الغالب إلى الفرق الضالة القديمة التي انشقت عن صف المسلمين، وكان لها مع صحابة رسول الله ﷺ الموقف المخزي، فالخوارج كفّروا أكثر الصحابة، والروافض فسّقوا جمهور الصحابة... يقول الشهرستاني: "وكما قررنا أن الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان، كذلك يمكن أن نقرر في زمان كل نبي ودور صاحب كل ملة وشريعة: أن شبهات أمته في آخر زمانه؛ ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين وأكثرها من المنافقين. وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة لتمادى الزمان، فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي عليه السلام، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى، وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه، والسؤال عنه، وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه"[1].

ولما وصل الأمر في العصر الحاضر بالمسلمين للسقوط في براثن الاستعمار الصليبي كان للاستشراق الدور الكبير في تشويه صورة الجيل الذي حمل رسالة الإسلام للناس كافة، وتمضي سنّة الله في الصراع بين الحق والباطل، وتستمر الحملات المغرضة والهجمات الشرسة على الصحب الكرام ﷺ، ومن أهم الاتجاهات التي وقفت مواقف مخالفة لما استقر عليه أهل السنة والجماعة من تعديل الصحابة:

أولا: الاتجاه العقلاني الذي يغلب العقل ويردّ ما يراه مخالفا له، مما جعل لهم آراء معيّنة من قضية عدالة الصحابة.

ثانيا: اتجاه القرآنيين الذين يزعمون الاعتراف بالقرآن وحده دون السنة وقد أساؤوا لأنفسهم كثيرا برفض عدالة الصحابة والوقيعة فيهم.

ثالثا: الاتجاه الحداثي الذي يدعو للقطيعة مع التراث جملة وتفصيلا، ويدعو إلى مراجعة قضية الصحابة ولم يسلموا كذلك من الوقيعة فيهم.

---

[1] الملل والنحل ، 19/1.

والحقيقة أنّ اشتغال أصحاب هذه الاتجاهات بجيل الصحابة ﷺ يدلّ دلالة قطعية على أهمية مكانتهم وعلوّ قدرهم في حفظ دين الله، وأنّ الطعن فيهم وإسقاط عدالتهم مؤذن بالتشكيك في الإسلام، ولكنّ الله متم نوره ولو كره الكافرون.

ولا شكّ أنّ معرفة هذه الفرق المعاصرة وأصولها وآرائها واستمداداتها في قضايا الإسلام المختلفة مما يسهّل في ردّ شبهاتهم وافتراءاتهم ويحصّن الأجيال منها ويزيدها ثقة في دينها ورجاله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة:

لقد تبين من خلال البحث أهمية قضية عدالة الصحابة وكونها موضوعا قديما جديدا، لا يزال الخائضون فيه يتناولونه حسب اتجاهاتهم وانتماءاتهم بين منصف ومغرض ومقل ومستكثر، وفي ختام البحث أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال ما تناولته من فصول:

1-اختلف العلماء في تعريف الصحابي بين متوسّع ومضيّق، والتعريف الذي اخترته هو تعريف المحدثين الذي يقضي بإدخال من قلت ومن كثرت صحبته في مسمى الصحابي وذلك الذي تشهد له دلالة اللغة والعرف والاستعمال الشرعي وأيضاشرف منزلة النبي ﷺ التي تصيب بركتها من يدرك اللقيّ فقط ولو يسيرا.

2-عدالة الصحابة في اصطلاح المحدّثين هي الأمانة والنزاهة في تبليغ الدين واستحالة صدور الكذب منهم في الرواية الحديثية، وليس معناها العصمة من الوقوع في الخطأ فهذا مناف لبشريتهم ﷺ.

3-الفرق الإسلامية القديمة كان لها مواقفها الخاصة تجاه الصحابة ﷺ، لكن السمة الغالبة أنهم بنوا هذه المواقف على حسب ما كان من الصحابة من مواقف تجاه فتنة الخلافة.

4-أثبت أهل السنة والجماعة عدالة الصحابة مستدلين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت في فضائلهم وذكر ما ينتظرهم من جزاء، وكذلك إجماع من يعتد بإجماعم من علماء المسلمين على اختلاف تخصصاتهم، ووافقهم في هذا الأشاعرة والماتريدية.

5- قسّم الشيعة الصحابةَ إلى قسمين ولكل قسم منزلة؛ فالقسم الأول هم الذين بايعوا الشيخين، ورضوا بإمامتهما، وهم أغلبية الصحابة وهم متفاوتون؛ فيهم البغاة وفيهم المنافقون وفيهم أهل الجرائم والكبائر، وهؤلاء غير عدول ولا وزن لمروياتهم.

والقسم الآخر هم الذين رفضوا مبايعة الشيخين وتولّوا عليّا حتى نال الخلافة بعد مقتل عثمان، وهم الأخيار الذين قامت الدولة على أكتافهم وتحمّلوا سخرية وأذى الأكثرية، حتى ظهر أمر الله، وتمسّكوا بأمر الله، ووالوا نبيه ﷺ ووالوا من والاه، وانتقلوا إلى جوار ربهم وهم معتصمون بحبل الله، فهؤلاء عدول بالإجماع.

6- لقد كان للخوارج موقفا من صحابة رسول الله ﷺ يتمثل في موالاة عثمان السنوات الست الأول من خلافته ثم الانقلاب عليه ومخالفته، والرضا بعلي ثم الانقلاب عليه بعد قبوله التحكيم وتكفيره وقتاله، كما أنهم يكفرون معاوية وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري.

7-كان لفرقة النواصب موقفا من عليّ وآل بيته يقتضي معاداتهم وأذيتهم ورميهم بالتهم والافتراءات، لكن الأمر لم يصل لحدّ تكفيرهم.

8-يمكن تقسيم موقف المعتزلة من الصحابة بالنظر إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: وفيها يتولى جمهور المعتزلة: الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، بل ويتولون جميع الصحابة في عهديهما، ولذلك كان جدلهم جميعا في موضوع الشيخين وبقية الصحابة ضد الشيعة ردّا لتهم الكفر والردة والنفاق التي وجهوها لهم.

و المرحلة الثانية: وتبدأ من الفتنة التي وقعت في عهد عثمان ﷺ، وفيها تكلموا فيمن لابس الفتنة من الصحابة بالطعن والنقص.

9- يعظم الزيدية الصحابة ويعدلونهم، لكنّهم لا يدخلون في هذا الحكم الصحابة الذين قاتلوا عليا في صفين مع معاوية، بل يرون أن الذين قاتلوه يومها وأعانوا على حربه وإن أطلقت بعض الفرق عليهم اسم الصحبة إلا أنهم مارقون، لأنهم قاتلوا عليا، وضالون لأنهم خرجوا عن الإمام الحق فهم يتبرؤون من أبي موسى الأشعري لخداعه-بزعمهم- عليا ومن المغيرة بن شعبة عمرو بن العاص وآخرين.

10- تنوعت اتجاهات المستشرقين في تعاطيهم مع الحديث النبوي بين مجحف مدّع لاختلاق الأسانيد وتزييفها كجولد تسيهر وجوزيف شاخت، ومن أنكر الكثير من المسلمات حول التاريخ الإسلامي والرواية الحديثية، ومنصف تعامل معها بكل موضوعية مثل المستشرق هرلد موتسكي.

11-وقف الاستشراق موقفا سلبيا من الصحابة تنوع بين التشكيك في وجود بعضهم، ولمز بعضهم وتزوير تاريخهم وقراءة ما ترويه الروايات الحديثية قراءة تأويلية مغرضة.

12-الاستشراق جانب المنهج العلمي في دراسته لتاريخ الصحابة، فجاءت بحوثه مشحونة بالتعصب والانتقائية والتشكيك غير المنهجي والتناقض وغيرها من السلبيات التي تخرج بحوثه من دائرة البحث العلمي الموضوعي والنزيه.

13-ظهرت في العصر الحاضر عدة تيارات فكرية بعضها امتداد لأفكار الفرق الإسلامية القديمة كالمعتزلة والخوارج، مع اتفاقها في السير على نهج الاستشراق والتزود من روافده، ومن أبرزها المدرسة العقلانية الحديثة، وفرقة القرآنيين، وتيار الحداثيين التغريبيين، ولكل تيار مبادئه وأعلامه ومنتجاته.

14- سارت المدرسة العقلية المعاصرة على منهج المعتزلة في تقديم العقل وتوسيع نطاقه فكانت نتيجة ذلك ردّ ما لا تبلغه عقول أدعياء العقلانية أو تأويله، في حين يرى القرآنيون أنّ القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع ولا يعترفون بالسنة –إلا ما تواتر عمليا–، أما الحداثة فهي تنادي بالقطيعة مع التراث جملة وتفصيلا.

14-ردّد أصحاب التيارات الفكرية المعاصرة أغلب الشبهات التي قال بها المستشرقون ومن قبلهم أتباع الفرق الضالة في التاريخ الإسلامي حول الصحابة وعدالتهم.

15-تنوعت الشبهات المثارة حول عدالة الصحابة بين الطعن في دينهم وتهمتهم بالردة والنفاق، والطعن في أمانتهم في تبليغ الوحي، والطعن في أخلاقهم وعفتهم.

16-الرد العلمي المبني على النقل الصحيح-رغم وجود من لا يعترف به من المعاصرين- والاستدلال العقلي كفيل بردّ وتفنيد الشبهات المثارة حول عدالة الصحابة.

التوصيات:

– العناية بتدريس تاريخ وسير الصحابة للناشئة في المراحل الأولى للتعليم، وتخصيص مقاييس لدراسات معمّقة حول تاريخ الصحابة والاعتراضات عليهم في المعاهد الشرعية ، و المؤسسات الأكاديمية التي تُعنى بالدراسات الإسلامية .

– ضرورة تأطير وتكوين طلبة علم متخصصين في الدراسات المعاصرة حول قضايا السنة النبوية.

– العناية بترجمة بحوث المستشرقين المعاصرين الذين تكلموا في مصادر السنة ، ورواتها ، من الصحابة وغيرهم، مما يسهّل على الباحثين الرد على اعتراضاتهم وشبهاتهم.

– إنشاء مراكز بحث خاصة بتتبع الشبهات حول ثوابت الإسلام وتفيندها ، وطباعة بحوثها بحيث تكون في المتناول ، ولا تبقى حكرا على فئة معيّنة داخل أسوار المراكز والجامعات.

– عقد حلقات في المساجد من قبل الدكاترة وطلبة العلم الشرعي ليكونوا على تواصل دائم بالمجتمع ، مما يسهّل عليهم معرفة ما يجري على الصعيد الديني وما يثار حول الإسلام من شبهات، ومدى تمكّن هذه الدعوات من المسلمين سيما الشباب منهم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحابته العدول الأطهار الصادقين.

الفهارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية

ثانيا: فهرس الأحاديث والآثار

ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعا: فهرس المصادر والمراجع

خامسا: فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	143	36، 74
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾	159	264، 265
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾	204	121
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ... ﴾	207	114، 121
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ...	218	75
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾	256	198، 203
﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ... ﴾	282	43
سورة آل عمران		
﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا ... ﴾	**61**	**133**
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾	**103**	**57**
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ... ﴾	100	248
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾	110	75، 89، 248
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ ... ﴾	144	98، 101
﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ ... ﴾	172-174	101
سورة النساء		
﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴾	74	
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ... ﴾	137	102
﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ... ﴾	140-141	32
سورة المائدة		

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ... ﴾	3	259
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾	9	81
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾	55	102
﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ﴾	56	172
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ ... ﴾	90	124
﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾	-117 118	103
سورة الأعراف		
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ... ﴾	158	202
سورة الأنفال		
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾	4-2	
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ... ﴾	38	
﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ... ﴾	-62 63	
﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴾	-67 68	81
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ... ﴾	74	79
سورة التوبة		
﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ... ﴾	41	202
﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً ﴾	46	112
﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ ... ﴾	92	263
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ... ﴾	100	89
﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ... ﴾	101	247
﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ... ﴾	110	33
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ... ﴾	111	33

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ... ﴾	118	82
سورة هود		
﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ... ﴾	43	57
سورة يوسف		
﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ ... ﴾	32	57
سورة النحل		
﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	83	102
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ... ﴾	125	203
سورة الإسراء		
﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴾	77	
سورة الكهف		
﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ ... ﴾	34	4
﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ... ﴾	37	4
﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ ... ﴾	55	
سورة الأنبياء		
﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ ... ﴾	104	103
سورة الحج		
﴿ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾	29	255
﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾	30	81
﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾	78	202
سورة النور		
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾	26	216
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾	55	121

سورة لقمان		
﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ ... ﴾	15	4
سورة الأحزاب		
﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾	33	262، 263
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ... ﴾	57	314
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ ... ﴾	58	314
سورة ص		
﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾	28	43
سورة الزمر		
﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ ﴾	20	
سورة محمد		
﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ... ﴾	30	248
سورة الفتح		
﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ... ﴾	18	79، 89
﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ... ﴾	29	80، 287، 317
سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴾	6	43، 294
سورة النجم		
﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴾	28	243
﴿ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴾	34	143
سورة الرحمان		
﴿ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴾	70	77

سورة الحشر		
﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ... ﴾	8	263
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾	10	71
سورة الممتحنة		
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ... ﴾	8	198
سورة الطلاق		
﴿ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾	2	37، 42
سورة المزمل		
﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ ﴾	20	82
سورة المدثر		
﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ... ﴾	42-44	255
﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾	48	255
سورة العلق		
﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾	1-2	214

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية وآثار الصحابة

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
اثْبُتْ أُحُدُ	أنس	87
اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ	عَائِشَةَ	217
استشار عمر الناس في إملاص المرأة	المسور بن مخرمة	295
أعظم الخطايا الكذب	ابن مسعود	294
إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُول: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبِثَ بِمَكَّةَ	عُرْوة	301
أَنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ	عبد الله بن رافع	297
إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه:	عائشة	297
أَنَّ النِّكَاحَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ	عائشة	291
إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين	معاوية بن أبي سفيان	254
أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ	أبو سفيان	307
أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ	عائشة	214
أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟	عَمْرو بْن العَاصِ	86
ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ"، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ	موسى	87
بَعَثَ عُمَرُ النَّاسَ فِي أَفْنَاءِ الأَمْصَارِ	جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ	204
بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ	أَبو سَعِيدٍ الخدري	111
جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ	سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ	218
جالست ابن عمر رضي الله عنه سنة	الشعبي	303

حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ	أبو هريرة	264
الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ	عمر بن الخطاب	300
الخوارج هم كلاب النار	عبد الله بن أبي أوفى	111
خير الناس قرني	عبد الله بن مسعود	82
ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ	أبو بكرة	83
سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ القُنُوتِ	عاصم الأحول	302
السلام عليكم	أبو موسى الأشعري	43
سمعت عمر رضي الله عنه يقول لعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد	مالك بن أوس	295
سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ	عمر بن الخطاب	301
شَهِدَ عِنْدِي رِجَالٌ مَرْضِيُّونَ	ابْنِ عَبَّاسٍ	44
صحبت سعد بن مالك رضي الله عنه	السائب بن يزيد	303
صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ	سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ	85
عن النبي ﷺ أنه سئل أي العمل أفضل؟	أبوهريرة	202
فجاءته الخوارج	أبو وائل	111
فكنت إذا خرجت في الناس	كعب بن مالك	33
فوالله لأن أخر من السماء أحب إلي	علي	294
فيهم رجل مخدج اليد	عبيدة السلماني	112
قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ	سلمة بن الأكوع	298

ﷺ		
قام فينا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ	ابن عباس	103
قلت لزيد بن أرقم رضي الله عنه: حدثنا عن رسول الله ﷺ	عبد الرحمن بن أبي ليلى	303
كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا حدث	ابن سيرين	302
كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شيءٌ	أبو سعيد الخدري	315
كَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ	سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ	87
كذب أبو السنابل	سبيعة الأسلمية	299
كذب أبو محمد؛ أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ	عبادة بن الصامت	300
الكذب مجانب للإيمان	أبو بكر	294
كذب نوف	ابن عباس	301
لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ	ابن عمر	70
لا تَسُبُّوا أصحابي	أبو سعيد الخدري	84
لا تكتبوا عني	أبو سعيد الخدري	245
لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ	عمر بن الخطاب	297
لأن يضعني الصدق وقلما يفعل	عمر	294
لم يكونوا يسألون عن الإسناد	ابن سيرين	308
لَمَّا بُنِيَ هَذَا الْمَسْجِدُ مَسْجِدُ الْجَامِعِ	حَبِيب بْن أَبِي فَضَالَةَ الْمَكِّيَّ	255
لما جاء القوم من مصر إلى عثمان رضي الله عنه	محمد بن علي	131

لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا	أَبِو هُرَيْرَةَ	86
لولا حدثان قومك بالكفر	عائشة	266
ليس كلنا سمع حديث رسول الله ﷺ	البراء بن عازب	297
ما أخطاني ابن مسعود عشية خميس	عمرو بن ميمون	302
ما أظن فلانا وفلانا يعرفان	عائشة	33
مَا جَاءَ بِكُمْ؟	ربعي بن عامر	203
ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله ﷺ	عائشة	306
المِغْمَي عَلَيْهِ يُصَلّي مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ صَلاَةً	عُمَرَ	301
والوسط العدل	أبو سعيد الخدري	74
يا أَبَا أُمَامَةَ، لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي	عَمْرٌو بن عبسة	298

ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	الصفحة
إجناس جولد تسيهر Ignaz Goldziher	185
أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام	144
إسماعيل الكردي كاتب سوري	249
باتريريشيا كرون	191
جمال الدين الأفغاني	238
جون إدوارد وانسبرو	190
حمادي ذويب	313
خليل عبد الكريم	287
زكريا أوزون	279
سيد محمود القمني	312
عبد الجواد ياسين	281
عبد الرحمن بن ملجم المرادي	121
عبد الرزاق عيد	287
عبد الله بن إباض التميمي الإباضي	117
عبد الله بن صفار الصريمي	116
عبد الله بن وهب الراسبي من بني راسب قبيلة معروفة	110
عبد المجيد الشرفي	276
عدنان إبراهيم	260
عضد الدين الإيجي	150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عمرو بن بحر الجاحظ	144
عمرو بن عبيد	143
عيسى بن فاتك الخطي	112
فاطمة قشوري	288
ابن فورك	149
كولونيل رونالد فيكتور كورتيناي بودلي	196
مايكل كوك	191
محمد أركون	274
محمد حمزة	278
محمد رشيد بن علي رضا القلموني	248
محمد شحرور	275
محمد عبده	240
مصطفى بوهندي	284
أبو المعالي الجويني	149
مونتجمري وات	194
نادر الحمامي	22
نافع بن الأزرق الحروري	115
نجدة بن عامر الحروري	116
هرلد موتسكي	192
هشام جعيط	279
واصل بن عطاء	143

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يوسف شاخت	**188**
يوليوس فلهوزن	**194**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا: قائمة الكتب

1. الإباضية في موكب التاريخ: علي يحي معمر، ، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، الطبعة الثالثة، 1429هـ، 2008م.
2. الإبانة عن أصول الديانة: علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري، ت: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1397هـ .
3. ابن سبأ حقيقة لا خيال: سعيد الهاشمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1406هـ.
4. الإبهاج في شرح المنهاج: علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ_1995م.
5. أبو بكر الصديق شخصيته وعصره: علي محمد محمد الصلابي، ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1423هـ-2002م.
6. أبو هريرة راوية الإسلام: محمد عجاج خطيب، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، 1402 هـ - 1982م.
7. أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ: حارث سليمان الضاري، مبرة الآل والأصحاب، الكويت، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م.
8. الاتجاهات الحديثة في الإسلام: هاملتون جب، تعريب: جماعة من الأساتذة الجامعيين، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، د.ط، بيروت، 1961م.
9. الاتجاهات العقلانية الحديثة: ناصر عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م.
10. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1405هـ-2008م.
11. أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء: مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1418هـ-1998م.
12. الإثنا عشرية وأهل البيت: محمد جواد مغنية، دار الجواد، دار التيار الجديد، بيروت، الطبعة الرابعة، 1404هـ .

13. إجابة السائل شرح بغية الآمل: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني، ت: حسين بن أحمد السياغي وحسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.

14. اجتماع الجيوش الإسلامية: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.

15. الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، مطبعة الحميدية، بغداد، 1301 هـ .

16. الاحتجاج: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ط، 1401هـ.

17. أحزاب المعارضة الدينية في صدر الإسلام- الخوارج والشيعة-: كلود فلهوزن، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، 1978م.

18. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

19. إحقاق الحق وإزهاق الباطل: نور الله الحسيني المرعشي، تعليق: شهاب الدين النجفي، المطبعة الإسلامية، طهران، د.ط، د.ت.

20. الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان، د.ط، د.ت.

21. الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ت: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.

22. الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، ت: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960م.

23. أخبار المدينة: عمر بن شبة النميري البصري، ت: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ-1996م.

24. اختصار علوم الحديث: إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م.

25. الاختصاص: محمد بن محمد بن النعمان المفيد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ط، 1402هـ.

26. اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، محمد بن الحسن الطوسي، ت: محمد حاسم الماجدي، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، د.ب، الطبعة الأولى،1440هـ-2019م.

27. آراء محمد رشيد رضا في السنة النبوية من خلال مجلة المنار، دراسة تحليلية نقدية: محمد بن رمضان رمضاني، الرياض، الطبعة الأولى، 1434هـ .

28. إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ: محمد بن علي الشوكاني دار المنار، الرياض، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م.

29. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ت: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، كفر بطنا، دار الكتاب العربي، الطبعة الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م.

30. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: عبد الملك بن عبد الله الجويني، ت: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة الخانجي، مصر، د.ط، 1950م .

31. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

32. الاستشراق والإسلام مطارحات نقدية للطروحات الاستشراقية، خالد إبراهيم المحجوبي، د.د، د.ب، د.ط، د.ت.

33. الاستشراق والتاريخ الإسلامي: فاروق عمر فوزي، منشورات الأهلية، لبنان،د.ط، 1998م.

34. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، - سلسلة كتاب الأمة – الطبعة الأولى،عدد صفر الخير، 1404هـ.

35. الاستشراق والدراسات الإسلامية: عبد القهار داود عبد الله، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1421هـ.

36. الاستشراق والدراسات الإسلامية، مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم: علي بن إبراهيم النملة، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2011م.

37. الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر: عدنان محمد وزان، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، د.ط، د.ت.

38. الاستشراق والمستشرقون: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1399هـ.

39. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، ت: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ط، د.ت.

40. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992 م.

41. أسد الغابة في معرفة الصحابة: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير، ترجمة: دليم، دار الفكر، بيروت، 1409هـ - 1989م.

42. الإسرائيليات في التفسير والحديث: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1425هـ، 2005م.

43. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: شوقي أبو خليل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ-1995م.

44. الإسلام بين الرسالة والتاريخ: عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2001م.

45. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده، دار المنار، الطبعة السابعة، 1367هـ.

46. الإسلام وحضارته: أنديه ميكل، ترجمة: زينب عبد العزيز، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1981م.

47. الإسلام: هنري ماسيه، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

48. أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد: علي بن أحمد بن عبد الله بن حزم، ت: مسعد عبد الحميد السعدي، مكتبة القرآن القاهرة، د.ط، د.ت.

49. الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى، د.ت.

50. الإشارة إلى مذهب أهل الحق: إبراهيم بن علي بن يوسف، ت: محمد السيد الجليند، القاهرة، 1420هـ-1999م.

51. الأشباه والنظائر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، د.ب، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م.

52. الإصابة في تمييز الصحابة: ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ .

53. أصول الدين: أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي، ت: الدكتور عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419 – 1998م .

54. أصول السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسى، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1414 هـ- 1993 م .

55. أصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، 1388هـ .

56. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية: ناصر بن عبد الله الغفاري، د.د، د.ب، الطبعة الثانية، 1415هـ-1994م.

57. إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة: أحمد المقري، ، دار الفكر، د.ب، د.ط، د.ت.

58. أضواء على السنة النبوية: محمود أبورية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، د.ت.

59. الاعتصام: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي بالشاطبي، ت: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م.

60. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي خطيب، ت: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

61. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002 م.

62. الأعمال الكاملة: محمد عبده، ت: محمد عمارة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1993م.

63. أعيان الشيعة: محمد الأمين العاملي، مطبعة ابن زيدون، دمشق، د.ط، د.ت.

64. الاقتصاد في الاعتقاد: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2004 م.

65. أكثر أبو هريرة: مصطفى بوهندي، مطبوعات النجاح، الدر البيضاء، الطبعة الأولى، أفريل2002م.

66. إكمال إكمال ال محمد بن خلفة بن عمر الأُبيّ معلم: ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

67. إكمال المعلم بفوائد مسلم: عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، ت: يحيى إسماعيل، المنصورة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 1419هـ .

68. ألفية السيوطي في علم الحديث: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، صححه وشرحه: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، د.ب، د.ط، د.ت.

69. ألفية العراقي المسماة بـ: التبصرة والتذكرة في علوم الحديث: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، ت: العربي الدائز الفرياطي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1428 هـ .

70. الأم: محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1410هـ-1990م.

71. الإمام الزهري وأثره في السنة: حارث الضاري، مكتبة بسام، 1405هـ-1985م.

72. الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية: نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014م.

73. الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية: نصر حامد أبو زيد، دار سينا، القاهرة، د.ط، 1992م.

74. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

75. الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط، ت: نيبرج، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، 1433هـ-1925م.

76. الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد: عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط، ت: نيبرج، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، 1433هـ-1925م.

77. الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم: يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

78. الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه: محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي، ت: عبد الكريم بن علي محمد بن النملة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة، 1999م.

79. انحرافات الخطاب الحداثي في تونس: محمد عادل لطيف، موقع رسمي: الأوان من أجل ثقافة علمانية عقلانية، ديسمبر 2013م.

80. الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، ت: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1962م.

81. الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون: مصطفى كيحل، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م.

82. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: أبو بكر بن الكيب الباقلاني، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، 1421هـ-2000م.

83. الأنوار الكاشفة الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة: عبد الرحمن بن يحي بن علي المعلمي اليماني، المطبعة السلفية ومكتبتها، عالم الكتب، بيروت، 1406 هـ - 1986 م

84. اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا: محمد لقمان السلفي، دار الداعي، الهند، الطبعة الثانية، 1420هـ، ص205.

85. أهل الدين والديموقراطية: سيد القمني، دار مصر المحروسة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.

86. أوائل المقالات في المذاهب المختارات: محمد بن محمد بن نعمان الملقب بالمفيد، مكتبة الداوري، قم، إيران، د.ط، د.ط.

87. أولية العقل: عادل ظاهر، دار أمواج، د.ب، الطبعة الأولى، 2001م.

88. الإيضاح: الفضل بن شاذان الأزدي، ت: جلال الدين الحسيني، مؤسسة انتشارات وجاب وانشكاه طهران، د.ط، 1363هـ.

89. أين هو الفكر الإسلامي المعاصر: محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م.

90. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1399هـ.

91. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1420 هـ.

92. البحر المحيط: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994م.

93. البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ط، د.ت.

94. البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين: نور الدين الصابوني، ت: فتح الله خليف، دار المعارف، مصر، د.ط، 1969 م .

95. البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

96. البدعة وأثرها في الدراية والرواية: عائض بن عبد الله القرني، جمع وترتيب: خالد محمد الأنصاري، دار الطرفين، الطائف، د.ط، د.ت.

97. البرهان في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ت: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م.

98. بسط التجربة النبوية: عبد الكريم سروش، ترجمة وتحقيق: القبانجي، دار الفكر الجديد، العراق، الطبعة الأولى، 2016 م.

99. بل ضللت: خالد العسقلاني، دار الأمل، القاهرة، الطبعة الثانية، 1420هـ.

100. بلايا بوزا: محمد الجنبيهي، د.د، د.ب، د.ط، د.ت.

101. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: أحمد عبد الحليم بن تيمية، ت: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد، د.ب، الطبعة الأولى، 1426هـ .

102. تاج التراجم: قاسم بن قُطلُوبغا، ت: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1413 هـ -1992م.

103. تاريخ أصبهان= أخبار أصبهان: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410 هـ-1990م.

104. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى، 1350هـ-1931م.

105. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003 م.

106. تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية: يوليوس فلهوزن، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريده، دار بيبلون، باريس، د.ط، 2008م .

107. تاريخ العرب العام: سيديو، ترجمة: عبد الله الشيخ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2002م.

108. تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: كلود كاهن، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ.

109. تاريخ العرب: فيليب حتي وآخرون، دار غندور، لندن، الطبعة الخامسة، 1974م.

110. تاريخ بغداد: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002 م، 415/11.

111. تاريخ خليفة بن خياط: خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، ت: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1397م.

112. تاريخ دمشق: علي بن الحسن بن هبة بن عساكر، ت: علي شبري، دار الفكر، د.ب، د.ط، د.ت.

113. تاريخ مسلمي إسبانيا: رينهارت دوزي، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1963م.

114. تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ: ألفريد لويس دي بريمار، ترجمة: عيسى محاسبي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، د.ت.

115. التأويل الحداثي للتراث، التقنيات والاستمدادات: إبراهيم السكران، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1435هـ، 2014م.

116. تأويل مختلف الحديث: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المكتب الاسلامي، مؤسسة الإشراق، الطبعة الثانية، 1419هـ - 1999م.

117. التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عمر فروخ ومصطفى الخالدي، منشورات المكتبة العصرية، د.ب، د.ط، د.ت.

118. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد الأسفراييني، ت: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م.

119. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ .

120. تجديد الخطاب الإسلامي وتحيات الحداثة: عبد الجليل أبو المجد وعبد العالي حارث، أفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2011م.

121. تجريد أسماء الصحابة: دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، 1315هـ.

122. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه: علي بن سليمان المرداوي، ت: عوض بن محمد القرني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م.

123. تحرير علوم الحديث: عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م .

124. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984 هـ .

125. تحفة المريد على جوهرة التوحيد: إبراهيم الباجوري، ت: علي جمعة، دار السلام، ، د.ب، د.ط، د.ت .

126. تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي، ت: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، 1410هـ.

127. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، د.ب، د.ت.

128. تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري: محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م.

129. تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م.

130. التراث والتجديد من العقيدة إلى الثورة: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.

131. التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، ت: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ.

132. تطهير الجنان واللسان عن ثلب معاوية بن أبي سفيان مع المدح الجلي وإثبات الحق العلي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، علق عليه: إبراهيم بن حمدي بن عبد الله، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م.

133. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت: د. إكرام الله إمداد الحق، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.

134. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م.

135. تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السلمي، ت: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية، طهران، د.ط، د.ت.

136. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ - 1999 م.

137. تفسير الماوردي = النكت والعيون: علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الماوردي ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

138. تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990 م.

139. تفسيرالقمي: علي بن إبراهيم القمي، تصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الثانية، بيروت، 1387هـ.

140. تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.

141. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: يحيى بن شرف النووي، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ - 1985 م.

142. التقرير والتحرير في علم الأصول: محمد بن محمد بن أمير الحاج، دار الفكر، بيروت، 1417هـ-1996م.

143. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: عبد الرحيم بن الحسين العراقي، 1389هـ-1969م.

144. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1389هـ-1969م.

145. تلبيس إبليس: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2001م.

146. التمهيد في أصول الفقه: محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني، ت: محمد بن علي بن إبراهيم، ومفيد محمد أبو عمشة، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، 1406هـ-1998م.

147. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: سعيد أحمد أعراب، د.د، الرباط، 1401هـ-1981م.

148. التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان: أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن بكر الأشعري المالقي الأندلسي، ت: محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى، 1405هـ.

149. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني، ت: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، الطبعة الثانية، 1977م.

150. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني، تخريج وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، زهير الشاويش، عبد الرزاق حمزة، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1986 م.

151. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1400 هـ – 1980م.

152. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الازهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

153. التوحيد: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، ت: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

154. تيارات الفكر الإسلامي: محمد عمارة، دار الشروق، د.ب، الطبعة الثانية، 1418هـ-1997م.

155. التيارات الفكرية المعاصرة، الحداثة وما بعد الحداثة: عبد الوهاب المسيري، لقاء ومحاضرة مصورة، 1994م.

156. تيسير التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية، محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن الهمام، مطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده، مصرد.ط، 1351هـ.

157. تيسير التحرير: محمد أمين بن محمود البخاري الحنفي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت .

158. الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب: علي أحمد سعيد، أدونيس، دار الساقي، بيروت، الطبعة السابعة، د.ت.

159. الثقات: محمد بن حبان بن أحمد البستي، ت: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1395هـ – 1975م.

160. ثمرات النظر في علم الأثر: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني، ت: رائد بن صبري بن أبي علفة، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م.

161. جامع الأصول في أحاديث الرسول: المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير، ت: عبد القادر الأرناؤوط، التتمة تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، 1389 هـ، 1969 م.

162. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

163. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ

164. جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1994 م.

165. جدلية الصحابة بين النص والعقل والسيرة: أبو الحسن حميد المقدس الغريفي، مكتب أنصار الحجة الإسلامي، الطبعة الأولى، د.ت.

166. الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 1271 هـ- 1952 م.

167. جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين: زكريا أوزون، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

168. جهالات وأضاليل: نقض افتراءات عبد المجيد الشرفي على السنة النبوية: سامي عامري، دار البصائر، 2012م.

169. الجهمية والمعتزلة: ناصر عبد الكريم العقل، دار الوطن، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م.

170. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

171. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني: علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، ت: علي محمد معوض و الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ -1999 م.

172. الحداثة في منظور إيماني: عدنان رضا النحوي، دار النحوي، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1409هـ-1988م.

173. الحداثة في منظور إيماني: عدنان علي رضا النحوي، دار النحو للنشروالتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1410هـ-1989م.

174. الحداثة وموقفها من السنة: عبد الله الحارث فخري، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013م.

175. الحديث والمحدثون: محمد محمد أبو زهو، دار الفكر العربي، د.ط، القاهرة، 1378هـ .

176. الحركات السرية في الإسلام: محمود إسماعيل، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1975م.

177. الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول: محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، ت: حسنين محمد مخلوف، مطبعة المدني، مصر، 1386 هـ .

178. حضارة العرب: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، د.د، د.ب، الطبعة الثالثة، 1399هـ.

179. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين: مجموعة من المؤلفين، إشراف: محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مطابع الأهرام، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1427هـ-2006م.

180. حياة محمد: إميل درمنغم، ، ترجمة: محمد عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.

181. خالد بن الوليد المخزومي: محمود شيت خطاب، الطبعة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978م.

182. الخصال للصدوق: ابن بابويه القمي، تصحيح: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، د.ط، 1389هـ.

183. الخصائص الكبرى: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

184. الخلاصة في أصول الحديث: الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: صبحي السامرائي، رئاسة ديوان الأوقاف، العراق، الطبعة الأولى، 1381هـ.

185. الخلافة الإسلامية: محمد سعيد العشماوي، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1992م.

186. الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.

187. خواطر وسوانح: دي كاستري، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، مكتبة النافذة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى.

188. دائرة المعارف الإسلامية: يصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتاوي، وإبراهيم زكي خورشيد، الطبعة الأولى، د.ت.

189. درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1411 هـ - 1991م.

190. دراسات إسلامية: حسن حنفي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1981م.

191. دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ.

192. دراسات محمدية: إجناس جولد تسيهر، ترجمة: الصديق بشير نصر، المركز العالمي لدراسة الاستشراق، لندن، الطبعة الثانية، 2009م.

193. دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين"الخوارج والشيعة": أحمد محمد أحمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثامنة، 1408هـ-1998م.

194. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الثانية، 1392هـ-1972م.

195. الدعوة إلى الإسلام: توماس أرنولد، ترجمة: حسن إبراهيم، وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، د.ت.

196. دفاع عن السُنَّة ورد شبه المسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1985 م.

197. دفع الشبهات عن السنة النبوية: عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2001م.

198. دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث: امتياز أحمد، نقله غلى العربية: عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الثانية، د.ت.

199. الدولة الأموية والمعارضة: فان فلوتن، ترجمة: إبراهيم بيضون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.ب، الطبعة الثانية، 1405هـ-1998م.

200. الدولة والمجتمع: محمد شحرور، الأهالي للطباعة، دمشق، الطبعة الثالثة، 1996م.

201. ديوان المتنبي: شرح أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، ت: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

202. ديوان ذي الرمة: شرحه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.

203. ديوان زهير بن أبي سُلمى: اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1426هـ-2005م.

204. رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة: عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

205. رجال الكشي: محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء، العراق، د.ط، د.ت. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي، إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ.

206. الرد على الأخنائي قاضي المالكية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ت: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ.

207. الرد على مزاعم المستشرقين إجناس جولد تسيهر وجوزيف شاخت ومن أيدهما من المستغربين: عبد الله عبد الرحمن الخطيب، د.د، د.ب، د.ط، د.ت.

208. ردود على شبهات المستشرقين: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ.

209. الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين: يحي بن حمزة بن إبراهيم، مكتبة دار التراث، صنعاء، الطبعة الأولى، 1411هـ-1990م.

210. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: علي بن إسماعيل إسماعيل بن عبد الله بن بن أبي موسى الأشعري، ت: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،د.ط، 1413هـ .

211. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المؤسسة السعودية بمصر، د.ط، 1407هـ-1987م.

212. الرسالة: محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، ت: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، 1358هـ-1940م.

213. رسائل ابن حزم الأندلسي: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ت: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.

214. رسائل الجاحظ: عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت.

215. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين: نذير حمدان، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، د.ط، 1401هـ.

216. الرسول حياة محمد: رونالد فيكتور بودلي، ترجمة: محمد محمد فرج، وعبد الحميد جوده السحار، مكتبة مصر، د.ط، د.ت.

217. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، ت: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ1999م.

218. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: محمد عبد الحي بن محمد اللكنوي الهندي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثالثة، 1407هـ.

219. روح الحداثة: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م.

220. الروض الباسم: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الوزير، عناية: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

221. الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة: يحيى بن أبي بكر العامري، أشرف تحقيقه: عبد الله بن إبرهيم الأنصاري وعبد التواب هيكل، الشؤون الدينية بوزارة التربية والتعليم، د.ب، د.ط، د.ت.

222. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، د.ت.

223. الزواجر عن اقتراف الكبائر: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.

224. الزيدية نظرية وتطبيق: علي عبد الكريم الفضيل، جمعية عمال المطابع، عمان، الطبعة الأولى، 1405هـ.

225. سدنة هياكل الوهم، نقد العقل الفقهي (البوطي نموذجا): عبد الرزاق عيد، دار النشر، بيروت، الطبعة الأولى، د، ت.

226. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، د.ط، 1285 هـ.

227. السقيفة: محمد رضا المظفر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ب، الطبعة الرابعة، 1973م.

228. السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 2000م.

229. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، ت: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

230. السنة الرسولية والسنة النبوية: محمد شحرور، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2012م.

231. السنة بين الأصول والتاريخ: حمادي ذويب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2013م.

232. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، د.ط، 1430هـ-2010م.

233. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي: دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1402 هـ - 1982 م.

234. السنة: أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي، ت: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م.

235. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، دط، د.ت.

236. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ -1985 م.

237. السيرة النبوية وأوهام المستشرقين: عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، د.ت.

238. السيف المسلول على من سب الرسول: علي بن عبد الكافي السبكي، ت: إياد أحمد الغوج، دار الفتح، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م .

239. شاخت والسنة النبوية: محمد مصطفى الأعظمي، مقالة في كتاب"مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، د.ط، د.ت.

240. شجرة الحضارة: لنتون رالف، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرةند.ط، د.ت.

241. شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، جزء محمد الصحابة: خليل عبد الكريم، دار سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1998م.

242. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري، ت: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م.

243. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة، 1423هـ - 2003م.

244. شرح الإرشاد: عبد الله بن ميمون، ت: أحمد حجازي السقا، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1987م.

245. شرح الخريدة البهية في علم التوحيد: أحمد بن محمد العدوي الدردير، ت: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، دار البيروتي، د.ط، د.ب، د.ت، ص204.

246. شرح الصاوي على جوهرة التوحيد: أحمد بن محمد الصاوي، ت: عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م.

247. شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتزاني، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ط، د.ت.

248. شرح العقيدة الطحاوية: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، ت: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

249. شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الثالثة، 1415 هـ.

250. الشرح الكبير على مختصر خليل مع حاشية الدسوقي: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، دار الفكر، د.ط، د.ت.

251. شرح الكوكب المنير: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي، ت: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 م.

252. شرح المقاصد في علم الكلام: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتزاني، ت: عبد الرحمن عميرة، د.د، د.ط، د.ب، د.ت.

253. شرح جوهرة التوحيد: إبراهيم بن محمد البجوري، إبراهيم اللقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعةالأولى، 1403هـ-1983م.

254. شرح صحيح البخارى: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، 1423هـ - 2003م.

255. شرح علل الترمذي: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: همام سعيد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، 1421هـ .

256. شرح قواعد الأصول ومعاقد الفصول: عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي، كنوز إشبيليا المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م.

257. شرح مختصر الروضة: سليمان بن عبد القوي الطوفي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م.

258. شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر: علي بن سلطان محمد، الملا القاري، ت: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت.

259. شروط الأئمة الخمسة: محمد بن موسى الحازمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1405هـ-1984م .

260. الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، ت: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، 1420 هـ - 1999 م .

261. الصارم المسلول على شاتم الرسول: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت.

262. الصحابة في حجمهم الحقيقي: الهاشمي بن علي، مركز الأبحاث العقائدية، قم، إيران، الطبعة الثانية، 1427هـ.

263. الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام سمات وإشارات، شبهات وردود: عبد الله بن سليمان الشايع، د.د، د.ب، الطبعة الأولى، 1428هـ.

264. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

265. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ – 1993م.

266. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: محمد علي بن يونس العملي النباطي، ت: محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، مطبعة الحيدرية، إيران، د.ط، د.ت.

267. صلة الخلف بموصول السلف: محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر الرُّوداني السوسي المكيّ المالكي، ت: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ- 1988م.

268. الصمت وآداب اللسان: عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا أبو بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ.

269. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، ت: عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.

270. صورة الصحابي في كتب الحديث: نادر الحمامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، د.ت.

271. ضحى الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة، القاهرة، الطبعة الثامنة، د.ت.

272. الضعفاء والمتروكين: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ت: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1406هـ.

273. طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، ت: محمد حامد الفقيه، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

274. طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت: محمود محمد الطناحي، و عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ.

275. طبقات الشعراء: عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي، ت: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.

276. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت

277. الطبقات الكبير: محمد بن سعد بن منيع، ت: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة،

1421هـ-2001م.

278. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، ت: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1412هـ – 1992م.

279. عائشة في كتب الحديث والطبقات: فاطمة قشوري، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014م.

280. العثمانية: عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، د.ب، الطبعة الأولى 1411هـ-1991م.

281. عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

282. عداء الماتريدية للعقيدة السلفية وموقفهم من الأسماء والصفات: شمس الدين السلفي الأفغاني، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية، الطبعة الثانية، د.ت.

283. عدالة الصحابة بين الواقع والتقديس: يحيى عبد الحسن الدوخي، المجمع العلمي لأهل البيت، طهران، الطبعة الأولى، 1430هـ، .

284. عدالة الصحابة رضى الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع الشبهات: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني ت: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، د.د، د.ط، د.ت.

285. عدالة الصحابة: محمد سند، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ.

286. العدة في أصول الفقه: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، ت: أحمد بن علي بن سير المباركي، د.د، الطبعة الثانية 1410 هـ - 1990 م .

287. عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث لبقي بن مخلد، منشور في كتاب: بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده، ت: أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، د.ط، 1984م-1404هـ .

288. العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ت: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، 1426هـ.

289. العرب تاريخ موجز: فيليب حتي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، د.ت.

290. العرب والإسلام والخلافة العربية: بليائيف، ترجمة: أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، د.ط، د.ت .

291. العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد ناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الثانية، 1422هـ.

292. عقائد الإمامية الإثني عشرية: الموسوي الزنجاني النجفي، مؤسسة الوقاء، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت .

293. عقد اللآلئ في الرد على أبي حامد الغزالي: يحيى بن حمزة، ت: إما حنفي سيد عبد الله، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م.

294. العقلانيون أفراخ المعتزلة: علي حسن الحلبي، مكتبة الغرباء الأثرية، د.ب، الطبعة الأولى، 1413هـ .

295. العقود الفضية في أصول الإباضية: سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، 1438هـ-2017م.

296. العلل ومعرفة الرجال: أحمد بن حنبل، ت: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، الطبعة الثانية، 1422 هـ - 201 م.

297. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: محمود بن أحمد بن موسى العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

298. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودي، الطبعة الأولى، 1419هـ.

299. غاية الأماني في الرد على النبهاني: محمود شكري بن عبد الله الألوسي، ت: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م.

300. غاية المرام في علم الكلام: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، ت: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ط، د.ت.

301. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ، د.ط، دت.

302. فتح الباقي بشرح ألفية العراقي: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي، ت: عبد اللطيف هميم و ماهر الفحل، دار الكتب العلمية، الطبعة الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.

303. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: أحمد عبد الرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.

304. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، ت: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الطبعة الأولى، 1424هـ -2003م.

305. الفتنة ووقعة الجمل: سيف بن عمر الأسدي التَّمِيمي، ت: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، الطبعة السابعة، 1413هـ-1993م.

306. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد الأسفراييني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1977م.

307. الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، دت.

308. فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل الشيباني، ت: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ – 1983م.

309. فضل الاعتزال: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، الدار التونسية، د.ب، د.ط، 1393هـ.

310. الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: محمد أركون، مكتبة الفكر الجديد، دار الساقي، الطبعة الرابعة، 2007م.

311. الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: محمد أركون، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، 2002م.

312. الفكر العربي في عصر النهضة: ألبرت حوراني، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار، بيروت، د.ط، د. ت .

313. الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د.محمد أركون ود.إدوارد سعيد: نعمان عبد الرزاق السامرّائي، دار صبري، الرياض، د.ط، 1409هـ-1998م.

314. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر: أحمد سمايلوفيتش، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1418هـ-1998م.

315. فن الشعر: إحسان عباس، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1959م.

316. فواتح الرحموت للكنوي بشرح مسلم الثبوت: محب الله بن عبد الشكور البهاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م.

317. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، ، دار الفكر، د.ط، 1415هـ - 1995م.

318. الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

319. في الحديث النبوي: مصطفى أحمد الزرقا، عناية: مجد مكي، الطبعة الثالثة، 1430هـ-2009م، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

320. في السيرة النبوية-1-الوحي والقرآن والنبوة:هشام جعيط ، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.

321. في حوار هادئ مع الشيخ محمد الغزالي: سلمان العودة، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والغفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1409هـ.

322. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرةالطبعة السابعة عشر، 1412 هـ .

323. في ميزان الإسلام، نظرات إسلامية في أدب الحداثة: عوض بن عبد الله القرني، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م.

324. قالوا عن الإسلام: عماد الدين خليل، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ.

325. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

326. قراءات فيما بعد الحداثة: مجموعة من الباحثين، ترجمة: حارث محمد حسن وباسم علي خريسان، د.د، دب، د.ط، د.ت.

327. القرآنيون: خادم حسين إلهي بخش، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الثانية، 1421هـ2000م.

328. القرآنيون، نشأتهم، عقائدهم، أدلتهم: علي زينو، دار القبس، دمشق، الطبعة الأولى، 1432هـ-2011م.

329. قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم: محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، د.ط، د.ت.

330. قفو الأثر في صفوة علوم الأثر: محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، 1408هـ .

331. قواطع الأدلة في الأصول: منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ-1999م.

332. القول المفيد في علم التوحيد: محمد بخيت المطيعي، المطبعة الخيرية، د.ب، الطبعة الأولى، 1326هـ.

333. الكامل في التاريخ: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ- 1997م.

334. الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1417 هـ - 1997 م.

335. الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد بن عدي الجرجاني، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وشارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ1997م.

336. الكبائر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.

337. كتاب التلخيص في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، الحرمين، ت: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، د.ط، د.ت.

338. كتاب سليم بن قيس سليم بن قيس الهلالي الكوفي، ت: محمد باقر الأنصاري، طبعة نكارش، إيران، قم، الطبعة الأولى، 1422هـ .

339. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.

340. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: عبد العزيز بن أحمد البخاري، ت: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1418هـ-1987م.

341. كشف الأسرار: روح الله الخميني، تعليق: محمد الخطيب، دار عمار، عمان، الطبعة الثالثة، 1987م.

342. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.

343. كشف المشكل من حديث الصحيحين: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، د.ط، د.ت.

344. الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ت: أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.د.ط، د.ت.

345. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، ت: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.

346. لباب المحصول في علم الأصول: الحسين بن رشيق المالكي، ت: محمد غزالي عمر جابي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م.

347. لبنات: عبد المجيد الشرفي، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994م.

348. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

349. لسان الميزان: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، 2002 م.

350. لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، سوريا، الطبعة الخامسة، 1429هـ-2008م.

351. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ت: فوقية حسين محمود، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م.

352. مجتمع يثرب: خليل عبد الكريم، دار سينا، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م.

353. المجروحين من المحدثين: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، د.ب، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م.

354. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م .

355. مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م.

356. محاضرات في الميراث عند الجعفرية: ألقاها الأستاذ محمد أبو زهرة على طلبة قسم الدراسات القانونية 1955م، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية.

357. المحدثون والسياسة: إبراهيم بن صالح العجلان، د.د، د.ب، د.ط، د.ت.

358. المحكم والمحيط الأعظم: علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،

359. المحلى: علي بن أحمد بن حزم، ت: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.

360. محمد في المدينة: مونتجمري وات، تعريب: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت.

361. محمد في مكة: مونتجمري وات، تعريب: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت.

362. محمد مؤسس الدين الإسلامي: جورج بوش، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، دار المريخ، الرياض، الطبعة الأولى، 1425هـ.

363. المحن: محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي، ت: د عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1984م.

364. مخالفة الصحابي للحديث النبوي الشريف دراسة نظرية تطبيقية: عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، 1420هـ-1999م.

365. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى1415هـ_1994م.

366. مختصر التحفة الاثني عشرية: شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، ت: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1373 هـ .

367. المدخل إلى كتاب الإكليل: محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم، ت: فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة، الإسكندرية، 1983م.

368. مذكرة في أصول الفقه: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، 2001 م.

369. المراسيل: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، ت: شكر الله نعمة الله قوجاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1397 هـ .

370. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.

371. مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الخامسة، 1393هـ-1973م.

372. المسامرة في شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة: محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن الهمام، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية، 1347هـ.

373. مسائل الخلاف في أصول الفقه: الحسين بن علي الصيمري، أطروحة دكتوراه في جامعة أكسيروفانس" مرسيليا"، فرنسا، ت: عبد الواحد جهداني، إشراف: كلود جيليوت، د.د،د.ب، د.ط، دت.

374. المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، 1964م.

375. المستصفى: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.

376. المسند: أحمد بن حنبل الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد،د.د،د.ب،د.ط،د.ت.

377. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1990 م .

378. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.

379. المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها: عواد عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة، 1421هـ-2001م .

380. المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي بن الطيب البصري، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ.

381. معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995 م.

382. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت.

383. المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد شكور الميادينى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م.

384. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، ت: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ب، د.ط، د.ت.

385. معجم متن اللغة العربية: أحمد رضا، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، 1379هـ.

386. معجم مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، د.ط، د.ت.

387. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ_1979م .

388. معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت: عادل بن يوسف العزازي، ترجمة: عبد الله بن ناسح الحضرمي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1998 م، 1794/4 .

389. معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، ابن الصلاح، ت: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1406هـ - 1986م.

390. معرفة علوم الحديث: محمد بن عبد الله الحاكم، ت: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1397هـ - 1977م.

391. المغني في أبواب التوحيد والعدل: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، قوم نصه: إبراهيم الأبياري، د.د، د.ب، د.ط، 1380هـ.

392. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ.

393. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، 1409هـ/1989م.

394. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

395. المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ .

396. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، ت: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م.

397. مقالات الشيخ أبي الحسن الاشعري: محمد بن الحسن بن فورك، ت: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م.

398. مقدمة ابن الصلاح مع شرحها محاسن الاصطلاح: عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، ، البلقيني، ت: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، د.ب، د.ط، د.ت.

399. مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، 1984م.

400. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، د.ب، د.ط، د.ت.

401. من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام: عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ.

402. مناهج الأدلة في عقائد الملة: ابن رشد الحفيد، ت: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو، القاهرة، الطبعة الأولى، 1955م.

403. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: محب الدين الخطيب، د.د، د.ب، د.ط، د.ت.

404. منهاج الأصول: عبد الله بن عمر البيضاوي، عناية: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006م.

405. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م.

406. منهاج الكرامة: حسن بن يوسف بن المطهر الحلي، ت: محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، القاهرة، د.ط، 1382هـ-1962م .

407. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ.

408. المنهج الاستشراقي في دراسة السنة وعلومها: عبد العزيز فارح، مطبعة الرباط، الطبعة الثالثة، 2012م.

409. منهج البحث الأدبي: علي جواد الطاهر، مطبعة العاني، بغداد، د.ط، 1970م.

410. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1403هـ-1983م.

411. منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين عتر، دار الفكر دمشق، سورية، الطبعة الثالثة، 1418هـ - 1997م.

412. المنهج النقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج النقدية التاريخية: عبد الرحمن بن نويفع فالح السلمي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2014م.

413. المنية والأمل في شرح الملل والنحل: احمد بن يحيى بن المرتضى، دار المعرفة الجامعية، د.ب، د.ط، 1985م.

414. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

415. الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي االشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ- 1997م.

416. المواقف: عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ت: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.

417. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي الرُّعيني، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1412هـ - 1992م.

418. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

419. موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1993م.

420. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إصدار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، د.ط، د.ت.

421. موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي: سعد بن بجاد العتيبي، مركز الفكر المعاصر، الرياض، الطبعة الثانية، 1434هـ.

422. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين: مصطفى صبري، المكتبة الإسلامية لحاج رياض، د.ط، 1369هـ.

423. موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق بن عبد بن عبد الله الشقير، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة الأولى، 1419هـ، 1998م.

424. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد، ، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1418هـ-1998م.

425. موقف المستشرقين من الصحابة ﷺ: سعد بن عبد الله بن سعد الماجد، دار الفضيلة، الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م.

426. موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم فيها: أبولبابة حسين، دار اللواء، الطبعة الثانية، 1407هـ، 1987م، المملكة العربية السعودية.

427. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م.

428. نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي: محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 2000م.

429. نحو تفعيل قواعد نقد المتن: إسماعيل الكردي، دار الأوائل، دمشق، الطبعة الثانية، 2008م.

430. نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقا بكتاب سبل السلام): أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت: عصام الصبابطي وعماد السيد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1418 هـ - 1997 م.

431. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة الثالثة، 1421 هـ - 2000 م.

432. نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض: أحمد شهاب الدين الخفاجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، 39/4، والتعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م.

433. نظريات المستشرقين حول الحديث النبوي الشريف، عرض ونقد: أحمد بركات، مؤسسة نادي الكتاب، المغرب، الطبعة الأولى، 2017م.

434. نفائس الأصول في شرح المحصول: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، د.ط، د.ت.

435. نقد الحداثة: آلان تورين، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997م.

436. النقد الحديثي بين المحدّثين والحداثيين: نماء البنّا، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد26، العدد101، 2021م.

437. نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية): ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ-2002م.

438. نقدات المستشرق الألماني هرلد موتسكي لبعض النظريات الاستشراقية حول السنة النبوية-دراسة في كتابه" بدايات الفقه الإسلامي وتطوره في مكة" أحمد صنوبر، دار الحديث الحسنية، الطبعة الأولى، 2018م.

439. النكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى والشيعة - رسالة تبحث في مخالفات الشيعة للقرآن: إبراهيم بن صبغة الله بن أسعد الحيدري البغدادي، ت: عبد العزيز بن صالح المحمود الشافعي، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م.

440. نهاية الإقدام في علم الكلام: عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، صححه: ألفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية،

441. نهاية السول شرح منهاج الوصول: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ- 1999م.

442. نهاية الوصول إلى علم الأصول: أحمد بن علي بن الساعاتي، أطروحة دكتوراه لسعد بن غرير بن مهدي السلمي، إشراف: محمود عبد الدايم علي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ط، 1405هـ-1985م.

443. النهاية في غريب الحديث والأثر: ، المبارك بن محمد بن محمد بن الجزري ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م.

444. هدي الساري: مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، د.ت، 485/2.

445. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت .

446. الواضح في أصول الفقه: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م.

447. وجهة العالم الإسلامي: مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1400هـ.

448. وسائل الشّيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي، ت: عبد الرحمن الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، 1403هـ.

449. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، دار الفكر العربي، د.ب، دط، د ت.

450. وعود الإسلام: روجي جارودي، دار الرقي، بيروت، الطبعة الثانية، 1985م.

451. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1900م .

ثانيا: الدوريات والمجلات

452. تحرير القول فيمن ذكره بقي بن مخلد في مسنده ضمن صحابة الوحدان غلطا وهو تابعي" حرف العين المهملة نموذجا": عمران خلف محمد وأشرف زاهر محمد، مجلة مجمع، جامعة المدينة العالمية، العدد15، 2015م.

453. تقنيات الخطاب الحداثي في إعادة قراءة السنة النبوية: عزوز بن عمر الشوالي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد101، ربيع 1442هـ-2021م.

454. الحداثة وتحولات الخطاب المقاصدي: نحو فقه سائل: محمد المراكبي، مجلة الأخلاق الإسلامية، تصدر عن مؤسسة بريلBrill ، مجلد3، العدد1-2، 2019م.

455. صحيفة The Daily Advertiser، مقال لـــ: Paul Harvey، عدد الخميس، 15 يناير، 1981م.

456. المجلة الأردنية في الدراسات القرآنية، المنهج العقدي للإمام أبي منصور الماتريدي بين النقل والعقل: مروة حمود خرمة، المجلد التاسع، العدد الثالث، 1434هـ-2013م، عمان، الأردن، ص11-12.

457. المراجعون الجدد: مدرسة استشراقية جديدة: منصور السالمي، مجلة التسامح، العدد17، عمان 1418هـ2007م. سقطة الحداثة والخصوصية الغربية: وائل عبد الغني، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد190.

458. المستشرقون وموقفهم من أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية: أشرف عباس القاسمي، مجلة الداعي الشهرية، جمادى الآخرة1436هـ-مارس، أفريل، 2015م، العدد السادس، السنة(39)، دار العلوم، ديوبند، الهند.

459. المشروعات الحداثية لقراءة السنة النبوية: استعراض ونقد لبعض الأدبيات: الحارث فخري عبد الله، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد26، العدد101.

460. مقومات التفكير الحداثي بين العرب والغرب: نبيل علي صالح، الوحدة الإسلامية، 1436هـ-2015م، السنة الرابعة عشر، عدد158،

ثالثا: المواقع الالكترونية

461. https//www.ahl-alquran.com.
462. http: //www.wasateach.com.
463. http://www.aid=136978؟www.ahewar.org/debat/show.art.asp
464. http://www.Cook- %28historian%29
465. http://www.en.wikipedia.org/wiki/Michael-
466. http://www.en.wikipedia.org/wiki/Patricia –Crone
467. http://www.vb.tafsir.net
468. http: //www.darawael.com.
469. https//www.m.ahewar.org.
470. http://www.wahdaislamyia.org/issues/158/nalisaleh.
471. http://www.islamsyria.com/site/show-article
472. http://www.youtube.com/watch v=rYuVFVuTV8
473. http: //www.nadyelfikr.com
474. http ://www.mominoun.com
475. http: //www.safi info.com
476. http ://www.3arabica.org .
477. https//groups.google.com
478. https//www.arrabita.ma

خامسا: فهرس الموضوعات

مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: **مفهوم عدالة الصحابة والشبهات حولها**	
تمهيد	2
المبحث الأول:مفهوم الصحابي	3
المطلب الأول: تعريف الصحابي	3
الفرع الأول: تعريف الصحابي لغة	3
الفرع الثاني: تعريف الصحابي اصطلاحا	6
الفرع الثالث: أثر الخلاف في تحديد مفهوم الصحابي	20
الفرع الرابع: التعريف المختار	20
الفرع الخامس: الحكمة من تعميم الحكم بالصحبة	21
المطلب الثاني: شبهة توسّع المحدثين في تعريف الصحابي بغرض تضخيم المرويات	22
أولا: عرض الشبهة	22
ثانيا: الردّ على الشبهة	22
المطلب الثالث:شبهة دخول المنافقين وكلّ من كان في المدينة قبل وفاة النبي ﷺ في تعريف الصحابي	30
أولا: عرض الشبهة	30
ثانيا:الرد على الشبهة	31
المبحث الثاني: مفهوم عدالة الصحابة والشبه حولها	36
المطلب الأول: مفهوم العدالة	36

الفرع الأول:العدالة لغة	36
الفرع الثاني: العدالة اصطلاحا	36
المطلب الثاني: أثر عدالة الراوي على حديثه	42
الفرع الأول: من القرآن الكريم	42
الفرع الثاني: من السنة النبوية	43
الفرع الثالث: من أقوال العلماء	44
الفرع الرابع:من تطبيقات العلماء	45
المطلب الثالث: مسقطات العدالة	46
الفرع الأول:الكذب	46
الفرع الثاني:التهمة بالكذب	47
الفرع الثالث:البدعة	48
الفرع الرابع: الجهالة	52
أولا: حقيقة الجهالة	52
ثانيا:حكم رواية المجهول	54
الفرع الخامس:انخرام المروءة	55
المطلب الرابع: حقيقة العصمة	56
الفرع الأول: العصمة لغة	56
الفرع الثاني: العصمة اصطلاحا	57
الفرع الثالث:عصمة الأنبياء والرسل	58
المطلب الخامس: معنى عدالة الصحابة ﷺعند العلماء	59
خلاصة الفصل	64

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: الطرح التراثي لقضية عدالة الصحابة	
تمهيد	66
المبحث الأول: أهل السنة والجماعة وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ	67
المطلب الأول: تعريف أهل السنة والجماعة	67
المطلب الثاني: موقف أهل السنة والجماعة من عدالة الصحابة ﷺ	70
المطلب الثالث: أدلة أهل السنة على عدالة الصحابة	74
الفرع الأول: من القرآن الكريم	74
الفرع الثاني: عدالة الصحابة من السنة النبوية	82
الفرع الثالث: عدالة الصحابة من الإجماع	88
المبحث الثاني: الشيعة الإمامية وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ	93
المطلب الأول: التعريف بالشيعة الإمامية	93
الفرع الأول: لغة	93
الفرع الثاني: اصطلاحا	94
الفرع الثالث: جذور التشيع	94
الفرع الرابع: الشيعة الاثنا عشرية	96
المطلب الثاني: موقف الشيعة الإمامية من عدالة الصحابة ﷺ	97
المبحث الثالث: الخوارج وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ	108
المطلب الأول:تعريف بالخوارج وذكر نشاتهم	108
الفرع الأول: الخوارج لغة	108
الفرع الثاني: الخوارج اصطلاحا	108

الفرع الثالث: نشأة الخوارج وفرقهم	110
المطلب الثاني:موقف الخوارج من الصحابة ﷺ	119
المبحث الرابع:النواصب وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ	124
المطلب الأول: تعريف النصب ومراحله	124
الفرع الأول: النصب	124
الفرع الثاني:مراحل النصب	126
المطلب الثاني:موقف النواصب من عدالة الصحابة ﷺ	127
المبحث الخامس: المعتزلة وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ	138
المطلب الأول: تعريف المعتزلة ونشأتها	138
الفرع الأول: المعتزلة لغة	138
الفرع الثاني:المعتزلة اصطلاحا	138
الفرع الثالث:نشأة المعتزلة	140
المطلب الثاني:موقف المعتزلة من الصحابة الكرام ﷺ	141
المبحث السادس:الأشاعرة وموقفهم من عدالة الصحابة	147
المطلب الأول: تعريف الأشاعرة ونشأتهم وأشهر علمائهم، ومعتقداتهم	147
الفرع الأول: تعريف الأشاعرة ونشأتهم	147
الفرع الثاني:أشهر علماء الأشاعرة	148
الفرع الثالث:عقيدة الأشعري	150
المطلب الثاني: موقف الأشاعرة من عدالة الصحابة	154
أولا: الثناء على الصحابة ونقل الإجماع على عدالتهم	154
ثانيا: الكف عما شجر بين الصحابة	155

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السابع:الماتريدية وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ	161
المطلب الأول:تعريف الماتريدية ومراحل نشأتها	161
الفرع الأول:تعريفها	161
الفرع الثاني:منهجها	162
الفرع الثالث:مراحل نشأتها	163
المطلب الثاني:موقف الماتريدية من عدالة الصحابة ﷺ	164
المبحث الثامن: الزيدية وموقفهم من عدالة الصحابة ﷺ	168
المطلب الأول: تعريف بالزيدية وذكر نشأتهم	168
الفرع الأول: تعريف الزيدية	168
الفرع الثاني: نشأة الزيدية	168
الفرع الثالث:أصول الزيدية	169
المطلب الثاني:موقف الزيدية من عدالة الصحابة ﷺ	171
خلاصة الفصل	174
الفصل الثاني: **الطرح الاستشراقي لقضية عدالة الصحابة ﷺ**	
تمهيد	177
المبحث الأول: تعريف الاستشراق وتاريخ نشأته ودوافعه وأهدافه	178
المطلب الأول: تعريف الاستشراق	178
الفرع الأول: لغة	178
الفرع الثاني: اصطلاحا	178
المطلب الثاني: تاريخ الاستشراق ونشأته	179

المطلب الثالث: دوافع الاستشراق وأهدافه	181
المبحث الثاني: اتجاهات المستشرقين في نظرتهم للحديث النبوي	184
تمهيد	184
المطلب الأول: اتجاه جولد تسيهر في نظرته للحديث النبوي	185
المطلب الثاني: اتجاه جوزيف شاخت في نظرته للحديث النبوي	188
المطلب الثالث: اتجاه النقديين الجذريين في نظرتهم للحديث النبوي	190
المطلب الرابع: الاتجاه الموضوعي في نظرته للحديث النبوي	192
المبحث الثالث: موقف المستشرقين من الصحابة ﷺ	193
تمهيد	194
المطلب الأول: الطعن في إسلام الصحابة وأنه كان بدافع المصلحة	194
المطلب الثاني: تهمة الصحابة بأن جهادهم كان بدافع القومية وحب الحرب وسفك الدماء	197
المطلب الثالث: تهمة الصحابة بنشر الإسلام طمعا في الأموال والثروات	199
المطلب الرابع: تهمة الصحابة بالكذب في الرواية	205
المطلب الخامس: تهمة الصحابة باغتصاب الخلافة والحرص عليها والتقاتل من أجلها، والتظاهر على قتل عثمان ﷺ	207
المطلب السادس:تهمة خالد بن الوليد بقتل مالك بن نويرة رغبة في الزواج بامرأته	212
المطلب السابع: اتهام خديجة رضي الله عنها بالشك في الوحي	213
المطلب التاسع:الطعن في فاطمة رضي الله عنها والتشكيك في علاقتها بزوجها وخليفة المسلمين	217
المطلب العاشر: التشكيك في وجود شخصيات بعض الصحابة	218

المطلب الحادي عشر:تهمة الصحابة بنقل عقائد اليهود النصارى ودياناتهم للنبي ﷺ	219
المبحث الرابع:تقييم الطرح الاستشراقي المتعلق بعدالة الصحابة رضي الله عنهم	221
تمهيد	221
المطلب الأول: التعصب الشديد والحقد على الإسلام وأهله	221
المطلب الثاني: تطبيق المناهج الغربية على الدراسات الإسلامية	222
المطلب الثالث: التشكيك	223
المطلب الرابع: طغيان الجانب المادي	224
المطلب الخامس: الجهل باللغة العربية وثقافة العرب	225
المطلب السادس: التحريف والتزييف والتدليس	227
المطلب السابع: الانتقائية في اعتماد المصادر غير الإسلامية أو حتى المصادر الإسلامية الضعيفة وكذا الموضوعات	228
المطلب الثامن: التناقض	230
الفصل الثالث: **الطرح المعاصر لقضية عدالة الصحابة رضي الله عنهم**	
تمهيد	
المبحث الأول: المدرسة العقلية المعاصرة وموقفها من عدالة الصحابة رضي الله عنهم	233
المطلب الأول: تعريف المدرسة العقلية المعاصرة	234
الفرع الأول: ضبط المفاهيم	234
الفرع الثاني: أصناف العقلانيين	
المطلب الثاني: نشأة المدرسة العقلية المعاصرة	236
المطلب الثالث:أبرز شخصيات المدرسة العقلية المعاصرة	240

المطلب الرابع:تأثر المدرسة العقلية المعاصرة بالفكر الاعتزالي	241
المطلب الخامس:موقف أصحاب المدرسة العقلية المعاصرة من السنة النبوية	243
أولا:دعوى عدم حجية أخبار الآحاد التي تمثل أكثر الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ	243
ثانيا:دعوى تأخر كتابة الحديث والتعلق بأحاديث النهي عن كتابته	244
المطلب السادس: موقف العلماء من أفكار المدرسة العقلية المعاصرة	246
المطلب السابع: موقف المدرسة العقلية المعاصرة من عدالة الصحابة رضي الله عنهم	247
المبحث الثاني: القرآنيون وموقفهم من عدالة الصحابة رضي الله عنهم	255
المطلب الأول: نشأة فرقة القرآنيين	255
المطلب الثاني: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية	260
المطلب الثالث:موقف القرآنيين من قضية عدالة الصحابة رضي الله عنهم	261
المبحث الثالث: الحداثيون وموقفهم من عدالة الصحابة رضي الله عنهم	266
المطلب الأول: مفهوم الحداثة	266
الفرع الأول: الحداثة لغة	266
الفرع الثاني: الحداثة اصطلاحا	267
المطلب الثاني: نشأة الحداثة	269
المطلب الثالث: الآراء والمقولات الرئيسة للحداثة	271
أولا:مركزية الإنسان في الكون	271
ثانيا:سيادة العقل وهيمنته	272
ثالثا:التحكم في الكون	272
رابعا:السعادة والتحرر	272
المطلب الرابع: أهداف الحداثة	273

أولا:نزع القداسة والوحي عن النص (السنة النبوية) وأنسنته	273
ثانيا: تبني الفكر الحداثي من مفكرين وعلماء ومثقفين مسلمين	273
ثالثا: نقض المشروع الإسلامي الإحيائي	274
المطلب الخامس: موقف الحداثة من السنة النبوية	274
أولا:رفض حجية السنة	274
ثانيا:التشكيك في عملية تدوين السنة	276
ثالثا:إخضاع السنة للقراءات الحداثية الغربية	277
خامسا:أهم البنيات التي تناولها النقد الحداثي للسنة النبوية	280
المطلب السادس: موقف الحداثيين من عدالة الصحابة ﷺ	281
أولا:العيب على المحدثين توسعهم في مفهوم الصحبة	281
ثانيا:إنكار عدالة الصحابة	283
ثالثا:تهمة الصحابة بالأخذ عن أهل الكتاب	283
رابعا:عدالة الصحابة نشأت نتيجة الظروف السياسية	285
خامسا: التشكيك في أمانة الصحابة وأهليتهم في نقل السنة النبوية	286
سادسا: اتهام الصحابة بالتكالب على الخلافة والمال	286
سابعا: موقف بعض الحداثيين من عائشة رضي الله عنها	287
ثامنا:شبهة شيوع الفواحش والمعاصي في مجتمع الصحابة ﷺ	289
تاسعا: شبهة تهمة الصحابة ﷺ بالكذب	293
المبحث الرابع:أثر الاستشراق في مواقف المعاصرين من عدالة الصحابة وحكم الشرع فيمن يطعن في الصحابة ﷺ	310
المطلب الأول: أثر الاستشراق في مواقف المعاصرين من عدالة الصحابة	310

المطلب الثاني: حكم الشرع فيمن يطعن في الصحابة ﷺ	314
أولا:من القرآن الكريم	314
ثانيا: من السنة النبوية	315
ثالثا: من كلام أهل العلم	315
خلاصة الفصل	319
خاتمة	322
توصيات	325
الفهارس العلمية	
أولا: فهرس الآيات القرآنية	337
ثانيا: فهرس الأحاديث والآثار	332
ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم	336
رابعا: فهرس المصادر والمراجع	339
خامسا: فهرس الموضوعات	375
الملخص	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص البحث:

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ بالرسالة الخاتمة للبشرية جمعاء، هاديا ومبشرا ونذيرا، وتكفل سبحانه بحفظ هذا الدين من كل تحريف وتزييف، وكان من تمام حفظه أن هيّأ له جيلا يقوم بالأمانة على أكمل وجه وأحسنه؛ هذا الجيل يمثّله صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم وأرضاهم، شهدوا نزول الوحي والنبي ﷺ بين ظهرانيهم، وتعلموا بيانه وتطبيقه منه ﷺ، وتحمّلوا أمانة تبليغ الدين للبشرية جمعاء فقاموا بها وهم العدول الأمناء المحدّثون الفقهاء الزهاد المجاهدون...

وصدّرت الباحثة البحث بفصل تمهيدي تناولت فيه مفهوم عدالة الصحابة وما يتعلق بها من شبهات، حيث اختارت مذهب المحدثين في تعريف الصحابي لقوة أدلتهم في ذلك، وبينت أن المراد بعدالة الصحابة هو استحالة صدور الكذب منهم لا القول بعصمتهم، وفيه الرد على شبهة التوسع في تعريف الصحابي بغرض تضخيم المرويات، وشبهة دخول المنافقين في التعريف، وشبهة مساواة العدالة للعصمة...

ولمكانة الصحابة ومنزلتهم في تبليغ الوحي بعد نبيهم ﷺ، ونظرا لما عصف بالأمة الإسلامية من فتن بعد وفاته ﷺ، برزت قضية عدالة الصحابة في الساحة العلمية كقضية تتجاذبها أطراف عديدة، فبين معدّل ومجرّح، ومزكّ ومنتقص...وكل واحد له رأيه حسب مذهبه السياسي واعتقاده في الفتنة، وما إن تميزت الفرق الإسلامية كلّ فرقة بأصولها ومبادئها حتى تميز موقف كل فرقة من الصحب الكرام رضي الله عنهم، وفي هذا البحث محاولة لبيان مواقف الفرق الإسلامية من أهل السنة، والشيعة، والخوارج، والنواصب، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، والزيدية من الصحابة رضي الله عنهم، حيث خلصت الباحثة إلى أنّ معيار العدالة عند هذه الفرق هو مدى ملابسة الصحابة للفتن واشتراكهم في حروبها، مع بقاء اعتقاد أهل السنة فيهم على ما كان عليه منذ الصدر الأول وهو تعديلهم وتزكيتهم والتماس العذر لمن شارك في الفتنة منهم، والكف عمّا شجر بينهم، وهذا موضوع الفصل الأول.

ثم انتقلت الباحثة في الفصل الثاني لعرض موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم، فكان لزاما التعريف بالاستشراق ونشأته ودوافعه، واتجاهاته في التعاطي مع موضوع الحديث النبوي، وبعدها الكشف والبيان عن حقيقة قضية عدالة الصحابة في الميزان الاستشراقي، والتي كانت امتدادا لموقف الاستشراق العام من الإسلام والمسلمين، حيث لم يدّخروا جهدا في انتقاصهم والتشويه لسيرهم

وتاريخهم..تدفعهم في ذلك منطلقات عقدية سمتها الغالبة التعصب ضد الإسلام، ومنطلقات بحثية الغالب عليها اللاعلمية ومجانبة المنهج العلمي تماما.

وفي الفصل الثالث تعرض الباحثة موقف الاتجاهات المعاصرة من عدالة الصحابة، وهذه الاتجاهات تمثلها المدرسة العقلية الحديثة والقرآنيون والحداثيون، في ثنايا البحث تعريف بكل اتجاه ونشأته ومبادئه ثم عرض لموقفه من عدالة الصحابة من خلال آراء أتباعه، والتي لم تزد على كونها امتدادا لشبهات المستشرقين وافتراءاتهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Résumé :

Dieu Tout-Puissant a envoyé Son Prophète Muhammad, que les prières et la paix de Dieu soient sur lui, avec le message final à toute l'humanité, comme guide, évangéliste et avertisseur, et le Tout-Puissant a assuré la préservation de cette religion de toute distorsion et falsification , et l'une de ses préservations complètes était qu'il préparait pour lui une génération qui remplirait la confiance de la manière la plus complète et la meilleure ; Cette génération est représentée par les compagnons du Messager de Dieu, que les prières et la paix de Dieu soient sur lui, et que Dieu soit satisfait d'eux et de leur peuple. ...

La chercheuse a publié la recherche avec un chapitre d'introduction dans lequel elle a traité du concept de la justice des Compagnons et des soupçons qui s'y rapportent, car elle a choisi la doctrine des modernistes en définissant le Compagnon pour la force de leur preuve en cela, et a indiqué que ce que l'on entend par la justice des Compagnons est l'impossibilité de leur mentir, sans dire qu'ils sont infaillibles, et en cela est une réponse au soupçon d'élargir la définition du Compagnon dans le but d'exagérer les récits , et le soupçon d'hypocrites entrant dans la définition, et le soupçon d'égalité de justice pour l'infaillibilité...

Et en raison de la position des Compagnons et de leur statut dans la transmission de la révélation après leur Prophète, que les prières et la paix de Dieu soient sur lui, et compte tenu des séditions qui ont balayé la nation islamique après sa mort, que les prières et la paix de Dieu soient sur lui, la question de la justice des Compagnons a émergé dans l'arène scientifique comme une question qui est attirée par de nombreux partis, entre celui qui modifie et dénigre, discrimine et déprécie... et chacun Il a son opinion selon sa doctrine politique et sa croyance en la sédition. Et les Ash'aris, les Maturidis et les Zaydis parmi les Compagnons, que Dieu soit satisfait d'eux, où le chercheur a conclu que le critère de justice pour ces sectes est la mesure dans laquelle les Compagnons vêtus de tentation et a participé à ses guerres, avec la croyance des sunnites en eux restant tels qu'ils étaient depuis le premier sein, qui est leur modification et leur approbation et cherchant des excuses pour ceux qui ont participé à la querelle entre eux, et s'abstiennent de quelles querelles entre eux, et c'est l'objet du premier chapitre.

Puis le chercheur s'est déplacé dans le deuxième chapitre pour présenter la position des orientalistes vis-à-vis des compagnons, qu'il plaise à Dieu. puis

révélant et clarifiant la vérité de la question de la justice des Compagnons à l'échelle orientaliste, qui était un prolongement de la position orientaliste générale sur l'islam. ils sont motivés par des prémisses doctrinales qui sont principalement caractérisées par l'intolérance à l'égard de l'Islam, et des motifs de recherche qui sont principalement non scientifiques et évitent complètement la méthode scientifique.

Dans le troisième chapitre, le chercheur présente la position des tendances contemporaines envers la justice des Compagnons, et ces tendances sont représentées par l'école mentale moderne, les coranistes et les modernistes, dans les plis de la recherche, une définition de chaque tendance, son origine et ses principes, puis il présenta sa position sur la justice des Compagnons à travers les opinions de ses partisans, qui ne dépassaient pas d'être le prolongement des soupçons et des calomnies des orientalistes.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

summary

God Almighty sent His Prophet Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, with the final message to all of humanity, as a guide, an evangelist, and a warner, and the Almighty ensured the preservation of this religion from all distortion and falsification, and one of his complete preservation was that he prepared for him a generation that would fulfill the trust in the fullest and best manner; This generation is represented by the companions of the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, and may God be pleased with them and their people. ...

The researcher issued the research with an introductory chapter in which she dealt with the concept of the justice of the Companions and the suspicions related to it, as she chose the doctrine of the modernists in defining the Companion for the strength of their evidence in this, and indicated that what is meant by the justice of the Companions is the impossibility of lying from them, not saying that they are infallible, and in it is a response to the suspicion of expanding the definition of the Companion For the purpose of exaggerating the narratives, and the suspicion of hypocrites entering the definition, and the suspicion of equality of justice for infallibility...

And because of the position of the Companions and their status in conveying the revelation after their Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and in view of the seditions that swept the Islamic nation after his death, may God's prayers and peace be upon him, the issue of the Companions' justice emerged in the scientific arena as an issue that is attracted by many parties, between one who modifies and disparages, discriminates and detracts... and each one He has his opinion according to his political doctrine and his belief in sedition. And the Ash'aris, the Maturidis, and the Zaydis among the Companions, may God be pleased with them, where the researcher concluded that the criterion of justice for these sects is the extent to which the Companions dressed in temptation and participated in its wars, with the belief of the Sunnis in them remaining as it was since the first breast, which is their modification and approval and seeking excuses for those who participated In the strife among them, and refrain from what quarrels between them, and this is the subject of the first chapter.

Then the researcher moved in the second chapter to present the position of Orientalists towards the Companions, may God be pleased with them. It was necessary to define Orientalism, its origins, motives, and directions in dealing with the subject of the Prophetic hadith, and then revealing and

clarifying the truth of the issue of the Companions' justice in the Orientalist scale, which was an extension of the general Orientalist position on Islam. And the Muslims, as they spared no effort in detracting and distorting their biography and history..they are motivated by doctrinal premises that are predominantly characterized by intolerance against Islam, and research grounds that are predominantly unscientific and completely shun the scientific method.

In the third chapter, the researcher presents the position of contemporary trends towards the justice of the Companions, and these trends are represented by the modern mental school, the Quranists and the modernists, in the folds of the research, a definition of each trend, its origin and principles, and then he presented his position on the justice of the Companions through the opinions of his followers, which did not exceed being an extension of the suspicions and slanders of orientalists.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية